موسوعة
تاريخ العراق بين احتلالين

حكومة المغول
٦٥٦هـ - ١٢٥٨م
٧٣٨هـ - ١٣٣٨م

تأليف المؤرخ الكبير
عباس العزاوي المحامي

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات



موسوعة

تاريخ العراق بين احتلالين



ولا يحق لأحد الاقتباس أو الأخذ من معلومات أو مشجرات هذا
الكتاب سواء بالوسائل السمعية أو البصرية إلا بإذن خطي من الناشر

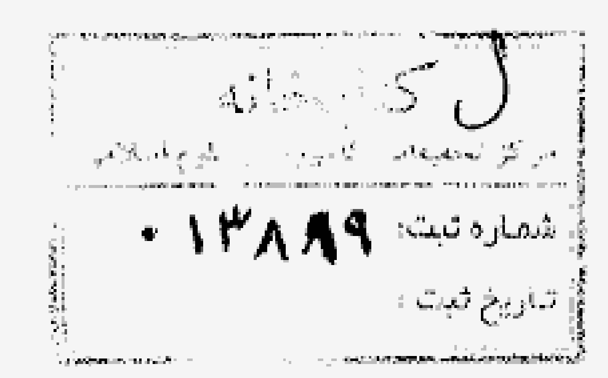
موسوعة
تاريخ العراق بين احتلالين

حكومة المغول
٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م
٧٣٨ هـ ـ ١٣٣٨ م

تأليف المؤرخ الكبير
عباس العزاوي المحامي

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م ــ ١٤٢٥ هـ



الدار العربية للموسوعات

الحازمية ـ ص.ب: ٥١١ ـ هاتف: ٩٥٢٥٩٤/٠٠٩٦١٥ ـ فاكس: ٤٥٩٩٨٢/٠٠٩٦١٥

هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣/٠٠٩٦١٣ ـ ٥٢٥٠٦٦/٠٠٩٦١٣ ـ بيروت ـ لبنان

البريد الإلكتروني: E.mail:arab-enc-house@lynx.net.lb

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين أما بعد:

فالتاريخ اليوم غيره بالأمس عليه ترتكز العلوم الاجتماعية والاقتصادية، وهو معول الأمم في تأسيس إدارتها ونظامها، وتسيير سياستها... ومن هذه النواحي وغيرها لا يقل أهمية وفائدة عن العلوم المادية بل يفوقها بكثرة... فإذا كانت هذه سهلت وسائل الراحة، وغيرت في الأوضاع الحياتية فالتاريخ سير الجماعات نحو الإدارات الفاضلة، وساقها إلى قبول خير المناهج الأممية، ولا زالت الأقوام تتمشى على ضوء نوره نحو الغاية الفضلى والكمال اللائق... وما قاله شاعرنا:

وما كتب التاريخ في كل ما روت
لقرائها إلا حديث ملفق
نظرنا لأمر الحاضرين فرابنا
فكيف بأمر الغابرين نصدق

يحمل على اسباب طفيفة، ومراسم وأشكال ظاهرية لا علاقة لها بالأساس... فلا يعني نكران اساس التاريخ، والتشكيك في كل رواياته أو الارتياب فيها.. وإنما هنا نواحٍ لا يصح التغاضي عنها أو التردد في

قبولها كوجود الأمم، والاعتراف بتشكيلاتها، وتعيين اداراتها والتعرف بثقافاتها وعلاقاتها بمجاوريها، وحياتها الاجتماعية والفردية... إلى آخر ما هنالك مما لا يصح أن يجابه بالإنكار إلا أنّ المبالغات في إظهار ذلك، أو تصغير شأنه وعدم المبالاة به وما ماثل من الأمور... مما لا يلتفت إليه، والتدقيق العلمي يعيده إلى سيرته الأولى، والمبالغة تفسر في إظهار تلك بمظهر العظمة، أو التقليل من شأنها... لمحب مفرط، ومبغض مفرط والأمثلة على ذلك كثيرة، والحقيقة إن مكانة الأقوام معروفة ووضعها يتجلى للرائي بوضوح...

ولما كان التاريخ ذا علاقة بالمجتمع من ناحية تدوين وقائعه فخير التواريخ ما بصّر بأخبارنا، وقرب ما هو الألصق بنا تسهيلاً للقبول والتناول وهو الأولى بالأخذ والاستفادة، والأحق بالاعتبار... ومن هذا التاريخ صفحة تنبىء عن ارتباط الوقائع بنا في وقت، أو تجربة لا مندوحة لنا من ذكراها دوماً للاستقاء من معين فوائدها عظةً وعبرة متصلة لا ننفك عنها ولا تنفصل عنا... ولا تزال حوادثها ترن في الآذان وخبرها يقص بنفرة واستياء، وآلامها تعدد بين آونة وأخرى، وقد أحدثت دوياً لا في العراق وحده بل بلغ صداها أطراف المعمورة أعني بها (حكومة المغول) أو حكومة هلاكو في العراق... وهذه دامت سيطرتها من صفر سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م وامتدت إلى سنة ٧٣٨هـ. ١٣٣٨م وهي أول حكومة أجنبية، غير مسلمة احتلت العراق بعد الفتح الإسلامي بستة عصور ونصف تقريباً، فرأى العراقيون غير مألوفهم، وشاهدوا ما لم يخطر بخيالهم. وهكذا شأن الأمم فيما كتب عليها من المقدرات وما أصابها من نكبات...

تواريخ العراق ومراجعه

إن تواريخ العراق ومراجعه فيما يخص هذا الدور كثيرة، ولا نجد

مغولياً كتب عن هذا العهد ليكون تاريخه مرجعاً بعده، وغالب من كتبوا من العرب وباللغة العربية قبل كل أحد ودوّنوا مشاهداتهم ومسموعاتهم ثم كتب العجم عنهم بالعربية والفارسية، إلا أنها غير موصولة وفيها فترات لم يتيسر العثور عليها أو الاطلاع على تفصيلاتها بسهولة. أو أنها بقيت مجهولة... وغالب الموجود مختلف المشارب والنزعات، أو من صنائع نفس المغول، أو مقصور على وصف الملوك وأعاظم رجال الإدارة ممن نال مكانة تاريخية باعتبار أنه الناهض بأمته، والقائم بشؤونها، والمسير لمقدراتها...

ولكن لم تدقق هذه الوثائق الأمم باعتبار قوتها ومناعتها، وأخلاقها وسيرها التاريخي والاجتماعي، وتحفزها للوثوب والنهوض، أو ذلها وخضوعها...

ولهذه المراجع أوصاف خاصة ستوضح عند الكلام على كل منها، وغالبها يعاب بأنه كتب في أزمنة محاطة بظروف وتمايلات أدت إلى كتمان الحقيقة أو توجيهها وعدم التصريح بها أو الإشارة الخفيفة، أو المبالغة الزائدة والإشادة... ذلك ما يدعو للارتياب وأن نستنطق وثائق كثيرة، ونقابل بل نقارن بعضها ببعض، ونلاحظ الدواعي والأسباب مما يفيد لتمحيص الوقائع، وتمييز الصحيح من المدخول...

قد بذلت الجهود في التحري والتنقيب، واستنطقت مراجع كثيرة... عرضتها على ميزان النقد التاريخي... إلا أنني أقول بكل اطمئنان إن تاريخ العراق لهذا الزمن لم يكتب فيه إلا القليل، وبصورة متفرقة... وهذه أول تجربة جربها القلم فلم أعدل عن نقد من يستحق النقد، ولا عوّلت إلا على ما اعتقدت صحته، أو لم تكن له رواية أو نقل آخر غير ما هو محل النظر وموضع الاشتباه حذراً من أن يبقى فراغ لمدة قد تكون فترة في التاريخ والعهدة في ذلك على راويها بالشكل

الذي رواها مقروناً بمصدرها ومرجع نقلها... فلا نهمل فكرة ولا نقبل كل خبر، ولا نترك كل رأي قدر الطاقة والمستطاع...

المراجع العراقية والعربية

والمراجع العراقية أو العربية في هذا الدور لم تنقطع، ولا تزال بقاياها موجودة فقد انجب العراق مؤرخين توالى ظهورهم، وتكاثر عددهم فخدموا العراق بما نشروه من مؤلفات خالدة وكتب قيمة... والكل سعيهم متواصل، وهم في تكاتف وتساند لإحياء وقائع هذا المحيط، وتدوين ماجرياته. وبيان سائر احواله وأوضاعه من نعيم وشقاء وسعادة وبؤس، وأفراح وآلام... ولا نزال نرى الأيام تميط اللثام عن آثارهم مما خفي... فنظراتهم صادقة، ومعولهم على وثائق صحيحة؛ أو مشاهدات عيانية؛ وأخبار معتمدة.. هذا في غالب أحوالهم، وأكثر مدوناتهم مما وصلنا من دراسة مجاري التاريخ... وعليهم ركن مؤرخو الأقطار، وبالتعبير الأوضح نهج مؤرخو الأقطار على طريقتهم وساروا على سنتهم...

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وصف المؤلفات التاريخية

لا نراجع في الغالب عن وصف المؤلفات التاريخية الأقوال المنقولة والمتكررة، وإنما حاولنا تدقيق نفس المؤلفات التاريخية التي عولنا عليها كمرجع أثري، ولا نعدل عن هذا إلا إذا كان وصف الآخرين منطبقاً، أو لا بد أن يراجع كالسنين والتواريخ الضرورية، أو الحياة الخاصة...

وهذه منها ما هو من مدونات هذا العصر الذي نكتب تاريخه، أو بعده بقليل من التواريخ العامة والخاصة، ولم نراجع المتأخر إلا إذا كان جامعاً لمصادر تتعلّق به ولها فائدة كبرى في بيان الوقائع وارتباطها، أو التفصيل عنها...

وقد تكلمت عن المهم من هذه المؤلفات والباقي أشرت إليه في حينه من تاريخ العراق فلا أرى حاجة للكلام على كافة المراجع سواء قلّ النقل، أو كثر... وإلّا تألف منها كتاب... وهذا بيان الكتب المشهورة:

الكامل

هو لابن الأثير علي بن محمد الجزريّ الملقب بعز الدين المولود عام ٥٤٤هـ ١١٥٠م والمتوفى سنة ٦٣٠هـ ١٢٣٣م قد اجمل الأمر اجمالاً يكاد يغني المطالع عن حالتهم الأولى. كتب الوقائع التترية متسلسلة، واضحة تقريباً، وذكر شعوره وتألمه من وقائع جنگيز فلم يتمكن من كتم الإحساس والتألم للمصاب فليس هو حجر، لم يسعه أن يتخلى عن الوقائع المؤثرة... ولكنه ـ مع هذا ـ لا نراه يحيد عن تدوين الواقع...

كل المؤرخين يعولون عليه سواء كانوا أجانب، أو تركًا أو عرباً، أو فرساً... فلم يجدوا في غيره ما يوضح خروج المغول.

ولا نلومه من ناحية الكناية دون الصراحة في بعض المطالب، نظراً لما يحوطه من الظروف والأوضاع آنئذ إذ إن الحكومة العباسية لا تزال قائمة، ولا يزال تأثيرها مكيناً إلى أيام وقوف حوادثه وهي صاحبة الحول والطول نوعاً، ولذا قال عن حوادث التتر:

«وقيل في سبب خروجهم إلى بلاد الإسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر.

قد كان ما كان مما لست أذكره

فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر» اهـ.

ويريد أن يقول ان خروجهم كان بإيعاز من الخليفة العباسي وبهذا

يتهمه.. وقد قيل (الكناية أبلغ من التصريح) وقد بسطنا القول عن ذلك في أصل التاريخ...

تقف وقائعه عند عام ٦٢٩هـ أي إلى نهاية سنة ٦٢٨هـ ١٢٣١م وما ذكره فهو ثقة فيه، وقد اعتمد عليه الترك المتأخرون أنفسهم كغيرهم مما مر بيانه فقد بين حوادث التتر سنة ٦١٧هـ - ١٢٢٠م وعقب الوقائع إلى ان انتهى الكتاب، وفيه حوادث بضع سنين فهو خير مصدر، وحوادثه على السنين، وقد اختصره أبو الفداء وزاد عليه الحوادث التالية إلى أيامه...

طبع ببولاق سنة ١٢٩٠هـ، وقد تلتها طبعة أخرى عادية بتاريخ سنة ١٣٠٢هـ، وفي ليدن سنة ١٨٥١: ١٨٧١م، وطبع له فهرس في ليدن أيضاً سنة ١٨٧٤ - ١٨٧٦م وهو مهم ونافع...

تاريخ أبي الفداء

اختصر مؤلفه أبو الفداء به تاريخ الكامل ومضى به إلى سنة ٨٤٨هـ ١٣٢٧م وهو من المراجع المهمة لحكومة التتر، ويعتمد في تاريخ ظهور التتر على المنشي النسوي وهو شاهد عيان لوقائع خوارزمشاه، يذكر أسباب الخذلان ويعول على دواعي كثيرة، وبواعث مهمة، ومنها طفيفة، ومنها ما لا يستهان به وفيه بيانات مفيدة عن (تاريخ التتر) ومنه أخذ أبو الفداء...،

وكان المصدر الوحيد في بيان أحوال التتر إلى أن عثر على كتاب المنشي المذكور، لخص أبو الفداء مباحثه ومع هذا بقيت بعض الاعلام شاغرة لعدم المعرفة، ولفقدان المراجع، وبوجوده زال الخفاء، وسد الفراغ فصلح هذا لتصحيح تاريخ أبي الفداء وليلتئم الخلل، ومن ثم توضحت نوعاً وقائع المغول...

ولا يفوتنا أن تاريخ أبي الفداء يفصل الحالة عن تاريخ سورية

ويجمل القول عن الاقطار الأخرى فلم تكن الاستفادة مهمة خصوصاً عن بغداد بعد سقوط حكومتها فلا يرى لها من الأهمية...

المختصر في اخبار البشر

لعمر ابن الوردي المصري الشافعي، اختصر به تاريخ أبي الفداء بنحو ثلثيه وزاد عليه في بعض المواطن، وفيه تثبيت لبعض الأعلام المشتبه فيها مما ذكره أبو الفداء في تاريخه ومع هذا لا يخلو من اغلاط نُساخ مما سيبين اثناء الحوادث ومقارنتها. وقد قال إنه فصل ما زاده بقوله (قلت) وأنهى كلامه بقوله (والله أعلم) وبين أنه ذيل تاريخ أبي الفداء من سنة ٧٠٩هـ ١٣١٠م إلى آخر الكتاب. هذا في حين أننا نرى حوادث أبي الفداء في تاريخه المطبوع تمتد إلى سنة ٧٤٨هـ ١٣٤٨م، وتقف حوادث المختصر عند نهاية سنة ٧٤٩هـ ١٣٤٩م والكتاب مذيل ببعض الحوادث إلى تاريخ الطبع... ويقال فيه ما قيل في تاريخ أبي الفداء...

طبع سنة ١٢٨٥هـ في مجلدين، وتمتاز طبعته في اتقانها ومراجعة المصادر في تحقيق بعض المطالب...

سيرة جلال الدين منكبرتي[1]

للعالم الفاضل شهاب الدين محمد بن علي بن محمد المعروف

---

(١) جاء بلفظ منكبرتي، ومنكبرتي، ومنكوبرتي. وفي تاريخ جهانكشاي جويني ذكر بالنون نقلاً عن عالم آري غفاري وتشريحاته أو تحليله وضبطه للفظة مغولية، ومثله جاء في (طبقات ناصري) ومرجع تحقيق لفظة كهذه اللغات الجغتائية وضبط اعلامها، فلا يلتفت إلى اغلاط النساخ، أو إلى قول الغفاري. راجع جهانكشاي جويني ٢، ص ٢٨٦. وتاريخ العراق ج ١ ص ١٢٩ وص ٣٧٥ نقلاً عن لغة جغتاي، وينطق به اغلبياً منوبرتي، ومعناها (عطاء الدائم) أو (عطاء الأبدي) لأن منكو تعني الأبدي أو السرمدي، وبرتي يراد بها أعطى.



هلاكو ببزة حربية

بالمنشي النسوي): جاء في الدر المكنون: «وفيها ـ سنة ٦٤٧هـ ـ توفي بمدينة حلب شهاب الدين محمد بن عبد الواحد (في اسم الأب اختلاف هنا) المنشي النسوي صاحب تاريخ (جلال الدين خوارزمشاه) (سيرة منكبرتي) وكاتب إنشائه اتصل بعد قتل مخدومه بالملك المظفر غازي بن العادل الأيوبي صاحب ميافارقين، ثم اتصل بخدمة بركة خان مقدم الخوارزمية (كذا) ولما قتل بركة خان تقدم المترجم عند الناصر يوسف ابن العزيز الأيوبي صاحب حلب، وبعثه رسولاً إلى التتر، وعاد فمات في حلب». ا هـ نقلاً عن مخطوط باريس رقم ٤٩٤٩ لياسين العمري (قاله الصديق الدكتور مصطفى جواد) وبهذا عرفنا ترجمته ووفاته. وتاريخه هذا في سيرة السلطان جلال الدين المنكبرتي من الخوارزمشاهية وهو آخرهم، وعليه اعتمد أبو الفداء، ورد اسمه بلفظ المنشي النسوي حينما تكلم عن (ظهور التتر)، وفيه تصحيح لوقائعه وسد لفراغ الكلمات وتصحيح لها. وقد راجعناه وعولنا على غالب نصوصه. وقد مر الكلام عليه اثناء مراجعة تاريخ أبي الفداء. طبع باعتناء المستشرق الفاضل هوداس بأصله العربي مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٩١م.

قال النسوي في مقدمته:

«إنني لما وَقَفْتُ على ما أُلف من تواريخ الأمم الماضية، وسير القرون الخالية، واتساق اخبارها من لدن انتشار ولد آدم أبي البشر ﷺ إلى زماننا هذا سوى ما صادف فترة، رأيت قصارى كل مؤرخ تكرير ما ذكره المتقدم عليه... بيسير من الزيادة والنقصان إلى أن يسوق الحديث إلى زمانه، وحوادث أوانه، فيوردها شافية كافية، ومن وراء الاشباع والاقناع آتية، وشتان ما بين الخبر والخبر وأين العيان من اقتفاء الأثر، ورأيت الكامل من تأليف علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، يتضمن من أحاديث الأمم عموماً، وغرائب أخبار العجم

خصوصاً ما شذ عن غيره، وأنصف لعمري في تسميته كاملاً ما ألف ولم استبعد ظفره بشيء من تواريخهم المؤلفة بلغتهم وإلا فما الأمر مما يؤخذ بالقياس، والذي أودعه تأليفه منها أكثر من أن يتلقف من أفواه الناس. . . الخ» اهـ.

جهانكشاي جويني

من التواريخ الفارسية التي كتبت أيام حكومة المغول تأليف علاء الدين عطا ملك صاحب الديوان ابن الصاحب بهاء الدين محمد الجويني المتوفى سنة ٦٨٣هـ ١٢٨٥م. قال في كشف الظنون: ذكر فيه سير جنگيز وهلاكو مشتملاً على دولة المغول وسلاطينها وملوك الأطراف وزمانهم وقد أطراه صاحب تاريخ وصاف وأثنى عليه كثيراً على ما سيجيء.

وهذا التاريخ من أقدم ما كتب عن المغول بعد ابن الأثير والمنشي النسوي فقد تكلم عن أحوالهم وهو من المعاصرين وأولى بالاعتماد زيادة على غيره وذلك لأنه اتصل بالمغول وتجول في مملكتهم وشاهد العارفين بأحوالهم كما أنه كان قد شاهد بنفسه حوادث كثيرة وصاحب هلاكو مدة وقد حصل على كتب علمية مهمة حين القضاء على الاسماعيلية وحكى ذلك. . . ثم أودع إليه منصب بغداد وكانت حكومته هناك نحو ٢١ سنة على ما فصل القول عنه في محله، في خلالها حصلت عليه بعض الشكاوى فكتب إليه أخوه الوزير (شمس الدين محمد الجويني) يدعوه أن يتنبه للأمور ولا يغفل عما يجري وبين سطور هذه يقول:

كم لي أنبه مقلة من نائم
يبدي سباتاً كلما نبهته
فكأنك الطفل الصغير بمهده
يزداد نوماً كلما حركته

ذلك ما دعا أن يقضي على تاج الدين علي ابن الطقطقي بحيلة احتالها... ولكنه لم يسلم من الغوائل... ومهما يكن فقد كان مؤرخاً عارفاً بالأمور، ولكتابه قيمته العلمية والأدبية... إلا أن الألفاظ المغولية صعبة التلفظ فهي غير مأمونة الصحة من النساخ.

طبع هذا التاريخ في ليدن عام ١٣٢٩هـ ١٩١١م في مجلدين؛ وفي ايران في مجلد واحد إلا أن طبعة أوروبا المذكورة متقنة جداً وستأتي ترجمته خلال وقائع الكتاب، والمؤلف كان قد دام في حكومة بغداد مدة طويلة، ولي العراق إحدى وعشرين سنة وشهوراً، وهو أخو الصاحب شمس الدين، كان عادلاً، حسن السيرة، أديباً، فاضلاً، وله رسائل جيدة؛ وأشعار حسنة.

ومن شعره:

أبـاديـة الأعـراب عـنـي فـإنّنـي
بـحـاضـرة الاتـراك نـيـطـت عـلائـقـي

وأهـلـك يـا نـجـل الـعـيـون فـإنّـنـي
بـلـيـت بـهـذا الـنـاظـر الـمـتـضـايـق

وفيه ما يدل على درجة علاقته بالعراق[1]...

وله أيضاً أيام نكبة أصابته:

لـئـن نـظـر الـزمـان إلـيّ شـزرا
فـلا تـك ضـيّـقـاً ـ أفـديـك ـ صـدرا

---

(١) ان هذين البيتين لا يستفاد منهما بالنتيجة وقد ذكر أحد المحدثين عن الحوادث الجامعة ما يعين الحقيقة، قال: وكان علاء الدين في أول شبابه قد حول جارية مغلية تنزل أوان الشتاء بالطيب (نهر لا يزال معروفاً في انحاء العمارة) ونواحي البيان (في حدود ايران قرب لواء العمارة مقاطعة بيان وإيران) وقال فيها أشعاراً بالعربية والفارسية، وأمر الشعراء فعملوا فيها، فأكثروا، فمن ذلك قول بهاء الدين علي الإربلي..».

وكن بالله ذا ثقة فإنّي
أرى لله في ذا الأمر سرًّا
زمان إن رماني لا أبالي
فقد مارسته عُسْراً ويُسْرا
تراني ثابتاً جأشاً إذا ما
جيوش الحادثات عَزَمْنَ أمْرا
إذا دكت جبال الصبر دكاً
ترى مني فؤاداً مستقرا
وإن شاهدت في صبري فتوراً
جعلت عزيمتي للصبر أزرا

ومما رثاه به أخوه بالفارسية:

أي دونورديده جهان فيروزم
رفتي وزهجر توسياه شدروزم
بوديم دو شمع وهردو سوزان بوديم
أيام ترابكشت ومن ميسوزم

يقول: «أي نور عيني دنياي اللامعة قد صيرت أيام هجري سوداً بفراقك، كنا شمعتين موقدتين فاخترمتك (محقتك) الأيام، ولازلت أستعر وأشتعل..!!

وقد ذكرنا ترجمته في التاريخ عند الكلام على وفاته. وعلى كل نرى المؤرخين يلهجون بحسن سياسته للعراق فهو من خيرة ولاته في ذلك العهد...

تاريخ وصاف

وهو المسمى (تجربة الأمصار، وتزجية الأعصار) وجاء في كشف الظنون عنه أنه (تجزية الأمصار...) أوله: حمد وستايش كه أنوار

اخلاص آفاق وأنفس راجون فاتحه صبح صادق متلالي سازد الخ. وأثنى في مقدمته على علاء الدين صاحب جهانكشاي جويني ومدح كتابه ونعت مؤلفه بصاحب القلم، وإدارة الملك ثم أبدى أن أيام محمود غازان قد مضت بالعدل الشامل، وعادت المملكة أشبه بجنة الخلد. فرفع منار الإسلام وأزال الكفر والضلال وأقام شعائر الدين الإسلامي؛ وأسس المدارس والمساجد. والمؤلف وهو عبدالله بن فضل الله، سنح له أن يدون ما جال في خاطره، وما بدر لفكره من فضائل هذا السلطان وما انقضى من أيامه إلى اليوم الذي هو فيه وهو آخر شعبان سنة ٦٩٩هـ ١٣٠٠م فشرع في تاريخه من هذا الوقت واستمر إلى انتهاء أيامه؛ ووعد أنه سوف يفصل المنقول والمسموع وما شاهده عياناً؛ وقد فعل ذلك وقص حوادث تدعو للعجب، وهو بمثابة تكملة لتاريخ الجويني وختمه بمناقب السلطان أبي سعيد والدعاء له، فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧١١هـ ١٣١٢م إلا أن المؤلف لم يقف عند حدود هذه السنة وإنما امتدت حوادثه إلى سنة ٧٢٨هـ فزاد عليه. وفيه بحث مستفيض عن المغول في إيران وتركستان وما وراء النهر من الممالك الأخرى وقد تطرّق لغيرها أيضاً... واشتهر مؤلفه (بوصاف الحضرة) من جراء أنه مدح السلطان الجايتوخان بقصيدة فلقبه بهذا وصار يعرف به والتاريخ أضيف إليه. وكان هذا المؤلف قد احتمى بالخواجة رشيد الدين وركن إليه فنال منه كل رعاية...

وموضوعه في الحقيقة يتضمن إظهار المقدرة الأدبية والترصيعات الشعرية والأوصاف السلطانية فأبرز فيه من البلاغة ما يناسب عصره من سجع وتضمينات وأمثال وأبيات فارسية وعربية... ويحتوي على أهم حوادث العراق كحادثة بغداد، وبعض المخابرات السياسية مما لا يخص العراق مباشرة إلا القليل؛ وسترى النقول عنه، وغالب ما فيه يوضح حكومة المغول...

وقد نال هذا الأثر اعتناء من العلماء فمنهم من شرح ألفاظه، ومنهم من علق عليه، ومنهم من ترجمه؛ وأجمل حوادثه... ومن هؤلاء حسين افندي آل نظمي، البغدادي وقد بينت عنه في (لغة العرب) عند الكلام على آل نظمي، ثم شاهدت تأليفاته على (تاريخ وصاف) وهي من الأهمية بمكانة فالمؤلف كتب أثرين عن تاريخ وصاف:

أحدهما: أوله: الحمد للّٰه الذي خلق الإنسان، علمه البيان... الخ ألفه سنة ١١١٨هـ ١٧٥٧م في مجلد ضخم أوضح فيه اللغات العربية المغلقة والفارسية والجغتائية والمغولية وترجمها إلى اللغة التركية. وفيه توضيح لبعض البلدان العراقية. وقد ذكر في كتب التاريخ من مكتبة أياصوفيا باسم (ترجمة تاريخ وصاف) رقم ٢١٥١ وعلاقته باللغة أكثر، فقد شرح لغات وصاف، وكنت أشرت إليه في لغة (العرب) أن له نسخة أخرى في مكتبة ويانة. وهذه النسخة قيمة من جهة اللغة وعلاقة العراقيين بها... ويعد من علماء عصره في اللغة... ومن بيانه يعرف ما دخل العربية من الكلمات الأجنبية.

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

وثانيهما: ترجمة تاريخ وصاف منه نسخة رأيتها في مكتبة ولي أفندي في الأستانة رقمها ٢٤٠٨ وأولها: الحمد لله الذي رفع سبع طباق الخضراء بغير عمد ترونها الخ. قال إنه كان قد كتب مجلداً على ترتيب حروف الهجاء وبطلب من بعض الإخوان الأعزاء، شرح عبارات وصاف على ترتيبها. والنسخة مجذولة وفي مجلد ضخم يحتوي على ٤٥٦ ورقة بالقطع الكبير وعدد سطور كل صفحة ٢٥ تملكها ولي الدين افندي القاضي باستانبول. وهذه لحسين أفندي آل نظمي كسابقتها. وهذا الكتاب يصلح أن يسمى (ترجمة تاريخ وصاف) فقد أخذ كل جملة منه وترجمها وشرح مغلقاتها وبالغ في إيضاحها ويا ليته ترجم الكتاب رأساً وقلبه للتركية لتزيد الفائدة ويكثر الانتفاع به ولم يتكلم صاحب (عثمانلي مؤلفلري) إلا عن النسخة الأولى وذكر أن منها نسخة في مكتبة بشير

آغا، إلا أنه غلط غلطاً فاحشاً في جعل مرتضى افندي آل نظمي وحسين افندي آل نظمي اسمين لمسمى واحد ومزج بينهما فقال: (نظمي زادة حسين مرتضى افندي) وعقد ترجمة واحدة للاثنين باعتبارهما شخصاً واحداً، وعدد مؤلفات الاثنين بهذه الصورة وبين هذه المؤلفات ما يستحق التدقيق ويدعو للنظر...

وعلى كلٍّ الأثران مهمان يوضحان تاريخاً نافعاً من تواريخ المغول والفوائد اللغوية جاءت عرضاً وبالواسطة... والاعتناء فيه كبير سواء لحل مغلقاته، أو لشرح كلماته وجمله...

والتاريخ الأصلي وهو تاريخ وصاف طبع في بومبي سنة ١٢٦٩هـ ١٨٥٣م في خمسة اجزاء، وطبع في ايران المجلد الأول منه ولكن المطبوع في الهند عليه حواش لتفسير ألفاظه وفي آخره (فرهنك لغات غريبة) وفيه شرح لبعض اللغات الغريبة مرتبة على حروف الهجاء وغالبها مغولية وعربية ولا تبلغ السعة التي بلغها حسين افندي آل نظمي... وممن اعتمد عليه في تاريخ بغداد مرتضى افندي آل نظمي صاحب (گلشن خلفا).

ملحوظة:

قد يلتبس القارىء فيظن أن هذا الكتاب نفس الكتاب المنسوب إلى قاضي القضاة منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجاني والحال أنه غيره وإن كان يتضمن أحوال دولة المغول من خروج جنگيز إلى فتح بغداد وسائر حوادثهم إلا أنه يسمى (كتاب سياسة الأمصار في تجربة الأعصار وتاريخ آل جنگيز) فأكتفى بالإشارة إليه... وهو مطبوع في الهند.

جامع التواريخ

ويسمى بالتاريخ الغازاني. وهذا التاريخ لوزير من وزراء المغول، ومدون تاريخهم وهو الخواجة رشيد الدين فضل الله الوزير المقتول في جمادى الأولى سنة ٧١٨هـ ١٣١٨م. وفيه نرى وجهة نظرهم في سياستهم ـ طبعاً ظاهرها والمعلن منها دون المكتوم ـ وعليه عوّل كتاب الترك العثمانيون ومؤرخوهم في ترويج سياسة الخلافة بدخولها فيهم وبيان ضعفها، وما كانت عليه أيام هجوم المغول استفادة من أقوال هذا المؤلف. فإنه فتح نهجاً مشى عليه من جاء بعده فاتخذه مثالاً يحتذى فكانت طريقته وسلوكها مقدمة. أو ضرورة لازمة لخلافتهم...

ـ نعم علمتنا السياسات المختلفة، وتداول الأيدي على العراق آمال كل قبيل من الأمم مهما تكتم أصحابها في إخفائها، وبالغوا في الإيهام... وعند مراجعة التواريخ يظهر لنا جلياً أن المغول راعوا خطة في إدارة الممالك ثم مضى عليها العثمانيون في خطتهم التي اختطوها، وإن كانوا بالغوا في تقريع المغول وذمهم، فراعوها بتبديل الشكل قليلاً...

وهذا الكتاب أبان رموز تلك السياسة وضروبها، وكشف عن نوايا المسيطرين وخطط حكوماتها معنا... وهو يشتمل على أربع مجلدات، والأول منه يتكلم على ظهور الترك وتعداد قبائلهم وتواريخ أجداد جنگيزخان وأولاده وأحفاده... والثاني في حوادثهم وتفصيلات عنهم... والثالث في الأنبياء والخلفاء وقبائل العرب والصحابة إلى آخر خلفاء العباسيين. والرابع في صور الأقاليم...

وقبل أن يكتسب هذا الشكل الكامل ويدون بصورة مفصلة كان قد شرع المؤلف في تبييضه وحينئذ مات السلطان غازان في شوال سنة ٧٠٤هـ ١٣٠٥م وجلس مكانه ولده خدابنده محمد فأمر باتمامه وإدخال

اسمه في العنوان، وطلب أن يضم إليه وصف الاقاليم وأهليها، وطبقات الأصناف، وأن يجعله جامعاً لتفاصيل ما في كتب التاريخ... كتبه بالفارسية وبالعربية...

وصف نسخة استانبول المخطوطة

ومن حسن الحظ أن رأيت في سفري إلى استانبول في صيف سنة ١٩٣٤م نسخة من التاريخ باللغة العربية، وفي نظري أنها أعز شيء عثرت عليه، كتب عليها (تاريخ جنگيز) وهي الجلد الأول من جامع التواريخ أوله: الحمد الوافر والثناء المتكاثر لله الذي ابدع الأكوان بقوله كن فيكون الخ. كتبت هذه النسخة سنة ٧٨٥هـ في غرة المحرم، وتنتهي حوادثها بالجايتو وهي في مجلد ضخم ولم يذكر في صلب المتن اسم الكتاب إلا أنه قيل على الغلاف (تاريخ جنگيزخان)، وأماكن الفراغ التي بقيت بياضاً أعدت لاجل التصاوير، ولكتابة العناوين بحبر أحمر، وذلك لأن المؤلف ذكر في نسخته الاصلية تصاوير الأسرة المالكة، وبعض مجالس سلاطينها وأولاد السلاطين والأمراء إلا أن الناقل لم يمض إلى ذلك وإنما أبقاه فراغاً أو تركه على حاله وقبل أن يتمه اخترمته المنية...

والكتاب من الآثار المهمة لعهد المغول، وكان الواجب أن يهتم به فيطبع ويذاع لمعرفة حروب جنگيز وحياته وآثاره وأنسابه وأولاده وأحفاده وغيرهم مما يتعلق بهم من امراء... وفي الكثير من هذه الأمور لا يراعي المؤلف سياسة وإنما يقص حكاياتهم كما سمعها...

وفي مقدمته ذكر أن جنگيزخان كان قد فتح العالم وسخره بكياسته ووفور عقله، وقضى على الجبابرة والمردة المفسدين الذين كل واحد منهم كان فرعوناً في الطبيعة ضحاكاً في السيرة... فكسرهم وجعل العالم على وجه واحد، ونظف بيضة المملكة من تصرف المتغلبين

الجائرين وظلم المعتدين المتجبرين، وأورثها أولاده وأحفاده فكان السعد حليفهم، والتوفيق قرينهم... حتى جاءت النوبة إلى السلطان السعيد محمود غازان، وهذا كان نصير الإسلامية، ومدمّر الأصنام والداعي إلى اللّه تعالى، فهو إبراهيم المسلمين الثاني... وكان في الأعصر الماضية علماء وحكماء يؤرخون معظمات الوقائع خيرها وشرها في كل زمان حتى يعتبر بها أولادهم وعقبهم ويعالجوا أحوال الأدوار في القرون الماضية، ويذكروا السلاطين، ويبقى ذكرهم مخلداً على صفحات الأيام والليالي في بطون الأوراق... (وذكر العتبي بين هؤلاء وبيّن) أن المؤرخين أكبر الداعين، وأجود الناصحين لدول السلاطين... وقال: وحيث إن الأقوام الموسومين باسم الترك مقامهم وسكنهم في البلاد البعيدة التي طولها وعرضها من ابتداء طرف ماء جيحون وسيحون إلى انتهاء حدود بلاد الشرق وانتهاء صحراء قبجاق إلى غاية نواحي جورجية والختاي، يسكنون الجبال والوهاد والآجام، ولم يعتادوا السكنى في القرى والبلاد... ولم يكن في تواريخ المتقدمين من أحوالهم ذكر مستوفى... قد ورد في بعض الكتب شيء يسير من ذكرهم ولم يجدوا من أرباب الحقيقة أحداً يتحققوا أحوال أخبارهم ويتفحصوا من آثارهم وحكاياتهم كما ينبغي مشروحاً مبسوطاً، مع أن الاتراك والمغول وشعبهم يتشابهون ولغتهم في الأصل واحدة، وأن المغول صنف من الأتراك، وبينهم تفاوت كثير واختلاف كما سنشرحه في مواضعه... وهذا الاختلاف إنما وقع بسبب أن تواريخهم المحققة لم تقع في هذه الديار. ولما انتهت نوبة الخانية إلى سلطان العالم (لم يذكر اسمه وإنما هناك بياض يريد أن يكتبه بمداد أحمر وهو جنگيزخان) وأولاده العظام وأخلافه فانقاد لهم أهل الممالك...

وقد أورد بعض علماء العصر وأكابر الدهر في سوابق الأيام شيئاً من ذكر أحوال تسخير الممالك وفتح البلاد والبقاع... خلاف

الواقع... وذلك بسبب عدم الاطلاع على كيفية الأمور والأحوال التي تتعلق بهذه الدولة وقلة معرفته بعظائم الوقائع وجلائل الحوادث التي كانت لهذه الحضرة الشريفة... لكن وجدت في خزائنهم المعمورة تاريخ عهد قد عهد على وجه صحيح مكتوب بالخط المغولي وعبارتهم، إلا أنه لم يكن مرتباً بل كان فصولاً... حافظوا عليها وصانوها عن أعين الأغيار والأخيار وكانوا يكتمونها عن العوام والخواص، ولم يمكنوا كل أحد من الاطلاع عليها إلى هذا الزمان الذي تشرف بوجود سلطان الإسلام... فالتفت خاطره الشريف... إلى ترتيب تلك الاجزاء وتدوينها وأشار عبد هذه الدولة الايلخانية والمعتصم بعون الرب مؤلف هذا التركيب وهو(فضل اللّه أبو الخير الهمداني الملقب بالرشيد الطبيب...) أن أكتب تواريخ أصل المغول ونسبهم ونسب سائر الأتراك الذين يشبهون إلى المغول فصلاً بعد فصل، وأرتب تلك الروايات والحكايات التي تتعلق بهم مما كان موجوداً في خزائنهم، ومما وجده بعض الأمراء والمقربين مودعة وإلى هذه الغاية لم يجمعها أحد ولم يتيسر له سعادة هذا التصنيف وشرف هذا التركيب والتأليف. وكل واحد من المؤرخين كتب سطراً من ذلك من غير معرفة بحقيقة الحال بل سمعه من أفواه العوام وتصرف فيه على وجه اقتضاه رأيه ولم يتيقن صحة ذلك لا هو ولا غيره. فأنا أورد عرائس هذه الأبكار ونفائس هذه الأفكار وخيار هذه الاخبار التي بقيت محجوبة في استار الكتمان إلى هذا الأوان بعد المبالغة في تصحيحها والاجتهاد في أصل تلك الأجزاء من علماء الختا وحكمائهم ومن علماء الهند والاويغور والاغور في تنقيحها بلفظ مهذب وعبارة منقحة وطريقة مرتبة، وأجلوها لأعين النظار على منصة الاظهار؛ والتفحص عن مجملاتها وتفصيلاتها مما لم يكن مذكورا، والقبجاق وغيرهم من أعيان كل الطوائف ملازمون للحضرة الشريفة العالية خصوصاً من خدمة الأمير المعظم والنويان الأعظم، قائد جيوش

ايران وتوران مدبر ممالك الزمان (بياض يراجع عنه الأصل الفارسي) دام معظماً الذي لم يوجد مثله في بسيط الربع المسكون في أنواع الفضائل وألوان المفاخر والمناقب وفي علم نسب الأقوام الاتراك وتواريخ أحوالهم خاصة تاريخ قوم المغول، وأقتبس من كتب التواريخ الالفاظ المصطلحة التي لهم وآتي بها على وجه يفهمه الخواص والعوام ويعلمها جميع الانام من أوله إلى آخره... انتهى.

وفي هذه الكلمات المقتبسة من مقدمة المؤلف ما ينبىء عن بحث عظيم، ومزاولة أمر جلل مما استدعى أن يخلد هذا الأثر فقد تكلم في القبائل، وفي بيان حكايات ظهور الأتراك وتعداد عمائرهم، ثم ذكر قوم المغول، ثم عقد فصلاً في أحوال آباء جنگيز وظهور دولته، وأنهم كانوا في الأصل طوائف كالأعراب... ثم فصل وقائع جنگيز تفصيلاً لا مزيد عليه...

وفي آخر هذا المجلد ذكر أن هذا التاريخ كان كتبه للسلطان غازان خان وفي ١١ شوال سنة ٧٠٤هـ قد توفي، ثم ذكر محمد خدابنده (جاء في موطن آخر خربنده) وهذا هو المجلد الأول ولا يستغنى عما فيه وذكر أنه بعد أن أتم المجلد الأول توفي السلطان محمود غازان فالحق به ما يتم به حوادثه...

والنسخة لا تخلو من اغلاط لغوية إلا أنها نظراً لقدمها أقرب إلى الصحة... وأما الاعلام فسيأتي الكلام عليها في حينها وقد رأيت هذه النسخة في مكتبة أيا صوفية رقم ٣٠٣٤ هذا وقد بسطنا القول عن ترجمة المصنف في تاريخنا هذا.

كان اتخذ المصنف وقفاً بظاهر بلدة تبريز سماه (الربع الرشيدي) وأجاز للناس أن يكتبوا من المجموعة الرشيدية التي من جملتها هذا الكتاب وهو (جامع التواريخ) نسخاً منها هذا التاريخ.

ومن شروط وقفه أن تكتب في كل سنة نسخة من المجموعة وترسل إلى إحدى بلاد الإسلام، نسخة في العربية وأخرى في الفارسية. وقد فصّل القول على ذلك في مقدمة الجزء الأول من جامع التواريخ طبعة باريس. وهذه الطبعة متقنة جداً وعليها تعاليق بالافرنسية طبعت بمجلد ضخم وقد طبع المجلد الثاني منه بقطع صغير في باريس أيضاً وعليه تعاليق ومصوّر كتب باللغة الفارسية ونسخة منه عربية في المكتبة المصرية.

نيل جامع التواريخ

إن كتاب جامع التواريخ لم يقتصر الاعتناء به على مؤلفه ودرجة اهتمامه به، فإنه بعد أن سخطت عليه الحكومة المغولية وقتلته، وأصابته النكبة ضاعت أكثر نسخه حتى ظن الكثيرون أن قد فقد هذا التاريخ وناله ما نال صاحبه.. وفي أيام شاهرخ بن تيمورلنك كان قد ألف ذيل على جامع التواريخ كتبه صاحبه لشاهرخ المشار إليه وقال في مقدمته: إنه كان نديم السلطان في قصص الأخبار ويسمر له في التواريخ ووقائعها، ويعتمد على جامع التواريخ فالتفت السلطان إلى ذلك فأمره أن يكتب له ذيلاً في أحوال السلطان محمد خدابنده وابنه السلطان أبي سعيد ففعل وأتم عصر المغول إلى أواخر أيامهم...

ومن المؤسف أنني تحريت كثيراً عن معرفة اسم المؤلف لهذا الذيل بقصد الاطلاع عليه فلم أنل مطلبي وقد شاهدت نسخة منه في مكتبة ويانة تحت رقم ٣٢٧ وليس فيها اسم المؤلف، وكذا رأيت منه نسخة في الاستانة في مكتبة نور عثمانية تحت رقم ٣٢٧١ قال ما معناه رأيت أن أتم الحوادث ليكون ذيلاً للتاريخ المذكور، وجمعت الحوادث من كتب متفرقة، وأنا وإن كنت ليس من رجال هذا الميدان إلا أن ما شجع به الإخوان كان أكبر باعث وأرجو إصلاح الخطأ والغلط مما لا

يخلو منه امرؤ... بدأ به من حيث انتهى الخواجة رشيد الدين وتكلم عن الجايتو محمد خدابنده فعدد وقائعه وفصّلها تفصيلاً زائداً وذكر الملوك المعاصرين له ثم مضى إلى أبي سعيد بهادرخان وفصل أيضاً أحواله وختم أخباره وبه تم الكتاب، والنسخة الموجودة في نور عثمانية عدد أوراقها ٧٧ والخط واضح والبحث فيه مستوفى جداً وهو من الكتب المعتبرة في بابه... والملحوظ أنه سمي في المكتبة المذكورة (جامع التواريخ) في حين أنه ذيله...

والاحتمال مصروف إلى أن المؤلف المذكور لأحد نديمي الملك شاهرخ وهما حافظ ابرو أو شرف الدين علي اليزدي إلا أن كثرة النسخ من هذا الأثر والتحري عن اسم مؤلفه لا بد أن يطلعنا يوماً على صاحب هذا الأثر ومنه نسخة في باريس وأخرى في آياصوفية تحت رقم ٣٢٧١.

مختصر الدول

لابن العبري المعروف بأبي الفرج (غريغوريوس) بن (اهرون) وهذا التاريخ من خير المصادر التي يعول عليها في تاريخ المغول عاش معهم مدة، كان قد جاء إلى الموصل ومنها سافر إلى مراغة فمات فيها في ٣٠ تموز سنة ١٢٨٦م وكان قد ولد سنة ١٢٢٦م كتب تاريخه الأصلي في السريانية ثم نقله إلى العربية باختصار من جهة وإضافات من جهة أخرى. والمؤلف من رجال الدين المعروفين عند النصارى، نال مكانة سامية...

وإنما نقل تاريخه إلى العربية بإلحاح من اصحابه، وكان نقله في أواخر حياته وقد ضمنه أموراً كثيرة لا توجد في المطول السرياني لا سيما فيما يتعلق بدولتي الإسلام والمغول... ذكر فيه رجال حكومة المغول وسياستهم وطريق حكمهم والقائمين بالأمر والمدبرين للمملكة... ومما يمدح عليه أنه لا يتحامل على الأمم الأخرى وذكر

أن قسوسهم يترددون إلى هؤلاء المغول وبين أنهم يراعونهم، ويبدي أن جنگيزخان كان يميل إليهم ولم يقل اعتنق دينهم وإنما روى بلفظ «قيل إن اونك خان وأقوامه كانوا نصارى...» ولم يقطع.

انتهى تاريخه إلى حوادث ١٥ شعبان سنة ٦٨٣هـ ١٢٨٤م ومن تاريخه هذا نسخة خطية تحتوي على النصف الأول في مكتبة أوقاف بغداد وهي قديمة وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٩٠م ومن مزايا هذا الكتاب أنه يوضح بعض الألفاظ التي دخلت حديثاً في التاريخ لسبب الاتصال بالمغول... وكان قد طبع لأول مرة سنة ١٦٦٣م في اكسفورد بالعربية واللاتينية...[1].

الحوادث الجامعة

هو تاريخ عراقي كتب باللغة العربية وسمي بهذا الاسم ونسب إلى المؤرخ المشهور كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني المروزي الأصل البغدادي الأخباري الكاتب المؤرخ ابن الصابوني ويعرف بابن الفوطي الذي كان ولد في ١٧ المحرم سنة ٦٤٢هـ بدار الخلافة وتوفي في بغداد في المحرم سنة ٧٢٣هـ وترجمته مبسوطة في الشذرات وتذكرة الحفاظ وابن خلكان وغيرها... وهو حنبلي.

وهذا الكتاب لا نعوّل على صحة اسمه. ولا على نسبته إلى هذا المؤرخ فلم نجد ما يحملنا إلى القول بما رآه بعضهم... فكاتبه لا يزال غير معروف، ومن الملحوظ أن مؤلفه اعتمد على مؤلفات مؤرخنا...

أما الحوادث الجامعة فقد ذكر في الوفيات وفي كشف الظنون وغيره كفوات الوفيات، وفي الأصل المنقول منه لم يذكر عنوان الكتاب، ولا أوله، ولا منتهاه، ولا تاريخ كتابته مما يساعد على معرفة

---

(١) يراجع الكتاب المطبوع في بيروت.

مؤلفه ابتداء... والظاهر أنه أجزاء من مجموع لا يعرف مقداره، وقد كتب مؤرخون ذيولاً على مؤلفات عراقية في التاريخ، أو دوّنوا رأساً... فالنسبة فرض وتخمين ولا نجد دليلاً يدعمها... وصاحب الشذرات يقول باستمراره بتدوين الحوادث إلى أن مات وفي هذا المبدأ والمنتهى غير معلومين.

وعلى كل إن الكتاب يشير إلى أن مؤلفه من رجال عصر تالٍ لهذا العصر. ولذا نراه لا يتأثر بالحوادث وإنما لخص ما وجد، ونقل ما سمع، وكتب ما عرف... أما وجود مقاربة في اللفظ فإنه يدل على أن المؤلف اعتمد على كتب ابن الفوطي ولا يبعد أن يكون أخذ العبارة بعينها، وعول على النص الحرفي ولم يشأ أن يتصرف... هذا في حين أننا نعلم أن ابن الفوطي ذو علاقة بحوادث بغداد، وبالطوسي وبابن الساعي... فلم يصرح بشيء عن أمثال ذلك، ولا بما ذكر عن آل الفوطي ممن له معهم قرابة، أو صلة نسبية مما لا يصح تجرده عنه... أو إغفال علاقته... فهو أشبه بمخابر جريدة أو سائح جاءنا من بلاد نائية يقص ما رأى، ويصور ما شاهد بكل ما أوتي من بيان وسعة علم وقدرة... ذلك مما يبرهن على أن المترجم لم يكن من أهل هذا العصر وإنما هو من أهل العصور التالية وقد راجع الكثير من المؤلفات التاريخية وأن لم يصرح بالنقل... هذا ولم نعدم مؤرخين كثيرين كتبوا بعده فاغتالت يد الزمان اشلاء من بعض تآليفهم فأبقته أثراً مهشماً من أطرافه، ينبىء عن مقدرة، وإتقان صناعة، وينم عن مواهب عالية، وحسن اختيار...

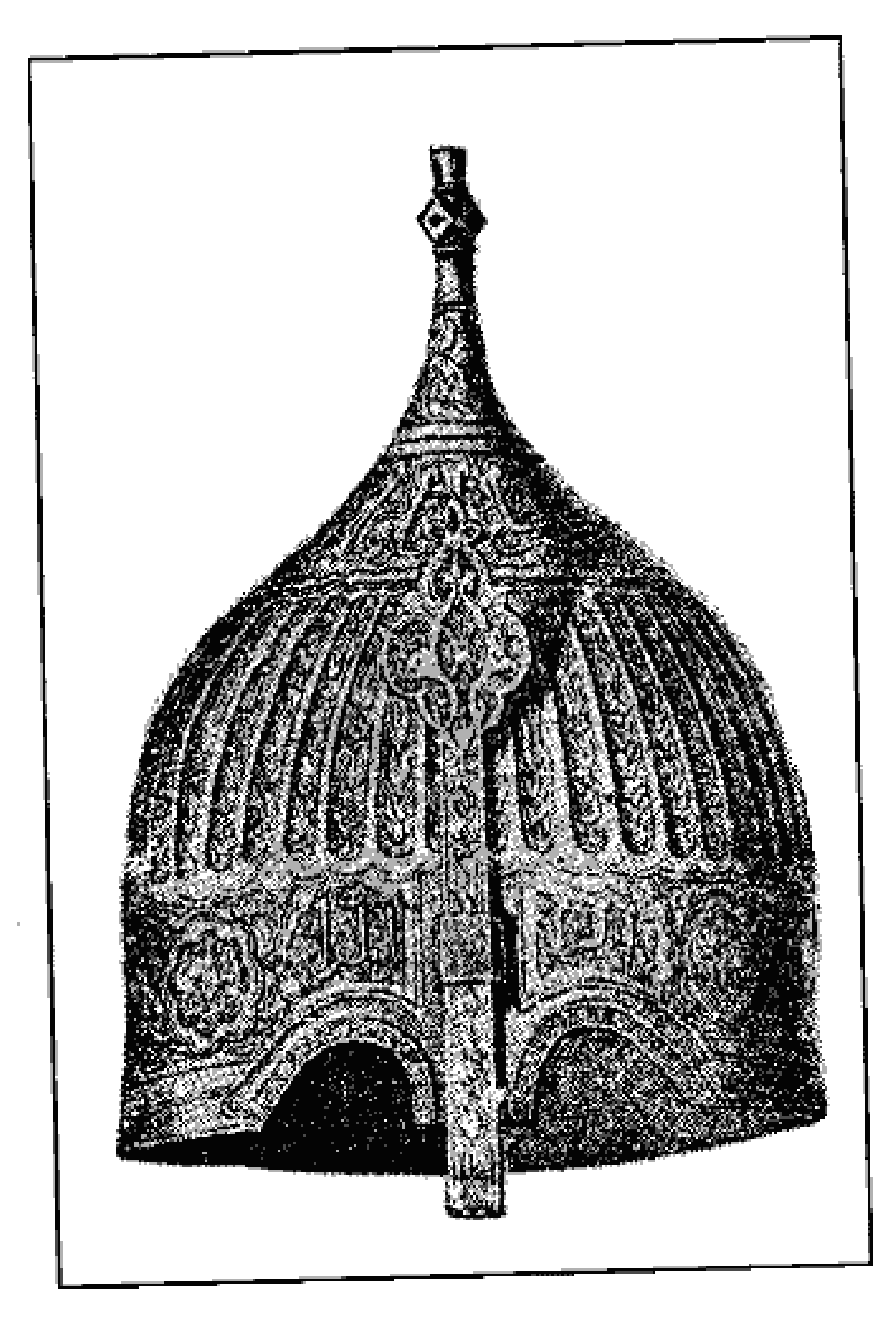
أماط اللثام عن محيا حوادث نحن في حاجة لبسط القول عنها خصوصاً القسم التالي لحوادث هلاكو ومن وليه... فهو متمم لحوادث ابن الأثير ويبتدىء تقريباً من حيث انتهى ويقف عند السبعمائة فهو خير أثر...

والفضل في نشر نسخه للمغفور له أحمد باشا تيمور فإنه أذاعه، وكتب عنه ونشر بضع نسخ فتوغرافية منه... ولولا أنه تناوبته أيدي النساخ فشوهت بعض الاعلام وأهمّها الأعلام المغولية، أو شيوع التلفظ بها آنئذ بهذا الوجه دون اعتناء في النطق... لكان خالياً من كل قيل... وهذه طفيفة بالنظر لما احتوى عليه من الفوائد...

وكنا نأمل أن يطبع طبعة متقنة ويذاع في الأطراف للانتفاع به في معرفة هذا العصر لأن أهميته لا تقتصر على بغداد وحدها وإنما تعرض لوقائع أخرى لها صلة بالمجاورين من ناحية، وفيها تعريف صحيح بحكومة هلاكو ومن خلفه من ملوك المغول... مما يهم أمر التاريخ الإسلامي وعلاقة هذه الحكومة به... طبع عام ١٣٥١هـ ١٩٣٣م طبعاً مغلوطاً لا يمثل الأصل، ولا ينبه على صحة الاعلام، ولا تعيين المواقع، ولا أشار إلى المهملات من الحوادث... فقد مسخت الأصل ومع هذا نرى هذه الطبعة خالية من قائمة في الخطأ والصواب ومن الفهارس... وقد اعتمدنا في النقل عنه على النسخة الخطية المقابلة مع الأصل الفتوغرافي لنسخة المرحوم أحمد باشا تيمور...

تاريخ المغول

تأليف موراجا دوهسون ترجمه إلى التركية مصطفى رحمي نشرته وكالة المعارف للجمهورية التركية في استانبول سنة ١٣٤٠هـ ١٩٢٢م من مطبوعات المطبعة العامرة، وفيه بيان عن ماضيهم وعنعناتهم المحفوظة والمنقولة على أيدي العرب والعجم وظهور جنگيز وقبائل المغول معه وأولاده وأحفاده وما أوجدوه من حكومات وفيه ايضاح عن حروبهم مع الخوارزمشاهية والعرب المسلمين... وتأسيسهم الإدارات المتفرقة... ومباحثه لا يخص الكثير منها موضوعنا فإننا لم نتكلم إلّا عن ماضيهم وتأسيس حكومة الايلخانية على يد هلاكو ثم من وليه حتى



مغفر مغولي

انقراضهم... والكتاب يعتمد على مراجع عربية وفارسية مهمة وغالبها مما عوّلنا عليه وهو في مجلد واحد... والملحوظ هنا معرفة طراز الناحية التي عقبها الأوروبيون في توجيه المجرى التاريخي والتعديل فيه بالنظر لآمالهم ونفسياتهم مع الاعتماد على الوثائق الشرقية...

نظام التواريخ

للقاضي أبي الخير عبد اللّٰه بن عمر البيضاوي المفسر المشهور وكان قد اشتهر بتفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) أما تاريخه (نظام التواريخ) فقد كتبه باللغة الفارسية على خلاف مؤلفاته الأخرى واحتوى على الوقائع من الخلقة إلى سنة ٦٧٤هـ ١٢٧٦م وقد تكلم عن الأنبياء والخلفاء الراشدين، والدولة الأموية، والعباسية، والصفارية، والسامانية، والغزنوية، والديلمية، والسلجوقية، والسلغرية، والخوارزمية، وعن دولة المغول... وكان قد شاهد أيام تفوق الدولة السلغوية وانقراضها، واستيلاء المغول فكتبها بقلم معتدل. والكتاب منتشر ومبذول في مكتبات عديدة وقد رأيت منه بضع نسخ في مكتبات الاستانة، إحداها في مكتبة بايزيد العامة كما أني شاهدت هناك ترجمته إلى اللغة التركية. وعندي نسخة من التركية المترجمة ولم يذكر اسم مؤلفها سواء هناك أو في مخطوطتي. وقد حكى لي اسماعيل صائب بك مدير المكتبة العامة في الاستانة أن فرجاً الكردي قد ترجم الأصل الفارسي إلى اللغة العربية لينشره فلم يظهر لحد الآن، وعلى كل هذا التاريخ مختصر لا يسمن ولا يغني من جوع وقد ترجمه الغياثي إلى العربية وأدرجه في تاريخه المعروف (بالغياثي) وزاد عليه من بعد انتهاء حوادثه إلا أن لغته عامية ولا يخلو من غلط...

طبقات الشافعية

لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ ١٣٧٠م وقد تعرض فيها لوقائع جنگيزخان ووقائع التتر، وأوضح جهات هجوم هلاكو على العراق وغيره وفيها من البيانات ما اغفله كثيرون فتصلح أن تكون مصدراً تاريخياً لهذا العصر... وإننا لم نشأ أن نذكر كل ما عرض لنا من نتف المباحث... ولولا أن هذا التاريخ من الكتب المعتبرة لما نوهنا في النقل عنه كمصدر، أو مرجع نرجع إليه... إلا أنه في ذكر النقول سيطلع القارىء على حوادث بغداد والمغول في كتب مختلفة هي بمنزلة جرائد هذه الأيام فنكتفي هنا بالإشارة إلى بيان حوادث صاحب الطبقات مما كتب في الأيام القريبة من أيام المغول...

إن المؤلف ـ في مقدمته ـ شرح حال التتار وبين وقائع جنگيزخان في (صحيفة ١٧٥ ج ١من طبقات السبكي) وفيها يوضح وقائع جنگيزخان ومقارعاته مع خوارزمشاه ووقيعته ببلاد المسلمين... ثم تكلم عن حوادث حفيده هلاكو خان في (صحيفة ١١٣ ج ٥ منه) وقد ذكر عن ابن الأثير ـ تأييداً لما حكاه ـ «والله لا أشك أن من يجيء بعدنا إذا بَعَدَ العهد ورأى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق في يده قال فمن استبعدها فلينظر أننا سطرناها في وقت يعلم كل من فيه هذه الحادثة، وقد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها...» اهـ (ص ١٨٤ ج ١ طبقات السبكي). طبع بمصر سنة ١٣٢٤هـ.

تقويم الوقائع التاريخية

هو لكاتب چلبي صاحب كشف الظنون كتبه بالفارسية ويعدّ من المصادر المعتبرة سوى أنه مختصر بل تقويم للوقائع كاسمه. ولا يخلو من فائدة لا يستهان بها؛ والمؤلف ثقة في نقله ويلام الطابع في اختصاره

لبعض جداوله وعدم مراعاته الترتيب بالنظر للسنين... وإن كانت مذيلة بوقائع تالية إلى حين الطبع فلا تغني عن الأصل...

وعلى كل، شهرة مؤلفه لا تحتاج إلى بيان... كما أن اطلاعاته على التواريخ الفارسية والتركية واسعة فهو ممن يوثق بقوله...

شجرة الترك

في تاريخ الترك والمغول لأمير خيوه أبي الغازي بهادرخان ويتعلق بنشأة الترك وأنسابهم كتب بلغة الجغتاي فنقله إلى التركية الدكتور رضا نور الكاتب التركي المشهور من كتاب العثمانيين والجمهورية التركية طبع سنة ١٩٢٥م و١٣٤٣هـ ولأصله نسخ في المتحف الأسيوي ببطرس برج، وبقازان، وبرلين وگوتنغن...

لم يجد مؤلفه في أمته من يقوم بما عزم عليه من تاريخ قومه، وخشي أن يفقد تاريخهم أو تعدم آثارهم فدوّن كتابه هذا... وقال في مقدمته:

ـ «إنني لم اكتب هذا الكتاب لإعلاء شأن نسلي، أو أن أتبجح به فأكتم الحقيقة وأدون خلاف الواقع... وحيث إن اللّه تعالى خلقني ممتازاً بمزايا... لم أحتج إلى ذلك بل سجلت الحقيقة كما هي. وقد مكنني اللّه تعالى من ثلاثة أمور خصّني بها، إحداها الجندية وقوانينها ونظاماتها فإني ماهر بصنعة إدارة الجيوش وسوقها (تعبية الجيش)، والاطلاع على نظام الحرب، وأصول المداولة مع الأعداء والأصدقاء، وثانياً الشعر بأنواعه من تركي وعربي وفارسي. فلو قلت لا شاعر مثلي في هذه اللغات لما تجاوزت الحدّ ولكنني لم أشاهد من يقاربني في صناعة الجندية لا في الكفار ولا في المسلمين، وثالثاً معرفة تاريخ ملوك المغول، والتوران (الطوران)؛ والعجم، والعرب...» اهـ.

وأبو الغازي هذا من أسرة جنگيزخان وهو ابن عرب محمد خان الخوارزمي كتبه عام ١٠٧٤هـ ١٦٦٣م وكان مريضاً والكتّاب حوله ومنهم من يملي عليه فيكتب، ومنهم من يراجع له المصادر وآخر يقرأ له وهكذا ومن جملة ما اعتمد عليه (جامع التواريخ) فقد كان اقتنى منه نحو عشرين أو ثلاثين نسخة ليقابل عنها الاعلام ومع هذا لم يعول على واحدة منها في ضبط الألفاظ خصوصاً ما يتعلق بأسماء الجبال، أو الأودية، أو الأرضين، أو اسماء الناس المغولية أو التركية فقد استنسخها عجم أو مستعجمون ممن لم يعرفوا المغولية والتركية فلو علّمنا هؤلاء لمدة عشرة أيام لا يستقيم لسانهم في التلفظ بها، فالصعوبة كل الصعوبة عليهم في نقلها واستنساخها... قال: إن بعض الأعلام لو لفظناها أمام أعجمي مرات لما تيسر له النطق بها... وكان قد ذهب إلى مملكة المغول إلى قالموق ليدرس لغتهم هناك ويتلقاها من أهلها قضى سنة لتعلمها ومعرفة عادات هؤلاء... فكان قد عانى في سبيل تاريخه المشاق حتى ظهر في أتقن شكل...

وفي سنة ١٨٧١م طبعه البارون دمزن مدير مدرسة اللغات الشرقية بعد مقابلته بنسخ كثيرة، طبعه عيناً وبلهجته الأصلية، وفي سنة ١٨٧٤م نقلت هذه إلى اللغة الافرنسية وطبع معها اصلها... ونقله إلى التركية الدكتور رضا نور الموما إليه ونقد الترجمة والطبعة، وأبدى أنها لم تكن بالوجه الأتم، وإنما وقعت فيها أغلاط فاحشة جداً، وما أضافه المترجم التركي جعله بين قوسين كما أنه طوى منه ما يتعلق بآدم ونسله لاعتقاده أنه خرافي فلخص القول وابتدأ من تاريخ القوم.

وكان قد سبقه إلى ترجمته إلى التركية أحمد وفيق باشا العالم التركي المشهور صاحب لهجة عثماني في اللغة وأتالرسوزي، ومؤلفات عديدة منها هذا الكتاب وسماه (أوشال شجرة تركي) إلا أنه لم يتم. والملحوظ هنا أن الدكتور رضا نور كان قد طوى الانساب من آدم إلى

نوح عليه السلام ولم يتعرض لها فجاء مكملاً لتمام الترجمة، وأن الباشا المؤلف مشهور بسعة علمه، ومعروف في الإحاطة باللغات الشرقية وأكثر اللغات الغربية...[1] والكتاب لم يكن شجرة انساب كما هو المتعارف من التسمية ـ وإن كان يسلسل الأفراد ويعين الاتصال ـ فهو تلخيص عن حالة المغول، وعن أوائل الترك، وينبىء عن اطلاع وخبرة واسعة... وهو خير مأخذ، وعليه اعتمدنا في مواطن كثيرة... ولم نتوغل في تفصيل أحوال الترك والمغول الاما كان تمهيداً لمعرفة أولاد جنگيز ومكانتهم، وأقوامهم... وخصوصاً ما يتعلق بالعراق وله صلة به واتصال... ومن مقابلة النصوص وجدناه كتاباً قيّماً... ولا يضر ذلك أو يقلل من قيمته التاريخية أن لا نشاركه في كل مباحثه...

تاريخ ابن خلدون

وهذا التاريخ فيه مباحث مهمة عن المغول ووقائعهم مع المسلمين إلا أنه لا يوثق بصحة الأعلام التي ذكرها وهي أعلام المغول فإن أغلاطه فيها كبرى. ولعل ذلك ناشىء من غلط النساخ وتصحيفاتهم أو شيوعها كذلك. والكتاب أشهر من أن يذكر وإنما نكتفي هنا بالإشارة إلى اغلاطه، وأنها لم يلتفت إليها حين الطبع ولا قوبلت المطبوعة بنسخ كثيرة للتصحيح... ولا سد الفراغ في بعض المواطن التي بقيت بحالة بياض... وغالب آرائه يتحامل بها على العرب وأهل البادية منهم...

كلشن خلفا

هذا التاريخ لمرتضى أفندي آل نظمي المتوفى عام ١١٣٦هـ ١٧٢٤م تقريباً. وفيه سلسلة مباحث حكومة هلاكو ومن وليه من ملوك المغول

---

(١) عثمانلي مؤلفلري ج ٣ ص ١٦٠.

وأطنب في وقعة بغداد، ونقل عن تواريخ متعددة منها تاريخ مصلح الدين[1] اللاري، وتاريخ وصاف، وتواريخ أخرى... فهو مهم من ناحية نقوله ووقائعه المطردة، وقد سد ثلمة في ايضاح الوقائع بسبب تكاثر المصادر وتعددها كما أننا أخذنا عنه القسم المترجم من التواريخ المذكورة... وسيأتي الكلام عن هذا التاريخ والنقل منه عن الأيام المعاصر لها، والأيام التي قبل هذا التاريخ من مشاهداته ونقوله عن مشاهدي الوقائع من الحوادث المباشرة... وهنا ننقل عنه بعض ما يتعلق بموضوعنا...

ومباحثه عن هذه الحكومة تبلغ ٢٤ صفحة... كتب باللغة التركية.

التاريخ العام للهون والترك والمغول وسائر التتر

تأليف دوكيني ترجمه إلى التركية حسين جاهد بك الكاتب التركي الشهير في ثمان مجلدات عن الفرنسية والكتاب مبسوط ومفصل إلا أن النسخة الأصلية فيها غلط أعلام ناشئة عن اللغة وصححها بقدر الإمكان مكرمين[2] أفندي. ولم نعتمد نحن على الأجانب في تثبيت الأعلام إلا بعد تحقق أصلها من الكتب المعتبرة. والنسخة مطبوعة فلا محل للاطناب في وصفها كثيراً...

ترك تاريخي

للدكتور رضا نور في مجلدات كثيرة وصلنا منها من المجلد الأول إلى المجلد الثاني عشر، وهو تاريخ واسع عن الترك العثمانيين في

---

(١) رأيت منه نسخة أصلية مكتوبة باللغة الفارسية وهو مترجم إلى التركية أيضاً وفي الاستانة عدة نسخ منه فارسية وتركية...

(٢) مؤرخ تركي معاصر ومشهور رأيته في الاستانة وله اطلاع واسع في التاريخ الإسلامي.

الغالب وسائر الترك والمغول ولا يخلو من فائدة. ومؤلفه استند إلى مؤلفات كثيرة إلا أنه متعصب لقوميته تعصباً يكاد ينسيه أنه مؤرخ. وهو مترجم (شجرة الترك).

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

لشيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٧٥٢هـ ١٤٤٩م والكتاب من أجل الكتب التاريخية وأنفسها في موضوعه وهو من خير المراجع التي عوّلنا عليها ويعد من أوثق المصادر. طبع في دائرة المعارف الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد دكن سنة ١٣٤٩هـ وقد بذلت الجهود في تصحيحه إلا أنه لم تراجع المصادر التاريخية للتعليق عليه وتدوين ما فاته من وفيات أو تصحيح ما أوخذ عليه... ومهما يكن فالمؤلف خير كتاب في ناحيته ولا أدري معنى ما جاء أثناء التعليق من بيان النسخ دون ابداء أي رأي أو مطالعة حولها... فلم يقم المصحح بأكثر من حادثة مقابلة بين النسخ وما جاء من التعليقات القليلة فلا تسمن ولا تغني من جوع... وهو في أربع مجلدات، وكأن المطالع يشاهد اربع نسخ معاً. وللطابع الفضل في هذا... وإن لم ينبه على الصحيح.

وتمتد حوادثه إلى ما بعد هذا العصر أي أنه يكاد يستغرق حكومة الجلايرية أيضاً مما يتعلق بموضوعنا...

ويعاب على المؤلف أنه لم يذكر مواطن بعض الاشخاص ولا عرّف بطريقتهم الفقهية أو نحلتهم العقائدية... وأكبر ما يراعي المحدثين ولم يتعرض كثيراً لغيرهم... وفيه معلومات قيّمة عن المغول والعلاقات معهم... فالكتاب يفيد بإعداد المادة للمتتبع ليراعي تصليح الغلط من غيره... وكان الأولى أن لا تهمل هذه الناحية إذا عرف المراجع التاريخية وتمكن من التنبيه على ما فيها من الاخطاء... وقد أتعبنا هذا

الموضوع كثيراً لا من ناحية الترجيح المجرّد بل عن خبرة وتحليل للفظ وما لحقه من تحريف أو تصحيف أو غلط نُساخ...

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

تأليف العلاّمة الشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني الحنفي المتوفى سنة ٨٥١هـ ١٤٤٨م أوله: الحمد للّه الذي دلت على الوهيته الكائنات الخ. قال في مقدمته «كنت جمعت في حداثة سني وعنفوان شبابي تاريخاً من مبدأ الدنيا إلى سنة ٨٠٥ حاوياً قصص الأنبياء ﷺ وما جرى أيامهم وسيرة نبينا ﷺ وما جرى بعد بين الخلفاء والملوك في كل زمان مع الاشارة إلى وفيات الأعيان... ثم بدا لي أن أنقحه بأحسن منه ترتيباً وأوضح تركيباً مع زيادات لطيفة، ونوادر شريفة، وضبط ما يقع فيه من المهمات من اسامي الرجال والأمكنة المذكورات وترجمته (بعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) وفصلته على فصول تسهيلاً للحصول متوّجة بمقدمة تغني عن أصل التاريخ ومعناها، وتخبر عن سبب وضعها ومبناها...الخ وهو في ٢٤ مجلداً وتنتهي حوادثه عام ٨٥٠هـ ١٤٤٧م. ومنه نسخة في مكتبة ولي افندي في الاستانة كاملة إلا أن الجلد العشرين منها فيه بطش المداد بحيث لا يقرأ إلا بصعوبة والنسخة منقولة من نسخة المؤلف الموجودة في مدرسة البدرية العينية القريبة من الجامع الازهر بالقاهرة وفيها أنه توفي أي المؤلف سنة ٨٥١هـ ١٨٤٨م مع أن التواريخ الأخرى تقول سنة ٨٥٥هـ ١٨٥٢م وتاريخ المنقولة يوم الخميس ١٩ جمادى الأولى سنة ٨٩٣هـ وقد اعتمدت عليها في الحوادث الخاصة بسني تاريخنا هذا وما يليه من التواريخ الأخرى ويتكلم بسعة عن علاقة سورية بحكومة هلاكو ومن بعده وينمّ عن اطلاع واسع وتوثق من الاخبار ويعتمد على ابن كثير وعيون التواريخ للكتبي وغيرهما مما سيأتي النقل عنه في حينه..وحوادثه على السنين وقد أطنب في تاريخ

هلاكو وسماه هلاوون وفيه حوادث عامة لا تختص بقطر إلا أنها قليلة جداً. . . ومضى في أول الأمر من حين ابتداء أيام هلاكو في العراق عن وفيات عراقيين ثم طوى البحث إلا نادراً أو ممن توفي من العراقيين في سورية أو في مصر وليس في عبارته تعقد أو تشوش وإنما هي بسيطة وسهلة. . . وكان الاولى أن يرجح طبعه على غيره من سائر التواريخ لهذا السبب، ولامتداد حوادثه إلى السنة المذكورة اعلاه. . . ولسعة مواضيعه وبسطها. . . والمؤسف أنه بقي غير مطبوع لحد الآن، وقد أخبرني محافظ المكتبة أن المصريين أخذوا نسخة فتوغرافية منه وأهم ما يجلب الأنظار أنه يعين بوضوح علاقات العشائر بسورية والعراق ببسط زائد وسعة وافية ونافعة جداً. . . عدا ما يتعلق بالحكومات ومفاوضاتها، والرسل وبعثاتهم، والمخابرات الجارية مع الملوك. . .

كتب أخرى

وهناك كتب أخرى قيّمة ومفيدة جداً لمباحثنا من معاصرين للوقت الذي نكتب عنه وغيرهم أمثال (تاريخ گزيده)، (التاريخ الغياثي)، و(روضة الصفا)، و(رحلة ابن بطوطة)، و(نزهة القلوب) مما سنتعرض للنقل عنه. . . والمصادر من هذا النوع من تركية وفارسية كثيرة كتبت عن هذا العصر ونقولها مهمة، ولولا خوف السأم لأوردنا عنها التفصيلات الوافية. . .

ملحوظة:

وفي هذا وما سبق الكلام عنه ما ينبيء عن سير التواريخ ولم نلتفت إلى ما رأيناه في بعض التواريخ من النقص واعتمدنا على المفصلات بقدر الإمكان فلا نزيد القارىء ضجراً في بيان المعايب، وإظهار المثالب. . . مما نحن في غنى عن ذكره. . . وذلك بعد أن توضحت لدينا المراجع أعذرنا من كتب في أزمنة محاطة بظروف

خاصة، أو أوضاع شاذة... دعت إلى الاطراء الزائد أو التكتم... ومن حيث العموم لا نجد أصدق لهجة في بيان حقيقة الوقائع من مؤرخينا وإنما نوجه اللائمة في المحاكمة والاستنتاج أو المدح أو الاخفاء... ولا تلبث أمثال هذه أن تزول بعد عصر أو عصرين فتظهر الحقيقة ناصعة مجردة... فأنا مقتنع من مصادرنا وقاطع بصحتها إلا ما رأيته خلاف الوثائق المعروفة والثابتة... فكانت طريقتي أن استمع القول وأتبع أحسنه بمراعاة الواقع بقدر ما يمكن الحصول عليه والتوصل لمعرفته... وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد... في أمثال القضايا الموضوعة البحث.

ولا يفوتنا أن نقول كلمتنا عن بعض المؤرخين الذين لا يعتمدون على أنفسهم وإنما يذكرون النص بعينه وحرفياً دون مراعاة المجرى للوقائع والتثبت منها ويتقيدون به تقيداً لا يأتلف والتاريخ الحقيقي... فهؤلاء لا تكون نظرتهم صائبة إلا في الاختيار أحياناً وغالب نقولهم مغلوطة... ذلك أن النظرات العامة سواء منها مما يتعلق بالاجتماع، أو بالادارة، أو بالعقائد أو باللغة... إنما تستنتج من خلال الوقائع، ومجموعها... استفادة من الأوضاع، أو السير التاريخي وتياره الجارف... لذا لا يصح الاعتماد على قول شخص قد يكون رأى صفحة، أو لاحظ ناحية، أو عثر على نص تاريخي يتعلق بوقعة جزئية... أو تصوير للحادثة ناشىء عن توهم... والعمدة على المجرى، وعلى تشميل الوقائع وإجمالها بصورة عامة... فما خالف ذلك لا يركن إليه... فالنص الذي يجب نقله هو الذي لا يعدو هذه الناحية... فالتاريخ ـ في نظري ـ يدقق تيارات الأمم، ومجاري سيلها الجارف، وأثرها في الحقوق والإدارة والاجتماع، وعمارة الأرض وخرابها... ولا نجد شيئاً من ذلك في الوقائع الجزئية بعينها... مما مبناه قصر البصر... فهو ملخص جميع الوقائع، وزبدتها والنظرة

السريعة والعامة في صفوة حالها إلى آخر ما هنالك... ولا يحصل المطلوب إلا بذكر الوقائع الموثوقة والنصوص المؤيدة المسهلة والنافعة... مما فيه الكفاية للوصول إلى الغرض...

قد تتضاءل الوقائع الجزئية المشتبه فيها امام هذه الأمور التي قد يؤدي إلى الجمود التمسك بها والوقوف عندها دون ربط الوقائع المقطوع بها وإيرادها مما يهيىء القارىء إلى تجريدها لاستخراج المجاري العامة والقواعد الكلية... ولا يعني ذلك أننا سوف نهمل الوقائع الجزئية مطلقاً. فالإهمال نصيب المردودة والمدخولة لا غير... والغرض ايجاد الصلة دائماً ومراعاة الموازنة وعند تكرر الوقائع المتماثلة يظهر أثرها وتدخل ضمن ما تتطلبه... ومن ثم تتولد العلاقة بين الوقائع والنظم، والمسير لهذه ومديرها الشخص ضرورة وقسراً... فالارتباط لازم، والنفوذ الفكري له دخل عظيم في صحة الحكم بناء على الشهادات التاريخية، أو المشاهدات... والتنطعات ليس من شأننا.

والغالب أن لا نعوّل على مرويات السياحات والرحلات أمثال رحلة ابن بطوطة وإنما يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار مشاهدات السائح ومدوّناته عن هذه... ولا نتطلب منه أكثر من ذلك... لأن مشاهدات هؤلاء السياحين صادقة لا تكذب فهم أبصر فيما رغبوا في الاطلاع عليه، والتدوين عنه... وعلى هذه الناحية ركنّا وبها أخذنا بزيادة على غيرها وترجيح...

هذا ما رأينا أن نذكره عن المراجع التاريخية...

نظرة عامة في أحوال هذا الدور

توطئة للبحث نرى أن نبدي ملاحظة عامة عن هذا العهد تبصر بحوادثه الجزئية وتكون كتمهيد وذلك أن الحكومة الايلخانية كانت قد

احتلت العراق والأمة العراقية بدا كل أمر جديد لديها، الإدارة والدين، واللغة، والاجتماع... فلم تألف منها هذه الأمور كلها، ولا علاقة سابقة لها بها، وقد تكون سمعت عنها ولكنها غريبة من مألوفها... قضت على الحكومة العباسية، وأسست إدارة خاصة، وهي ما عدا أيام حروبها ومقارعتها لم تتعرض للأديان والمذاهب إلا أنها ناصرت الاقليات أو بالتعبير الأصح اعتمدت عليها ولم تدع جانباً من جوانب السياسة إلا وَلَجتْهُ... واستخدمت هؤلاء لتقوى في الإدارة على العنصر الغالب وتجعلها وفق مرغوبها، أو لتمشي خطتها، وتسيّر سياستها كما تشاء... فكانت من أمهر الإدارات في خططها الاستعمارية، وسياستها الداخلية... وبحثنا في هذا القسم مقصور على الإدارة... والمسلمون في هذه الحالة كانوا في يأس من أمرهم رغم أن الحكومة الفاتحة لم تتعرض لأوقافهم، ولا لإداراتهم الدينية ولا لأحوالهم الداخلية... ولم تستخدم إلا بعض الموظفين المحصوري العدد بل القليلين جداً كالوزراء وبعض الموظفين...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أما الإدارة الحاضرة ـ عن هذا الدور ـ فقد خرجت فيها من طريق الخلافة وأبهتها العامة الكبرى فعادت ايالة لها حكمها، وقد احتفظت بشهرتها السابقة، ومركزها العلمي والأدبي بين الممالك والأمم...

ـ نعم لم تفقد بذلك مزاياها الأخرى ـ ما عدا الاستقلال والسياسة العامة وهما أعظم شيء ـ وقد نبغ فيها علماء أكابر، وأدباء وشعراء... يكادون يضارعون من سبقهم لولا تأثير الفارسية وشيوعها بكثرة، واكتسابها شكلاً سياسياً نوعاً، ونجاحها في الإدارة المباشرة...

وعلى كل تغير من أوضاعها، وتبدل نوعاً من اجتماعها وانحطت مدارك أهليها عن ذي قبل مما سيوضح في قسم خاص... وسيرى القارىء حوادث هذه الأيام السياسية في هذا الجزء بتفاصيلها على قدر

ما تسمح به الوثائق، ويتيسر عليه الاطلاع...

ومنه تعالى المعونة.

❀ ❀ ❀

احتلال بغداد على يد هلاكو في ٥ صفر سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م

قتل الخليفة

امر هولاكو بقتل الخليفة يوم الخميس ٤ صفر سنة ٦٥٦ كما في تجارب السلف ص ١١ وأورد رباعية فارسية للنصير الطوسي بذلك، وفي السلوك للمقريزي أن هلاكه كان في ٦ صفر ـ وفي طبقات ناصري مباحث موسعة عن قتلة الخليفة. وأقوال عديدة تتعلق بقتل ابنه أبي بكر.

احتلال بغداد:

الرواية المعول عليها أن المغول دخلوا بغداد تحت قيادة هلاكو يوم الاثنين ٥ صفر سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م(١) بعد أن كانوا قارعوا للتغلب عليها سنين كثيرة وهاجموها بكتائب قوية هجومات متوالية فعادوا بالخيبة. ولكن الخلفاء لم يطيقوا الدوام على الدفاع وكبح جماح العدو في هجومه الأخير. فكانت النتيجة أن تم الاستيلاء عليها وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب للناس بأنواع العذاب واستخراج الأموال منهم بالضغط وأليم العقاب مدة قدرت في أربعين يوماً أو في أسبوع(٢) على اختلاف في الرواية فقتلوا من الرجال والنساء والصبيان والأطفال خلقاً كثيراً من أهل البلد والنازحين إليهم من أهل الأطراف فلم يبق إلا القليل

---

(١) تاريخ الفوطي ص ٢٦٢ وغيره.

(٢) ابن العبري ص ٤٧٥.

وقد عيّنوا للنصارى شحاني حرسوا بيوتهم والتجأ إليهم أناس عديدون فسلموا. . . وهنا يلاحظ أن الأوروبيين كانوا قد اتفقوا مع التتر ولهذا سلم النصارى أو أنهم راعوا العناصر الضعيفة لأجل إطلاعهم على خفايا المسلمين لا أنهم كانوا نصارى منهم، ولا يحتمل أنهم تجسسوا لهم على المسلمين.

وكان ببغداد أيضاً جماعة من التجار الذين يسافرون إلى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل بأمراء المغول وكتب لهم يرليغات[1] فلما فتحت بغداد خرجوا إلى الامراء وعادوا معهم من يحرس بيوتهم. والتجأ إليهم أيضاً جماعة من جيرانهم وغيرهم فأنقذوهم.

وكذلك دار الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي نجا بها جماعة كثيرة. ومثلها دار صاحب الديوان ابن الدامغاني ودار صاحب الباب ابن الدوامي.

وفيما عدا هذه الأماكن لم يسلم أحد إلا من كان في الآبار والقنوات. وأحرق معظم البلد و(جامع الخليفة)[2] وما جاوره. . . واستولى الخراب على المدينة. وكانت القتلى في الدروب والأسواق كالتلول ووقعت الأمطار عليهم ووطأتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا مثلة بتشوه الخلقة. . .[3].

الأمان:

ثم نودي بالأمان فخرج من تخلف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال والمصائب التي لا يستطيع القلم التعبير

---

(١) اليرليغ الفرمان السلطاني، أو المنشور، أو الأمر معرب عن المغولية ويستعمل أحياناً في اللغة التركية العثمانية.

(٢) هو جامع الخلفاء المعروف اليوم.

(٣) ابن الفوطي ص ٢٦٢.

عنها وهم أشبه بالموتى لما نالهم من الخوف والجوع والبرد...

حقن دماء الأطراف:

وأما أهل الحلة والكوفة فإنهم نزحوا إلى البطائح بأولادهم وبما قدروا على حمله من أموالهم. وحضر اكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين ابن طاوس العلوي إلى السلطان (هلاكو) وسألوا حقن دمائهم فأجاب سؤالهم وعين لهم شحنة فعادوا إلى بلادهم وأرسلوا إلى من في البطائح من الناس يعرفونهم ذلك فحضروا بأهليهم وأموالهم. وجمعوا مالاً عظيماً وحملوه إلى السلطان هلاكو فمنّ عليهم بنفوسهم.

وأما واسط فإن الأمير بغاتمر[1] انحدر إليها بعساكره وانتهى فيها إلى قريب البصرة فقتل ونهب وسبى. وكان الولاة والنقباء وأكابر الناس قد انحدروا بأهليهم وأموالهم إلى البطائح فسلموا.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

عدد القتلى:

قيل أن عدد القتلى ببغداد زاد عن ثمانمائة ألف نفس عدا من ألقي من الأطفال في الوحول ومن هلك في القنى والآبار والسراديب فمات جوعاً وخوفاً وهذه الرواية لم يقطع فيها ابن الفوطي ولذا عبَّر عنها بقيل. ولعلها بناء على أن السكان كثيرون ولم يبق منهم إلا القليل فلم يلاحظ من فروا وانحدروا إلى الانحاء الأخرى. وعلى القول الراجح أنهم يبلغون نحو ثمانين الفاً كما في تاريخ مصلح الدين اللاري نقلاً عن گلشن خلفا ولا عبرة بقول من أبلغهم إلى ألفي ألف أو إلى ثلاثة آلاف ألف فالمبالغة ظاهرة جداً[2].

---

(١) وتلفظه الصحيح بوقاتيمور. ر: «شجرة الترك».

(٢) ر: تاريخ الخلفاء للسيوطي وغيره امثاله...

الوباء:

ثم وقع أثر ذلك الوباء في من تخلف بعد القتل من شم روائح القتلى وشرب الماء الممتزج بالجيف والعفونات الأخرى... وكان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فإنه ملأ الفضاء وكان يسقط على المأكولات فيفسدها.

وكان أهل الحلة والكوفة والمسيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث بأبخس ثمن. فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير[1].

الأمة الفاتحة وروحيتها، أو التعريف بجنگيزخان وقومه

ولما كان هذا الهجوم الأخير من قبل هلاكو نتيجة التزام الخطة التي صمم جنگيز وأعقابه على المضي بمقتضاها، وأنه تقدمته هجومات أخرى إلى أن قام هلاكو بهجومه هذا اقتضى التعريف بجنگيزخان وقومه وما راعاه من الخطة لاستخدام أمته وقيادته لها تنفيذاً لما قام به من مقدمات عسكرية وهجومات أخرى على الانحاء المجاورة لبغداد بقصد التزام الجيش العراقي مدة طويلة لمحافظة الثغور بقوة كافية مما أدى إلى بذل عظيم ومصارف باهظة لا يتيسر القيام بها لحكومة مثل حكومة بغداد وحالتها على ما سيوصف فذلك كان إضعافاً لها وتشويشاً لإدارتها... وقبل الكلام على ذكر توالي الهجومات ومبادىء الهجوم الأخير واطراد هذه لزم أن نعلم روحية الأمة الفاتحة والإطلاع على أساس (حكومة جنگيز).

(١) ابن الفوطي ص ٢٦٤.

أحوال الأمة الفاتحة

الأمة الفاتحة، وأوائل أحوالها:

إن هذه الحكومة أعني بها (حكومة جنگيز) كان موطنها (أرض المغول). ولم تكن في الأصل حكومة. وإنما هي رياسة على بضع قبائل مما يسمى عندنا بالإمارة القبائلية، تقطن هذه الإمارة القطعة التي هي قسم من مملكة الصين ويتولى أمرها ـ كما قال المنشي النسوي ـ (خان) ومعناه الملك أو الأمير بلغتهم وفوقه الخاقان وفوق الكل قاآن[١]. وأن حكمه نيابة عن خاقانهم الأعظم (قاآن). وكان خاقانهم الكبير المعاصر لخورزمشاه محمد بن تكش يقال له (آلطون خان)[٢] وقد توارث الخانية.

قال المنشي النسوي[٣]: ومن عادة خانهم الأعظم الإقامة (بطوغاج)[٤] وهي عاصمة الصين. وأن مملكة الصين كانت منقسمة إلى ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى أمره (خان) وكان من زمرة هؤلاء الخانات في العصر المذكور الذين يحكمون نيابة عن خانهم الأعظم (امبراطورهم) شخص يسمى (دوشي خان) وهو أحد الخانات المتولي قسماً من الأجزاء الستة. وكان متزوجاً بعمة جنگيزخان.

وقبيلة جنگيزخان هي المعروفة بقبيلة (التمرجي) من سكان البراري. ومشتاهم موضع يسمى (أرغون). وهم المشهورون بين التتر بالشر والغدر. ولم تر حكومة الصين ارخاء عنانهم لطغيانهم. فاتفق أن دوشي خان زوج عمة جنگيزخان قد توفي فحضر جنگيز إلى عمته زائراً

---

(١) شجرة الترك ص ١٦٩ وجاء في الكتب العربية بلفظ «قان» دون مد وصحيحه ما ذكر.

(٢) ورد بلفظ التون بالتاء كما في تاريخ منكبرتي «ر: ص ٥» وفي غيره التان.

(٣) «راجع: تاريخ أبي الفداء في المراجع التاريخية».

(٤) ورد في سيرة جلال الدين منكبرتي بلفظ طمغاج «ر: ص ٤».

ومعزياً. وكان الخاقانان المجاوران لعمل دوشي خان يقال لأحدهما كشلو خان (كشلي خان) وللآخر[1]... فكانا يليان ما يتاخم عمل دوشي (منطقة حكمه) من الجهتين فأرسلت المرأة (عمة جنكيزخان) إلى كشلي خان والخان الآخر (جنكيز) تنعى إليهما زوجها دوشي خان وأنه لم يخلف ولداً وأنه كان حسن الجوار لهما وأن ابن أخيها جنكيزخان إن أقيم مقامه يحذو حذو المتوفى في معاضدتهما. فأجابها الخانان المذكوران إلى ذلك. وتولى جنكيز من الأمور ما كان لدوشي خان المتوفى بمعاضدة الخانين المذكورين.

فلما أنهي الأمر إلى الخان الأعظم الطون خان أنكر تولية جنكيزخان واستحضره وأنكر على الخانين اللذين فعلا ذلك. فلما جرى ذلك خلعوا طاعة الطون خان وانضم إليهم كل من هو من عشائرهم. ثم اقتتلوا مع الطون خان فولّى منهزماً، وتمكنوا من بلاده مشتركين في الأمر. فاتفق موت الخان الواحد واستقل بالأمر جنكيزخان وكشلو خان.

ثم مات كشلو خان وقام ابنه مقامه ولقب كشلو خان أيضاً. فاستضعف جنكيزخان جانب هذا لصغره وحداثة سنه وأخل بالقواعد التي كانت مقررة بينه وبين أبيه. فانفرد كشلو خان عن جنكيزخان وفارقه لذلك ووقع الحرب بينهما. فجرد جنكيز جيشاً مع ولده دوشي خان فسار هذا واقتتل مع كشلو خان فانتصر دوشي خان وهزم خصمه فتبعه وقتله وعاد إلى جنكيزخان برأسه. فانفرد جنكيزخان بالمملكة.

ثم إن جنكيزخان راسل خوارزمشاه محمد بن تكش في الصلح فلم

---

(١) جاء في سيرة جلال الدين منكبرتي: أنهما كشلو خان وجنكز خان بالزاي وهما المتوليان أمر ما يتاخم أعمال المتوفى من الجهتين «ر: ص ٥٥ ولعل مستنسخ أبي الفداء لم يذكره من جهة موافقته لاسم جنگيز خان فظنه غلطاً... أو أنه لم يظهر اسمه، أو لم يذكر في مصدره...

ينتظم فجمع جنگيزخان عساكره والتقى مع خوارزمشاه محمد فانهزم خوارزمشاه فاستولى جنگيزخان على بلاد ما وراء النهر. ثم تبع خوارزمشاه محمداً وهو هارب بين يديه حتى دخل بحر طبرستان. ثم استولى جنگيز على البلاد[1].

ويستفاد من هذه بالنظر لمصادرنا أن جنگيز خان هو المؤسس لهذه الحكومة المعروفة (بحكومة المغول)[2] أو (حكومة التتر)[2] ولم تكن لهم حكومة ولا ذكر إلا في زمن جنگيز. وإنما كانت هذه الأقوام أشبه بقبائل العرب الرحل. ولها مدن تقطنها ومواقع مدنية تقيم فيها هي أقرب إلى البداوة أو الطريق الموصل إلى المدنية بين البداوة والحضارة.

وتكاد تكون قبائلهم وأقوامهم في عزلة عن العالم لو لم يكن الإسلام قد هاجم ديارهم أو ما جاورها أثناء الفتح الإسلامي وإبان النهضة العربية، والمعروف أنه هاجم أقوامهم الانحاء الغربية بل هاجروا بهجرات متوالية لا محل لذكرها هنا. ومع هذا فإن (المغول) أبعد عن الاحتكاك ولم يظهروا للوجود إلا في أواخر العصر السادس للهجرة.

وقبل هذا نرى المدونات العربية عنهم سواء كانوا مغولاً أو تتراً حين الاستيلاء عليهم والمكافحة معهم ونشاهد منهم أسرى كثيرين قد انتشروا في العالم الإسلامي وفي المملكة الإسلامية كما أنه قد تكونت حكومات منهم وتألف الجيش التركي في الخلافة العباسية وبرز فيهم القواد والوزراء. ولكن لم يؤمل أن تظهر منهم أمة بعيدة عن الإسلام وعن الحضارة وتهاجم الترك المسلمين من جهة وتحارب الصين من أخرى وتدوخ الهند آونة وتستولي على ديار العجم وممالك روسية وتهدم صرح الخلافة الإسلامية وتقضي على حضارة المسلمين وتدهش العالم

---

(١) «ص ١٢٣ أبو الفداء ج٢».

(٢) سيأتي الكلام على كل من المغول والتتر.

الإسلامي مدة وتدعه في اضطراب وحيرة من أمره فتخلف أثراً ما زال ولا يزال باقياً يرن في الآذان ويفكر فيه كل من درس التاريخ. . .

هذه الصولة على البلاد الإسلامية أشبه بصولة العرب وهم في جزيرة قاحلة. . . على العالم المتحضر، المجاور لهم إلا أنه بينهما جهات اشتراك وافتراق وإن كان كل منهما خلف أثراً في النفوس عظيماً. فكلاهما يعتمد على قوة بدوية اختط المدبر لها منهاجاً ساق به هذه الجماعات للمضيّ بمقتضاه والعمل بموجبه فنال بغيته. . .

وشتان بين المنهجين فأحدهما فك الأغلال والقيود عن البشرية ومحا الفوارق بين بعضها وبعض فهو خالد، وهو إصلاح لها وإسعاد لحياتها كلما مشت على مرسومه والآخر دمر البشرية وأهلكها لانتفاع أمة واحدة وقيادتها لاستدرار خيراتها حباً في إعاشة تلك الأمة وإقامة أودها وإنعاشها. . .

وفي هذا الأخير رجعة للاستعباد مرة أخرى. . . لكنها كانت أي هذه الرجعة ضرورة لا بد منها نظراً لتناسي المبدأ الإسلامي القويم والعدول عنه أو إهماله والصدود عنه. . . فنرى القائم به مثل الخليفة أو الملوك الذين يعدون أنفسهم بمنزلة حماة للدين وحراس له يحاول كل منهم أن يستعبد القوم لا أن يقيم العدل ويؤمن السبل. . . وينقذ البشرية مما انتابها. . .

فكان الأصلح للبشرية أن يقوض هذا البناء الذي صدف أهله عن صراطه السوي وأولى لها أن يدمر رغم فظاعة الآلة الهدامة. . . هذه ضرورة لا بد من ركوبها أو وقوعها وتحمل أخطارها وفي الحقيقة أن الحكومات الإسلامية كانت تركية أو سلطتها بأيديهم فالمقارعة بين طاغيتين كلاهما مخرب ومدمر للديار وهادم للحضارة، ولم يؤثر فيه المبدأ الإسلامي، وعلى كل لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ومن نظر إلى الحالة الاجتماعية عندنا آنئذ وسوء الوضع وتذبذب الإدارة وما يعاني الأهلون من جراء المنازعات وتعدد الحكومات وانحلال ما بينها والشؤون الداخلية وما يجري فيها أو ما يتحمله الأهلون بل والمخالفون من المضض والعناء، والتزام وجهة (خطة) مطردة لا تقبل أي تطور وتبدل... تيقن أنها سريعة الزوال وإن كانت الأسس في الأصل قويمة فهي سائرة إلى الانحلال وإن كانت الأركان عزيزة وفاضلة...!!

أمة الترك أو حالة الأمة الفاتحة

التواريخ والأمم أو دراسة تاريخية:

إن التواريخ القديمة لم تجعل في الغالب قيمة للأمم لا في الفتوح ولا في الاكتشافات ولا في غيرها... وإنما نسبت ذلك كله وغيره للملوك وأعاظم الرجال ممن كانت لهم مكانة تاريخية باعتبار أنهم المسيرون للأمة والناهضون بها ولم يراجع التاريخ ويعدل به عن هذه الفكرة إلا بعد تجارب مرة وآماد طويلة... فصارت تلاحظ منزلة العظيم في استفادته من هذه القوة ـ قدرة الأمة ـ واستخدامه إياها لما أعد نفسه لأجله بحيث تمكن من قيادتها...

مضت أدوار طائلة على هذا الترتيب حتى الأيام الأخيرة وحينئذ نالت الأمم مكانتها التاريخية واستعادت قدرتها المادية والمعنوية... فصار يستطلع رأيها في أكثر الأمور ويدقق الحادث الكبير (بظهور الفاتح أو العظيم) في أنه إنما حصل له ما حصل بتوجيهه استقامة الأمة وتعيين منهاج لها في سيرها التاريخي لما أحسَّ به من الضرورة لقيامها ونهوضها...

فاليوم تدقق الأمم باعتبار قوتها ومناعتها ووحدتها وصلاح مبدئها

وسائر حالاتها الاجتماعية ومزاياها القومية والنفسية وحينئذ يتجلى لنا أن ما فعله الرجل العظيم عبارة عن استقائه من معين تلك الأمة وما أحاط بذلك من ظروف وانتهاجه الخطة التي رآها لازمة للعمل... وقد يكون هذا المنهاج مغلوطاً أو ناقصاً ولكن ضرورة قيام الأمة لا تؤخر تطبيقه رغم غلطه أو نقصه... وإن كان غير مكفول الدوام، سائراً للزوال من جراء أدنى عارض، أو أي انحلال في الوحدة...

نعلم هجوم جنگيز على العالم المجاور له مجاورة قريبة أو بعيدة وإحداثه الضجة في هذه الأرض أو الدوي الذي ولد ارتجاجاً وهزة شعر بهما كل أحد. ولا يزال أثرهما في النفوس كما مرت الإشارة إلى ذلك. ولما كنا قاطعين بأن جنگيز لم يقم بما قام به إلا باستخدام أمة عظيمة حصلت على مكانتها التاريخية... رأينا من المحتم درس هذه الأمة ومعرفة أحوالها في ماضيها وحاضرها إلى أيام الهجوم على بغداد... والظروف التي سهلت لهذا الفاتح الكبير قيامه بما قام به فاشغل الأفكار من حين ظهوره إلى اليوم..

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأمة وفاتحها:

وهناك شيئان جديران بالبحث:

١ ـ **الأمة**: التي انقادت للفاتح فوجه روحيتها للإذعان له وجعلها طوع ارادته فسخرها... وأذعنت.

٢ ـ **المنهاج**: الذي اختطه لنجاحه في الاستيلاء والطريقة التي سار عليها...

وهذه تدعو للبحث وتستحق التمحيص لتقدير (السير التاريخي) والتحول الجديد الذي أحدثه وما حصل عليه هو وأعقابه والحكومة التي تأسست من جراء هذا التبدل.

أما العوامل المسهلة لهذا الفاتح من اختلال النظام والاضطرابات والفتن في الأمم المجاورة والحروب القائمة فيها على قدم وساق وتذبذب سياستها وتشتت آرائها وانحلال وحدتها باشتداد الخصام الأدبي والاجتماعي وتصلب أهليه تقوية لهذا الخلاف وتسهيلاً للانفصال فهذه وأمثالها لا تخرج عن كونها وسائل مسهلة وخادمة لمصلحة الفاتح في فتوحه واكتساحه البلدان. . .

لذا لا نرى وجهاً لأن نجعل قيمة في الدرجة الأولى إلى جنگيز وحده كما فعل ابن الأثير وغيره فنعتوه (بطاغية التتر وقهارها) وجعلوه هو الذي فعل ما فعل. فوجب أن نلم ببعض أحوال أمته لنكون على بينة من قابليتها الاستيلائية على عالم عظيم في مدة وجيزة وتدرجها وظهورها بحيث حازت مقاماً عظيماً في التاريخ مما دعا للانتباه. . . ثم ندخل في أمر هذا الفاتح والطريقة التي سار عليها. فلا نتصور أن يظهر عظيم في وسط غير صالح. . . ومن ثم نعرف مكانة هلاكو (فاتح بغداد).

وهنا نسير سيراً حثيثاً وباستعجال فنتكلم عن اوائلهم إلى ظهور جنگيز سوى أننا نفرق الموضوع إلى مباحث تقريباً له. وفي كل الأحوال نراعي الإجمال.

بيان أصلهم

الترك ومكانتهم بين الأمم:

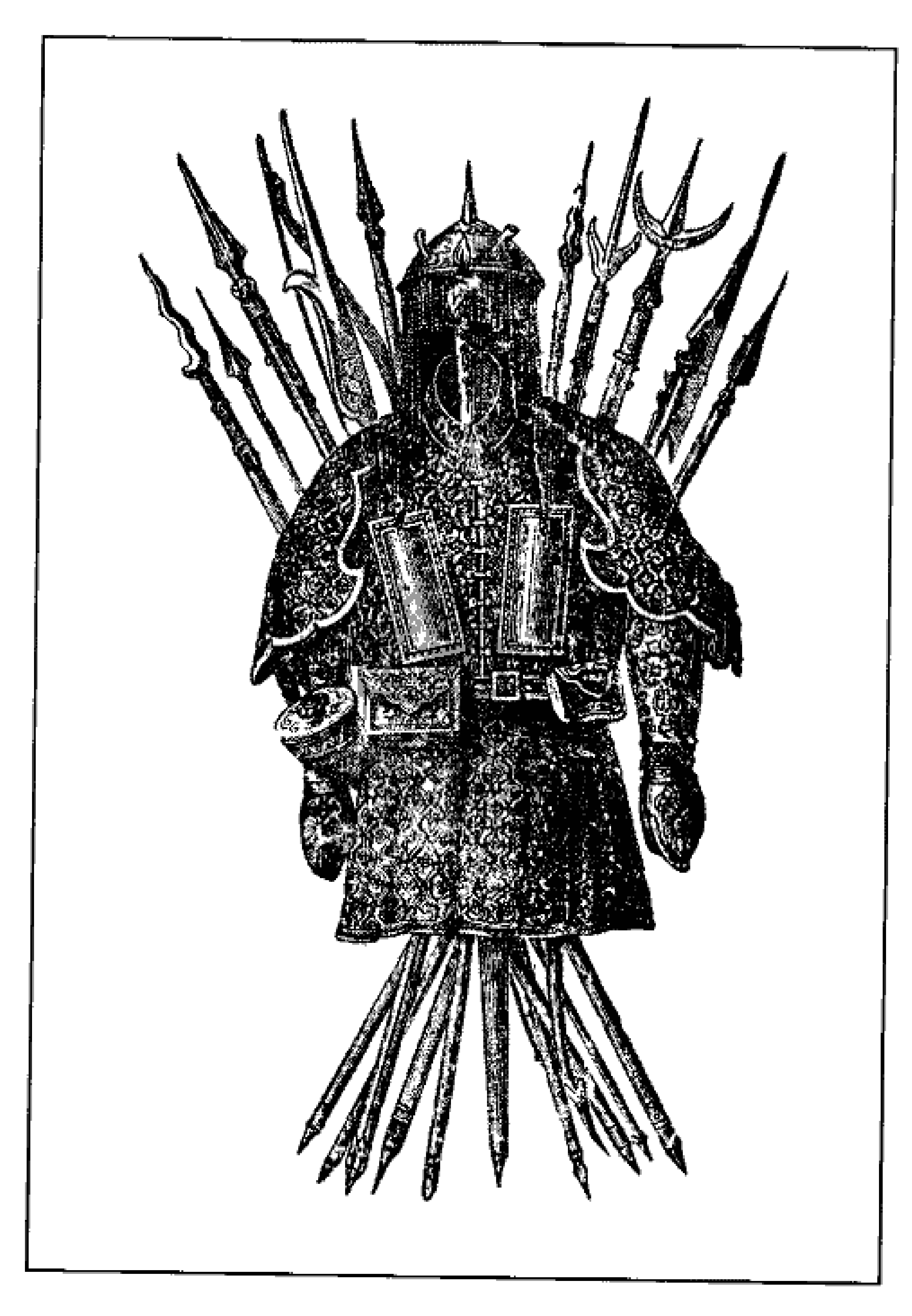
إن العلماء يعتبرون الأمم ثلاث كتلات أو مجموعات: طورانية وسامية وآرية. فالأوروبيون والعجم والأرمن من نسل الآريين ويقال لهم الهند الجرمني والهند الأوروبي. والعرب والسريان والعبرانيون من الأقوام السامية. والترك من الطورانيين أو بالتعبير الأصح أن الطورانيين من الترك. وهو اسمهم العام. وفي ضمنهم المغول.

فالترك ـ بصورة عامة ـ أمة مستقلة، كثيرة العديد ومتألفة من قبائل وأقوام كثيرة يشملها هذا الاسم سوى أن المؤرخين اختلفت آراؤهم في اصلهم إلى ثلاثة منازع بالنظر لاختلاف المنابع التاريخية والمصادر التي عولوا عليها، فالذي اعتمد على (الاغوز نامة) بين أن اصلهم يرجع إلى اوغوزخان. فكان اصلهم يقف عنده فلم يعلم من كان قبله. وأما ما اختاره علاء الدين الجويني ومن حذا حذوه وعول على كتابه (جهانكشا) يقول إن نسبهم يبتدىء من اويغور. والرأي الثالث يركن إلى قول الخواجة رشيد الدين ويرجح ما جاء في كتابه (جامع التواريخ) أن أصلهم المغول فيراعي تسلسل ملوكهم واشتقاقهم من اجداد المغول.

وقد رجح المؤرخ التركي (الدكتور رضا نور) رواية أوغوز وطعن في رواية الاويغور مبدياً أنها خرافية. وأن القول بالمغولية فيها إكثار من الاسرائيليات. وما ركن إليه رشيد الدين فقد اقتبسه من العجم حين استيلاء جنگيز عليها وقال الدكتور إن هؤلاء العجم قد اشبعوا بحب الاسرائيليات...

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

وهذه الروايات لا تخلو من نظر وتحتاج إلى تمحيص. وإن الترجيحات مبنية على تزلفات للمغول أو غيرهم نظراً لما نعلمه من أننا لا نجد أمة تكره اعلاء شأنها أو لا تحب عظمتها ومكانتها أو التباهي بنسبها والافتخار به... مما دعا لبقائها إلى اليوم، ولم نر قوماً لا يرغب في اعتلاء صهوات المجد، وخصوصاً أن هذا القول قد يصدق أو يعد أقرب للصدق في حق من نال مقاماً تاريخياً مجيداً... فمن كتب التاريخ حين ظهور هؤلاء كان ممن يمت إليه بسبب أو يتزلف له... فالقول الذي يصح الاعتماد عليه ـ بتعديل ـ ما حكاه صاحب (شجرة الترك) من أن الترك أقوام وقبائل تجمعها التركية ولم يرجح المغول ولا الاويغور ولا اوغوز بعضهم على بعض ولكنه ينقد من جهة أنه لم يقف عند هذا الحد بل جعل لهم شجرة أوصلها إلى آدم (س) فأوصل (ترك)



أسلحة المغول

وهو جد الترك الأعلى بيافث بن نوح، ثم راعى اجداد التوراة، فكأنه جمع الروايات الأولى وسلسل النسب واتخذ منه وحدة واستفاد من أنساب العرب وقواعد ترتيبهم فوضع كتابه. ولعله اعتمد على الروايات الشائعة والمدونات كما حكى ذلك. وقد قضى ما عليه من بلغ الجهد... سوى أن اللغة واشتراك ألفاظها حتى في الأبعد تدل على أن الأصل واحد مما لا يدع ارتياباً.

ولما كنا نرى كل أمة تدعي أن لها جداً تقف عنده أو اسماً عاماً سميت به ثم اتخذته جداً ووقفت عنده صارت بذلك كل أمة تدعي أنها بنت ذلك الجد الذي تعده ابن السماء وأنها العريقة في الأصل لا تضارعها أمة وهو مدار فخرها وتنظر إلى باقي الأمم بدرجة منحطة عنها فقيل إن (ترك) جد أعلى لأمة الترك وهكذا اعتبرت أيضاً أقسامها الكبرى ـ أقسام الأمة من قبائل اساسية ـ اجداداً تالين. وهكذا على مراتبهم بأن اعتبرت لكل جد فروعاً كما هو مرئي لها في تفرع الافخاذ... فلم تشأ أن تخرج عن هذا الأمر المحسوس لديها.

وأما الفكرة القائلة بأن الناس كلهم من آدم وآدم من تراب، وأن القبائل والشعوب وسائل التعارف لا طريق التناطح والتخاصم... فلم تكن معروفة قبل الإسلام، أو أنها كانت بصورة ضئيلة جداً. فلتأييد هذه الصلة بين الأقوام قرّب علماء الإسلام، بين أنساب الشعوب فوصلوها بأنساب العرب والإسرائيليين اعتماداً على أقدم كتاب ذكر أولاد آدم وسلسل احفاده وهو (التوراة) ووسعوا القول فيه. ولا يزال العلماء يتحرون جهات التقارب من طريق اللغة والسحنات والحالات الاجتماعية والعادات وهكذا نرى علماء الغرب يقربون إليهم من عدوه من العنصر الآري... ولذا حينما اتصل المغول بالعجم انتقلت إليهم هذه الفكرة من طريق المسلمين فوصلوا اجدادهم بآدم وربطوا هذه الصلة بأقوى الاسباب تأييداً لما جاء في القرآن الكريم واستفادة من عموميته وتقريبه

بين الأقوام ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللّه اتقاكم﴾. ومن الحديث القائل (كلكم من آدم وآدم من تراب) فلم يخرجوا عن هذا الوضع... ومن ثم جرى تلاعب الشعراء في المعنى ومنها:

شرق وغرب تجد من صاحب بدلا
فالأرض من تربة والناس من رجل

أوكما قيل:

إذا كان اصلي من تراب فكلها
بلادي وكل العالمين أقاربي

ولما كان اجدادهم معروفين بالوجه المذكور سابقاً وبالصورة المبينة وصلوا هذه الصلة بمن عرف فربطوا ترك بيافث بن نوح (س).

مقارنة بين قبائل الترك والعرب:

لو رجعنا إلى قبائل العرب وأحوالهم التاريخية واستنطقنا مخلفاتهم واستقينا معلوماتهم من شعرهم ومفاخراتهم من اقوالهم وجدنا متقدمي شعرائهم بالغوا في الفخر والحماسة فلو طالعنا إحدى معلقاتهم رأينا فيها:

ملكنا البر حتى ضاق عنا
وماء البحر نملؤه سفينا

وحينئذ يتبادر إلى اذهاننا أن حكومتهم كانت من أقوى الحكومات شكيمة، وأن أمتهم من أكبر الأمم حضارة وتقدماً ولكننا لو رأينا بلادنا في مواطن العرب الأصلية ولاحظنا عيشتنا لا نلبث أن تزول منا هذه الفكرة (النخوة) ويذهب هذا الاعتقاد. فتظهر لنا البداوة واضحة بحذافيرها... وأن ملوك كندة وغيرهم امراء قبائل ولو سموا بالملوك...

وكذا يقال عن الترك فإننا وإن سمينا رئيس كل قبيلة بخان وكل من حكم على بضع قبائل (بخاقان) وقلنا (قاآن) لمن لا حاكم وراءه أو فوقه[1] وما ماثل ورجعنا إلى حالتهم وما هم عليه من البداوة وسكنى الخيام ـ كالعربي ـ علمنا ضخم الألقاب وعظم الاسم دون أن يكون وراء ذلك ما يدعو للانتباه.

ولا ينسى أن الترك لا يماثلون العرب من كل وجه فلكل من القومين مزايا وخصائص وعوائد قد لا توجد في الأخرى منها ما هو من مزاياهم الخلقية ومنها ما هي نتائج المناخ والمحيط الذي عاشوا فيه... سواء في حره وبرده وما يلتزمانه فيه... فأثر ذلك في التحول والانتقال لكل من القومين وحينئذ يقرب الواحد من الآخر نوعاً.

وعلى كل حال إن أمة الترك وفي ضمنها المغول في الأصل قبائل رحل موصوفة بالشجاعة والصبر على المكاره وتحمل المشاق، سكناها الخيام ومولعة بالصيد ومواطنها الأصلية مغولستان وتركستان وهما معروفان وما ذكر عن ملوكهم القدماء وأحوالهم فلا يخرج عن كونهم رؤساء قبائل ويتفاوتون في التسمية بين من يسيطر على قبيلة أو قبائل متعددة أو قوم عظيم من اقوامهم كما ان ما ذكر عن ملوكهم القدماء لا يعوّل عليه كحقيقة ناصعة. وإنما هو روايات وأخبار تناقلوها حسب ما هو معهود بين الأمم الأمية وإن كان تثبيت ذلك قد اتخذ وسائل للإشادة والفخر... وأن خير المدونات وأصدقها عنهم ما كان في زمن المسلمين أثناء الفتوح وما بعدها. فتاريخهم الحقيقي عرف من ذلك الوقت. وحينئذ تكاثرت التتبعات وزاد البحث وضوحاً ولا يعتمد على ما قبله من الروايات إلا لإيجاد الصلة والاطلاع على الماضي حسب المحفوظات وإن كان خرافياً وقد يعرف الوضع من خلاله فلا يخفى على

(١) شجرة الترك ص ١٦٩.

المتدبر ما يجري في مطاويه رغم ما جرى على اللسان من وقائعه التي داخلتها الأساطير والخرافات والابطال التاريخيون...

ولم يزد الأوروبيون على ما ذكره العرب والعجم رغم سياحاتهم وتتبعاتهم الأخيرة عن الماضي إلا قليلاً يتعلق بتحقيق بعض الأعلام وهذه أيضاً فيها نظر ولا يكاد يعول الواحد على تلفظ لهم... ووصف الأقوام وتدقيق اللغات ونعت الأقاليم وتدوين الهجرات. وهذا كشف نوعاً وزال عنه الغموض وإن لم يعثر على وقائع الماضي. أما الآثار فهي قليلة جداً، والمعلوم من الوقائع سد فراغاً مهماً في المعرفة... ومن المراجع المهمة لمعرفة أوصافهم ومزاياهم رسالة الجاحظ في (تفضيل الترك) و(كتاب تلفيق[1] الأخبار، وتلقيح الآثار، في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار)، و(كتاب اخبار الزمان للمسعودي)[2]، وغيرها من الكتب والمراجع...

وبعد ملاحظة ما تقدم نبين حالة الترك القدماء باعتبارها قصصاً منقولة إلى تكون المغول والتتر حسب ما هو معروف عن علماء الترك ومؤرخيهم كأساطير وروايات شفهية...

---

(١) هذا الكتاب من الآثار المهمة الجامعة لاخبار الترك والتتر للمؤلف العصري «م.م. الرمزي» طبع الجلد الأول والثاني منه في بلدة اورنبورغ وفيه بعض التصاوير ولا يخلو الكتاب من أغلاط رغم وجود قائمة بالخطأ والصواب ولولا ذلك لكان عمدة في الموضوع فإنه يعتمد على مراجع جمة وكتب كثيرة عصرية وقديمة وينقد اثناء البحث كتاب الغربيين وبعض نشرياتهم... وهو من جملة المراجع التي عوّلنا عليها...

(٢) منه نسخة الجلد الأول في مكتبة ويانة الأهلية وفيه بيان عن ولد يافث واف وعد منهم اقواماً كثيرة وتكلم عن طائفة الترك منها بسعة... وقد رأيتها هناك وأخذت عنها بعض النقول، خطها قديم وواضح... ولا محل لتفصيل القول عنها الآن.

الترك القدماء إلى تكوّن المغول والتتر:

يقول أبو الغازي في شجرة الترك إنهم من نسل يافث بن نوح ويوصلهم بآدم على ترتيب التوراة أو كتب الأنساب العربية ويعدد أولاد يافث بأنهم ترك[1] (ومنه الترك)، وخزر (ومنه الخزر)، وصقلب (ومنه الصقلب)، وروس، ومنيغ وصين (يلفظ چين)، وكيمارى، وتارنج. وهم أمم من نجار تركي فجعلوها اسماء أجداد. والظاهر أن التسمية إنما نشأت من مراعاة كتب الانساب وتحديها. ولعل الأصل كذلك فلا يخرج عن التخمين. ولما كان باقي أولاد يافث لا يكونون موضوعاً لنا أضربنا عن ذكرهم وإن كانت قد تألفت منهم أقوام. هذا ويلاحظ أن أبا الغازي بهادرخان لم يخل من التأثر بالآداب العربية وأنسابها كما مر يقصّ عن نفسه أنه شاعر مفلق في لغات منها العربية والفارسية... قال:

إن ترك خلف أباه في حكومته ولقب بابن يافث. وكان عالماً، عاقلاً ومدبراً، ارتاد المواطن الكثيرة فاختار أحسنها وهو المسمى (ببحيرة ايسيغ) فأقام بها. ويقال إنه أول من نصب خيمة. وأن بعض عوائد الترك الموجودة لحد الآن قد انتقلت منه. وقد توفي عن أربع بنين خلفه في حكومته منهم (طوطوق خان).

وهذا أيضاً كان عاقلاً، قديراً وعدلا. ومن هذا تأصلت عوائد كثيرة أيضاً. ويعاصره أول سلاطين العجم (كيومرث). ويحكى عنه أنه ذهب مرة للصيد فصاد(ظبياً) فشواه. ثم سقطت منه قطعة على الأرض

---

(١) ومن ثم سمى القوم «الترك» باسم جدهم الأعلى والاختلاف ظاهر في أصل كل قوم وهل يعد جداً أعلى وحينئذ ينطوي تحته التتر والمغول وبعضهم يسميهم «ابني قنطوراء» ونفى آخرون هذه. والمثبتون يقولون إنها جارية إبراهيم عليه السلام وآخرون وجهوا اللفظ بأنه يراد به «بنو قاآن توران» فخفف وتصرف العرب به حتى نال شكله الأخير ولكل وجهة «ر: ص ٢٠ تلفيق الأخبار».

فتناولها وأكلها فوجد طعمها قد صار لذيذاً وكانت الأرض ملحاً. ومن ثم صار يوضع الملح في الطعام فهو أول مكتشف له. عاش ٢٤٠ سنة.

وخلفه ابنه (ايليجه خان) ثم خلف هذا ابنه (ديب باقوي خان) ومضت له أيام سعيدة وهنيئة. ثم صار ابنه (قوير خان) فحكم بالعدل. ومن ثم توفي فأعقبه في حكمه (النجه خان). وهذا دام ملكه طويلاً.

وكان أولاد يافث إلى حكومة ألنجه خان هذا على (دين الحق) أي (ديانة التوحيد)[١]. وفي زمنه عمرت المملكة ونال هؤلاء ثروة وغنى فأبطرهم ذلك واعتادوا أن يتخذوا هياكل لأعز أولادهم سواء كان الكبير منهم أو الصغير أو أياً كان محبوباً لديهم فيحفظونه في بيوتهم تذكاراً لمن يموت منهم. فيقولون هذه صورة فلان ويقبلونها ويمسحون بوجهها وما ماثل من أنواع التلطف وإظهار الحب كما أنهم اعتادوا أن يضعوا أمام الهياكل اللقمة الأولى من اكلاتهم ويمسحون وجوههم وعيونهم بها وينحنون لها إلى الأرض (يسجدون). وبهذه الوسيلة ودون أن يشعروا عبدوا الاصنام وتظاهروا بعبادتها...

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

وهذا وغيره في الأمم الأخرى مما دعا علماء الأديان إلى القول بأن الأديان في الأصل موحدة ثم طرأ عليها الفساد وداخلها الشرك وعبادة الاصنام كما أن التدقيقات الدينية ومراجعة نصوص الديانات لكل

---

(١) قال في تلفيق الأخبار يعتقدون بالله ووحدانيته وكانوا يعظمون الكواكب والأجرام السماوية ولا تصح بوجه نسبتهم إلى الوثنية مطلقاً، أو إلى الوثنية الشامانية، أو إلى البوذية، أو إلى عبادة الشمس والكواكب وسائر الأجرام العلوية، أو إلى عدم الديانة مطلقاً ومثل هذه الأقوال نسبة الاويغور إلى النصرانية النسطورية... فالوضع لم يكن بهذه المبالغة... وإنما المعروف أنهم يعتقدون بإله واحد وبعضهم يعظم الكواكب أو الأجرام لا بدرجة العبادة، وأن النصرانية دخلت أولئك ولكن لا بالوجه المعروف للنصارى اليوم، ولذا حينما رأوا الإسلامية لم يترددوا في اعتناقها، ووثنيتهم هكذا يقال عنها... فإنها لم تتمكن منهم...

أمة تؤدي الباحث إلى أن الأصل التوحيد مما يقطع فيه بأن الدين الحق يتضمن الإيمان بمبدع الكائنات وأنه واحد لا شريك له... وعلى كل حال اكتفي بذكر من نال الرئاسة وقام ببعض الأمور من الأولاد والأحفاد وهكذا.

المغول والتتر:

إن النجة خان قد ترك ولدين توأمين أكبرهما اسمه (تتر) أو (تاتار) أو (تتار) واللفظان الأول والأخير هما المعروفان في الأكثر... والأصغر يقال له (مغول) وأحياناً يلفظ في التواريخ العربية (مغل) فقسم النجه خان ملكه بين ولديه المذكورين. وعلى هذا القول أن منشأ انقسام الترك يبتدىء من هذين. والظاهر أن قدم الانفصال بين هذين القومين المنتسبين إلى فصيلة الترك أدى إلى هذا القول. ويحكى أنهما عاشا لمدة عيشة هادئة. فلم يتنافرا ولا حصل بينهما خصام. ويلاحظ أن التباعد والافتراق لمدة طويلة هو الذي أدى إلى اختلاف في اللغتين أو بالتعبير الأصح أن كل قبيلة منهما يظن أنها انفصلت عن الأخرى من مدة طويلة بحيث تباعدت الواحدة عن الثانية ولا كبعد العبرية عن العربية أو السريانية عنهما كما أن الاشتراك ظاهر والأخوة النسبية من طريق اللغة والسحنات متوضحة ولذا نرى علماء العرب لا يسمونهم في الأكثر إلا بالتتر ويقولون (طاغية التتر) عن جنگيز وحكومة التتر ووقائع التتر... فلم يفرقوا بين التتر والمغول. وقد أشار في جامع التواريخ أن لغتهم في الأصل واحدة...

ولا ينكر أن اللغة تباعدت ولكنها أبعد مما بين تيمور ودمير أي التفاوت بين التركية الحديثة والتركية القديمة أو تركية الاستانة وتركية تركستان... أو هي قريبة منهما. فالمقاربة في الأصل اللغوي واضحة. فاللغة طورانية النجار وإن احتاج التفاهم إلى ترجمان. وكذا

يقال عن المسموع والمحفوظ أنهما أقارب...

التتر:

إن تتر خان حكم مدة طويلة ثم مات فخلفه أعقابه من نسله:

١ ـ ابنه بوقاخان. وهذا طال حكمه.

٢ ـ «يلنجه».

٣ ـ آدلي. وكان مشغولاً بالملاهي والملاذ.

٤ ـ «آتسز». قضى عمره بالصيد.

٥ ـ «اردو» سلك طريق والده.

٦ ـ «بايدو».

ويحكون أنه إلى زمن بايدو لم يقع ما يكدر الصفو والألفة بين المغول والتتر أو يشوش بينهما. فكان كل منهما حاكماً في جهته. ولكن (بايدو) المذكور كان شاباً طائشاً لا يفكر في عواقب الأمور. وفيه خفة وتسرع. ففتح حرباً بينه وبين المغول وهاجم مملكتهم. وقد هلك هو في هذه الحرب.

ثم خلفه ابنه سوينج خان. وفي زمنه استعرت نيران الحروب لدرجة أنها ولدت اعتقاداً مؤداه أن مياه جيحون لو صبت عليها لما أطفأتها. وفي كل هذه الحروب والمقارعات كان النصر حليف المغول. وكان سوينج خان معاصراً لإيلخان المغولي. وقد تغلب المغول على التتر في زمنه فاستعان بقرغيز خان ودامت الحرب عشرة أيام. وفي هذه كانت الغلبة لجهة المغول...

ثم تداولوا في الأمر فأصبحوا وقد تركوا مواشيهم وأثقالهم خدعة وفروا. فطمع اعداؤهم وظنوا أنهم هربوا فتابعوهم في هزيمتهم وتقدموا نحوهم. ولكنهم لم يشعروا إلا وقد رجعوا عليهم وعادوا الكرة. وكان

الأمر مدبراً ليلاً فنكلوا بهم واستولوا على خيامهم ولم يدعوا منهم كبيراً إلا قتلوه ولا صغيراً ولا امرأة إلا اسروهما. ومن ذلك الحين قضي على المغول. وانهزم من بقي فأخذوا بعض المواشي معهم وذهبوا وراء الجبل بحيث لا يصل إليهم احد. وأضاعوا الطريق (المضيق) فلم يتيسر لهم العودة إذ إنه كان لا يمكن لأحد المرور منه إلا منفرداً كما يأتي فبقوا هناك تائهين نحو أربعمائة سنة تكاثروا في خلالها وتيسر لهم الخروج فخرجوا وحاربوا التتر فتغلبوا عليهم وأخذوا بثأرهم ومحوا الكثير من قبائل التتر كما أن بعض قبائل التتر لحقت بهم وصارت تعد منهم مع أنها خارجة عنهم وصار الكل بمثابة قبيلة واحدة للائتلاف الحاصل. وسيأتي في بحث المغول الكلام عن حروبهم.

وفي هذا الأوان سكن التتر قرب جورجيت. وهي أراضي واسعة وفيها المدن والقرى حتى مشى عليهم أوغوزخان واستظهر عليهم. وقد اشتهروا باسم (تتر) قديماً. وكانوا عدة قبائل وكل قبيلة تعيش مستقلة عن الأخرى. وأهم قبائلهم يقطن قرب الخطا (خيتاي) في الأماكن المسماة (بويور - ناور). وهم تابعون لسلاطين خيتاي. وأحياناً يعصون عليهم. وقد هاجموهم مرة بجيش جرار فأخضعوهم.

وأكثر هذه القبائل تقيم قرب نهر آنقارا موران على شواطئه. ولهم مدن في تلك الأنحاء وقرى عدا سكنى البادية.

ومن قبائلهم:

١ - أويرات. وهذه أطاعت لجنكيز.

٢ - بولغاچين

٣ - كيره موجين كانتا متنافرتين وهما قريبتان من القرغز وقد دخلتا في طاعة جنكيز.

٤ ـ لوله نكون.

٥ ـ أوراسوت.

٦ ـ كدره موچين.

٧ ـ نايمان.

٨ ـ كرايت.

٩ ـ أونغوت.

١٠ ـ خيتاي. وهؤلاء منهم السود انفصلوا من قومهم وذهبوا إلى قرغز ولكنهم سلبوهم أموالهم ففروا منهم ورحلوا إلى محل يقال له (ايميل) فبنوا مدناً وأقاموا هناك وتكاثروا حتى صاروا قبيلة كبيرة بلغت أربعين ألف بيت. ويقال إن هذه القبيلة هاجمتها قبيلة الجورجيت فدمرتها وحكمتها سنة ٥١٣هـ ففر من الخيتاي قبيلتان التحقنا بالقرغز.

١١ ـ توقاق. قبيلة لا يعرف أنها من أي قبيلة من قبائل الترك أي من نوع القبائل المتحيرة[١] عند العرب...

المغول:

المغول. ويقال لهم عند الغربيين مونغول ويلفظهم العرب (مغول ومغل) وجاءت في تواريخ كثيرة بهذين اللفظين والغالب يسمون بالمغول ويقال إن أصل هذه اللفظة مونغول أو (مونغ أول) فتغيرت على لسان العوام (مون) بمعنى الغم والغائلة و(أول) الرجل البسيط فيكون معناها البسيط المضطرب. ولا يعول على أمثال هذه التحليلات كثيراً[٢] أولهم

---

(١) هي القبائل التي لا يعرف بالتحقيق أصلها الذي ترجع إليه من قحطاني أو عدناني..».

(٢) شجرة الترك ص ١٧.

مغول خان. وآخرهم إيل خان. ويقال إن مغول خان استمرت حكومته طويلاً. ثم خلفه أكبر أولاده (قاراخان). وهذا حكم في جميع مملكته المسماة اليوم (أولوطاغ). وفي زمنه صار المغول جميعهم كفاراً حتى أنهم لم يكن فيهم من يعرف اللّٰه تعالى. ثم خلفه ابنه اوغوز خان.

اوغوز خان (نبي الترك)

وهذا ابن قاراخان من زوجته الكبيرة. أعطاه اللّٰه ما شاء من جمال. ويحكى عنه أنه بقي ثلاثة أيام بلياليها لا يرضع ثدي أمه. وكانت أمه في كل ليلة من هذه الليالي ترى رؤيا يدعوها فيها ابنها إلى الدين الحق وإلا فلا يمتص ثديها. أما أمه فإنها لم تعاند في مخالفة ابنها بل آمنت بوحدانية اللّٰه تعالى. ولذا أخذ يرضع ثديها. ولكن أمه لم تبح بسرها هذا لأحد.

والناس كانوا في السابق على (دين التوحيد) إلا أنهم اغتنوا أيام النجه خان فاستأسرتهم الثروة وأبطرهم الغنى فنسوا اللّٰه وصاروا كفاراً حتى أنهم بلغوا من ذلك أنهم إذا سمعوا بأحد أقاربهم قد اعتقد باللّٰه قتلوه في الحال.

ثم إن هؤلاء القوم كانوا قد اعتادوا أن لا يسموا المولود إلا بعد مضيّ سنة على ولادته، فما لم يحل الحول لا يدعونه باسم. وحينئذ أراد قاراخان أن يضع لابنه اسماً عند بلوغه الحول واتخذ له ضيافة أُذيع خبرها. فلما احتشد الجمع قال الأب يخاطب الحاضرين: «إن ابني بلغ عاماً كاملاً فماذا ترون أن أسميه؟!» وقبل أن يجيبوا ويبدوا رأيهم نطق الولد قائلاً «اسمي اوغوز» وحينئذ صاروا في حيرة مما سمعوا وشهدوا. قالوا: (لما كان الصبي اختار لنفسه هذا الاسم فلا يرجح عليه اسم آخر أحسن من هذا. فعرف بهذا الاسم. وقد أخذ العجب والاستغراب مأخذهما من الجماعة لما نطق به وهو في المهد. لذا تفاءلوا به خيراً

وأن يكون ذا دولة عظيمة وعمر طويل وحياة سعيدة هنيئة مع سعة ملك.

أما الصبي فإنه نطق (اللّه! اللّه) ولكن السامعين صرفوا ذلك إلى أن الصغير لا يعلم ما يقول، لأن لفظة الجلالة (اللّه) عربية ولم تكن معروفة لدى أحد من المغول. ومع هذا صاروا يعتقدون أنه خلق صالحاً وسيكون له شأن. ولذا جرى لفظ الجلالة على لسانه وقلبه.

ثم إن والده زوَّجه بابنة عمه (اوزخان). ولما خلا بها دعاها إلى القول بأن للخلق خالقاً هو اللّه وأن تعتقد به وأنه واحد، لا شريك له فلا تخرج عن أمره فلم تقبل. فهجرها ولم يتصل بها. فأعلموا أباه أنه لا يحبها وأنه لم يقربها من حين تزوجها إلى اليوم... فزوجه بابنة عمه الآخر وهو: (كوزخان) فحملها على الاعتقاد باللّه وأنه واحد أحد فلم توافق فترك مضجعها أيضاً...

وبعد سنة خرج للصيد. ولما رجع ووصل إلى شاطىء نهر هناك رأى نساءً كثيرات يغسلن أثواباً فرأى بينهن ابنة عمه (كورخان) فدعاها لجانبه وباح لها بسره بعد أن أخذ عليها المواثيق أن لا تفشي سره فآمنت بما آمن به ووافقته على طريقته...

ثم أن اوغوز خان أخبر أباه وطلب أن يعقد له عليها فأجرى احتفالاً عظيماً وتزوجها. مضت سنون وأعوام على تلك الحادثة. ثم إنه ذهب أوغوزخان إلى الصيد لمحل بعيد. فدعا قاراخان جميع زوجات ابنه فسألهن عن سبب حبه لزوجته الأخيرة دونهن فلم تقبل الوسطى أن تفشي أمره فتقدمت الكبرى وقالت إن ابنك يعتقد بإله واحد ويحاول أن يسوقنا إلى هذا المعتقد ويكرهنا عليه. فلم نقبل ذلك منه. ولذا يحبها دوننا.

وعلى هذا دعا قراخان اعيانه وأمراءه وعقد مجلساً (كنگاش) وتفاوض فكانت النتيجة أن قرروا لزوم القبض عليه في الصيد وأن يقتل.

فأعطى والده الأوامر الصارمة... لتنفيذ ما قرروا.

ولما سمعت زوجة اوغوز الصغرى بذلك بادرت بسرعة في ايصال الخبر إليه وإعلامه بما جرى فعرفته بالأمر. أما اوغوزخان فإنه طير الخبر إلى اعوانه وأعلمهم بما عزم عليه والده من أنه يريد قتله وقال لهم: من كان يحبني فليتبعني ومن اختار أبي فليلتحق به. وقد تبع القسم الأكبر أباه ولم يبق معه إلا القليل. ولكن لحق به أكثر ابناء اعمامه مما لم يخطر ببال أحد فسماهم (اويغور) أي المؤتلفين معه (الأنصار والأعوان). ومعنى ذلك أنهم صاروا ألصق الناس به وأكثرهم تفادياً في سبيله.

وحينما اشتبكوا في القتال كان النصر حليف اوغوزخان وقد فر خصومه. وفي أثناء الحرب أصاب قاراخان والد اوغوزخان سهم طائش فأرداه قتيلاً. وحينئذ جلس اوغوزخان على تخت أبيه.

وإثر ذلك دعا قومه إلى الدين الحق فمن دخل في دينه نجا ومن تخلف حارَبَهُ وأسر أولاده. وكانت قبائل أخرى لأمراء آخرين تتجمع عليه فمن تبعه سلم ومن ناوأه التحق بأولئك. فصار يضايقهم ويقاتلهم سنة بعد سنة فيظفر بقسم منهم كل حين إلى أن استولى على الكل.

إن الذين لم يدينوا بدينه فروا إلى التتر ولجأوا إليهم. وكان التتر آنئذ يسكنون قرب جورجيت كما تقدم فقاتلهم اوغوزخان فكان النصر حليفه. فحصل على غنائم تفوق الحصر حتى أنه لم يجد من الدواب ما يحملها فاتخذ بعض رجاله العربة وتسمى (قانق). وللآن تسمى القبيلة التي اخترعتها بقبيلة (قانقلي).

إن اوغوزخان كافح لمدة طويلة حتى أطاعه الجميع من التتر. وكذا اكتسح الأقوام المجاورة كالأفغان والغور ولم يغلب إلاّ في جهة الهند. وبعد نحو ١٧ سنة أعاد الكرة عليهم فانتصر وقتل ملكهم

(ايت باراق) واستولى على مملكتهم.

ثم إنه أرسل قائده المسمى (قبچاق) إلى الروس والأولاح والمجر فأذعنوا له. وأما من لم يذعن للدين الحق منهم فقد قتله وأسر النساء والأطفال. ولا تزال الأماكن التي استولوا عليها تسمى صحراء قبچاق (دشت قيپچاق) ولا يوجد فيها أحد غيرهم.

وكذا حارب تركستان (التتر) فضبط سمرقند وبخارا وسيرام وبلخ وعين لها ولاة كما أنه ضبط غور وبعدها استولى على كابل وغزنة. وتقدم إلى الهند فضبط كشمير وغنم غنائم وفيرة جداً وعاد إلى وطنه مغولستان.

وبعد سنة تأهب لحرب ايران فأصابه عناء من جراء ذلك لضياعه الطريق. وفي هذه الأثناء لم يحكم ايران (شاه كبير) إذ كان (كيومرث) قد توفي ولحد ذلك التاريخ لم يتخذ هوشنك ملكاً.

أما العرب فكانوا طوائف وقبائل لكل قبيلة أو عشيرة رئيس لا تعرف سواه ولا جامعة هناك تجمع القبائل وتوحد بينها ولما كانت حال ايران بهذا الوضع استولى اوغوزخان على خراسان ثم على العراق وآذربيجان وارمينية والشام ومصر. وقد اكتسح بعض هذه الممالك حرباً والقسم الآخر اذعن له بلا جدال ولا حرب وعين ولاة يقال لهم (داروغا) وهؤلاء ضباط عسكريون أوما يسمى اليوم (بالحاكم العسكري).

ولما حصل على هذا الظفر عاد لمملكته بسرور واحتفال عظيمين لا مزيد عليهما. وقد وسعوا ذلك أيضاً ببعض الخرافات بل إن هذه الوقائع مما يعد وقوعها من شخص أو قوم إلا شذوذاً...

ويحكى أنه كان لأوغوزخان ستة أولاد وزع عليهم ممالك ومدنًا ونصحهم بنصائح نافعة. وبعد أن حكم ١١٦ سنة [لعل هذه السنين أقل

من سنتنا المعروفة وعلى كل حال فيها نظر] توفي. وكان وزيره ووكيله ابرقيل خوجا من اويغور. وكان عالماً عاقلاً ومدبراً. عمر طويلاً وبقي وزيره مدة حياته. وعلى كل حال لا يخلو عصره من اساطير. بل هو مملوء بها وقد عده بعض المؤرخين من الاشخاص الخياليين وأنه لا وجود له. ولعل وجوده يصادف زمن السمريين والعيلاميين ويقال عنه إنه هو الذي ألف مجلس الشورى المسمى (قورلتاي) وكان بمقام مجلس الأمة أي أنه لم يكن من اختراع جنگيز. وهو الذي جعل الأمة ضباطاً (نوكر) (وجنداً).

ثم خلفه ابنه گون خان:

وهذا لم يخالف الوزير المذكور وأبان له أنه موافق على كل ما يراه حسناً. وكان يذكر وصايا أبيه بأن لا يخالف إخوته وأن الخلاف مدمر الممالك وموجب لضياعها واستيلاء الأجانب عليها. وبناء على وصية الوزير فرّق الأموال والذهب الموروث على إخوته. وحكم هذا ٧٠ سنة (كذا).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثم خلفه أخوه (آي خان) وكان عالماً عدلاً وحكمه صارم مشى على نصائح أبيه ووزيره. ثم حكم حفيده ييلديز خان وهو خير ملك. وبعده ابنه منكلي خان وكان ملكاً فاضلاً وقد خلفه (دكزخان) (وهذا جد السلجوقيين). حكم كثيراً وعمر طويلاً. وقد أعطى في حياته الملك إلى ابنه (ايلخان) لما رأى نفسه قد طعن في السن ولم يطق القيام بأعباء الملك فقضى بقية أيامه في العبادة والطاعة.

إن ايلخان هذا كان معاصراً إلى (سوينج خان) الملك التاسع من ملوك التتر فحدث بينهما الحرب والنضال العنيفان فكان النصر حليف ايلخان. وحينئذ استعان سوينج خان بقرغز خان فأعانه كما تقدم واتخذ خدعة حربية بأن فر من أمامه حتى أخرجه من الحصار بإظهار أنه كسر

فعاد الكرة ودمرهم واستولى على مواطنهم وخيامهم ولم يدعوا كبيراً إلا قتلوه وأسروا صغارهم وسبوا نساءهم ومن ذلك الحين قضى على المغول.

وإثر هذه الوقعة رجع ايلخان إلى وطنه وقد قتل ابناؤه وبقي أصغرهم وهو (قيان) وكان تزوج في هذه السنة. وكذا كان تزوج ابن بنته وهو (نكون) ففر هؤلاء مع نسائهما وأخذا معهما بعض المواشي من بقر وغنم وإبل وخيل ولجأوا إلى محل بعيد وراء الجبل المسمى (أركنه قوي)[١].

وقد تكررت في تواريخ عديدة بهذه الصورة. وقال في لغة جغتاي: «اسم جبل في تركستان كان سكنه قيان دنكوز، وسد بابه سونج خان. ثم فتح هذا السد وانتشروا في العالم» أي انهم تاهو في هذا الجبل مدّة كبني اسمائيل في ارض التيه ثم ظهروا.. وجاء في (ترك بيو گلري) تفصيلات اساطيرية، وحكايات خرافية عنه، وحلل صاحب الكتاب المذكور لفظها إلى معان كلها لا تتجاوز الحدس والتخمين.. ولكنه ضبط اللفظ بالوجه المشروع فلم يبق محل للتردد فيه[٢].

تكاثروا هناك ولم يصلهم أحد فأضاعوا الطريق (تاهوا) وكان لا يسع أكثر من واحد فعاشوا وراءه بأرض خصبة واسعة. وبعد اربعمائة سنة أقاموها وتكاثروا خلالها اتخذوا طريقاً للخروج. وحينئذ حاربوا التتر فانتصروا عليهم وأخذوا بثأرهم ومحوا من عصاهم من التتر وأطاع الباقون. فصارت طوائف المغول هي الغالبة حتى أن بعض القبائل التترية التي لحقت بهم وعاشت معهم عادت تعتبر منهم وإن كانت خارجة عن جذمهم كما مرّ.

---

(١) وفي تلفيق الأخبار جاء بلفظ «اركنة قون».
(٢) ترك بيوكلري ص ٣٨ وما يليها. ولغة جغتاي ص ١٠ وفي الملحق تعليق: وردت بلفظ اركنة قوي، والأكثر ارگنه قون، وهو الصواب.

المغول الثانية:

إن قبائل المغول هذه تكونت في اركنة قون. لأن قييان بن أيل خان وابن اخته (نكون) تكاثروا هناك فصار يسمى أولاد قييان باسمه وأولاد نكون باسم (دورلگن) أو (دورليگن).

ومن هاتين القبيلتين تفرعت قبائل فأهمل اسمهما الأصلي. فمن قبيلة قييان تفرعت طائفة (قورلاس) وهي الأكثر نفوساً. وبيدها كانت السلطة والرياسة فهي منها الأمراء. ولكن لم يعرف اسماء رؤسائهم أو امرائهم أو كما يقولون (خاناتهم) ومن هذه الطائفة يقصون أن قد ظهرت امرأة تدعى (الانقووا) قد ولدت ثلاثة بنين اثنين منهم من زوجها الأول قبل أن يتوفى والآخر ولدته دون أن يتصل بها امرؤ. وسيأتي تفصيل الخبر عند ذكر ملوكهم في هذا الزمن.

كبر هؤلاء وتكاثر نسلهم ومن الابن الأخير تكونت طائفة يقال لها (نيرون) ومعناه النسل الطاهر. وسبب تسميتهم أن المغول يعتقدون أنهم خلقوا من نور.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

إن جد جنگيزخان الثالث من هذه الفرقة وهو (قابول خان) قد ولد له ستة بنين كلهم اشتهروا بالشجاعة والبطولة. وصاروا يسمون (قييات) ومعناه السيول المنحدرة من الجبال.

وكان أكبر أولاد قابول خان (نارتان خان) وابنه يسمى (يه سو كه ي بهادرخان) وهو والد جنگيزخان وقد ولد اشهل العيون. ويقال له في لغتهم (بورجاغين) ولذا يقول جنگيزخان نحن نسل بورجاغين يه سوكه ي بهادر. وبهذه الصورة تجدد اسم قييات (جمع قييان) فصار يطلق على أولاد قابول خان فتكررت التسمية به.

وليس في الوسع احصاء قبائل المغول وتعدادهم كما يقول صاحب شجرة الترك وأشهرهم:

١ ـ مركيت أو مكريت. وهذه حاربت جنگيزخان وتغلبت عليه وقد اسرته مرة ثم اطلقته بفداء.

٢ ـ ايكراس.

٣ ـ آلقنوت، وهما أخوان. فصار كل منهما جد قبيلة. وإن أم جنگيز منهم.

٤ ـ قارنوت.

٥ ـ قورلاس.
٦ ـ ايلجيگن
ـ هما أخوان فصارا لقب قبيلتين.

٧ ـ اورماووت. ويقال لها اويماووت. ومن هذه تفرعت قبيلة (قونقومار) سميت باسم أحد افرادها وكان يلقب بهذا اللقب ومعناه كبير الأنف. ومن هذه القبيلة تولد (مينكيليك ايچيگه). واللفظ الأول من هذه الكلمة وصفه أبوه به والثاني يعني الجد وهو دليل الاحترام. كان زوج أم جنگيز. وسيأتي الكلام عنه.

٨ ـ ارلات.

٩ ـ باداي.

١٠ ـ قيشاق هذان أخوان فصار كل منهما لقب طائفة. ومما يحكى عن أحدهما (باداي) أنه كان يرعى قطعان سيده (بيكه) أحد بيكات أونغ خان وكان هذا قد اكتشف اغتيالاً دبر على جنگيز فأخبره به هو وأخوه دون أن يشعر احد فنالا مكانة عنده وحصلا على امتياز ولقب (ترخان).

١١ ـ اويشان.

١٢ ـ سولدوس. اوسلدوز والنسبة إليه سلدوزي[1].

---

(١) الظاهر أن أمراء اللّر من هؤلاء أو انهم حلوا في الموقع المسمى باسمهم فكان من سكانه ولاة اللّر وأمراؤهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٣ ـ ايلدور كيت.

١٤ ـ كيتكيتلر.

١٥ ـ دوريان.

١٦ ـ بارين.

١٧ ـ سوقوت (أولاد الخادمة).

١٨ ـ كورلوت.

١٩ ـ بارقوت.

٢٠ ـ جويرات (جاجيرات).

٢١ ـ بابا اوت. ولها فروع كثيرة جداً.

٢٢ ـ جلاير. وهذه قبيلة قديمة، ونفوسها كثيرة فلما تحاربوا مع الخيتاي اجتمعوا وكونوا نفوساً وفيرة. فصارت خيامهم ٧٠ (كورن) و[الكورن ألف خيمة]. ولهم شعب كثيرة وكل واحدة مستقلة عن الأخرى. ففي بعض الأيام هاجمهم الخيتاي على حين غفلة فأنزلوا عليهم ضربة قاضية وأسروا الباقين منهم. ولم يبق منهم إلا قبيلة (چابولغان). وهذه عاشت عيشة بدوية وعلى البصل البري.

ففي هذا الأوان قد مات الجد السابع لجنگيزخان «دوتومينين». وكان له تسعة أولاد وأمهم «مونولون» وأكبر الأولاد قايدوخان. وهذا خطب بنتاً فكان ذاهباً إلى صهره وقرب دار أبي الأولاد صحراء واسعة كان يتطارد فيها أولاده ويصيدون فيلعبون على ظهور الخيل. ولهذه الأرض بصل بري كثير.

أما القبيلة المسماة چابولغان فإنها اصابتها مجاعة فحفرت الأرض وأكلت بصلها فصارت الأرض لا تصلح للطراد فشكوا ذلك لأمهم

فغضبت من ذلك وركبت فرسها فرأتهم يحفرون فأمرت بضربهم. وحينئذ اجتمع الجلاير فصارت معركة قوية قتل فيها منهم بضعة أشخاص أما من الجهة الأخرى فقتلت أمهم مونولون مع قسم من خدمها. وعلى هذا هاجم الجلاير خيامها ونهبوها. وقد وصل إلى يدهم ثمانية من أولادها فقتلوهم جميعاً ونهبوا ما عندهم، وغنموا غنائم كثيرة.

ولما عاد قايدوخان من صهره وسمع بما جرى... جمع أقاربه وقبائله وعساكره وأرسل إلى الجلاير يسألهم عن فعلتهم هذه. وحينئذ عدوا من اشتبك بهذه الوقعة فكانوا خمسمائة فأمسكوهم بنسائهم وأولادهم وسلموهم إلى قايدوخان ترضية له وقالوا له: «اصنع بهم ما شئت!».

وعلى هذا تشاور قايدوخان مع اقاربه وقبيلته فقال أحد الحضار: «إن دماءكم لا تكافأ بدماء هؤلاء. فالأولى أن تستخدموهم موالي لكم مدى بقاء نسلهم.». فاستصوب الجميع هذا الرأي وحسنوه فعمل بموجبه. فتكاثر نسلهم. وصاروا يسمون ابناء قيبان إذ كان معتاداً أن يسمى القن باسم سيده على حد ما هو معروف عندنا من القول المشهور (مولى القوم منهم).

وعندما حكم جنگيز وصار ملكاً عظيماً اتصل باقي الجلاير بهؤلاء وصاروا مثلهم يحملون اسم ابناء غلمان مغول قيبان. فبقوا خدماً له ولنسله إلى عشرة بطون أو أحد عشر بطناً. وكان يستخدم لكل (تورة) (ألف بيت) عشرة إلى عشرين من خيام الجلاير.

وأصل نسب الجلاير أنهم من نسل المغول من أولاد نكون من قبيلة (دور ليگين).

سلاطين المغول:

لما كان المغول في اركنة قون تكاثروا هناك ومن (قييان) و(نكون) تكونت عدة قبائل. وأكثر هذه الطوائف (قبيلة قورلاس). وهذه نصبت عليها اميراً (پادشاه) فصار يحكم عليها جميعها ولكنه لم يعلم اسمه. ولا عرف الملوك الذين خلفوه.

وحين خرجوا من اركنة قون كان ملوكهم بالتوالي:

١ ـ برته چينه.

٢ ـ قوي مارال.

٣ ـ بيچين قييان.

٤ ـ نيماج.

٥ ـ قيچي مه ركه ن.

٦ ـ قوجوم بورول.

٧ ـ بوكه بندون.

٨ ـ سام سائوجي.

٩ ـ فاليماجو.

١٠ ـ تيمور طاش.

١١ ـ مينكيلي هوجا.

١٢ ـ يولدوز.

فهؤلاء الأمراء (پادشاه) الواحد ابن الآخر. تعاقبوا بهذا الترتيب. ولهذا الأخير ولدان توفيا قبله، لأحدهما ابن اسمه (دو بون بايان). وللآخر بنت اسمها قووا فتزوج الولد من البنت. ولما توفي يلدوزخان خلفه:

١٣ ـ دو بون المذكور. وهذا قبل أن يصل إلى ٣٠ عاماً من العمر

توفي وله ولدان أحدهما وهو الكبير (بلكوداي) والصغير (بوكجه داي) ولا يتجاوز عمرهما السابعة والسادسة. وفي بعض النسخ يسمون (بولگونوت وبوكونوت).

وصاية الأم (الانقووا) وحكومتها:

ونظراً لصغر الولدين صارت أمهما وصياً عليهما. فزاولت شؤون القبيلة... متربصة أن يكبر أولادها ويتولوا الحكم. وفي خلال ذلك طلب منها إخوة زوجها وغيرهم أن يتزوجوها فلم تقبل معتذرة بأنها تدير أمور القبيلة إلى أن يبلغ ابناؤها أشدهم ولا ترغب بسوى ذلك. مضت بضع سنوات على ذلك ولكنها ـ كما يحكى ـ في ليلة وقت السحر رأت نوراً من أعلى الخيمة قد دخل عليها ثم تمثل لها بشراً سوياً أبيض الوجه أصفر الشعر أشهل العينين. فحاولت أن توقظ النساء حولها فتصيح إلا أنها أحست بأن لسانها قد أمسك وأرادت أن تنبه من حولها فترفسه برجلها فلم يتيسر لها ذلك ومع هذا كانت تملك عقلها. فتقرب منها ذلك النور واتصل بها ثم خرج لم تبين ذلك لأحد بل كتمته خشية أن لا تصدق. وبعد خمسة أيام أو ستة ظهر عليها ذلك الشخص ثم صار يتردد عليها فحملت منه من أول ليلة. ثم بعد بضعة أشهر ظهرت عليها علائم الحبل فسألوها عن السبب فقالت:

«لو أردت زوجاً لحصل بسهولة. وقد صرت أميرة برغبة القبيلة. ولكني لم أعدل أحداً بقومي ولا بأولادي. ولم آت امراً منكراً. وإنما جاء النور فتمثل لي رجلاً. وإذا أراد اللّه أن لا يخذلني ولا ينالني خجل فسوف تظهر قدرته وسترون الولد عند الولادة هذا وللّه الحكم».

فاعتقد حتى اعداؤها بصدق قولها. لأنهم يعلمون صحة لهجتها وأنها لا تكذب وأنها طاهرة الذيل. ثم إنهم شاهدوا النور يدخل خيمتها. فتحقق لهم صدق ما نطقت به.

وإن ابناء الانقووا:

١ ـ (بو ـ قوق ـ قاتاغين). وهو أكبرهم. ومن أولاده قبيلة تسمى بهذا الاسم.

٢ ـ (بوسقين جالجي). وبهذا الاسم قبيلة تنسب إليه.

٣ ـ (بودانجار موناق). وهذا صار خاناً عليهم.

١٣ ـ (بودانجار موناق) المذكور. فجنگيزخان وكثير من قبائل المغول من نسله وتنسب إليه. وإن القبائل التي تفرعت من هؤلاء الثلاثة يقال لها (نيرون) ومعناه الأطهار الأصل. لأن المغول يعتقدون أن هؤلاء ولدوا من نور. ولهذا ولدان (بوقا) وهو الأكبر و(توقا) وهو الأصغر وقد خلفه ابنه الأكبر:

١٤ ـ بوقا. ولم يعرف عن الصغير شيء. فلم يدر هل له ذرية أو ليس له. وأما الأكبر فخلفه:

١٥ ـ دوتوم ـ مه نين خان. ولهذا تسعة أولاد قتل الجلاير ثمانية منهم وبقي الأكبر فخلف أباه في الخانية وهو:

١٦ ـ قايدوخان. ولهذا ثلاثة أولاد. أكبرهم (باي سونقور) وأوسطهم (چار قا ـ له ن ـ قوم) ومنه تكونت قبيلة تايجوت. وقد تحارب (بارغو قايدي) من امراء هذه القبيلة مع جنگيز كثيراً. و(جاوچين) وهو الابن الثالث ومنه تفرعت قبيلتا چاجوت وايرته كين. وقد خلف قايدو في حكومته ابنه الأكبر:

١٧ ـ باي سونقور. وكان عاقلاً مدبراً وعادلاً. وقد تبعته قبائل كثيرة. ثم خلفه:

١٨ ـ تومه نه. وحكم هذا على جميع قبائل نيرون سنين عديدة. ونالت مملكته في أيامه ثراء وراحة. ولهذا تسعة أولاد تكون من كل منهم قبيلة أو قبيلتان فأكثر. وهؤلاء:

(أولهم) چاقسو وله ثلاثة أولاد: (نرتاقين) و(اوروت) و(مانقوت) فتفرعت منهم ثلاثة قبائل عرفت بهذه الأسماء.

(وثانيهم) ياريم شير بوقانجو صار جد قبيلة عرفت باسمه.

(وثالثهم) قاجولي ومنه تولد ابن اسمه (ايرومجي) أو ارده مجي بارولاس فقبيلة بارولاس منه. وأن (آقساق تيمور) من هذه القبيلة [ويقال له تاراغاي أوغلي تيمور، أمير تيمور، تيمور كوركان] ويعرف عندنا بتيمور لنك.

(ورابعهم) سام قاجون. وإن قبيلة ادور كين من نسله.

(وخامسهم) بات كه لكي. ومنه قبيلة بودات.

(وسادسهم) قابول خان. وأن جنگيزخان مع قبائل كثيرة من نسله.

(وسابعهم) اودوربايان. ومنه قبيلة كيقوم.

(وثامنهم) بولجا دوغلان. ومنه قبيلة دوغلات.

(وتاسعهم) چنتاي. ومنه قبيلة ييسوت. وهؤلاء مشهورون بالشجاعة ومنهم چبه چنتاي الذي أمره جنگيزخان بتعقيب سلطان محمد خوارزمشاه وأعطاه ثلاثين ألف مقاتل وهو الذي أسر أولاد خوارزمشاه وضبط خزائنه واكتسح جميع ايران وآذربيجان وكرجستان حتى وصل إلى داغستان والچركس وذلك في خلال أربع سنوات وعاد إلى جنگيز.

وبعد وفات الملك خلفه ابنه.

١٩ ـ قابول خان. وهذا له ستة أولاد خلفه منهم:

٢٠ ـ به رتان. ولهذا أربعة أولاد. ومن أولاده تكونت قبيلة قييان وقد خلفه ابنه:

٢١ ـ يسوكي. وله خمسة أولاد أكبرهم (جنگيزخان) وكان سماه



جندي مغولي

أبوه (ته موچين). ويقال لأولاد يسوكي ومن تناسل منهم بورجيكين قييان. لكونهم شهل العيون وبيضًا. وقد خلفه من أولاده ابنه الأكبر وهو جنگيزخان وبهذا انتهت (امارات المغول) وابتدأت (حكومتهم العظمى). ولذا أفردت بالبحث.

حكومة جنگيزخان

أوائل أيامه:

وضع له أبوه اسم (تموچين) وفي تحفة النظار: أنه كان حداداً بأرض الخطا وكان له كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم وغلب على بلده وقوي واشتدت شوكته واستفحل أمره فغلب على ملك الخطا ثم على ملك الصين وعظمت جيوشه وتغلب على بلاد الختن وكاشخر (كاشغر) والمالق وكان جلال الدين... خوارزمشاه له قوة وشوكة فهابه تنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له. ومثلها في غيرها[1]. ولما صار خاناً لقب (بجنگيزخان). ويقال له ولإخوته ولمن تناسل منهم قبيلة (بورجكين قييان) لكونهم بيض البشرة وشهل العيون. وهذا ما توسمته فيهم جدتهم العليا الانقووا في البطن التاسعة.

إن جنگيز ولد سنة الخنزير (٥٤٩ هجرية) في المغول في محل يقال له ييلون بيلدوق (ديلون بولداق). وكانت إحدى يديه وجدت مقبوضة على قطعة دم. وكان أحد الحضار في مجلس والده ـ حين تداولوا في غرابة ذلك ـ أبدى أن هذا يدل على أنه سيكون ملكاً عظيماً. وأبوه يسوكي بهادور. وقد مر القول عن أجداده سوى أن المغول يقفون

---

(١) ر: ج١ ص ٢٢٥.

عند الجد السابع ولا يعدون ما بعده. وفي المثل عند الترك في الاناضول إلى الآن يقال: [هو حداد من سابع ظهر] كما أن عندنا ما يشابه هذه العادة فإذا سب أحدنا الآخر يشتمه إلى [سابع ظهر].

ولما توفي يسوكي[1] (والده) كان له من العمر عشر سنوات وكان إخوته صغاراً وأن نسل بودانجار كلهم كانوا تابعين ليسوكي خان فيأخذ منهم العشر من أموالهم. وأن الأموال التي يؤخذ عليها العشر: هي الخيل والإبل والبقر والغنم. ومن عوائدهم أن الخان إذا مات وترك أولاداً ينصبون أحدهم. وأما الباقون فيختلطون بالأهلين فيكونون كأحدهم. وفي كل سنة يؤدون للخان فرساً أو بعيراً. ولكن هؤلاء إذا ماتوا وقد خلفهم أولادهم فحينئذ يؤدون العشر كسائر أفراد العشيرة بلا فرق.

فالذين يؤدون إلى يسوكي الخراج نحو ٣٠ أو ٤٠ ألف بيت. ولما مات وخلفه ابنه وكان صغيراً صار الناس لا يخشون بطشه. ولذا حلا المال بأعينهم وصار يصعب عليهم إعطاؤه ففروا منه ولم يبايعوه وذهبوا إلى مواطن بعيدة بقصد التخلص من القيود...

افترقت قبيلة أبيه بعد موته وهي من عشائر التايجوت وتبعثرت أمورها وانقسمت إلى فريقين أحدهما وهو ثلاثة أرباعها قد اتفق مع التايجوت والفريق الآخر بقي مع جنگيز. وأيضاً بقي معه من القبائل الأخرى البيت والبيتان والثلاثة أو الأربعة إلى الخمسة والباقون انفصلوا عنه فوقعت حروب دامية بين الفريقين وأما القبائل الأخرى فقد مالت إلى التايجوت.

إن أم جنگيزخان كانت تسمى اولون، وهي من قبيلة اولقنوت وكانت عاقلة مدبرة، وهذه إثر وفاة والده تزوجت من (مينكيليك) الملقب

---

(١) يلفظ «يه سوكه ي» أيضاً كما تقدم.

(ايچيكه)، وبهذه الوسيلة قد التحقت قبيلته المسماة (قونغ قومار) بجنگيزخان فصارت تابعة له، وهذا مما ساعد جنگيزخان كثيراً في نجاحه على مناوئيه وتسلطه عليهم...

محاربات جنگيز القبائلية:

ولما بلغ جنگيزخان ثلاث عشرة سنة من عمره حارب قبيلة تايجوت ونيرون اللتين من قبيلة والده في أكثر أحيانه حروباً وبيلة، وعديدة، فلم يظهر الغالب تماماً فكانت سجالاً بين الفريقين.

وفي سنة ٥٩٠ للهجرة (١١٩٣م) بلغ جنگيز الإحدى والأربعين سنة من عمره. وحينئذ اتحدت القبائل واتفقت على مقارعته والقضاء عليه...

وفي هذا الحين عرك الدهر بتجاربه فعرف حلوه ومره وحلب أشطره فمخض شؤونه وقد تمرن على الكفاح ونال مهارة، فلما سمع بالخبر جمع أمواله وقبائله. فكان معه في ذلك الوقت ١٣ قبيلة (أوروق)[1] فاتخذ ثلاثة عشر مقراً (كوران) لجيوشه على عدد قبائله وقرب الواحد من الآخر فجعلهم بشكل دائرة ووضع في وسط هذه الدائرة نفائس أمواله، وشد أحمالها، وأما الرديء والتافه من الأموال فقد وضعه خارج الفيالق...

ولما جاءته الأعداء أركب خيالته وجعلهم صفوفاً لمحافظة الكتائب والجيوش من الوراء. أما جنگيز فقد كان معه عشرة آلاف في حين أن أعداءه كانوا ثلاثين ألفاً فاشتبك القتال بين الطرفين ونالت الحرب شدة وقوة. فتغلب جنگيز على اعدائه وقد فقد من جيوشه خمسة آلاف إلى ستة آلاف.

أما الذين قبض عليهم من قبيلة تايجوت فقد أغلى لهم الماء

---

(١) ورد في جامع التواريخ بلفظ «أوروغ» «ر: ص ٦ منه».

بمراحل ورماهم فيه أحياءً فقتلهم بهذه الطريقة وأبقاهم حتى نضجوا. وحينئذ تقدم إلى مواطنهم فاستولى عليها وانتهب ما فيها من أموال واتخذ أبناء الرؤساء أسرى وموالي والباقين ألحقهم بقبيلته.

وبهذا النصر نال غلبة وقوة فاكتسح بعد هذه الوقعة جميع انحاء مغولستان. وهذه الحروب وإن كان غاية ما يقال عنها إنها قبائلية ولم تكن مقارعة حكومة بحكومة إلا أنها تعلق عليها أهمية كبرى أولاً من ناحية تمرنه على الحروب وممارسته لها وثانياً من حيث توحيد أمة المغول وتوجيهها نحو وجهة واحدة، معلقة به قلباً وقالباً. وتظهر نتائج هذه وأهميتها في غلبته على الأقوام الأخرى. وظهوره بمظهر فاتح...

حرب جنگيز مع ملك كرايت[1] وتغلبه عليه:

إن چاموقا چچن (ومعنى چچن العاقل المدبر) جاء يوماً إلى سنكون بن أونغ (أونك)[2] خان الكبير وقال له: إنكم تعرفون جنگيز صديقاً لكم. والحال أنه اتفق مع تايانك خان وبويوروق خان خفية لمحوك وأباك وإزالة أثركما. ولم يكن أحد واقفاً على أسرار جنگيز مثلي لأني من أقاربه وألصق الناس به خصوصاً أنا عشنا سويّة...

وبتأثير من قوله هذا حدثت منافرة بين المتجاورين كرايت ونايمان واشتد العداء بينهما فالكل اعتقدوا بصحة ما قاله چچن إلا أن الأب قال لابنه: «أن يسوكي، وابنه جنگيز، قد صنعا جميلاً معنا فإذا لم يتجاوزوا علينا فلا نقدر أن نعتدي عليهما وإن چاموقا چچن كثير الكلام ومفسد. فلا أعتقد بكلامه ولا أشتري عداوة صديقي ومن له لطف علي فليس ذلك مني بصحيح».

---

(١) ورد في ابن العبري بلفظ كريت.

(٢) ورد بهذا اللفظ في الكتب العربية «أبو الفداء. وابن العبري».

وسبب الصداقة القديمة هو أن قبيلة كرايت كان يملكها (مارغوزخان). ولهذا ابنان (قوجاقور) و(كور). ولما مات أبوهما اقتسما المملكة بينهما. وكان لقوجاقور خسمة أولاد أونغ خان (اونك)، وأركه قارا، وباي تيمور، وما ميشاي، وجاكه مبو. ولما مات أبوهم لم يقسم في حياته الملك بينهم فصارا اونغ خان مع جاكه مبو في جهة واركه قارا مع باقي أخويه في جهة أخرى فتحارب الفريقان، فتغلب اونغ خان فاضطر اركه قارا على الفرار والتجأ إلى نايمان فأمده. وعلى هذا تمكن من الوقيعة باعدائه «أخوته» وحلوله محلهم. أما اونغ خان فأنه التجأ إلى يسوكي وهذا هاجم اركه قارا فهزمه وأقام أونغ مقام أبيه. ثم أن اركه قارا التجأ إلى عمه كورخان وأراد أن يتوسط الأمر صلحاً فلم يقبل اونغ خان ولذا مشى عليه عمه وتحارب معه وفي هذه المرة أعانه يسوكي أيضاً بعد أن ذهب عنه جميع من معه والتحقوا بأخيه فتغلب على الكل وقتل أخاه واستقل بالخانية ومن ذلك الحين لم يطرأ على دولته خلل بل زادت وتكاملت بمرور الأيام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

والحاصل أن اونغ خان نسي هذاالجميل مؤخراً وهو الذي دبر قتل جنگيزخان بحيلة وذلك أنه أعطاه ابنته فدعاه إلى بيته بأمل أن يأتيه فيقتله وكان اسم بنته چاأور بيكي، ودعا جنگيز بواسطة «بوقداي قونجات» ويسمون الداعي «چاقيرنا»، وكانت البيوت متقاربة. أما چنكز فانه كان غافلاً عما دبروه من الحيلة للوقيعة به، ولذا أخذ معه أثنين من أعوانه وخرج للذهاب إلى بيت اونغ خان. ولكن صادفه في طريقه (مينكيليك ايچيكه) وهذا أطلع جنگيز على الحيلة وما ينويه اونغ خان. ولهذا عاد جنگيز وأبدى أن فرسه متعب ولا يستطيع الذهاب. وأنه بعد أيام سيرسل خبراً بذلك معتذراً عن حسن معاملته.

وبعد بضعة أيام جاء إلى جنگيز شابان اسم الكبير منهما (باداي) والآخر (قيشاق) فأخبرا جنگيزخان أن (بوكه چه ران) الذي يرعيان بقره

حينما جاء كبيرهما بحليب إلى بيته وقبل أن يدخل سمعه يكلم زوجته أن بوقداي حينما عاد من جنگيز عقد الخان مجلس شورى (كنكاش) والظاهر أن جنگيز اطلع على الحيلة ولذا لم نتمكن من الوقيعة به. فليلة غد نركب خيولنا ونخرج وقت السحر وسنفاجئهم على غرة... ولما سمعت هذا القول منه قدمت لهم الحليب ورجعت تواً إليك لأخبرك بما جرى.» اهـ.

ولما سمع جنگيز بهذا الخبر أرسل على أفراد قبيلته وأمر أن يرحلوا إلى عين بالجونا وأرسل رجاله إلى هناك وبقي أعوانه المسلحون معه. وكانوا كلهم ٢٥٠٠ رجل فانتظروا الليل كله وأعنة خيولهم بأيديهم وتأهبوا للطوارىء يتربصون الوقت المنتظر للهجوم. وقبل أن ترتفع الشمس[١] نحو رمح أو رمحين جاءهم الأعداء وكانوا اثني عشر ألفاً فتقارعا.

ثم إن جنگيز تشاور مع قو يولدار چچن رئيس قبيلة مانقوت فأبدى له أنه بقبيلته يهاجم الأعداء ويركز علمه (توغه) وراء الأعداء وأن يلازم جنگيز الجبهة ويهاجم من ناحيتها وعلى هذا هاجم قو يولدار من الخلف وصال جنگيز من الأمام.

أما الكرايت فإنهم هاجموا بجماعاتهم ثلاث هجومات وفي الرابعة هاجم (سنكون) ابن اونغ خان فاخترق صفوف المغول ولكنه في هذه الأثناء جرح في وجهه. وهذا ما دعا أن يقتل من الكرايت كثيرون وينسحب الباقون لما نالهم من الجروح.

وبعد هذا النصر قال جنگيز: «إننا لو بقينا في مواطننا تضررنا.

---

(١) في ابن العبري هاجمهم العدو وقت السحر «ر: ص ٣٩٤».

لأن الكرايت سوف يأتيهم مدد كبير. فينبغي أن ننسحب بانتظام إلى المواطن التي فيها رحالنا». وعلى هذا تركوا الأعداء في مواقعهم ورحلوا لمكانهم الأول. أما الأعداء فإنهم كانوا قد ذهبت منهم ضايعات كثيرة. فلم يستطيعوا اللحاق بالجيش وتعقب أثره فبقوا في مواطنهم.

وصل جنگيز ومن معه إلى عين (بالجونا) [بالجونا بولاق] حيث كانت رحالهم، ولكن لم يكن هناك من الماء ما يكفي لسد حاجتهم فرحلوا منه إلى ساحل نهر قولا فأقاموا فيه ونزلوا على طول النهر قليلاً.

وهناك صادفوا قبيلة قونقرات، وحينئذ بعثوا إليهم خبراً بأننا جئنا إلى هنا فإن كنتم حرباً معنا ـ رغم أننا لم تكن بيننا وبينكم أمور تستوجب ذلك ـ فبينوا رأيكم وصارحونا، وإن كنتم سلماً معنا فعرفونا الصحيح. وعلى هذا وافى الرؤساء إليه وأبدوا الطاعة وبايعوا جنگيزخان، ثم إن جنگيزخان رحل من هناك أيضاً وترك نهر قولا وتوجه نحو نهر تونقانور فجاؤوا إلى ساحله وحلوا به فنزلوا فيه براحة وطمأنينة.

ثم إن جنگيزخان أرسل سفيراً إلى اونك (اونغ) خان ملك كرايت مذكراً له بالحقوق القديمة وهذا أحال الأمر إلى ابنه سنكون فأجابه أننا سوف نصطدم وسيجعل اللّه الفوز لواحد منا ولا جواب لنا غير ذلك، ومع هذا كرر جنگيز إرسال السفراء لعدة مرات وكلفهم بالصلح فلم يوافقوا. ولما لم يبق له أمل في الصلح هاجم اونك (اونغ) خان فكانت المعركة قوية ودامية جداً فتغلب فيها جنگيز، وإن اونغ خان وابنه سنكون فَرَّ كلٌّ منهما لجهة مع بضعة أفراد، فتمكن جنگيز من الاستيلاء على أموالهم ومواشيهم ومزارعهم، وكانت الغنائم وافرة جداً.

وكانت وجهة اونغ خان الهزيمة إلى ملك نايمان وهو تيانغ خان، ولكنه حينما وصل إلى قريب من هناك صادفه بعض الأمراء وهما

قوروسوماجو وتانيكا فهؤلاء حاذروا أن يأتوا به إلى ملكهم فيغضب عليهم نظراً للعداء السابق بينه وبينهم فقتلوه وقدموا رأسه إلى خانهم (تيانغ خان) المذكور، وكذا من كان معه، فلما جاؤوا برأسه غضب وأسف لقتل ملك عظيم مثل أونغ.

أما سنكون فإنه ذهب إلى تيبت وبقي هناك بضع سنوات، وقد حاول التيبتيون مرة قتله فعلم بذلك وهرب إلى خوتان (ختن)، وهناك كان الملك (قليج قارا) ملك قبيلة قالاج في ختن فألقى القبض عليه وقتله، وأرسل رأسه مع عائلته وصغاره من أولاد وغيرهم إلى جنگيزخان[1].

وقد أشار في تاريخ العبري في وقائع سنة ٥٩٩هـ ١٢٠٣م إلى هذه الوقائع بين ملك كرايت أونك خان (اونغ خان) وبين تموچين (قبل أن يتسمى جنگيز)، وقال عن الكرايت إنها تدين بالنصرانية وإن تموچين كان في خدمته وهو من قبيلة أخرى وقد ابرز من سن الطفولية إلى أن بلغ حدّ الرجولية بأساً وقهراً للأعداء فحسده الأقران وسعوا به إلى اونك خان، وما زالوا يغتابونه حتى اتهمه وتغيرت نيته وهم باعتقاله والقبض عليه فانضم إليه غلامان من خدم أونك خان فأعلماه القضية وعينا له الليلة التي يريد فيها اونك خان اغتياله وكبسه وفي الحال أمر تموچين أهله بإخلاء البيوت وكمن هو ورجاله بالقرب منها فلما هاجم اونك خان وأصحابه البيوت لقيها خالية من الرجال وكر عليه تموچين وأصحابه من الكمين وأوقعوا بهم وهزموهم، وبعد هذه حاربوه مرتين حتى قتلوه وأبطاله وسبوا ذراريه[2].

وفي ابن العبري أيضاً أنه «أنعم على ذينك الغلامين وذريتهما بأن

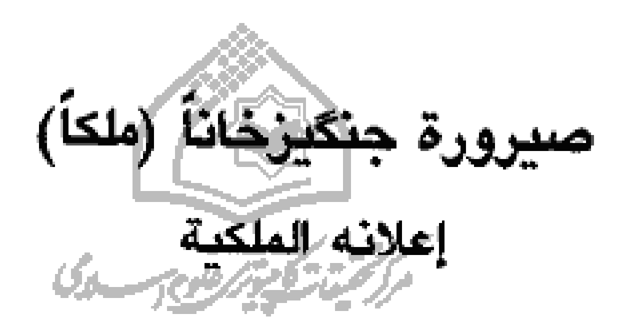
---

(١) شجرة الترك ص ٨٤.

(٢) ابن العبري ص ٣٩٤.

جعلهم (ترخانية) والترخان هو الحر الذي لا يكلف بشيء من الحقوق السلطانية ويكون ما يغنم من الغزوات له مطلقاً لا يؤخذ منه نصيب للملك وزاد لهؤلاء أن يدخلوا على الملوك بغير إذن ولا يعاقبوا على ذنب إلى تسعة ذنوب» وذلك حينما انتصر على الأقوام وعلا شأنه[1].

وعلى كل حال إن مصادرنا القديمة أخذت الوقائع بصورة موجزة كما تقدم في أبي الفداء والعبري فلم تبين حقيقة الوضع، ومن هذا القبيل الوقائع التالية الموجودة في تاريخ العبري وسائر التواريخ إلى أيام مقارعتهم مع المسلمين. . . ولكن يقطع بالصحة من حيث الأساس رغم الاختصار، ورغم الغلط في الإعلام سواء من النساخ أو من التلقي لبعد الاتصال، أو صعوبة التلفظ ببعض الأعلام. . .



صيرورة جنگيزخاناً (ملكاً)

إعلانه الملكية

اعلانه السلطنة ووجه تسميته بجنگيز:

في هذه الحروب والانتصارات حصل جنگيزخان على ملك عظيم، ولكن مع هذا كانت هناك قبائل أخرى لا تزال غير منقادة له خصوصاً القبائل ذات الحول والطول منها. فلم يلتفت لمخالفة هؤلاء وأعلن خانيته (ملوكيته) سنة ٥٩٩هـ اي في تلك السنة (١٢٠٣م) التي تغلب بها على كرايت. وكان عمره آنئذ ٤٩ عاماً وذلك في محل يقال له [نيمان كهره].

وحينئذ أجري له احتفال عظيم بأبهة وزينة لا مثيل لهما، وقد جاء

(١) ر. ص ٣٩٥.

[كوكجه] ابن مينكليك ايچيگه الذي هو من قبيلة [قونقامار]. وهذا يدعوه الناس (صنم اللّه) (تكري[1] بتي) فقال لجنگيز: «أمرت من جانب اللّه تعالى أن آتيك وأنبئك وسائر الناس بأن لا يدعوك تموچين. وليكن اسمك جنگيز[2] وأن اللّه أعطاك كافة أقطار الأرض». [وچنيك مفرد چنكز بمعنى العظيم أو القهار أو الفظ القاسي]. وكان كوكجة هذا يتجول في البراري والجبال من أرض المغول وفي شتائها القارس حافياً عارياً ويغيب أياماً ثم يأتي وكان يقول إنه يأتيه فرس أدهم من الغيب فيركبه ويسري به إلى السماء فيكلمه اللّه هناك ثم يرجع» وقد تفاءل تموچين خيراً بهذه التسمية فلم يعدل عن قوله. ومثل هذه القصة ما جاء في ابن العبري ولكنها غير واضحة بهذه الصورة: (ص ٣٩٤: ٣٩٥).

أعماله التالية لإعلانه الاستقلال:

وحينئذ أرسل الرسل إلى جميع شعوب الترك فمن أطاعه وتبعه نجا ومن خالفه خذل وذل (ص ٣٩٥ العبري). وإن أول من عارضه (تيانك خان) [تيانغ] ففي سنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) حاربه وكانت من أعظم الحروب التي صادفت جنگيز وكان هولها خطيراً.

وهذه المحاربة الدموية طالت من وقت السحر إلى الغروب جرح فيها تايانك (تيانغ) وكسر جيشه وقد فر مجروحاً فمات في الطريق فانتصر عليهم جنگيز وتغلب بصورة باهرة وذلك لأن جنگيز علم بتأهبه من رئيس قبيلة اونغوت التي كتب لها أن لا تتابع جنگيز وهذه أخبرته،

---

(١) وفي ابن العبري تبت تنكري وهو غلط وصحيحه ما ذكر في الأصل كأنه أراد أن يقلب الإضافة ويبقى الاسماء بحالها...

(٢) ولفظه ابن بطوطة «تنگيز خان» بالتاء ولعله أخذه عن التلفظ وشيوعه بهذه الصورة وقد شاعت اسماء أمراء بهذا اللفظ «تنكيز» في أنحاء سورية ولكن التواريخ العربية نطقت به خاصة بما تقدم... «ر: ص ٢٢٤ ج١ تحفة النظار».

وأما ابنه وهو (كوچلو)[1] فقد سلم وذهب إلى عمه الأكبر بويروق خان.

وهذه الفتن والأحوال الحربية كان منشأها وسببها الوحيد چاموقا چچن المار الذكر فإنه أوهم اونك خان حتى وقع فيما وقع وفي هذه المرة أهلك تيانك خان (تيانغ) ولذا اتفق الجويرات فألقوا القبض عليه وسلموه إلى جنگيزخان خلاصاً من شره فقتله.

ومما يحكى عنه حين قتله وتعذيبه أنه قال: لو كنت قبضت على جنگيز لفعلت به هذه الفعلة.

وبعد أن قضى جنگيز الشتاء لدى أهله عزم في الصيف على مركيت، وكانت تحت امارة توقتا، وهذا اتفق مع تيانغ وتقاتل مع جنگيز، فأحس بضعفه فانهزم وذهب إلى بويورق خان ملك نايمان، فاكتسح جنگيز ملكه وألحقه بممالكه.

ومن هناك ذهب إلى تانغوت وكانوا قد تحاصروا في القلعة وفي مدة قليلة تمكن من الاستيلاء عليهم وجعل القلعة قاعاً صفصفاً وقتل رئيسهم وجعل على ولاياتهم حاكماً، ورجع عنهم.

قضى الشتاء في هذه المرة أيضاً ثم ذهب في الصيف المقبل على ملك نايمان وهو بويورق خان وحينما قارب نايمان في الربيع لم يكن لـ (بويورق خان) علم وكان قد ذهب للصيد فصادفه جنگيزخان فقتله حالاً. (وكانت مواطنهم سلطنة (هيا) وعاصمتهم (هياچه أودي) (والآن هينغ هيا). فهم في اولوداغ في شمال بحيرة بالقاش وهي الأراضي التي تفصل تركستان القديمة عن سبيريا). أما كوچلو بن تيالغ وأمير مركيت وأولادهم فلم يكونوا قد ذهبوا معه للصيد وبقوا في الخيام. ولكن قد فرّ أحدهم وقص الخبر عليهم ففرّ كوچلو مع توقتا وذهب إلى (ايرتيش).

---

(١) قد عبر عنه مؤرخونا مثل أبي الفداء نقلاً عن المؤرخ النسوي أنه كشلو اوكشلي. والكلام عنه كان مجملاً ومبتوراً... فلم يستوف الوقعة.

فضبط جنگيزخان خيامهم وقبائلهم ورجع، ثم إنه بايعه القرغز وقدم له أميرهم أوروس اينال الهدايا الفاخرة.

وفي السنة التالية ذهب جنگيزخان لتعقب أثر كوچلو وتوقتا بك فصادف في طريقه قبيلة أويرات وقبيلة قارلوق فبايعتاه وصارتا تريانه الطريق وتدلانه كخريت له، وبصعوبة وعلى ساحل ايرتيش عثروا على توقتا فقتلوه. أما كوچلو فقد نجا والتجأ إلى تركستان إلى كورخان ملك الخيتاي (الخطا هكذا يلفظه مؤرخو العرب). وقد أكرمه كورخان وأعطاه بنته وجعله كاتبه... ومن ثم رجع جنگيزخان إلى فيلقه.

بيعة الأويغور[1]:

إن ملكهم ايديقوت[2] كان تابعاً إلى گور خان ملك قراخيتاي (قراخطا) ويؤدي له الخراج. وأن كور خان كان قد أرسل والياً (داروغا) عليهم أحد أعوانه وهو شادكه م وهذا شرع يظلمهم ويتعدى عليهم بحيث صار الأويغور لا يتحملون ظلمه وقسوته، وفي هذه الأثناء ذاع صيت جنگيز في كافة الأقطار وزيادة على هذا فإن ايديقوت قتل شادكه م وحينئذ أرسل إلى جنگيزخان رسولاً يعرفه بأنه مخلص له وأنه في طاعته إلى أن يموت؛ وأن جنگيزخان أيضاً بالمقابلة أرسل إليه سفيراً من قبله يسمى (دور باي).

ثم إن ايديقوت أعد هدايا عظيمة وذهب بنفسه لزيارة جنگيزخان سنة ٦٠٦هـ (ابن العبري) فرأى التفاتاً كبيراً من الخان[3] وعلى هذا

---

(١) في العبري الأيغور بلا واو - ص ٣٩٨.

(٢) ورد في العبري ص ٣٩٩ أيدي قوب والصحيح كما في شجرة الترك ايديقوت وتفسيره المرسل من الله «ر: هامش العبري ص ٣٩٩» «قال دي كوين. وأما العبري ففسره بصاحب الدولة».

(٣) ر: تاريخ العبري أيضاً ص ٣٠٠».

عرض ايديقوت عليه قائلاً: «آمل من كرم الخان الأعظم أن أكون خامس أولاده». فانتبه الخان إلى أنه يقصد التزوج ببنته فأعطى إحدى بناته إليه. وهذه ظروف جديدة ومسهلات لاكتساح الممالك الأخرى.

وبهذه الحادثة قد تم لجنگيزخان الاستيلاء على كافة أنحاء المغول «مغولستان» ولم يبق له فيها مناوىء أو منازع.

فتح خيتاي وقراخيتاي وجورجيت

إن جنگيزخان بعد استيلائه على كافة أنحاء المغول كما تقدم جمع أمراء المغول كلهم وقال لهم: «إن آلتان[1] خان: ملك الخيتاي (الخطا) كان قد عامل أجدادي وأقاربي معاملة قاسية ورديئة، فأنا عازم على أخذ الثأر منه ولكني مرسل إليه قبل ذلك رسولاً يدعوه للطاعة لئلا تبقى له حجة». فوافقه الحضار وأرسل ضابطاً (نوكراً) مدرباً وزوده بمعلومات كافية للمفاوضة وللاطلاع على الحالة ومعرفة الطرق والأوضاع الحربية فلما ورد إليه وقص عليه القصص أجابه بأني متأهب للنضال فليأت بسرعة.

وحينئذ وافاه جنگيزخان بجيش قوي كما أن الطرف الآخر قام بتأهبات حربية كافية وكل من المتنازعين عبّى جيشه، أما جنگيز فإنه تقدم وصار يهلك ما وجده أمامه ولم يبق ولم يذر من قتل وحرق... وأرسل آلتان خان أيضاً قوة كبرى مع أحد أمرائه لإيقافه عند حده. وفي هذا الحين فر واحد من جيش جنگيزخان وعرف آلتان خان بأنه جاءهم بقوة كبرى وأنه استولى على إحدى المدن فقتل أهليها قتلاً عاماً وحرق

---

(۱) هذا هو الذي بين عنه أبو الفداء أنه آلطون خان الخاقان الأعظم ومن ثم تعلم درجة اختلاط الوقائع ونقلها مبتورة ومقطوعة فإنها بوضعها ذلك غير مفيدة. فالأولى من ذكرها بهذه الصورة أن لا يبحث عنها. ولكن مع هذا نرى فيها رائحة الصحة ظاهرة وأن العرب ثقة في النقل...

المدينة، وها إني جئتك منه وهو في هذه الحالة. وقد فررت منه. وعلى هذا تقدم الأمير من قبل آلتان خان وكذا جنگيز سار عليه فتلاقى الجمعان وتناضلا فظهر جنگيز على عدوه واستولى حينئذ على كثير من ممالك الخيتاي (الخطا) وحينئذ وصل جنگيزخان إلى المضيق الذي فيه آلتان خان فصارت المحاربة هناك، وفي هذه الحرب أيضاً أضاع آلتان خان نحو ثلاثين ألفاً من جيشه كما فقد جيشه المرسل مع أحد أمرائه.

وعلى هذا انسحب آلتان خان إلى طريق خان باليق [پكين، په كينگ]، وأن الأمراء في خان باليق كانوا يحملون اسم آلتان خان، وفي هذا قد ضبط جنگيزخان ولايات كثيرة أخرى من بلاد الخيتاي.

المصالحة مع آلتان خان:

إن آلتان خان بعد أن وصل إلى خان باليق سمع بأن جنگيزخان اكتسح بلاداً كثيرة منه واستولى على قرى عديدة وعلى هذا عقد مجلس شورى (كنكاش) في ترجيح ما إذا كان يتحارب أو يتصالح مع جنگيز الذي هو متوجه نحو خان باليق فأشار عليه وزيره (چينغ[1] سانغ بولاداغا) بترجيح الصلح لأنه من المأمول أن يعود جنگيزخان إذا تم الصلح ويرجع إلى بلاده، فرأى الملك أن فكرة الوزير هي الصواب فأرسل رسولاً إلى جنگيزخان، وقدم بنته هدية له مع تقدمات أخرى ثمينة، فلما رأى الرسول رحب به وأعزه وتزوج البنت وأمضى الصلح.

أما آلتان خان فإنه وجد مملكته قد تخربت كثيراً، ولذا انسحب إلى تمينگ، وكانت هذه المدينة قد بناها أبوه وجعلها محكمة وهي على الساحل وقد اتخذ في أطرافها ثلاثة استحكامات أخرى، وقد جعل ابنه في خان باليق وأقام هو في تمينك ولكنه حينما تحرك من خان باليق كان

(١) «جينغ سانغ هو لقب الوزير عندهم».

قد قتل قائد قراخيتاي لجريرة ارتكبها، ولهذا فإن امراء قراخيتاي وشجعانها قد انتهبوا الخيول والبغال والحمير والأغنام والإبل والبقر... العائدة إلى ابن آلتان خان فساقوها معهم والتحقوا بجنگيزخان، ثم ظهر من قراخيتاي بطل فاستولى على عدة ولايات وأرسل رسولاً إلى جنگيزخان فبايعه.

وعلى هذا قبل جنگيزخان منهم ذلك بل تلقاه منهم بقبول حسن. ولهذا ولأدنى سبب قد ألتحق أمراء آلتان خان بجنگيزخان. وبعد ستة أشهر رأى الابن ـ ابن آلتان خان ـ أن الحالة مضطربة هناك وهي في تشوش فترك خان باليق لبعض امرائه وذهب إلى أبيه.

أما جنگيزخان فإنه تحقق لديه عجز آلتان خان وابنه ولذا سير أميرين من امرائه وهما (ساموقا بهادر ومينكار بهادر) مع جيش عظيم إلى خان باليق، وفي أثناء سيرهما قد التحق بهما خلق كثير من أهالي خيتاي، وحينئذ سمع آلتان خان بأنه في خان باليق مجاعة ولذا لم يرسل جيشاً كبيراً إلى هناك بل أرسل بمقدار الحاجة وهذا الجيش لأول ملاقاة قد تشتت شمله وقضي عليه، فلما علم آلتان خان بالقضاء على جيشه انتحر بشرب السم، وعلى هذا ضبط جيش جنگيزخان عاصمته خان باليق، وهناك كانت خزائن لآلتان خان فأوصلت إلى جنگيزخان بما فيها.

إن جنگيزخان في خلال خمس سنوات استولى على أكثر مدن الخيتاي وعين فيها ولاة (داروغا) وعاد لبلاده. وضبط هناك بلاداً أخرى.

وكان في نية جنگيز أن يستولي على البلاد الباقية من الخيتاي ولكنه عدل عن ذلك لسبب أن تيانغ خان بعد أن توفي قد هرب ابنه كوچلو إلى تركستان، وهناك اتفق مع بعض اعداء جنگيزخان فأعلنوا

كوچلو (خاناً أي ملكاً عظيماً، يادشاه)، وأن كوچلو هذا أرسل سفيراً إلى سلطان محمد (خوارزمشاه) وساقه على حرب گورخان، وفي ذلك الوقت كانت تركستان تابعة إلى كورخان ملك قراخيتاي، وأن كوچلو قد ضبط نحو نصف تركستان منه...

فلما علم جنگيزخان ذلك قال في نفسه: «ليس من المصلحة أن أدع عدواً عظيماً يتوسع في جواري وأنا أتوغل في الممالك النائية البعيدة»، فترك السفر إلى الخيتاي وعدل عن مهاجمتهم.

وفي هذه الأثناء ظهر من أمراء مركيت وهو قودو (عم الأمير الأصلي توقتا) مع اولاده فمضى إلى مملكة نايمان فصار يعيث هناك ويفسد على جنگيزخان، ولأجل القضاء على هذه الحركة أرسل عليهم جنگيز قوة. ولما صادفوا عسكر قودو كسروه قرب ساحل نهر جم موران وذلك سنة ٦١٣ (١٢١٦م). وهذه الحرب قضت على سلطنة مركيت.

وفي هذا الحين عصت قبيلة نومان فأرسل عليها سرية فكسرتها وعاد قائد جنگيز بغنائم وفيرة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قتل كوچلو (كشلوخان):

إن كوچلو كان قد التجأ إلى كورخان في قراخيتاي وهناك قد اختل ما بينهما فاستولى على بعض ولايات كورخان وجمع اعداء جنگيزخان إليه. فلما سمع جنگيزخان بذلك أرسل إليه چپه نويان من قبيلة ييسوت وجهزه بفيلق عظيم، ولما اشتبك القتال العظيم بينهما غلب كوچلو على أمره وقد فر بجيش قليل كان معه، فاستولى على عائلته وأولاده فأسرهم بعد أن قتل الباقين. ثم إنه عقب كوچلو فتمكن من اللحاق به وقتل عساكره وضباطه، ومع هذا قدر أن يفر كوچلو مع ثلاثة من أصحابه فوصل وادي بدخشان إلى محل يقال له (صاري قول) فاستمر على تعقبه حتى ألقى القبض عليه فقتله وقطع رأسه فأتى به إلى جنگيزخان، فأنعم

عليه جنگيزخان وأكرمه بل بالغ في الإحسان إليه جزاء ما أبداه في هذه الحرب وقتله كوچلو.

نظرة عامة ونتائج ضرورية:

كل هذه الوقائع جرت وهذه الحروب الطاحنة مضت بين جنگيز وأعدائه حتى تمكن من الكل وسيطر على الجميع ومع هذا كان المسلمون في مأمن حتى أنهم لم يشعروا بهذه الحروب، ولم يعلموا عنها كثيراً إذ إنها لا تهمهم لبعد الشقة وانقطاع المواصلة... ولكن الوقائع المهمة بالنظر إلينا هي التي تخص المسلمين، ووقعت بينه وبينهم، وهي ما يتلو هذه الحوادث سوى أنني هنا أقول إن جنگيز قضى على امارات صغيرة وحكومات مفرقة ومشتتة الحالة سواء في المغول أو في الترك. وبذلك تمكن من السيطرة على تلك الأنحاء لعلمه بأنه لا يتم له الأمر، ولا يستطيع أن يوسع سلطته، فيحارب المجاورين والخارج بصورة عامة. إن لم يؤمن جماعته له حتى لا يبقى منهم معارض فتيسر له القضاء على السلطات والامارات الصغيرة، والكبيرة واستقل في كافة هذه الأنحاء استقلالاً تاماً، ووحد وجهته واستقامته بعد ذلك إلى خارج بلاد الترك فهاجم العالم الإسلامي.

وهذا ما دعا ابن الطقطقي أن يقول عن المغول بعد أن توحدت قبائلهم:

«لم ينقل في تاريخ، ولا تضمنت سيرة من السير أن دولة من الدول رزقت من طاعة جندها ورعاياها ما رزقته هذه الدولة القاهرة المغولية، فإن طاعة جندها ورعاياها لها طاعة لم ترزقها دولة من الدول...»[1] اهـ.

---

(١) كتاب الفخري ص ٢٤ وسيأتي وصفه في حوادث سنة ٧٠١هـ.

وفي هذا ما يبين عن هذه الوحدة ولكنها على كل حال لم تكن كما حصل للعرب من الألفة إبان ظهور الشريعة الإسلامية الغراء... وقد قال ابن السبكي: «كانوا ببادية الصين وهم من أصبر الناس على القتال وأشجعهم فملكوا جنگيزخان عليهم وأطاعوه طاعة العباد المخلصين لرب العالمين» اهـ[1].

العلاقات الأولى

بين جنگيزخان وخوارزمشاه:

نظراً للبعد ووجود حكومات أو إمارات بين جنگيز والبلاد الإسلامية الكبرى كانت بطبيعة الحال العلاقات مفقودة ولكن بعد أن استولى المغول على البلاد المجاورة نشأت العلاقات وذلك أن كشلوخان بعد مفارقته جنگيزخان مال إلى حدود قيالق والمالق فصالحه صاحبها ممدو خان بن ارسلان خان على أن تكون الأيدي واحدة ومتفقة وفي هذه الأثناء كانت هزيمة كورخان ملك الخطا (خيتاي) من وقعة جرت بينه وبين السلطان خوارزمشاه وهي آخر الوقائع بينهما فوصل إلى حدود كاشغر فأخذ ممدوخان يزين لكشلوخان قصد كاشغر والاستيلاء على كورخان فنهضا من قيالق وكبساه بحدود كاشغر واقتنصاه وأجلساه على سرير الملك وصارا لا يعملون بأوامره إلا قليلاً.

ولما سمع السلطان بذلك هدد كشلوخان بلزوم تسليمه إليه وما معه من نفائس وأن يأتيه ببنته وخزانته وأوعده فيما إذا امتنع فقدم له طرفاً نفيسة جداً وتشفع مستعفياً من إرسال كورخان وكان السلطان يلح وهذا يطاول وآخر رسول بعثه السلطان هو الأمير محمد بن قرا قاسم النسوي وأمره بمخاشنة كشلوخان ففعل فقيده كشلو خان ثم نجا بوقعة جرت

---

(١) طبقات السبكي ج ١ ص ١٧٦.

لسرية السلطان مع كشلو خان فأنعم عليه السلطان برياسة عامة على خراسان فمني منه الرؤساء بداهية دهياء وخطة نكراء وأما كشلو خان فإن السلطان جهز عليه جيشاً بلغت عدته ستين ألفاً وذلك بعد أن بعث إليه عدة سرايا. هذا من جهة ومن أخرى هاجمه جنگيزخان فوقع بين نارين لا مخلص له منهما[1] فقضى عليه ومن ثم نشأت العلاقات وصار جنگيزخان مجاوراً لبلاد المسلمين فاقتضى التطلع على أحوال التتر ففي سنة ٦٠٩هـ ١٢١٣م قصد ثلاثة نفر من تجار البخاريين ديار التتر ومعهم البضائع من الثياب المذهبة والكرباس وغيرهما مما يليق بالمغول لما سمعوا أن للمتاع عندهم قيمة وافرة[2]. . . ذهبوا إلى هناك بقصد التجارة ظاهراً ولكن لا يغب عن اذهاننا أن استيلاء جنگيزخان على المجاورين وقيامه بهذا الفتح العظيم مما دعا إلى التطلع على أحواله والوقوف على نواياه والتجسس عن أخباره. فكانت هذه القافلة الأولى التي ارسلها خوارزمشاه باسم تجار لنفائس البضائع، فلم يضع الفرصة ولم يدع هذا الفاتح الجديد يتوغل وهو في جهالة عنه، وإهمال لشأنه وإنما راعى الحيطة بأقصى ما يمكن. . .

إن هؤلاء التجار وجدوا الطرق محروسة قد أقام بها جنگيزخان جماعة يسمونهم (قراقجية) أي مستحفظين يخفرون المترددين إليهم أو أنهم يراقبون الحدود ويترصدون المارة كما هو معلوم اليوم من تفتيش المارة على الحدود وطلب جواز منهم ومراقبة أحوالهم. فقوى عزمهم وساروا نحوهم. ولما وصلوا إلى نواحيهم وافاهم المستحفظون ووقفوا على ما معهم من السلع (ولم تكن السلع هي الغرض الوحيد من التحريات) فرأوا قماش واحد منهم اسمه أحمد لائقاً للخان فسيروه مع

(١) «ر: منكبرتي ص ٩ وما يليها».

(٢) ابن العبري ص ٤٠٠.

صاحبيه إليه. والغرض في التسيير معلوم فعرض أحمد متاعه على الحجاب وطلب الثمن عن كل ثوب كل مشتراه عليه عشرة دنانير إلى عشرين ديناراً ثلاثة بواليش[1]. فغضب لذلك جنگيزخان وقال: هذا الغافل كأنه يظن أننا ما رأينا ثياباً قط وأمر الخازن فأراه من الأقمشة التي اهداها إليه ملوك الخطا أشياء نفيسة وتقدم أن يكتب ما معه وأنهبه لمن حضر من الحاشية واعتقل أحمد، إلا أن تمنع هذا وطلبه ثمناً غالياً مغزاه معلوم أيضاً إذ الغرض ليس بيع السلعة والربح بها والعودة بسرعة وطلب موظف جنگيز أو خازنه صاحبيه فعرضا عليه متاعهما برمته وقالوا: هذا كله إنما أتينا به لنقدمه خدمة للخان لا لنبيعه عليه، فألحوا عليهما أن يثمناه فلم يفعلا. فأمر جنگيزخان أن يعطيا لكل ثوب مذهب باليش من ذهب ولكل كرباسين باليش من فضة. وعوض لأحمد أيضاً مثل ما اعطاهما... ومن مجرى هذه الوقعة يفهم أنهم لم يتمكنوا من

(١) ضبطه ابن بطوطة في رحلته «تحفة النظار ج ٢ ص ١٥٥» بالشت والصحيح أنه بالش أو باليش بإشباع الحركة الحرفية وهو بمعنى الدينار عندنا. قال وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم... وإنما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت... وإذا تمزقت تلك الكواغد في يد إنسان حملها إلى دار كدار السكة عندنا فأخذ عوضها جدداً ودفع تلك ولا يعطي على ذلك أجرة ولا سواها لأن الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل بتلك الدار أمير من كبار الأمراء. وإذا مضى الإنسان إلى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء شيء لم يؤخذ منه ولا يلتفت عليه حتى يصرفه بالبالشت ويشتري به ما أراد. وهي عين ما هو معروف عندنا اليوم «بالأوراق النقدية» أو «العملة الورقية» وكانت قبل مدة يقال لها «بانقنوط» إذا كانت تحت ضمان مصرف «بانق» وتسمى «أوراق نقدية» إذا كانت غير مضمونة من مصرف والظاهر أن نقود المغول تختلف قيمة عن بواليش الصين كما يفهم من مجرى الكلام ومن قول صاحب لغة جغطاي وهو الشيخ سليمان افندي اوزبكي البخاري قال: وفي لغة المغول أن الباليش نقد ذهبي بقيمة ألفي دينار وفضي بقيمة مائتي دينار ص ٧٢.

المضي إلى مملكة جنگيز والتطلع على أحوالها بشراء جنگيز أموالهم...

بعثة جنگيز إلى بلاد خوارزمشاه:

ثم إن جنگيزخان تقدم إلى الأولاد والخواتين والأمراء أن ينفذوا مع هؤلاء بجماعة من أصحابهم. ومعهم بواليش الذهب والفضة ليجلبوا لهم من طرائف البلاد ونفائسها ما يصلح لهم فامتثلوا ما أمرهم فاجتمع معهم مائة وخمسون تاجراً من مسلم ونصراني وتركي وفي رواية شجرة الترك ٤٥٠ شخصاً وأرسل معهم رسولاً إلى السلطان محمد يقول له:

«إن التجار وصلوا إلينا وقد أعدناهم إلى مأمنهم سالمين غانمين، وسيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من طرائف تلك الأطراف، فينبغي أن يعودوا إلينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق من ذات البين»[1]. وهؤلاء جيش لجب من الجواسيس يخشى طبعاً منهم ويحسب لهم الحساب العظيم... إذ إنهم سوف يجوسون خلال الديار فيقفون على كافة أسرارها وظواهرها، في حين أن جماعة خوارزمشاه الذين ذهبوا لم يتمكنوا من الاطلاع على الوضع والحالة وعلى كل كان الملك الواحد منهما مستوحشاً من الآخر وحذراً منه...

جاء هؤلاء التجار مدينة (أوترار)[2] وكان أميرها(اينالجق)[3] وهو خال السلطان محمد خوارزمشاه وكان قد لقبه السلطان خوارزمشاه بلقب (غاير خان) فوردوا إليه وطمع هذا الأمير غاير خان فيما معهم من الأموال والصحيح اشتبه منهم بل قطع في أنهم جواسيس فطالع السلطان في أمرهم وحسن له إبادتهم واغتنام أموالهم فأذن له في ذلك فقتلهم طراً

---

(١) «ر: العبري ص ٤٠١».

(٢) وفي العبري والمنكبرتي: اترار. وفي ابن بطوطة: اطرار بضم الهمزة ص ٢٢٥ والألفاظ متقاربة...

(٣) جاء في المنكبرتي بلفظ «ينال خان».

إلا واحداً منهم فإنه هرب من السجن. ولما رأى ما جرى على اصحابه لحق بديار التتار وأعلمهم بما وقع[1].

وفي ابن بطوطة: إن ملك خوارزم له قوة عظيمة وشوكة فهابه جنگيزخان وأحجم عنه ولم يتعرض له، فاتفق أن بعث جنگيزخان تجاراً بأمتعة الصين والخطا من الثياب الحريرية وسواها إلى بلدة أطرار آخر عمالة جلال الدين فبعث إليه عامله عليها معلماً بذلك واستأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب إليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم ويقطع اعضاءهم ويردهم إلى بلادهم... فلما فعل ذلك تجهز جنگيز بنفسه في عساكر لا تحصى كثرة برسم غزو بلاد الإسلام[2].

وفي شجرة الترك ضعف هذه الرواية وعول على أن جنگيزخان أرسل محمود يالواجي وقال للسلطان محمد خوارزمشاه عن لسان جنگيزخان: «إن اللّٰه اعطاني ملك الشرق إلى حدود ملكك، فأنت ابني، فاجهد على الجميل يكن المسلمون في راحة وطمأنينة!». وقد عرض رسالته هذه على السلطان محمد، ثم إن السلطان قدم لؤلؤة إلى محمود يالواجي ثم جرت بينهما محادثة... قال: «إني سائلك فاصدقني هل كان أخذ خانك للخيتاي (الخطا) صحيحاً؟ فأجابه: «وحق اللّٰه إن خاني ينطق بالصدق، وسيأتيكم نبأ صدقه قريباً»، أما السلطان محمد فقد قال له بحنق وغضب: «إنك تعلم يا محمود سعة ملكي وقوة سلطاني، ومن خانك ليعد نفسه أكبر مني فيقول لي ابني؟ وما مقدار عسكره ليرى نفسه أعلى مني؟».

وحينئذ خاف محمود يالواجي من توسع الموضوع فكان جوابه: «إن جند جنگيز تجاه عسكرك كضياء القمر حيال نور الشمس!». فانتهى

---

(١) «ر: ص ٤٠١ ابن العبري وشجرة الترك».

(٢) ر: ص ٢٢٥ ج ١ تحفة النظار».

القول بينهما وانقطع بهذه الصورة ونجا يالواجي من غضب السلطان.

وبهذه الصورة دامت الصداقة والوفاق بينهما فصار عدو أحدهما عدو الآخر، وصديقه صديقه فتعاهدا على أن لا يضر الواحد الآخر.

سفير الخليفة إلى جنگيزخان:

وعلى هذا ذهب سفراء جنگيزخان إليه فسر، وعزم أن لا يتجاوز على السلطان محمد ما لم يتعد عليه وفي هذه الأثناء جاءه سفير الخليفة الناصر فلم يلتفت إليه، أو بالتعبير الأصح أظهر طرد سفير الخليفة ولم يقبله حباً في المصافاة... وفي هذا من التكتم ما فيه... حتى دعا ذلك أن يقال إنه لم يفكر في الإخلال في المعاهدة كما في (شجرة الترك) هذا في حين أننا نرى صحبة الطرفين على دخل ولم يهمل واحد منهما الطريقة اللازمة للتزود من المعرفة ووقوف كل على احوال الآخر. وما يحكيه صاحب الشجرة من أن التجار حين وردوا إلى غاير خان عرفه أحدهم وكان يعرف اسمه الأصلي (أينالجق) فدعاه به فغضب وكان هذا التاجر لا يعرف اللقب الجديد فكتب الوالي إلى السلطان محمد بأنه وردنا جواسيس فاستطلع رأيه فيهم... فهذا غير صحيح ولا يعول عليه بوجه. فلا يكون مغفلاً لهذا الحد ولكن الغلط كان فيما أجراه من قتل التجار والرسل فكان الواجب عليه أن يعاملهم بالحسنى ويعيدهم دون أن يدعهم يتوغلون في المملكة أو يؤخر أمرهم إلى أن يستأذن فلم يؤذن لهم إلا إلى وقت آخر وأن يعين الطريق الذي يجب أن يسيروا فيه تحت مراقبة وترصد تامين[1].

---

(١) كنت أوردت عن ابن الأثير اتهامه الخليفة الناصر، ونقل أيضاً عن مؤرخي العجم كما في ج ١٢ ص ١٨١ في حوادث سنة ٦٢٢هـ.

وجاء في ابن أبي عذبة:

. . . .

= «ويقال إنه هو الذي كاتب (التتار)، وأطمعهم في أخذ البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزمشاه من العداوة» ا هـ.

ونرى الجويني قد أوضح صفحة أخرى تشير إلى ما وراءها، فبين أن الخليفة الناصر بسبب الوحشة بينه وبين خوارزمشاه كان يكاتب ملوك قرا خطا دائماً، ويطير لهم الأخبار في دفع السلطان محمد (خوارزمشاه)، وكذا يراسل سلاطين الغورية، ويبعث إليهم القصاد، فظهر للسلطان محمد نوايا الخليفة، ووقف على ما جرى. . . وأن مكاتبات الخليفة تشتمل على الإغراء والتحريض على السلطان، وكان يستمد بجيوش الخطا، ولكن السلطان لم يقدر أن يقف على سرّ ذلك حتى أن جلال الدين حسن كان قد أظهر الإسلام لمصلحة، وقبل الخليفة منه ذلك، فشاع أمره، ولتقوية هذه الشائعة ذهب إلى الحج. . . وغرض الخليفة أن يوجه وضعه في صحة مناصرته على سلطان خوارزم. . . فلما علم السلطان بذلك تأثر كثيراً ولم يقف الخليفة الناصر عند حدود ذلك وإنما رتب فدائيين عليه. . . وكذا على أمير مكة لما كان بينه وبينه من العداء. . .

وذلك كله ما دعا خوارزمشاه أن لا يعترف بإمامة الخليفة الناصر. . . وقد أطنب الجويني في ذلك، وذكر محاولاته في نصب إمام غيره من آل علي، ونزع الخلافة منه، كان يعده مخالفاً لشرط الإمامة، ولم يكن من أولاد علي. . . (جهانكشاي جويني ج ٢ ص ١٠).

والمؤرخون الآخرون ومنهم صاحب شجرة الترك يوضحون ورود رسل الخليفة إلى جنگيز، وأنه لم يقبلهم ظاهراً ليبدي أنه مخلص لخوارزمشاه. . . فلم ينفرد ابن الأثير في هذه الرواية على أنه عبّر عنها بـ (قيل) ولم يقطع فيها. . . فلا يقال إنه كان يميل إلى ترويج سياسة أتابكة الموصل، كما لا يصح أن يسند إلى ابن أبي عذيبة هذا الإسناد. ومثل هذه الاتفاقات لا تظهر لكل أحد، وإنما تجري في الخفاء. وفي أيامنا هذه، وعصورنا الحاضرة لا تعرف بعض الاتفاقات الدولية بل تبقى مكتومة حتى يحصل ما يدعو لانكشافها وإعلانها لأسباب خاصة أو قاهرة. . .

والمعاصرون للمغول، ومن بعدهم ذكروا الحادث، وأكدوا شبهته بتفصيلات وتوضيحات تناقلوها، ونحن في هذه يجب أن نعين كافة الصفحات ونشير إلى ما شاع. . . والخلاف بين الناصر والخوارزمية واقع، ويعدّ من مؤيدات التهمة. .

رأي ابن الأثير في اتهام الخليفة:

ومهما كانت الروايات فإن الذي دعا لهذه النفرة والاشتباه من هؤلاء القوم (جنگيزخان وقومه) وصول سفير الخليفة الناصر لدين اللّٰه العباسي يغريه على القيام ومناصرة الخليفة له ويروى أنه لم يقبله أو تظاهر بذلك. وقد شاعت هذه القضية حتى أن ابن الأثير لم يستطع كتمانها وهو يدون التاريخ لذلك الحين وإنما قص قضية قتل التجار ونهب أموالهم وأن ذلك هو السبب وقال: «**وقيل في سبب خروجهم إلى بلاد الإسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر**:

فكان ما كان مما لست أذكره

فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر» انتهى

فتراه يخشى من تدوينه في بطون الدفاتر كما أن في قوله (فكان ما كان مما لست أذكره) تأييداً لصحة هذه الشائعة وترجيحاً لصدقها وإن لم يبينها. والكناية أبلغ من التصريح في مثل هذا المقام... ومنها يتبين أن مهمة رسول الخليفة هي حث جنگيزخان على الخروج على خوارزمشاه...

وجاء في ابن السبكي ما يوضح ذلك قال: «وكان السلطان الأعظم للمسلمين ـ أيام جنگيز ـ هو السلطان علاء الدين خوارزمشاه محمد بن تكش... اتسعت ممالكه وعظمت هيبته وأذعنت له العباد ودخلت تحت حكمه، وخلت الديار من ملك سواه... فتجبر وطغى وأرسل إلى خليفة الوقت الناصر لدين اللّٰه الذي لا يصطلى لمكره بنار، ولا يعامل في احواله بخداع يقول له: كن معي كما كانت الخلفاء قبلك مع سلاطين السلجوقية... فيكون أمر بغداد والعراق لي ولا يكون لك إلا الخطبة فيقال ـ واللّٰه أعلم ـ إن الخليفة جهز رسله

إلى جنگيزخان يحركه عليه...» اهـ[1].

وفي الفخري: «كان كل أحد من أرباب المناصب يخافه ـ الناصر ـ ويحاذره بحيث كأنه يطلع عليه في داره، وكثرت جواسيسه وأصحاب أخباره عند السلاطين وفي أطراف البلاد وله في مثل هذه قصص غريبة...» اهـ[2] مما لا يسع المقام إيراده...

وعلى كل حال إن السلطان محمد أمر بقتل السفراء والتجار ووجد أن مطالعة أميره ملحوظة وواردة فحاذر أن يختبروا المسالك والطرق ويعرفوا الوضع السياسي والعسكري فأوقع فيهم غاير خان. ويؤيد هذا الحكاية التالية:

قال ابن الأثير[3]: فلما قتل نائب خوارزمشاه (أميره غاير خان المذكور) أصحاب جنگيزخان أرسل جواسيس إلى جنگيزخان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من اليزك[4] وما يريد أن يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التي على طريقهم حتى وصلوا إليه. فعادوا بعد مدة طويلة وأخبروه بكثرة عددهم وأنهم يخرجون عن الاحصاء وأنهم من أصبر خلق اللّه على القتال لا يعرفون هزيمة وأنهم يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم. ومثل هذا جاء في تحفة النظار قال: «لما سمع عامل اطرار (أو ترار) بحركة جنگيزخان بعث الجواسيس ليأتوه خبره فذكر أن أحدهم دخل محلة بعض امراء جنگيز في صورة سائل فلم يجد من يطعمه ونزل إلى جانب رجل منهم فلم ير عنده زاداً ولا اطعمه شيئاً فلما أمسى أخرج مصراناً يابسة عنده فبلها بالماء وقصد فرسه وملأها

---

(١) طبقات السبكي ج١ ص ١٧٦.

(٢) «ص ٢٨٧ الفخري».

(٣) «ص ١٣٩ ج١٢ ابن الأثير.

(٤) الجيش.

بدمه وعقدها وشواها بالنار فكانت طعامه فعاد إلى أطرار (أو ترار) فأخبر عاملها بأمرهم وأعلمه أن لا طاقة لأحد بقتالهم فاستمد ملكه جلال الدين (خوارزمشاه)...» اهـ.

ويريد أن يقول إن الصائل قوي، متعود على شظف العيش، ومتمرن على الكفاح ويحاول أن يهتم القوم للأمر، وهذا ما دعا أن تكون الحروب طاحنة، والوقائع بين الفريقين دامية ومهولة...

خوارزمشاه وهذا الحادث:

«إن خوارزمشاه كان قد ندم على قتل اصحاب جنكيز وأخذ أموالهم. وحصل عنده فكر آخر، فأحضر الشهاب الخيوفي وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخاف ما يشير به فحضر عنده فقال له: قد حدث أمر عظيم لا بد من الفكر فيه فأخذ رأيك في الذي نفعله وذاك أنه قد تحرك إلينا خصم من ناحية الترك في كثرة لا تحصى فقال له في عساكرك كثرة ونكاتب الأطراف ونجمع العساكر ويكون النفير عاماً. فإنه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالمال والنفس ثم نذهب بجميع العساكر إلى جانب سيحون (هو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد الإسلام) فنكون هناك. فإذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسهم النصب والتعب. فجمع خوارزمشاه أمراءه ومن عنده من أرباب المشورة فاستشارهم فلم يوافقوه على رأيه بل قالوا نتركهم يعبرون سيحون إلينا ويسلكون هذه الجبال والمضايق فإنهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينئذ عليهم ونهلكهم فلا ينجو منهم أحد. فبينما هم كذلك إذ ورد رسول من جنگيزخان معه جماعة يتهدد خوارزمشاه ويقول اتقتلون اصحابي وتأخذون أموالهم!؟ استعدوا للحرب فإني واصل إليكم بجمع لا قبل لكم به!؟» انتهى[١].

---

(١) ابن الأثير ج١٢ ص ١٤٠.

أما جنگيزخان فإنه عندما سمع قتل أصحابه عظم ذلك عليه وغضب منه غضباً كبيراً جداً وهجر النوم وصار يحدث نفسه ويفكر فيما يفعله. وقيل[1] إنه صعد إلى رأس تل عال وكشف رأسه وتضرع إلى الباري تعالى طالباً نصره على من باداًهُ بالظلم وبقي هناك ثلاثة أيام بلياليها صائماً. وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهباً عليه السواد وبيده عكازة وهو قائم على بابه يقول له: لا تخف افعل ما شئت فإنك مؤيد. فانتبه مذعوراً ذعراً مشوباً بالفرح وعاد إلى منزله وحكى حلمه إلى زوجته وهي ابنة أونك خان فقالت له: هذا زي أسقف كان يتردد إلى أبي ويدعو له ومجيئه إليك دليل انتقال السعادة إليك. فسأل جنگيزخان من في خدمته من نصارى الأويغور: هل هنا أحد الأساقفة فقيل له عن ماء دنحا. فلما طلبه ودخل عليه بالبيرون الاسودقال هذا زي من رأيتُ في منامي لكن شخصه ليس ذاك. قال الأسقف: يكون الخان قد رأى بعض قديسينا. قال العبري بعد أن أورد هذه الحكاية وعبر عنها بلفظ قيل إن استمر في قوله: ومن ذلك الوقت صار يميل إلى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم[2].

هذا وإن جنگيزخان أراد في سياسته أن يستفيد من العناصر الضعيفة والمخالفة للمسلمين والمذاهب المستضعفة من المسلمين فقرر لزوم رعايتهم ليحصل على المعلومات الكافية وليدلوه على خفايا المسلمين وبواطنهم وكافة أحوالهم في الوقت الذي هم عائشون معهم وأعرف بهم، ويظهر أثر ذلك بوضوح في فتح بغداد على يد هولاكو

(١) هذه الحكاية نقلها ابن العبري وهو نصراني ومع هذا عبر عنها بلفظ قيل لعدم وثوقه منها واعتقاده بصحتها ونحن نذكرها لنبين أوضاع القوم مع المخالفين لتظهر السياسة... وفي طبقات السبكي أورد مثلها وليس فيها ذكر للنصارى «ج١ ص ١٧٨».

(٢) «ر: ص ٤٠٢ عبري.

خان، فقد مشى أولاده على هذه الفكرة ولم يشذوا عنها وهذه الحكاية قد اختلقت بعد أن وقع الأمر ففسرت أعماله بهذه الحكاية، وميله للنصارى يؤوّل بما ذكرت من الاستعانة.

والمعلوم أن المغول قد تعاطوا المخابرات السياسية بينهم وبين الافرنج فكانت الحماية لهذا الغرض ومن طريق القسوس... وكانت السلطة السياسية بأيدي القسوس فهم هناك ليسوا دعاة دين وإنما هم سياسيون... والوقائع التاريخية تبرهن على وجود المخابرات على يد سواح الغربيين وترددهم لهذا الغرض... ومثل ذلك يقال عن اعتناقهم النصرانية فإنه لا صحة له وإنما العلاقة سياسية لا غير ويفسر بتكاتف الأمتين على الهجوم والقضاء على العالم الإسلامي والتناصر على توهين قواه واكتساحه...

حكومة خوارزمشاه:

إن حكومة خوارزمشاه كانت في ذلك العصر من أقوى الحكومات الإسلامية. وكانت في أمل الاستيلاء على الخلافة أو جعلها منقادة إليها كما كانت طوع أمر السلاجقة والصحيح أن المساعي مصروفة لإلغائها... فهي ذات الحول والطول. وملكها المعاصر لجنگيزخان هو محمد علاء الدين. وكان لقبه قطب الدين فغيره.

استقر في الحكم حين توفي والده خوارزمشاه تكش بن ارسلان في ٢٠ رمضان سنة ٥٩٦هـ ١٢٠٠م. وكان والده عادلاً حسن السيرة يعرف الفقه والأصول على مذهب الحنفية. وحكومتهم في خوارزم وبعض خراسان والري وغيرها من البلاد الجبلية وكان ضبطها طغرل بك السلجوقي من آل سبكتكين ثم جعلها سنة ٤٣٤هـ ١٠٤٣م إلى ابريقداره وبعدها وجهت حكومتها إلى انوشتكين من عتقاء السلاجقة وبوفاته سنة ٤٩٠هـ ١٠٩٧م توالى عليها أولاده المعروفون بالخوارزمشاهية وهم:

١ ـ قطب الدين محمد بن انوشتكين (٤٩٠هـ ١٠٩٧م: ٥٢١هـ ١١٢٨م).

٢ ـ اتسز خوارزمشاه بن محمد (٥٢١هـ ١١٢٨م: ٥٥١هـ ١١٥٧م).

٣ ـ ايل ارسلان بن محمد (٥٥١هـ ١١٥٧م: ٥٦٨هـ ١١٧٣م).

٤ ـ سلطان شاه بن ايل ارسلان (٥٦٨هـ ١١٧٣م: ٥٨٩هـ ١١٩٤م).

٥ ـ علاء الدين تكش بن ايل ارسلان (٥٨٩هـ ١١٩٤م: ٥٩٦هـ ١٢٠٠م).

٦ ـ علاء الدين محمد بن تكش (٥٩٦هـ ١٢٠٠م: ٦١٧هـ ١٢٢١م).

وهذا الأخير عندما خلف والده هرب ابن أخيه هندو خان بن ملكشاه بن تكش منه وذهب إلى ملك الغورية وهو غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام بن الحسين الغوري صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها يستنصره على عمه فأكرمه ووعده بالنصر. ومن ثم تولدت الحروب بين الطرفين إلى أن توفي غياث الدين في جمادى الأولى سنة ٥٩٩هـ ١٢٠٣م وكان غياث الدين هذا مظفراً منصوراً لم تنهزم له راية قط، وكان له دهاء ومكر، وكان حسن الاعتقاد كثير الصدقات فيه فضل غزير وأدب مع حسن خط وبلاغة، وكان ينسخ المصاحف بخطه ويقفها في المدارس التي بناها. وكان على (مذهب الكرامية)[1] ثم تركه وصار شافعياً. فخلفه ابنه محمود ولقب غياث الدين بلقب والده ولم يحسن عمه شهاب

(١) من فرق المرجئة، اصحاب محمد بن كرام، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم، خالفوا الجهمية في قولهم: الإيمان هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب واعتقادهم في الحسين رضي الله عنه قريب من اعتقاد اليزيدية «ر: أصل اليزيدية في التاريخ».

الدين الخلافة على ابن أخيه ولا على غيره من أهله.

وفي سنة ٦٠٠هـ ١٢٠٤م كان بين شهاب الدين ملك الغورية وبين خوارزمشاه محمد قتال انتصر فيه ملك الغورية واستنجد خوارزمشاه بالخطا فساروا وتحاربوا مع شهاب الدين فهزموه ثم عاد ووصل إلى غزنة وتراجعت الأمور إليه على ما كانت عليه. وفي أول ليلة من شعبان سنة ٦٠٢هـ ١٢٠٦م قتل شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغوري ملك غزنة وبعض خراسان، قيل أنه قتله الإسماعيلية. وكان شجاعاً كثير الغزو عادلاً في الرعية. وكان الإمام فخر الدين الرازي يعظه في داره.

ولما قتل كان صاحب باميان بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود عم غياث الدين المذكور، فسار بهاء الدين ليمتلك غزنة ومعه ولداه علاء الدين وجلال الدين، فأدركت بهاء الدين الوفاة قبل أن يصل إلى غزنة وعهد بالملك إلى ابنه علاء الدين محمد فوصل غزنة ودخلها هو وأخوه وتملكها. وكان تاج الدين يلدوز مملوك غياث الدين ملك الغورية كبير الدولة وكانت كرمان اقطاعه ومرجع الأتراك إليه، فسار هذا على غزنة ومن ثم انسحب علاء الدين وجلال الدين ولدا بهاء الدين إلى باميان وجمعا عليه العساكر فكانت النتيجة أن انتصرا عليه، فاستقر علاء الدين في غزنة وذهب أخوه جلال الدين إلى باميان، ثم إنه لم تستقر الأحوال ودام النضال بينهما حتى انتصر يلدوز فألقى القبض عليهما وعلى هندو خان ابن أخي ملك خوارزم المار الذكر فحبسهم، ثم ظهر غياث الدين محمود بعد قتل عمه في (بست) فسار إلى فيروزكوه وتملكها وجلس في دست أبيه وتلقب بألقابه وقد حاول استمالة يلدوز مملوك أبيه فلم ينجح والحاصل كانت مملكة الغورية في اضطراب بالغ أشده.

قتال خوارزمشاه مع الخطا (الخيتاي):

وفي سنة ٦٠٤هـ ١٢٠٨م كاتب ملوك ما وراء النهر مثل ملك سمرقند وملك بخارى خوارزمشاه يشكون ما يلقونه من الخطا ويبذلون له الطاعة والخطبة والسكة ببلادهم إن دفع الخطا فعبر علاء الدين محمد خوارزمشاه نهر جيحون واقتتل مع الخطا. وحدثت عدة وقائع والحروب بينهم وبينه سجال. فاتفق أن خوارزمشاه انهزم وأخذ اسيراً ولكن شخصاً من أصحابه وهو ابن شهاب الدين مسعود احتال في خلاصه باستخدامه له كغلام فقال للخطا إنه فلان ويخشى أن ينقطع خبره فأراد أن يعلمهم بحاله وطلب ذلك منهم فأجابوه إلى سؤاله فأرسل خوارزمشاه فعاد إلى مملكته وتراجع إليه عسكره.

وكان لخوارزم شاه أخ يقال له (علي شاه) بن تكش وكان نائب أخيه بخراسان فلما بلغه موت أخيه في الوقعة مع الخطا دعا إلى نفسه بالسلطنة وإختلف الناس بخراسان وجرت فيها فتن كثيرة.

فلما عاد خوارزم شاه محمد إلى ملكه خاف أخوه (علي شاه) فسار إلى غياث الدين محمود ملك الغورية فأكرمه وأقامه عنده (بفيروزكوه). وبعد أن استقر خوارزم شاه في ملكه وبلغه ما فعله أخوه علي شاه أرسل عسكراً إلى قتال غياث الدين محمود الغوري وكان مقدم عسكره (أمير ملك) فسار إلى (فيروز كوه) وبلغ ذلك غياث الدين محموداً فأرسل يبذل الطاعة ويطلب الأمان فأعطاه (أمير ملك) الأمان فخرج غياث الدين مع علي شاه فقبض عليهما وأرسل يعلم خوارزم شاه بالحال فأمره بقتلهما فقتلهما في يوم واحد. واستقامت خراسان كلها لخوارزم شاه وذلك سنة ٦٠٥هـ ١٢٠٩م بانقراض دولة الغورية بقتل آخر ملوكهم. وكانت دولتهم من أحسن الدول. وكان محمود هذا عادلاً كريماً.

الكرة على الخطا (الخيتاي):

لما خلا الجو لخوارزمشاه في جهة خراسان عبر (نهر جيحون) وسار إلى الخطا، وكان وراء الخطا المغول في حدود الصين وكان هناك ملك يقال له كشلي خان (كوچلو) (وقد مر ذكره في مقارعاته مع جنگيزخان). وكان بينه وبين الخطا عداوة مستحكمة فأرسل كل من كشلي خان ومن الخطا يسأل خوارزم شاه أن يكون معه على خصمه. فاجابهما بالمغلطة وانتظر ما يكون منهما فتقارعا بينهما فانهزمت الخطا فمال عليهم خوارزم شاه وفتك فيهم وكذلك فعل كشلي خان بهم فانقرضت الخطا. ولم يبق منهم إلا من اعتصم بالجبال أو استسلم وصار في عسكر خوارزم شاه.

وهذه الوقعة من الظروف الكبرى المسهلة لجنگيزخان في فتحه وامتلاكه لهذه (المملكة الكبرى) بحيث صار مجاوراً لخوارزمشاه بعد ما قضى عليها واكتسحها...

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

بقايا الغورية:

وفي شعبان سنة ٦١٢هـ ١٢١٥م ملك خوارزم شاه محمد مدينة (غزنة) وأعمالها. وأخذها من يلدوز مملوك الغوري فهرب يلدوز إلى لهاوور من الهند واستولى عليها ثم سار يلدوز من لهاوور واستولى على بعض بلاد الهند الداخلة تحت حكم قطب الدين أيبك خشداش. فجرى بينه وبين عسكر قطب الدين مصاف فقتل. وكان حسن السيرة في الرعية كثير الإحسان إليهم.

وقائع أخرى:

وفي سنة ٦١٤هـ ١٢١٨م سار خوارزم شاه إلى بلاد الجبل وغيرها فملكها. ومنها ساوه وقزوين وزنجان وأبهر وهمذان واصفهان وقم

وقاشان. ودخل ازبك بن بهلوان صاحب اذربيجان وأران في طاعة خوارزم شاه وخطب له ببلاده.

مسير خوارزمشاه إلى بغداد:

ثم عزم خوارزم شاه على المسير إلى بغداد للاستيلاء عليها (سنة ٦١٤هـ ١٢١٨م) وقدم بعض العسكر بين يديه وسار خوارزم شاه في أثرهم عن همذان يومين أو ثلاثة. فسقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله فهلكت دوابهم، وخاف من حركة التتر على بلاده. فولى ولاة على البلاد التي استولى عليها، وعاد إلى خراسان، وقطع خطبة الخليفة الإمام الناصر من بلاد خراسان سنة ٦١٥هـ ١٢١٩م، وكذلك قطعت خطبة الخليفة من بلاد ما وراء النهر. وبقيت خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة منها، فإن أهل هذه البلاد كانوا لا يلتزمون بمثل هذا بل يخطبون لمن يختارون...

وهذه الحادثة فاتحة المناوشات الكبرى بين الخليفة وخوارزمشاه؛ وأشار ابن الأثير وغيره إلى ما شاع عن الخليفة في إغراء التتر للهجوم على خوارزم شاه، ولكن أبا الفداء لم يتعرض لذلك وإنما اكتفى بقوله: «إن جنگيزخان راسل خوارزمشاه في الصلح فلم ينتظم فجمع جنگيزخان عساكره والتقى مع خوارزمشاه محمد، فانهزم خوارزمشاه فاستولى جنگيزخان على بلاد ما وراء النهر، ثم تبع خوارزمشاه محمداً وهو هارب بين يديه حتى دخل بحر طبرستان. ثم استولى على البلاد...» انتهى وعلى كل حال وقوع الاغراء من الخليفة ليس بالمستبعد وقد استعان خوارزمشاه محمد بالخطا على الغورية بمثل ذلك. ومع هذا لا تصلح أن تكون سبباً رئيسياً يعول عليه... فالواحد يخشى الآخر بل إن جنگيز متأهب للوثوب...

التتر والخوارزمشاهية:

إن خوارزمشاه محمد علاء الدين قضى على حكومات صغيرة وخرب فيها وانتهب وقارع الخلافة والحكومات مبعثرة، لم تكن كتلة واحدة، ولا استقرت حكومة خوارزمشاه بعد الحروب الدامية ولا اكتسبت انتظاماً ولا قويت سلطتها على الممالك المفتوحة... فهي في حالة تأسيس إدارة قوية ففاجأها التتر، ولم تبق حكومة قوية تخلفها في انكسارها. وهذه الممالك انهكتها الحروب وتبعثرت أحوالها...

وعن هذه قال ابن الأثير: «إن هؤلاء التتر إنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع، وسبب عدمه أن خوارزمشاه محمداً كان قد استولى على البلاد، وقتل ملوكها وأفناهم، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها...» انتهى[1].

وهذا السبب المسهل يضاف إلى قوة جنگيزخان التي قضت على حكومات وأقوام كثيرة، وأنهم من أهل البداوة والاعتياد على شظف العيش والبساطة، والاكتفاء بما حصل وأن الكل محاربون، ونساؤهم وأولادهم عون لهم في غزوهم وحروبهم... وهذه الأسباب والظروف المتقدمة لا تخرج عن كونها مسهلات وإلا فالقوة في الأصل عظيمة ومدربة، وقانونها (الياساق) قاطع لا يقبل التردد، أو الافتكار، بل هو واجب التنفيذ، وأمراؤهم منقادون لرأس واحد ولا يسوغ لهم الاختلاط بأحد، والمراجعة مع آخر أو التدخل في سياسة، (فالطاعة) أصل الآمرية والمأمورية... والجيش منسق ومنظم تنظيماً لا يكاد يتيسر لمن قبله... وأقوى من كل مقارع له من أي قوم وأمة، وليس هناك سر من الأسرار أو شيء خارق للعادة، فمن ملك هذا الجيش المنقاد ودبره هذا التدبير،

---

(١) ابن الأثير ج١٢ ص ١٣٩».

وحصل على مثل هذه الظروف... نال مبتغاه قطعاً... ولم يكن ذلك إلا نصيب القليل من الفاتحين وأعاظم الرجال...

ظهور المغول في المملكة الإسلامية:

في سنة ٦١٦هـ كان ظهور المغول وفتكهم في المسلمين وكذا في هذه السنة كان تمكن الافرنج وتملكهم لدمياط وقتلهم أهلها وأسرهم... وكأن هذه الأقوام في صلة وتآزر للقضاء على المملكة الإسلامية استفادة من تذبذب الحالة فلم ينكب المسلمون بأعظم مما نكبوا في هذه السنة. والمصيبة الكبرى هي (ظهور التتر) وتملكهم أكثر بلاد الإسلام وسفك دمائهم وسبي حريمهم وذراريهم. ولم يفجع المسلمون منذ ظهر دين الإسلام بمثل هذه الفجيعة... أما الذي سلم من هاتين الطائفتين (الافرنج والتتر) فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق[1].

وإن خطر هؤلاء التتر كان أعظم فإنهم لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة. فهذه الحادثة استطار شررها وعظم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح ولا يزال صداها يرن في الأذان حتى الساعة فإن قوماً خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون[2]. ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها الأفاعيل على الوجه الذي سيذكر ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ثم يتجاوزونها إلى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد

(١) «ابن الأثير ص ١٣٨ ج ١٢» وأبو الفداء.

(٢) وردت في منكبرتي بلفظ «بلاساقون» «ر: ص ٩ منه».

العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارانية ويخربونها ويقتلون أكثر أهليها ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة... هذا ما لم يسمع بمثله.

ثم لما فرغوا من اذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم وعبروا عندها إلى بلد اللآن واللكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعوهم قتلاً ونهباً وتخريباً. ثم قصدوا بلاد قفجاق. وهم من أكثر الترك عدداً فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون إلى الغياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها... فعلوا هذا في أسرع زمان لم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير.

ومضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء وأشد.

هذا ما لم يطرق الأسماع مثله. فلم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم إليه.

والغريب في هؤلاء أنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم. فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير. وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير. فهم إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارج. كذا قال ابن الأثير[1]، لخص وقائعهم وبين أوصافهم والرعب الذي استولى على القلوب من جراء هجومهم ثم ذكر التفصيل...

---

(١) ص ١٣٨ ج ١٢.

أول وقعة جرت بين خوارزم شاه وبين جوجي خان[1]

إن جنگيزخان حينما سمع بقتل التجار والوفود أرسل رسولاً اسمه ابن كفرج بغرا مصحوباً باثنين من التتر إلى خوارزمشاه يتهدده ويقول: «تقتلون اصحابي وتأخذون أموالهم، استعدوا للحرب فإني واصل إليكم بجمع لا قبل لكم به» وكان جنگيزخان قد سار إلى تركستان فملك كاشغر وبلاساغون وجميع البلاد وأزال عنها التتر الأولى، فلم يظهر لهم خبر ولا بقي لهم أثر بل بادوا كما أصاب الخطا وأرسل الرسالة المذكورة إلى خوارزمشاه، فلما سمعها خوارزمشاه أمر بقتل رسوله فقتل وأمر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم إلى صاحبهم جنگيزخان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له إن خوارزمشاه يقول لك أنا سائر إليك ولو أنك في آخر الدنيا حتى أنتقم وأفعل بك كما فعلت بأصحابك[2] فتجهز خوارزمشاه وسار بعد الرسول مبادراً ليسبق خبره ويكبسهم. فأذْمَنَ السير فمضى وقطع مسيرة أربعة أشهر فوصل إلى بيوتهم فلم ير فيها إلا النساء والصبيان والأطفال فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية...

وكان سبب غيبتهم عن بيوتهم أنهم ساروا إلى محاربة أحد ملوك الترك كشلو خان[3] (كوچلو خان) فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله وعادوا فلقيهم في الطريق. فوصل إليهم الخبر بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فجدوا السير فأدركوه قبل أن يخرج من بيوتهم فلما رآه جوجي خان تذاكر مع أمرائه فنهوه عن الدخول بالحرب إذ لم يأمر جنگيزخان

---

(١) ورد بلفظ «دوشي خان» في أكثر الكتب العربية «ر: منكبرتي ص ٩».

(٢) ومثلها في منكبرتي ص ٣٥.

(٣) المعروف أنه أي كشلو خان قضى عليه قبل هذه الحادثة كما مر وقبل أن يقتل التجار... وكان ذلك سنة ٦١٢هـ ١٢١٦م خلاف ما جاء في ابن الأثير كما نبه على ذلك المنشي النسوي في سيرة جلال الدين منكبرتي «ص ٩».

بالمقاتلة والحرب مع السلطان محمد خوارزمشاه خصوصاً أنهم قليلون وهم كثيرون ولكن لو عقبهم خوارزمشاه حاربوه اضطراراً. أما جوجي خان فلم يوافق على هذه الفكرة وقال لا يبقى لي وجه لملاقاة أبي وإخواني[1] وتصافوا للحرب فاقتتلوا اقتتالاً لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة أيام بلياليها، فقتل من الطائفتين ما لا يعد، ولم ينهزم أحد منهم... وهاجم جوجي خان (دوشي خان) بنفسه لبضع مرات حتى وصل إلى صاحب اللواء وموكب السلطان.

أما المسلمون فإنهم صبروا حمية للدين وعلموا أنهم إن انهزموا لم يبق للمسلمين باقية وأنهم يؤخذون لبعدهم عن بلادهم، وأما التتر فصبروا لاستنقاذ أهليهم وأموالهم واشتد بهم الأمر حتى إن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلاً ويتضاربون بالسكاكين وجرى الدم على الأرض حتى صارت الخيل تزلق من كثرته واستنفذ الطائفتان وسعهم في الصبر والقتال...

هذا القتال جميعه مع ابن جنگيزخان. ولم يحضر أبوه الوقعة ولم يشعر بها فأحصي من قتل من المسلمين في هذه الوقعة فكانوا عشرين ألفاً، وأما من المغول فلا يحصى، من قتل منهم، فلما كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض، فلما أظلم الليل أوقد التتر النيران وتركوها بحالها وساروا، وكذلك فعل المسلمون، كل منهم سئم القتال، فأما التتر فعادوا إلى ملكهم جنگيزخان ففرح جنگيز بما فعله ولده وأنعم عليه بإنعامات كبيرة...[2].

وأما المسلمون فرجعوا إلى بخارى. فاستعد خوارزمشاه للحصار لعلمه بعجزه، لأن طائفة من عسكره لم يقدر أن يظفر بهم فكيف إذا

---

(١) شجرة الترك.

(٢) شجرة الترك.

جاؤوا جميعم مع ملكهم؟ فأمر أهل بخارى وسمرقند بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع. وجعل في بخارى عشرين ألف فارس من العسكر يحمونهم، وفي سمرقند خمسين ألفاً. وقال لهم احفظوا البلد حتى أعود إلى خوارزم وخراسان وأجمع العساكر وأستنجد بالمسلمين وأعود إليكم.

فلما فرغ من ذلك رحل عائداً إلى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك.

هجوم جنگيزخان على بلاد المسلمين:

في سنة ٦١٥هـ (قال العبري سنة ٦١٠هـ وليس بصحيح) قصد جنگيزخان بلاد السلطان محمد فهاجم مدينة أوترار[1] من نواحي تركستان والتحق به خان قارليق وهو ارسلان خان بعساكر كثيرة وكذا أيدي قوت بقبائل الأويغور من بيش باليق، وساغناق بقبيلة تكين من الماليق فالتفوا حول جنگيزخان. وقال ابن العبري ولما وصل أعني جنگيزخان إلى نواحي تركستان أتاه الأمير ارسلان خان من غياليق (صحيحها قارليق) والأمير أيدي قوب (صحيحها أيدي قوت) من بيش باليغ (باليق) والأمير سفتاق (ساغناق أو بالتخفيف سغناق فالتحريف ظاهر) من الماليغ (الماليق) وساروا بعساكرهم[2].

ولما اجتمعت العساكر جميعها بقرب مدينة أوترار رتب جنگيزخان على محاصرة أوترار ولديه اوكه داي (او كتاي) وچاغاتاي (جغاتاي) فابتدرا بمحاصرتها وسير جوجي خان (دوشي خان) إلى مدينة خجند

---

(١) وهذه المدينة تبعد عن مصب نهر آريس الذي يصب في سيردريا «سيحون» سبع كيلو مترات.

(٢) «ص ٤٠٢» ابن العبري.

(وفي العبري) أنه سير ابنه الكبير في تومانين من العساكر إلى جانب خجند والآقانويان وسه كتو بوغا بخمسة آلاف على فناكت (بناكت) وخجند وذهب هو بالباقي من الجيش مع ابنه تولى خان إلى بخارا.

محاصرة أوترار وضبطها:

دام القتال على او ترار مدة خمسة أشهر. لأن السلطان محمداً كان قد سير إليها غاير خان في خمسة آلاف فارس (وفي الشجرة كان معه خمسون ألفاً لمحافظة المدينة) ثم لما علم أن المغول سوف يهاجمون المدينة سير من ضباطه قراجا[1] خان حاجب وأمدّه في عشرة آلاف وكانوا كلهم بها. ولما ضاقت الحيلة بمن في المدينة وعجزوا عن المقاومة شاور قراجا خان وأشار إلى غاير خان في لزوم الصلح وتسليم البلد فأبى غاير خان إلاّ المجاهدة حتى الموت، لعلمه أن المغول لا يبقون عليه، فلم ير في المصالحة مصلحة، فتوقف قراجا إلى هجوم الليل وخرج في أكثر عسكره إلى الخارج من باب الصوفي[2] فأخروه إلى الصبح، ثم حمل إلى ابني جنگيزخان فاستنطقاه واستعلما منه كنه أحوال البلد وأمر بقتله وقتل كل من معه، قائلين: إذا كنت لم تبق على مخدومك وولي نعمتك فلا تبقِ علينا، وزحف العسكر إلى المدينة فدخلوها وأخرجوا أهلها جميعهم إلى ظاهرها وأغاروا على ما فيها، وبقي غاير خان في عشرين ألفاً من عسكره متفرقين في دروب المدينة لم يتمكن منهم المغول، وكانوا يخرجون خمسين خمسين يكاوحون ويطعنون في عسكر المغول ويقتلون ثم يقتلون.

وكان هذا دأبهم شهراً إلى أن بقي غابر خان ومعه نفران يجالدون

---

(١) وفي الشجرة قرا حاجب.

(٢) وفي ابن العبري باب دروازة الصوفي فجمع بين باب ومعناها وهي دروازة وهذا غير صحيح.

في سطح دار السلطنة وكان قد برز مرسوم الخان أن لا يقتل غاير خان في الحرب وطلب أن يحمل حياً إليه. فلذلك كثر التعب معه، وقتل صاحباه وبقي وحده يقاتل بالآجر الذي كان الجواري يناولنه من الجدار، فلما عجز عن المناولة أحاط به المغول وقبضوه وحملوه إلى جنگيزخان بعد عودته من بخارى إلى سمرقند، وقتل هناك في كوي سراي[1].

ولو أن كل مدينة قاومت هذه المقاومة وناضلت هذه المناضلة لما تمكن المغول من الوقيعة العظمى بالبلاد لهذا الحد، وبعد أن ذكر ذلك العبري بين أنه في شعبان سنة ٦١٢هـ ١٢١٥م ملك السلطان محمد مدينة غزنة. وكان استولى على عامة خراسان وملك باميان. ولذا يلاحظ الفرق في تاريخ الهجوم بين ٦١٠ و٦١٥هـ في شجرة الترك والعبري مع أن العبري يسلسل الحوادث ولكنه خروج عن كافة المؤرخين مثل أبي الفداء وابن الأثير وسيرة منكبرتي والشجرة والصحيح ما جاء في الشجرة فإنه يتفق ومنكبرتي.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تقدم جنگيزخان على بخارى:

إن جنگيزخان توجه من اوترار على بخارى. ولذا وافى على حين غرة على قلعة يقال لها زرنوق فلما رأى الأهلون جنگيزخان قد حاصر القلعة استولى عليهم الرعب وخافوا كثيراً، فغلقوا الأبواب، أما جنگيزخان فإنه كان له عالم يقال له (حاجب) وهو مسلم، فبعثه إلى المدينة سفيراً وهذا نصح الأهلين وحذرهم، وعلى هذا أخذ جميع الأهلين هناك هدايا وقدموها إلى جنگيزخان، فعاملهم بالحسنى وسمى مدينتهم قوتليق باليق ومعناه في لغة المغول المدينة المباركة.

---

(١) ابن العبري ص ٤٠٣.

وحينئذ أخذ شبان المدينة وترك شيوخها واستمر في طريقه فجاء مدينة نور، وهؤلاء أيضاً حاصروا في المدينة فأرسل عليهم جنگيزخان رسولاً. وبعد تعاطي السفراء الكثيرين جاء الأهلون بهدايا إلى الخان ورأوا منه حسن معاملة، فأمر أن يأخذ الأهلون ما يتمكنون على أخذه من بذور وبقر وغيرها وأن يخرجوا بها، والباقي ترك جيشه ينتهبه فانتهبه.

وفي سنة ٦١٦هـ (وفي العبري في اوائل المحرم سنة ٦١٧هـ ١٢٢٠م) جاء إلى بخارى فأحاط بها، وفي منتصف الليل هاجم كوك خان، وسوينج خان وكوچلو خان بعشرين ألفاً من العساكر، فعلم بذلك جنگيزخان فاتخذ لذلك الترتيبات اللازمة فتقاتل الفريقان بشدة وكانت الحرب طاحنة. وفي النتيجة تمت الغلبة لجنگيزخان فنكل بالعشرين ألفاً. (وفي ابن العبري أن هؤلاء تحققوا عجزهم عن مقاومة المغول فخرجوا من الحصار بعد غروب الشمس فأدركهم المحافظون من عسكر المغول على نهر جيحون فأوقعوا فيهم وقتلوهم كافة ولم يبقوا منهم أثراً). وفي وقت السحر؛ قد فتح مفتي المدينة وعلماؤها الأبواب فجاؤوا إلى الخان، فدخل جنگيزخان بنفسه المدينة، وقد قال ابن الأثير إن دخول جنگيز المدينة كان يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة ٦١٦هـ ١٢٢٠م وذلك أنهم حصروا بخارى وقاتلوا أهلها ثلاثة أيام قتالاً شديداً متتابعاً. فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة ففارقوا البلد عائدين إلى خراسان. (ولم يدر ابن الأثير بما اصابهم بعد خروجهم ولا حكى ذلك). فلما أصبح أهل البلد وليس عندهم من العسكر أحد ضعفت نفوسهم فأرسلوا القاضي بدر الدين قاضيخان ليطلب الأمان للناس فأعطوهم الأمان. وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة. فلما أجابهم جنگيزخان إلى الأمان فتحت أبواب المدينة في اليوم المذكور فدخل التتر بخارى ولم يتعرضوا إلى أحد بل

قالوا لهم كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيرها أخرجوه إلينا وساعدونا على قتال من بالقلعة، وأظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنگيزخان بنفسه وأحاط بالقلعة ونادى في البلد أن لا يتخلف أحد ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم فأمرهم بطمّ الخندق فطموه بالأخشاب والتراب وغير ذلك... ثم تابعوا الزحف إلى القلعة وبها نحو اربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم، ومنعوا القلعة اثني عشر يوماً يقاتلون التتر وأهل البلد، فقتل بعضهم ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا إليهم ووصل النقابون إلى سور القلعة، فنقبوه واشتد حينئذ القتال، ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام، ثم باكروهم في اليوم التالي فجدوا في القتال، وقد تعب من بالقلعة وجاءهم ما لا قبل لهم به فقهروا ودخل التتر القلعة وقاتلهم المسلمون. الذين فيها حتى قتلوا عن آخرهم...

فلما فرغ جنگيزخان من القلعة أمر أن يكتب له رؤوس البلد ورؤساؤهم ففعلوا ذلك فلما عرضوا عليه أمر بإحضارهم فحضروا فقال أريد منكم (النقرة) التي باعكم خوارزمشاه فإنها لي ومن اصحابي أخذت وهي عندكم فأحضر كل من كان عنده شيء منها بين يديه، ثم أمرهم بالخروج من البلد فخرجوا مجردين من أموالهم ليس مع أحد منهم غير ثيابه التي عليه، ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه وأحاط بالمسلمين فأمر اصحابه أن يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوماً عظيماً من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرقوا أيدي سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء أيضاً وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس وارتكبوا من النساء العظيم، والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً مما نزل بهم فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل، وممن اختار ذلك الإمام ركن الدين إمام زاده وولده والقاضي صدر الدين خان ومن استسلم أخذ

أسيراً وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بأنواع العذاب من طلب المال، ثم رحلوا نحو سمرقند، وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم وهم بمكانة بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكل من أعيا وعجز عن المشي قتل.

فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والأسارى والأثقال وراءهم حتى تقدموا شيئاً فشيئاً ليكون أرعب للقلوب، فلما رأى أهل البلد سوادهم استعظموه، فلما كان اليوم الثاني وصل الأسارى والرجالة والأثقال ومع كل عشرة من الأسارى علم فظن أهل البلدان الجميع عساكر مقاتلة وأحاطوا بالبلد وفيه خمسون ألف مقاتل من الخوارزمية، وأما عامة البلد فلا يحصون كثرة...

القتال على سمرقند:

وحينئذ خرج إليهم شجعان أهل سمرقند وأهل الجلد والقوة رجالة (مشاة) ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي أحد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء التتر فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون وأهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم. وكانوا قد كمنوا لهم كميناً. فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين أنشبوا القتال أولاً فبقوا في الوسط وأخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم أحد. قتلوا عن آخرهم وكانوا سبعين ألفاً على ما قيل.

فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم (عزائمهم) وأيقنوا بالهلاك، فقال الجند وكانوا أتراكاً نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الأمان فأجابوهم ففتحوا أبواب البلد، ولم يقدر العامة على منعهم وخرجوا إلى التتر بأهليهم وأموالهم، فقال لهم التتر ادفعوا إلينا سلاحكم وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم إلى مأمنكم

ففعلوا ذلك، فلما أخذوا أسلحتهم ودوابهم وضعوا السيوف فيهم وقتلوهم عن آخرهم وأخذوا أموالهم ودوابهم ونساءهم.

وفي اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج أهله جميعهم ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارى من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه، وأحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله، وافتضوا الأبكار وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي وكان ذلك في المحرم سنة ٦١٧هـ ١٢٢٠م[١].

إن أمثال هذه الأعمال لا تزال مشهورة عن المغول ومدونة في منشوراتهم للتهديد، فعلوها باتفاق من عامة المؤرخين. وإليك أيها القارىء ما قصه ابن العبري[٢] قال:

وفيها (سنة ٦١٧هـ ١٢٢٠م) في ربيع الأول نزل جنگيزخان على مدينة سمرقند وكان قد رتب السلطان محمد فيها مائة ألف وعشرة آلاف فارس يقومون بحراستها. فلما نازلها منع أصحابه عن المقاتلة وأنفذ سنتاي نوين ومعه ثلاثين ألف محارب في أثر السلطان محمد، وغلاة نوين وبسور نوين إلى جانب طالقان، وأحاط باقي العسكر بالمدينة وقت السحر فبرز إليهم مبارزو الخوارزمية ونازعوهم القتال، وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار، وأسروا جماعة وأدخلوهم المدينة فلما كان من الغد ركب جنگيزخان بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال، فاشتد القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله من أوله إلى أول الليل ووقف الأبطال من المغول على أبواب المدينة ولم يمكنوا أحداً من المجاهدين من الخروج فحصل عند الخوارزمية فتور كثير، ووقع الخلف بين أكابر

(١) ابن الأثير.
(٢) ص ٤٠٨.

المدينة، وتلونت الآراء فبعض مال إلى المصالحة والتسليم، وبعض لم يأمن على نفسه وإن اؤمن خوفاً من غدر التاتار، فقوي عزم القاضي وشيخ الإسلام على الخروج فخرجا إلى خدمة جنگيزخان وطلبا الأمان لهما ولأهل المدينة فلم يجبهما إلا إلى أمان أنفسهما ومن يلوذ بهما. فدخلا إلى المدينة وفتحا أبوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الأبرجة ولم يتعرضوا إلى أحد إلى أن هجم الليل فدخلوا إلى المدينة وصاروا يخرجون من الرجال والنساء مائة مائة بالعدد إلى الصحراء، ولم ينكفوا إلا عن القاضي وشيخ الإسلام وعمن التجأ إليهما، فاحتمى بهما نيف وخمسون ألفاً من الخلق، ولما أصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة، وقتل كل من لحقوه مختبئاً في المغائر ومتوارياً بالستاير، وقتلوا تلك الليلة نحو ثلاثين ألف تركي وقنقلي، وقسموا بالنهار ثلاثين ألفاً على الأولاد والأمراء وأطلقوا الباقي ليرجعوا إلى المدينة ويجمعوا من بينهم مائتي ألف دينار ثمن أرواحهم، وكان المحصل لهذا المال ثقة الملك والأمير عميد وهما من أكابر سمرقند والشحنة طايغور (ويروى كايغور).

ومن هناك توجه جنگيزخان بعساكره إلى نواحي خوارزم وأنفذ الرسل إليهم يدعوهم إلى الايليه، والدخول في طاعته».. الخ انتهى.

وكان خوارزمشاه بمنزلته كلما اجتمع إليه عسكر سيره إلى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول إليها فاستولى عليهم الخذلان حتى ضبطها جنگيزخان فقد سيّر مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسيّر عشرين ألفاً فعادوا أيضاً...

وفي الشجرة أن خانات السلطان محمد قد قتلوا جميعهم مع جيشه في محاربة سمرقند بعد أن خرجوا وحاربوا بشدة وأسروا قسماً من المغول في اليوم الأول، وفي اليوم التالي هاجمهم جنگيز بنفسه فكانت

الحرب طاحنة فلم يجسر أحد من الخوارزميين أن يخرج إلى المحاربة خارج البلد ولكن تحاربوا على السور بشدة أيضاً...

وعند الغروب ذهب شيخ الإسلام والقاضي وأتوا إلى جنگيز يطلبون منه الأمان فعاملهم بالحسنى وفتحوا أبواب البلد، فتحوا باب المصلى، وحينئذ هجم المغول ودخلوا من الباب وانتهبوا ما في المدينة... سوى أن ألب خان قاتل وتضارب مع جيش جنگيز حتى تمكن من النجاة بألف جندي...

ثم إن جنگيز وزع ثلاثين ألفاً من الأهلين على النويان وعفا عن خمسين ألفاً لشيخ الإسلام والقاضي وأخذ من الباقين مائتي ألف دينار. وهذه الوقعة جرت في ٦١٦هـ (١٢١٩م).

مسير التتر إلى خوارزمشاه:

لما ملك التتر سمرقند عمد جنگيزخان وسير عشرين ألف فارس (وفي رواية الشجرة ثلاثين ألفاً) تحت قيادة چيه نويان، وسو بوداي بهادر، ودوغاچار القونقراتي وهذا الأمير قتل من قبل تيمور ملك في نيسابور والرواية المعول عليها: أنه قتل في بلخ وقال لهم اطلبوا خوارزمشاه أين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر المغربة لأنها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم.

فلما أمرهم جنگيزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعاً يسمى فنج[1] آب (وفي أبي الفداء پنج آب) ومعناه (خمسة مياه أو خمسة أنهار) فوصلوا إليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار وألبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم

---

(١) لعله نهر آمو.

وأمتعتهم وألقوا الخيل في الماء وأمسكوا أذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة إليهم فكان الفرس يجذب الرجل وهو يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة. . .

وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعباً وخوفاً. وقد اختلفوا فيما بينهم وظنوا أنهم كانوا يتماسكون بسبب أن النهر بينهم فلما عبروه إليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا أيدي سبا وطلبت كل طائفة منهم جهة، ورحل خوارزمشاه لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور، فلما دخلها اجتمع عليه بعض العساكر فلم يستقر حتى وصل اولئك التتر إليها، وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلونه فيجمع لهم، فلما سمع بقربهم منه رحل إلى مازندران، وهي له أيضاً فرحل التتر المغربون في أثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه، فسار منها ووصل الري. ثم منها إلى همذان والتتر وراءه ففارق همذان في نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد إلى مازندران ومنها وصل الساحل المعروف بالسكون (آبسكون) وركب البحر المسمى ببحر طبرستان إلى قلعة البحر. فلما نزل هو وأصحابه في السفن وصلت التتر فرأوا خوارزمشاه قد دخل البحر فوقفوا على الساحل. فلما يئسوا من اللحاق به رجعوا.

وهؤلاء هم الذين قصدوا الري وما بعدها. وذلك أنهم رجعوا إلى قارانداز فضبطوها وأسروا زوجته وأولاده الذكور هناك ومنها توجهوا إلى ايلال. وكان أولاد السلطان محمد الصغار هناك فحاصروها. ويروى أنها في تلك السنة لم تأتها المياه مع أنها كانت كثيرة فلم تصبها الأمطار. وفي مدة ١٥ يوماً نفدت مياهها. فاستولوا عليها. وهذه الوقعة كانت سنة ٦١٧هـ ١٢٢١م ويحكى أنه حين سمع بسقوط هذه المدينة أغمي عليه فمات. وبعدها استولوا على نخجوان وآذربيجان فخربوهما،



جنكيز خان عظيم المغول

وجاؤوا إلى شروان ومضوا من دربند، فاتفقوا مع القفچاق بداعي أنهم منهم وسحقوا اللان. وحينئذ وبعد سحق اللان وتحققهم من ضعف القفچاق تحاربوا معهم وعادوا ظاهرين. وعلى هذا اكرمهم جنگيزخان بإنعامات كبرى[1] . . .

وفاة خوارزمشاه محمد:

أما خوارزمشاه فإنه حين وصل القلعة المذكورة مرض بذات الجنب في الجزيرة الكائنة في البحر فأقام بها طريداً لا يملك طارفاً ولا تليداً، والمرض يزداد حتى توفي سنة ٦١٧هـ ١٢٢١م[2].

وكانت مدة ملكة ٢١ سنة وشهوراً تقريباً. اتسع ملكه وعظم محله وأطاعه القاصي والداني ولم يملك بعد السلجوقيين أحد مثله فإنه ملك من حد العراق إلى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وفعل بالخطا الأفاعيل العظيمة وملك بلادهم، وكان فاضلاً عالماً بالفقه والأصول وغيرهما، وكان مكرماً للعلماء محباً لهم محسناً إليهم، يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه، وكان صبوراً على التعب وإدمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات، إنما همه في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه، وكان معظماً لأهل الدين، مقبلاً عليهم متبركاً بهم. . .

وهذه خصال عددها ابن الأثير وهي كافية لبيان مكانة الرجل ومقدرته، وأقول إنه لم يدخر وسعاً في تدبير المملكة، ولو لم يقتل التجار والسفراء ولم يعاملهم بهذه المعاملة القاسية واتخذ الطريقة التي

---

(١) شجرة الترك وابن الأثير ص ١٤٣».

(٢) تاريخ أبي الفداء وسيرة المنكبرتي ص ٤٨.

راعاها جنگيزخان مع تجاره لكان أكبر ملك حقيقة مهما كانت نتائج مقدراته، كما أن غلطته في مقاومة الخلافة وقطع الخطبة وضرب النقود... مما هيجت عليه الرأي العام وأحبطت مساعيه أكثر مما لو صحت مكاتبة الخليفة الناصر للتتر ودعوتهم للتسلط على خوارزمشاه... وله أغلاط كبرى غير هذه مثل قتلة الشيخ مجد الدين العالم المشهور[1]. وكانت حروبه شديدة وطاحنة ولولا هذه الحروب وتوقف جنگيز من أجلها لما صده صاد... فقد رأى الهول منه وكاد ينتصر عليه... وعلى كل كانت عظمته تفوق سائر الملوك وموكبه فخماً وعلامات أعلامه لا تشبه غيرها... ومن أراد التفصيل أكثر فليرجع إلى أبي الفداء وإلى المنشي النسوي فإنهما نقلا أموراً مستقصاة لا يسعها بحثنا هذا فقد التزمنا الاختصار لبيان الأوضاع بين الحكومتين والمقارعات الحاصلة بينهما...

جلال الدين منكبرتي:

سار جلال الدين منكبرتي[2] بعد موت أبيه السلطان محمد من الجزيرة إلى خوارزم ثم هرب من التتر ولحق بغزنة وجرى بينه وبين التتر قتال فهرب جلال الدين من غزنة إلى الهند فلحقه جنگيزخان إلى ماء السند وتصافقا صبيحة يوم الأربعاء لثمان خلون من شوال سنة ٦١٨هـ ١٢٢٢م وكانت الكرّة أولاً على جنگيزخان ثم عادت على جلال الدين وبالاً وحال بينهما الليل وولى جلال الدين الأدبار منهزماً وأسر ولد جلال الدين وهو ابن سبع سنين أو ثمان وقتل بين يدي جنگيزخان صبراً.

---

(١) شجرة الترك ص ١٠٢.

(٢) ورد في ابن الفوطي بلفظ منكوبرتي و «منكو» اسم من اسماء الله أو صفة من صفاته و «برتي» ويردى بمعنى أعطى وتلفظ «بردي» أيضاً والمجموعة بمعنى عطاء الله أو ما هو قريب منها...

ولما عاد جلال الدين إلى حافة ماء السند كسيراً رأى والدته وأم ولده وجماعة من حرمه يصحن باللّه عليك اقتلنا أو خلصنا من الأسر فأمر بهن فغرقن...

ثم اقتحم جلال الدين وعسكره ذلك النهر العظيم فنجا منهم إلى جانب البر الآخر نحو أربعة آلاف رجل حفاة عراة... ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين ووصل إلى لهاوور من الهند. ولما عزم جلال الدين على العودة إلى جهة العراق استناب بهلوان أزبك على ما كان يملكه من بلاد الهند واستناب معه حسن قراق ولقبه (وفاء الملك). وفي سنة ٦٢٧هـ ١٢٣٠م طرد (وفاء الملك) بهلوان أزبك واستولى وفاء الملك على ما كان يليه البهلوان من بلاد الهند.

وكان جلال الدين قد عاد من الهند ووصل كرمان في سنة ٦٢١هـ ١٢٢٥م وقاسى هو وعسكره في البراري بين كرمان والهند شدائد. ووصل معه أربعة آلاف رجل. ثم سار جلال الدين إلى خوزستان واستولى عليها ثم على اذربيجان ثم كنجه وسائر بلاد أران.

وعند ذلك نقل جلال الدين أباه من الجزيرة إلى قلعة ازدهن ودفنه بها. ولما استولى التتر عليها نبشوه وأحرقوه. وكذا فعلوا في محمود سبكتكين حين استولوا على غزنة.

وفي هذه الأثناء تمكن التتر من اذربيجان فسار يريد ديار بكر ليذهب إلى الخليفة ويلتجيء إليه ويعتضد بملوك الأطراف على التتر ويخوفهم عاقبة أمرهم، وطلب النجدة من الملك الأشرف فلم ينجده، وعزم على المسير إلى اصفهان، ثم انثنى عزمه وبات بمنزله...، وحينئذ أحاط به التتر وصبحوا عسكره:

فمساهم وبسطهم حرير
وصبحهم وبسطهم تراب

ومــن فــي كــفــه مــنــهــم قــنــاة

كــمــن فــي كــفــه مــنــهــم خــضــاب

فلم يشعر إلا وأحاطت به أطلاب التتر بمخيم جلال الدين وهو نائم... فحمل بعض عسكره وهو اورخان وكشف التتر عن المخيم ودخل بعض الخواص وأخذ بيد جلال الدين وأخرجه وعليه طاقية بيضاء فأركبه الفرس وساق أورخان مع جلال الدين وتبعه التتر فقال جلال الدين لأورخان انفرد عني بحيث تشغل التتر بتتبع سوادك. وكان ذلك خطأ منه. فإن أورخان تبعه جماعة من العسكر يقدرون بأربعة آلاف فارس وقصد أصفهان واستولى عليها مدة.

ولما انفرد جلال الدين عن أورخان ساق إلى انحاء آمد فلم يمكن من الدخول، فسار إلى قرية من قرى ميافارقين طالباً شهاب الدين غازي ابن الملك العادل صاحب ميافارقين، ثم لحقه التتر في تلك القرية فهرب إلى جبل هناك وبه أكراد يتخطفون الناس فأخذوه وسلبوه ثم قتلوه.

ويحكي عنه المنشي النسوي أنه كان اسمر قصيراً تركي الشارة والعبارة، يتكلم الفارسية، وأنه كان يكاتب الخليفة على مبدأ الأمر على ما كان يكاتبه به أبوه. فكان يكتب (خادمه المطواع منكبرتي) وبعد أخذ خلاط كاتبه بعبده. ويكتب إلى ملك الروم وملوك مصر والشام اسمه واسم أبيه وكانت علامته على توقيعه (النصر من اللّه وحده). وكان جلال الدين يخاطب ب (خداوند عالم) أي صاحب العالم.

وقال المنشي: «كان اسداً ضرغاماً، اشجع فرسانه اقداماً، وكان حليماً لا غضوبًا ولا شتاماً، وقوراً لا يضحك إلا تبسمًا، ولا يكثر كلاماً، وكان يحب العدل غير أنه صادف أيام الفتنة فغلب، ويحب الترفيه على الرعية لولا أنه ملك في زمان الفترة فغصب..» وعلى كل «فتقلبات الأيام بجلال الدين من إهباط وإصعاد، وإطفاء شعلة نار

وإيقاد، يوماً نفاذ حد وإيراء زند، وآخر ضرع خد، وسقوط جد، بينا تملكه، إذ تكاد تهلكه، وحال تعليه، إذ رأيته تبتليه، لبلغ افادة الغرض، إذ في تصاريف أحوال الزمان به عجائب لم توجد أخواتها... لفظته بلاد الترك إلى أقاصي الهند وأقاصي الهند إلى أواسط الروم من مليك مطاع، وطريد مرتاع... الخ» مما يعين روحيته ويبين مقدرته... وله أربع عشرة وقعة مع المغول في إحدى عشرة سنة فصلها النسوي المذكور[1]...

وكان مقتله في منتصف شوال سنة ٦٢٨هـ ١٢٣١م ومحمد المنشىء النسوي ممن كان في خدمة جلال الدين وملازمته في جميع اسفاره وغزواته إلى أن قتل. وكان كاتب الإنشاء ومحظياً متقدماً عنده فهو أخبر بأحوال جلال الدين ووالده.

وقد مر الكلام على كتابه (سيرة منكبرتي) ووقائعه وبعض النقول عنه... وكان قد ذكر في أواخره أنه كتبه سنة ٦٣٩هـ. وأما النسخة المطبوع عليها فقد نجزت سنة ٦٦٧هـ.

ثم إن الخوارزمية عاثوا في البلاد في انحاء حلب وحصلت منهم غارات نهب وسفك دماء ما لا يقل عن أعمال التتر كما في أبي الفداء وابن الفوطي مما يلي المباحث المتقدمة.

وقائع جنگيزخان الاخرى:

إن جنگيزخان بعد أن ضبط سمرقند توجه بعساكره إلى نواحي خوارزم وأنفذ الرسل إليهم يدعوهم إلى الايليّة[2] والدخول في طاعته.

---

(١) أبو الفداء ج ٣ ص ١٥١ وسيرة المنكبرتي ص ٢ وص ٢٤٧.

(٢) «المتابعة والانقياد له والدخول في عداد أهل مملكته وليست هي الآلية بمعنى القسم كما قال الناشر لتاريخ ابن العبري».

وشغلهم أياماً بالوعد والوعيد والتأميل والتهديد إلى أن اجتمعت العساكر ورتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمى بها فأنشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوها بعد قتل ونهب وأسر. . .

وفي أوائل سنة ٦١٨هـ ١٢٢١م عبر جنگيزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج إليه أعيانها وبذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وأنواعاً من (الترغو)[١] فلم يقبل منهم بسبب أن السلطان جلال الدين كان في تلك النواحي يهيىء أسباب الحرب ويستعد للقتال. ولذا أمر بخروج أهل بلخ فقتل فيهم أكثر الأهلين وأسر. . .

ومن هناك توجه نحو الطالقان وفعل بأهليها مثل ما فعل بأولئك وأبقى البعض ومنها سار إلى باميان فعصى أهلوها وقاتلوا قتالاً شديداً واتفق أن أصيب بعض أولاد جغاتاي بسهم فقضى نحبه، وكان من احب أحفاد جنگيزخان إليه فعظمت المصيبة بذلك واضطرمت النيران في قلوب المغول وجدوا في القتال إلى أن فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقر والأجنة ولم يأسروا منها أحداً قط وتركوها أرضاً قفراً، لم يسكنها أحد اليوم (كذا قال ابن العبري) وسموها ماوباليغ أي مدينة البؤس.

ولما فرغ جنگيزخان من تخريب بلاد خراسان سمع أن السلطان جلال الدين قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلاً ونهاراً بحيث إن المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم إذا نزلوا فحين وصلوا إلى غزنة أخبروا بأن جلال الدين قد رحل عنها منذ خمسة عشر يوماً وهو عازم على أن يعبر نهر السند فلم يستقر جنگيزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في اطراف السند فأحاط به العسكر من قدامه ومن

---

(١) الأقمشة الحريرية. أو النفائس الأخرى «لغة الجغطاي ص ١١٦».

خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة وهو في الوسط وبالغ المغول في المكاوحة وتقدم «١» الأقمشة الحريرية. أو النفائس الأخرى «لغة الجغطاي ص ١١٦». جنگيزخان أن يقبض حياً ووصل جغاتاي وأوكتاي أيضاً من جانب خوارزم. فلما رأى جلال الدين حراجة الموقف حمل عليهم حملات وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الأمر بذلك وأبدى من البطولة والشهامة ما لا يوصف...

وعندما رأى التضييق عليه وأن لا نجاة بهذا الديدن همّ بالعبور وأقحم فرسه النهر بعد أن ودع أولاده وخواصه فانقحم وعام وخلص إلى الساحل وجنگيزخان وأصحابه ينظرون إليه ويتأملونه حيارى...

فتعجب جنگيزخان من ذلك وقال لولديه: من مثل أبيه ينبغي أن يلد ابناً مثله فإذا نجا من هذه الوقعة جرت على يديه وقائع كثيرة، ومن كلامه: لا يغفل من يعقل. وأراد جماعة من البهادرية أن يتبعوه فمنعهم جنگيزخان قائلاً إنكم لستم من رجاله. وذلك لأنه كان يرامي المغول بالسهام وهو في وسط الشط وحينئذ أمر جنگيزخان بقتل جميع الذكور من أولاده. وكان ذلك قد حدث في شهر رجب ولذا قيل في المثل، عش رجباً تر عجباً[1]. وقال أبو الفداء إنه غرق أهله كما مر ذلك عند الكلام على جلال الدين... وإنما ذكرناها هنا وبنص آخر لاطراد وقائع جنگيز...

وفي سنة ٦٢٤هـ ١٢٢٧م قفل جنگيزخان من الممالك الغربية إلى منازله القديمة الشرقية. ثم رحل من هناك إلى بلاد تنكوت (تنغوت) (وهي بلاد شرقي التبت وغربي نهر الصين المسمى (هو) أي النهر الأصفر وهنالك عرض له مرض من عفونة الهواء الوخيم.

---

(١) تاريخ ابن العبري ص ٤١٢ وشجرة الترك.

ولما اشتد مرضه استدعى أولاده: جغاتاي واوكتاي والغ نوين وكلكان وجورختاي وأوردجار (وفي رواية اوروجان وفي نسخة أخرى اردوجار) فأوصاهم أن يخلفه ابنه اوكتاي لمزية رأيه المتين وعقله الرزين فجعله ولي عهده فوافقوه على اختياره. وهذا نص وصيته لأولاده:

«اعلموا يا أولادي الجياد أنه قد قرب سفري إلى دار الآخرة ودنا أجلي، وأنا بقوة الإله؛ والتأييد السماوي استخلصت مملكة عريضة، بسيطة بحيث يسلك من وسطها إلى طرف منها مسيرة سنة من أجلكم يا أولادي، وهيأتها لكم فوصيتي إليكم أنكم تشتغلون بعدي بدفع الأعداء ورفع الأصدقاء، وتكونون جميعاً على رأي واحد حتى تعيشوا في نعمة وعز ودلال، وتتمتعوا بالمملكة» اهـ.

وقد أورد هذه الوصية صاحب جامع التواريخ بنص عربي ونقلتها من تاريخه العربي. وكان يوصي أولاده بالصيد والقنص ومطاردة الوحش عند ركود الحروب وهدنة القتال كأنه يريدهم أن يكونوا في تمرن دائم للحروب مع الناس، أو مع الحيوان..

ثم اشتد وجعه فتوفي في ٤ رمضان ٦٢٤هـ ١٢٢٧م (وفي شجرة الترك أنه توفي بتاريخ ١٤ رمضان وقد عاش ٧٣ سنة وفي تواريخ الصين أنه عمر ٦٦ سنة وطالت حكومته ٢٥ عاماً).

وحينئذ شكلوا مجمعاً كبيراً يسمى عندهم (قور يلتاي) (وهذا هو الصحيح ولا يلتفت إلى القول بأنه القعر يلياي فإنه غير معروف ولا صحيح). فكان اجتماعهم سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩م وأجمعوا على أوكتاي حسب الوصية فألحوا عليه بالقبول وهو يتمنع لمدة ٤٠ يوماً حتى قبل. فلقبوه (قاآن) أي ملك أو سلطان وأجلسوه على سرير المملكة[1].

---

(١) تاريخ العبري ص ٤٢٨ وفيه تفصيل عن مراسم الجلوس.

صفوة القول عن جنگيزخان:

إن هذا الملك كانت ادارته أشبه بحكومات اليوم. فلم يضع عقلاً ولم ينتهج غياً. فهو صاحب حكومة مدنية لم يؤسس عمادها على دين وشكلها استعماري، استخدم جماعات من العناصر المختلفة والأمم المستضعفة لترويج غرضه وتمشية منهاجه. وإن كان الأقوام الذين معه سلكوا المحرمات وأباح هو المنهيات لأمور لا تخفى على العاقل مغازيها بالنظر لأوضاع الاجتماع آنئذ... ولكنهم احترموا ضعفاء الأقوام وجعلوهم احراراً في كل مراسمهم الدينية فصار يظن لأول وهلة أنهم نصارى من قبل النصارى وهكذا... ولكن المفهوم أنهم يقدسون الشمس فتراهم في تولية اوكتاي السلطنة مقام أبيه قد جثوا على ركبهم تسع مرات دلالة على التعظيم له. ثم خرجوا من المخيم وجثوا ثلاث مرات حيال الشمس... ومن هذا يفهم أنهم يعظمون الشمس ويخضعون لإشراقها...

قال ابن السبكي في الطبقات: «كان من أعقل الناس، وأخبرهم بالحروب ووضع له شرعاً اخترعه، وديناً ابتدعه... سماه (الياسا) لا يحكمون إلا به، وكان كافراً يعبد الشمس...» ا هـ وقد مر النقل عنه أن قومه أطاعوه طاعة العباد المخلصين لرب العالمين[1]...

وإن القصة التالية توضح عقيدة جنگيزخان:

«إن جنگيزخان بعد أن ضبط طوران وإيران وبعد أن أتم أمراؤه وأبناؤه ما عهد إليهم من تخريب أنحاء غزنة من قبل اوكتاي وتعقيب أثر السلطان جلال الدين من قبل جغتاي خان فانعدم أثره وعاد بغنائم وفيرة وأسرى كثيرين... جاء إلى سمرقند وعين في الولايات حكاماً عسكريين

---

(١) طبقات الشافعية ص ١٧٦.

(داروغا) ومضى من نهر آمو وجاء إلى بخارى. وإن أولاده الذين بعثهم إلى الأطراف عادوا جميعاً والتحقوا به.

وحينئذ أرسل إلى أهليها أن يبعثوا إليه أحد علمائهم يسأل منه بعض الأمور فبعثوا إليه القاضي أشرف ومعه واعظ آخر فجرت بينهما المحاورة الآتية:

جنگيزخان ـ ما المسلمون؟ ولماذا انتم مسلمون؟

الجماعة ـ المسلمون عبيد اللّه. واللّه واحد، وليس له مثل ولا شريك.

/ ـ أنا أيضاً اعتقد أن اللّه واحد!

هم ـ وللّه رسل. هم سفراء اللّه. ارسلهم ليبينوا أوامره ونواهيه.

ج ـ وهذا مقبول.

هم ـ ونحن نصلي خمس أوقات نعبد اللّه بها.

ج ـ وهذا حسن.

هم ـ ونصوم شهراً في السنة.

ج ـ وهذا حسن أيضاً.

هم ـ إن للّه بيتاً في مكة. فإذا تمكنا من الذهاب إليه فعلنا.

ج ـ لا أوافق على هذا فالعالم كله بيت اللّه. فلماذا يخصص في محل معين؟ ثم انتهت المحاورة بهذا الوجه.

ولم يبين له هؤلاء العلماء السبب الذي أورده القرآن الكريم نفسه وهو أنه أول بيت وضع للناس وأنه واسطة التعارف بين المسلمين وموطن التكبير للّه على الهداية باعتبار أنه موطن الهداية والدعوة الأولى...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فأذن جنگيزخان لهما بالعودة ولكنهما طلبا أن يعفو عنهم فلطف بهم وأعطاهم طرخانا[1]. ومن هناك توجه إلى سمرقند ومنها ذهب إلى صحراء قبچاق. هناك أمر أن يجروا الصيد. وبعدها عاد لوطنه ونصح أولاده وأوصاهم ببعض الوصايا في ادارة الممالك وكيفية المحاربة وبأي صورة يعامل الناس وما ماثل...».

ومن وصاياه: لا يؤذ بعضكم بعضاً على أمور الدنيا فإذا شعر بعضكم بألم من الآخر فليسارع لإزالته حالاً لتكونوا بمأمن من شرور الأعداء، اجعلوا اوكتاي ملكاً بعدي، أطيعوه وكونوا دائماً في جانبه، اقتلوا شيدورقو وكافة من معه قبل أن يعلم بوفاتي (وهذا كان قد عصى ثم طلب الأمان وهو والي تنغوت)، ثم أعلنوا وفاتي للناس.

هذا مجمل وصاياه وعقائده.

وإن أقواله وقوانينه والتقاليد التي وضعها تبين بوجه الإجمال إدارته زيادة على ما مرّ من أعماله وتدابيره وهي:

١ ـ أنه قسّم جيشه إلى أقسام كل قسم عشرة آلاف نسمة سماه (تومانا) وهو[2] المعروف عندنا اليوم (بالفرقة) وجعل عليه قائداً يقال له (نويان) أو (نوين) وهو (آمر الفرقة) ثم قسم هذا فجعل لكل ألف منه قائداً يقال له بيكباش أو ما يسمى عندنا (آمر فوج) وقسم هؤلاء إلى مئات جعل قائداً على كل مائة يدعى يوزباش وعندنا (آمر السرية). فرّقه إلى عشرات فجعل على كل عشرة مقدما (أو نباشي) يسمى عندنا (آمر حضيرة) كما أنه اعتبر على الخمسين مقدما يدعى عندنا (آمر فصيل)،

---

(١) الترخان، أو طرخان بمعنى العفو العام أو العفو عن بعض التكاليف، وإعطاء الامتيازات الخاصة، ويطلق على المعفو عن التكاليف الأميرية... ر: «لغة جغطاي ص ١٠٨»، مر الكلام عليه فيما سبق.

(٢) بمعنى عشرة آلاف، وتطلق على اللواء أيضاً. وعند العجم يراد به نقد معروف.

ومنع أن يتصل قائد النومان (النويان) بآخر مثله وليس له أمر على الغير كما أنه يجب أن تراعى السلسلة في الآمرية فالنفر لا يراجع إلا آمره وهكذا من فوقه على مراتبهم.

٢ ـ ألزم بقانونه أن لا يقصر فرد في لوازمه من الخيط إلى الإبرة إلى قطعة الخام فكل لوازمه ينبغي أن تكون جاهزة بلا نقص... ومن لا يراعي ذلك يعاقب بأشد العقوبة.

٣ ـ وكان يعاقب بشدة كل من لم يسمع كلام أبيه من الأولاد والأخ الأكبر من بين باقي الإخوة والزوجة من زوجها...

٤ ـ يعاقب كل من يسرق ويقطع الطريق أو يعمل الشر بعقوبة شديدة، لذا لم توجد في زمنه أمثال هذه الأمور.

٥ ـ إن جنگيزخان كان يقدم للقيادة من كان عاقلاً، شجاعاً، ويجعل الأفراد من سائر الناس. وأما الضعفاء والعجزة فإنه يتخذهم رعاة فيوزع الأعمال بهذه الصورة. والأمم المتمدنة اليوم تراعي هذا القانون تقريباً في جنديتها..

وهكذا قضى أشغاله بنجاح وقويت دولته وحكومته وازداد شأنها يوماً فيوماً.

٦ ـ ومن قوانينه أن يأتيه القواد كل سنة من أونباشي (آمر حضيرة) إلى النويان (آمر الفرقة) فيواجهونه ويتلقون منه الأوامر ويصغون إلى نصحه. وقال: إن من فعل ذلك تمكن أن يصير قائداً لجيش عظيم ومن لم يفعل فلا يصلح للقيادة. لأن هؤلاء في نظره يشبهون الصخرة التي لو طرحت في ماء عميق أبقت بعدها اثراً وذهبت عن العيان.

٧ ـ كان جنگيز يقول: إن من يدبر بيته أحسن تدبير يتمكن من إدارة المملكة.

٨ ـ وكان يقول: من تمكن على إدارة عشرة أفراد وأحسن سوقهم تيسر له سوق جيش عظيم.

٩ ـ من تمكن من نظافة بيته يستطيع أن يحرس حكومته من السراق وأهل الشقاء[١].

وله أقوال كثيرة أمثال هذه. فلو كتبناها كلها لكونت كتاباً ضخماً ولذا اكتفينا ببعضها... وقد شاعت قوانينه هذه وانتشرت بين الأمم، وقد تعرض لها مؤرخو الإسلام ولكن صاحب فوات الوفيات سماها (النسق) والحال أنها (اليساق) أو (الياسا) ومعناها النواهي أو المحرمات والزواجر أو الواجبات التي لا يصح التهاون بها... وقد بالغ الناس في التشديد بخصوصها وقد أورد صاحب الخطط (المقريزي) الكثير منها.

وقال: «أخبرني... أبو هاشم أحمد بن البرهان... أنه رأى نسخة من الياسه (الياسا) بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد». اهـ ثم بين جملة مما شرعه هاشم خان فيها[٢]...

وكذا صاحب جامع التواريخ وجها نكشا للجويني و(تيمور وتزوكاتي)... والظاهر أن الذين نقلوها لم يجدوها مدونة ومكتوبة وإنما هي محفوظة. لأن الأمة كانت أمية وتتلقى هذه الأوامر فتحفظها وهي أوامر مختصرة أو قوانين كلية وقواعد معتادة. ولا يزال العراقيون يطلقون على منع الدخول (بيسق) أو كما يقول العوام (يصغ) وكذا الترك يلفظونها بهذا اللفظ ولعلها وصلتنا منهم أو من الترك سكان العراق القدماء.

---

(١) «شجرة الترك».

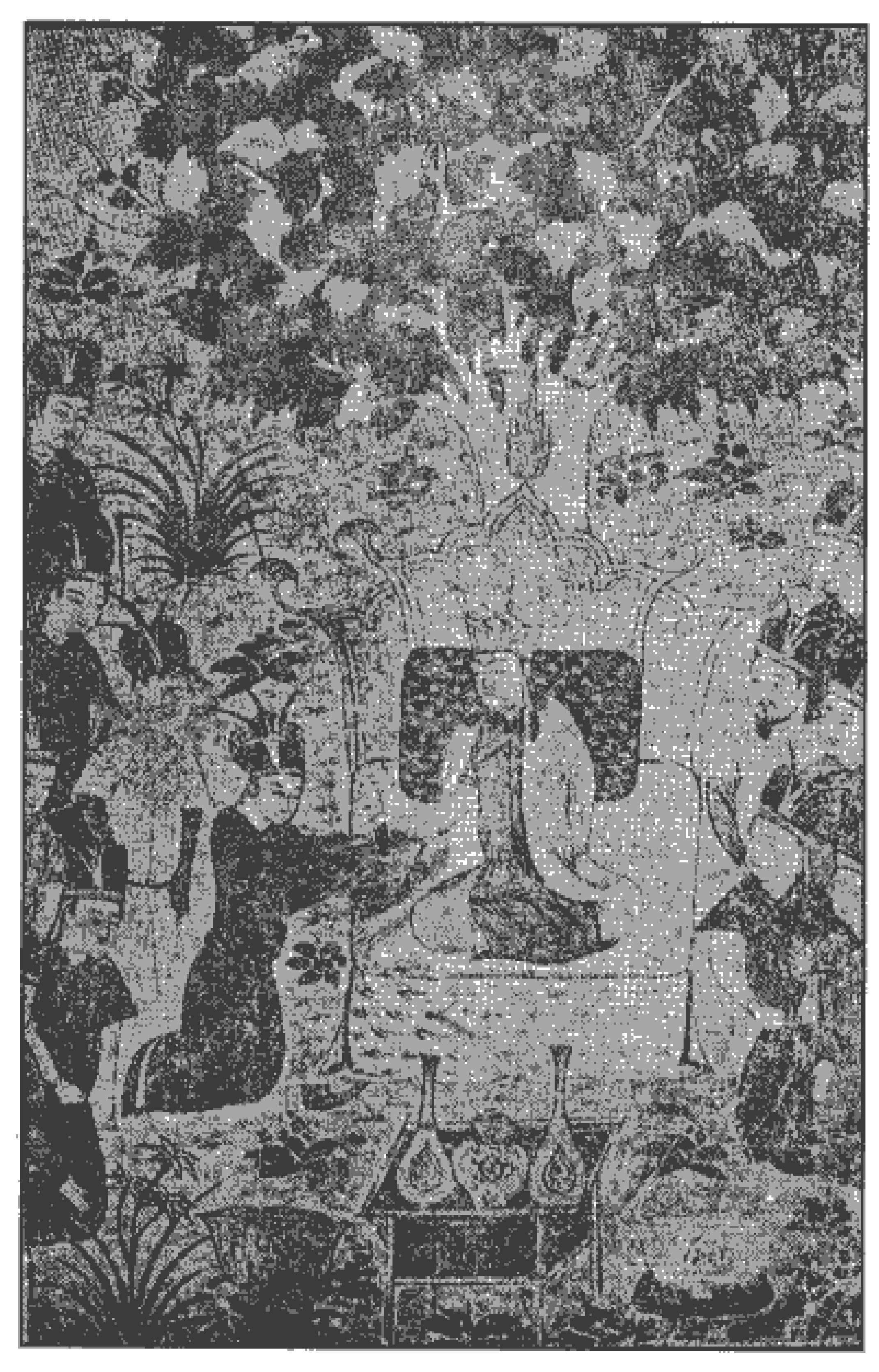
(٢) خطط المقريزي ج ٣ ص ٣٥٨.

وعلى كل حال أوامره تعني التزام النظام والطاعة ولا تقبل التساهل أو التهاون بوجه فالشدة مرعية في تطبيقها والعقوبة على المخالفة صارمة جداً. . . وأما النظر إلى التخريبات واعتبارها هدماً للنظام فهذا غير صحيح. لأن المراد من ذلك امحاء قوة العدو وأن لا يتبدل عليهم الأهلون فيكونوا بلاءً، وفيها ترهيب للناس وقسر على الطاعة. فالغاية في نظرهم تبرر الواسطة ومع هذا فالخوف والاحتراس ضروري والحساب للأمور شأن العقلاء وأكابر الفاتحين. . . ولكن هذا القائد أفرط في الاحتراس فأبقى له سمعة سيئة في التاريخ فصار مضرب المثل في الظلم والعدوان وكل ما جاوز حده انقلب الغرض منه وصار إلى ضده. فالبشرية جربت هذه التجربة المرة وسجلتها في أعمالها وفيها عبرة لمن جاء بعده من القواد والفاتحين ولا يزال اللوم والتنديد موجهين على من يخرج عن الطريق المعروف. واكتسبت الحروب في هذه الأيام (أيامنا أثناء تحرير هذا التاريخ) شكلاً مؤسساً على حقوق الحرب وأسباب صحيحة وقطعية والمخالف يقبح ويطعن من أجله بشرف الأمة التي قام باسمها من جراء عمله. . ومع هذا فلا تفترق بعض الحكومات عن سابقاتها من أنها عصابات منظمة فلم تكتف بما لديها. . . ولكنها سائرة من حيث العموم إلى أن تكون جماعة لإدارة الأمة إدارة رشيدة. . . . .

حكومة اوكتاي قآن

اوكتاي قآن:

اتفق مؤرخو الإسلام على تلفظ هذا الاسم بالوجه المذكور في صدر هذا المقال. وفي شجرة الترك ينطق به هكذا (اوكه داي) وليس هناك تفاوت كبير. وإنما هو من جهة ضبط الكلمة وإظهار حركاتها الحرفية بإشباع الحركات لا غير. ولذا راعينا تلفظه الشائع. وهذه اللفظة



جلوس اوكتاي قاآن

تعني الصاعد، أو المعتلي[1]...

إن اوكتاي ثالث أولاد جنگيزخان تولى زمام الحكم سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩م أي بعد أبيه بسنتين وذلك أن الأولاد والأمراء ارسلوا الرسل إلى باقي الأولاد والأمراء ليجتمعوا في القوريلتاي (المجلس العام ويعقد للأمور المهمة والقضايا الكبرى المدلهمة ويتألف من أهل الحل والعقد لاتخاذ القرار فيما يمكن عمله).

وفي سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩م (وفي شجرة الترك سنة ٦٢٧هـ ١٢٣٠م) تم اجتماع الأولاد وأمراء المغول فوصل من جهة القفچاق (قپچاق) الأولاد دوشي (جوجي خان)[2] وأولاده. ومن جانب اتميل أوكتاي ومن ناحية المشرق عمهم أوتكين ويلكتاي نوين والجتاي نوين والغ نوين.

وأما الأولاد الصغار فكانوا في أوردو جنگيزخان[3].

وفي زمن الربيع حضروا كلهم في عساكرهم واتخذوا الأفراح لمدة ثلاثة أيام متوالية ثم شرعوا فيما تقدم به جنگيزخان من الوصية والعهد بالمملكة إلى اوكتاي فامتثلوا الأوامر الجنگيزية، واعترفوا بأهليته لذلك فاستقالهم اوكتاي الولاية قائلاً: إن أمر الوالد وإن كان لا اعتراض عليه ولكن ههنا أخ أكبر مني وأعمام أولى مني بها. فلم يقبلوا منه وأصروا على أنه لا بد من امتثال مرسوم الوالد وداموا على اصرارهم أربعين يوماً وما زالوا يتضرعون إليه ويلحون عليه بالمسألة حتى أجاب إلى ذلك

---

(١) تاريخ المغول لموراجا دوهسون ص ٢١٤ وفي لغة جغتاي جاء لفظ «اوكتا» بمعنى القاتل، والقوي والشجاع أو البطل. والأعلام قد تلاحظ فيها التسميات الأولى دون مراعاة لمدلولها المعروف.

(٢) في المغولية جاءت بلفظ جوجي وغيرهم نطقوا بها «دوشي» و «توشي» وهي بمعنى الضيف المفاجىء على غرة، أو الصبي المحبوب... «لغة جغتاي».

(٣) يلفظ عندنا أوردي بمعنى الجيش، والفيلق وكذلك عند الترك وهو مستعمل عندهم وتطلق على المعسكر أيضاً.

فكشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم وأخذ جغاتاي (أخوه الكبير) بيده اليمنى وأوتكين عمه بيده اليسرى فأجلساه على سرير المملكة ولقباه (قاآن) وأمسك له الغ نوين كأس شراب فسقاه وجثا كل من كان حاضراً داخل المخيم وخارجه على ركبتيه تسع مرات ودعوا له، ثم برزوا كلهم إلى الخارج وجثوا ثلاث مرات حيال الشمس.

وإنما اختص الغ نوين بمسك الكأس لأنه أصغر أولاد جنگيزخان. ومن عادة المغول أن الابن الصغير لا يقتسم ولا يخرج عن بيت أبيه. وإذا مات الأب فهو يتولى تدبير المنزل ففي تلك الأربعين يوماً كان يقول اوكتاي: إن الغ نوين هو صاحب البيت وأكثر مواظبة لخدمته وأبلغ مني تعلماً لسياسته. فالمصلحة تفويض هذا الأمر إليه. فلذلك سبق الجميع بتصريح الطاعة.

وأما الأمراء فانتخبوا من بناتهم الأبكار الصالحة لخدمة قا آن أربعين بنتاً وحملوهن مزينات بالحلي الفاخرة والخيول الرائعة إلى خدمته.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ولما فرغ من هذه الأمور صرف همته إلى ضبط الممالك وجهز جورماغون[1] في ثلاثين ألف فارس وسيره إلى ناحية خراسان لتعقب السلطان جلال الدين لأنه كان أتى من الهند واستولى على كرمان وشيراز وأذربيجان وتبريز وعلى مدن أخرى وجمع له جيوشاً عظيمة. فلما سمع جلال الدين بسوق الجيوش عليه انسحب إلى انحاء ديار بكر فكردستان بالوجه المنوه عنه فقتله الأكراد رغبة في فرسه وكركه وقيل إنه ترك لباسه واكتسى أثواب درويش ولم يبق له خبر فطمس أثره[2]. وأنفذ سنتاي بهادر (ويروى سيناي بهادر) في مثل ذلك العسكر إلى جانب قفچاق

(١) ورد بلفظ جرماغون أيضاً.

(٢) «ر: ابن العبري ص ٤٣١».

وسقسين وبلغار. وجماعة أخرى ذهبت إلى التبت وقصد هو بنفسه بلاد الخطا وذلك في ربيع الأول ٦٢٧هـ ١٢٣٠م فكانت الحروب سجالاً بين الطرفين وبالنتيجة أكمل فتحها وفي هذه الأثناء توفي تولي خان لمرض أصابه في حين أنهم كانوا مسرورين بفتح بلاد الخطا وكان أحب الإخوة إلى قاآن فاغتَمَّ لذلك كثيراً. وأمر أن تتولى زوجته سرقوتني بيكي (بنت أخي اونك خان هي سورقوقتي) تدبير عسكره وكان لها من الأولاد أربعة بنين أحدهم منگو قاآن والآخر هلاكو فأحسنت تربيتهم وإدارة أصحابه. وكانت تدين بالنصرانية.

وبعد قليل مات أيضاً الأخ الكبير وهو توشي (دوشي) وخلف سبعة بنين كان أحدهم باتو تسلم بأمر القاآن البلاد الشمالية وهي بلاد الصقالبة واللان والروس والبلغار وجعل مخيمه على نهر أتل وغزا هذه النواحي فانتصر انتصارات باهرة. . . ونالته في الأخير مغلوبية فاحشة ولكن لم تفلّ من غرب المغول ولا فترت من عزمهم وفي سنة ٦٣٣هـ ١٢٣٦م غزا التاتار بلد أربل وعبروا إلى بلد نينوى ونزلوا على ساقية ترجله (لفظها ابن العبري ترجلي) وكرمليس فهرب أهل كرمليس ودخلوا بيعتها. وكان لها بابان فدخلها المغول وقعد أميران منهم كل واحد على باب وأذنوا للناس في الخروج عن البيعة فمن خرج من أحد بابيها قتلوه ومن خرج من الباب الآخر اطلقه الأمير الذي على ذلك الباب وأبقاه فتعجب الناس لذلك[1].

وفي سنة ٦٣٤هـ ١٢٣٧م في شهر شوال غزا التاتار بلد أربل وهرب أهل المدينة إلى قلعتها فحاصروها أربعين يوماً. ثم أعطوا مالا فرحلوا عنها في ٦ ذي الحجة لأنهم سمعوا أن قد جاء المدد من بغداد[2].

(١) في ابن الفوطي في حوادث هذه السنة بعض التفصيل من جهة وابن العبري ص ٤٣٦.

(٢) ابن الفوطي سنة ٦٣٤هـ وابن العبري ص ٤٣٧.

وفي سنة ٦٣٥ غزا التاتار العراق ووصلوا إلى تخوم بغداد إلى موضع يسمى زنكاباد وفي ابن الفوطي إلى دقوقا، وإلى سر من رأى فخرج إليهم مجاهد الدين الدويدار وشرف الدين اقبال الشرابي في عساكرهما فلقوا المغول وهزموهم وخافوا من عودهم فنصبوا المنجنيقات على سور بغداد[1].

وفي آخر هذه السنة عاد التاتار إلى بلد بغداد ووصلوا إلى خانقين فلقيهم جيش بغداد فانكسر جيش الخليفة وعادوا منهزمين إلى بغداد بعد أن قتل منهم خلق كثير وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا. وكانت هذه الوقعة في ٣ ذي القعدة. وقد اضطرب أمر بغداد بسببها[2].

ويلاحظ أن المغول في حروبهم إذا أصابتهم نكبة لا يفتر عزمهم ولا تقلل من مقدرتهم وإنما يراعون الدواعي ويتخذون التدابير لإعادة الكرة... وهذا من العقل بمكانة، كما أن التزام الحكومة العراقية بالجيش وبذل المصاريف وايجاد الشغب والاطلاع على الحالة وجسّ النبض... مما يعرف بحقيقة الوضع، فالقوم ليسوا غزاة طالبين الاستفادة المؤقتة وإنما هم عارفون ومنتهجون خطة سليمة للفتح واتخذوا الارهاب والقسوة وسائل لتأمينها والقضاء على الشعب والحكومة معاً...

وبعد هذا التاريخ جرت للمغول حروب عظمى سواء في الاناضول أو الكرج والأرمن وأذربيجان وكانوا المنتصرين فنهبوا وسلبوا وقتلوا... ثم مضوا فلم يسلم منهم المسلمون ولا النصارى فقد عم أذاهم الطوائف جميعها...

---

(١) ابن الفوطي سنة ٦٣٥هـ.

(٢) الفوطي سنة ٦٣٥هـ وابن العبري.

وفي سنة ٦٤٢هـ ١٢٤٥م أغار التتر على بغداد ولم يتمكنوا من منازلتها... أو بالتعبير الصحيح عادوا بعد أن قتلوا ونهبوا ومنهم كان فريق عبر دجيل وفعل هناك مثل هؤلاء[١]....

مرض القاآن:

وفي سنة ٦٤٣هـ ١٢٤٦م مرض القاآن. ولما اشتد مرضه سير رسولاً في طلب ابنه كيوك فلم يمهله القضاء للاجتماع به فأقام بالمكان الذي بلغه فيه وفاته. وكانت والدته توراكنه خاتون[٢] ذات دهاء كاف وفطنة فاتفق جغاتاي وباقي الأولاد على أنها تتصرف في تدبير الممالك إلى وقت القوريلتاي (مجلس الشورى) لأنها أم الأولاد الذين لهم الاستحقاق في الخانية.

وفي وزمن هذا القاآن نرى المحاربات شديدة ولكنها لا تخرج عن كونها غزواً ونهباً وسلباً لحد هذا التاريخ ولم تستقر الحكومة وتكتسب شكلاً مدنياً منظماً، أو أنها لم تتيسر لها إدارة الممالك المضبوطة والوقوف مع المجاورين عند حد دولي معروف، وأن إرسال الرسل والمخابرات لم تدعهم يركنون إلى مسالمة فلا يرضون بغير التسليم والانقياد التام...

هذه هي الحالة العامة لحكومة المغول، ولا يفوتنا أن نذكر لهذا القاآن خطته الدالة على التعديل نوعاً في الأوضاع السياسية وتطييب قلوب المسلمين وهي:

١ ـ يحكى أنه جاء رجل لا يؤمن بالدين الإسلامي فقال له: «إني

---

(١) الفوطي حوادث سنة ٦٤٣هـ.

(٢) في تاريخ ابن العبري جاءت بلفظ «تورا كينا» ص ٤٤٨ وفي شجرة الترك توراكينه بإشباع الحركة ص ١٤٧.

رأيت رؤيا، قال لي جنگيزخان فيها في الحلم: أخبر اوكتاي أن يقتل المسلمين!» فقال له هل هو الذي قال لك أو ترجمانه. فقال هو قال لي من لسانه ثم سأله اوكتاي عن معرفته اللغة المغولية فأجاب بالسلب. وحينئذ قال: اقتلوه! تكلم بالكذب. لأن جنگيزخان لا يعلم لغة سوى لغته.

٢ ـ ويحكى أنه كان اوكتاي قاآن أمر أن تذبح الشياه بشق صدرها لا بذبحها من مذبحها. فأخذ أحد المسلمين شاة وأغلق بابه فذبحها بالوجه الشرعي عند المسلمين. وحينئذ جاءه مغولي فدخل عليه وأخبر الملك بذلك. فقال إنه أطاع الأمر بغلقه الباب فلا يستحق عقوبة، وأمر بقتل المغولي لانتهاكه حرمة دار المسلم.

والقصص والحكايات تنقل عن لطفه وكرمه... بكثرة وكان له أربع زوجات و٦٠ سرية، وله من الأولاد سبعة منهم خمسة من زوجته توراكنه واثنان من السرايا. وولى عهده حفيده شيرامون كوجو [ونظراً لقول الخواجه رشيد الدين هو كوجر].

وقد خلفه ابنه كيوك رغم وصيته بأن يكون ابن ابنه شيرامون كوجو[١].

حكومة گيوك بن اوكتاي

گيوك بن أوكتاي:

في سنة ٦٤٤هـ ١٢٤٧م تم اجتماع الأولاد والأحفاد وأمراء المغول في وقت الربيع. وحضر في المجمع من غير المغول جماعة مما وراء النهر وتركستان الأمير مسعود بيك، ومن خراسان الأمير أرغون آغا

---

(١) شجرة الترك ص ١٤٨.

وصحبته أكابر العراق واللور واذربيجان وشروان ووفود آخرون من الروم، ومن الأرمن، ومن كرجستان، ومن الشام، ومن بغداد فخر الدين قاضي القضاة، ومن علاء الدين صاحب الالموت محتشمو قهستان. . .

فلما تم هذا المجمع الذي لم يعهد مثله وقع الاتفاق على گيوك. وإنما اختير هو دون إخوته لكونه مشهوراً بالغلبة والشطط والاقتحام والتسلط. وكان هو أكبر الإخوة فأهل للولاية وأجلس على سرير الملك وخدموه ودعوا له كالعادة وسموه گيوك قاآن وكان قد حضر حفلة سلطنته اثنان من قسوس الافرنج.

وفي سنة ٦٤٥هـ ١٢٤٨م ولي گيوك خان على بلاد الروم والموصل والشام والكرج (وفي رواية والأرمن) نوينا اسمه ايلجيكتاي؛ وعلى ممالك الخطا الصاحب محمود يالواجي وعلى ما وراء النهر وتركستان الأمير مسعود، وعلى بلاد خراسان والعراق واذربيجان وشروان واللور وكرمان وفارس واطراف الهند الأمير ارغون آغا. . .

وأما رسول الخليفة فخاطبه خطاب واعد وموعد بل واعظ ومنذر. وأما رسل الملاحدة فصرفهم مذلين مهانين. . .

وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان أمير كبير اسمه قداق وشاركه أمير آخر اسمه جنيقاي (ويروى تجنيفاي) قال العبري وهذان أحسنا النظر إلى النصارى وحسنا اعتقاد كيوك خان في النصرانية ووالدته وأهل بيته فصارت الدولة مسيحية. . .

وقال صاحب الشجرة إن هذا الملك وزع الخزائن على الناس بصورة لم يسبقه إليها أحد قبله وكان يراعي النصارى ومبنى هذا الاتفاق. . . دامت سلطنته سنة واحدة.

وبهذا وزع الأعمال وشرع في تنظيم الحكومة وترتيبها. وفي سنة ٦٤٧هـ ١٢٤٩م توفيت توراكينه خاتون أم كيوك خان فتشاءم كيوك خان

ورحل إلى البلاد الغربية. ولما وصل إلى ناحية قمستكي وبينها وبين مدينة بيش باليغ خمس مراحل ادركه أجله في تاسع ربيع الآخر من السنة المذكورة. فأرسلت زوجته المسماة قاميش وفي العبري (أغول غانميش) رسولاً إلى باتو بن تولي وأعلمته بالقضية وتوجهت هي إلى جانب قوناق وايميل وأقامت بالمكان الذي كان يقيم به كيوك خان أولاً. فسيرت سورقوقتي بيكي[1] زوجة تولي خان وهي أكبر الخواتين يومئذ إليها رسولاً تعزيها وحمل إليها ثياباً وبوقتاقا (ويروي وبوقتايا).

أما باتو[2] فإنه سار من بلاده الشمالية متوجهاً إلى المشرق ليجتمع بكيوك خان لأنه كان يلح عليه بالمسير إليه. فلما وصل إلى موضع يقال له الاقماق وبينه وبين مدينة فياليق ثماني مراحل بلغه وفاة كيوك خان. فأقام هناك وسير رسولاً إلى قاميش (اغول غانميش) زوجة كيوك خان وأذن لها بالتصرف في الممالك إلى أن يقع الاتفاق على من يصلح للأمر وأرسل أيضاً إلى الجوانب ليجتمع الأولاد والعشائر والأمراء.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مانگو[3] قاآن:

هو ابن تولي[4] خان من زوجته الكبرى سورقوقتي بيكي بنت

---

(١) وردت في ابن العبري بلفظ «سرقوتني» وفي شجرة الترك سورقوقتي وهو الذي عولنا عليه راجع ص ١٤٩.

(٢) في ابن العبري جاء بلفظ باتوا والصحيح «باتو».

(٣) جاء في وفيات الأعيان ص ١٨ ج ١ بلفظ «موركوتا» وفي جامع التواريخ «مونككا» وفي شجرة الترك «مانكو» أو «مانغو» وفي العبري وافق جامع التواريخ. والاختلاف في الأعلام وضبطها كبير جداً... والصحيح المؤيد في كتب اللغة هو ما جاء في شجرة الترك.

(٤) اختلف في اسم أبيه تولي خان أيضاً بين «يولي ومولى» كما في طبقات الشافعية وفيه في بعض المواطن وفي غيره وهو الأصح تولي خان كما ذكر في صلب الكتاب.

جاكمبو، أخ اونك خان ملك كرايت. وللمترجم زوجات وسراري (قوما) كثيرة.

ففي سنة ٦٤٨هـ ١٢٥١م اجتمع أولاد الملوك وأمراء المغول. فوصل من حدود قراقروم مانكو بن تولي خان وأما سيرامون وباقي احفاد وخواتين القاآن فسيروا قونقو رتقاي وكتبوا خطهم أنه قائم مقامهم وأن باتوهو أكبر الأولاد وهو الحاكم وهم راضون بما يرضاه.

وأما اغول غانميش[1] خاتون (قاميش) زوجة كيوك خان ومن معها من أولاد الملوك فوصلوا إلى خدمة باتو ولم يقيموا عنده أكثر من يوم بل رجعوا إلى معسكرهم واستنابوا أميراً منهم يقال له تيمور نوين وأذنوا له أن يوافق على ما يتفق عليه الجمع كله وإن اختلفت الأهواء فلا يطيع أحداً حتى يعلمهم كيفية الحال. فبقي جغاتاي ومانگو وسائر من كان حاضراً من الأولاد والأحفاد والأمراء يتشاورون أياماً في هذا الأمر وفوضوا الأمر إلى باتو لأنه أكبر الجماعة وأسدّهم رأياً. فبعد ثلاثة أيام من يوم التفويض قال:

- إن مثل هذا الخطب الخطير ليس فينا من يفي بحق القيام به غير مانگو. فوافقوه كلهم على ذلك وأجلسوه على سرير المملكة في قراقروم وكلوران أصل وطن جنگيزخان. وباتو مع باقي الأولاد والأكابر خدموه جاثين على ركبهم كالعادة. ثم انصرف كل واحد إلى محله بناء على أنهم يجتمعون في السنة المقبلة يعقدون مجمعاً كبيراً (قوريلتاي) ليحضره الأولاد والأكابر ممن لم يحضر الآن إتماماً للبيعة العامة.

وفي سنة ٦٤٩هـ ١٢٥١م وقت الربيع حضر أكثر الأولاد مثل بركه

---

(١) جاء في جامع التواريخ أو قول قيميش «ر: ص ٢٧٢ج ٢: وفي شجرة الترك قاميش.

اغول وأخيه بغاتيمور وعمهم الجتاي الكبير والأمراء المعتبرين من أردو جنگيزخان. وفي اليوم التاسع من ربيع الآخر كشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم ورفعوا مانگو على سرير المملكة وسموه مانگو قاآن وجثوا على ركبهم تسع مرات. وكان له حينئذ سبعة من الإخوة منهم قبلاي وهلاكو... فترتبوا جالسين على يمينه والخواتين على يساره وأقاموا الاحتفال والمهرجان لمدة سبعة أيام.

وحينئذ نظم مانگو قاآن أمور حكومته وأرسل بعض الجيوش إلى الثغور وصار يرعى شؤون البلاد التي تحت سلطته ويقضي حاجات اتباعه وأعوانه من قريبين وبعيدين.

وأول فكرة عرضت له بعد أن تمت مراسم جلوسه وانفضاض المهنئين الذين جاؤوه للتبريك أن أرسل بايجو نويان مع جيش جرار لمحافظة ايران. وهذا حينما وصل إلى محل مأموريته بعث رسولاً إلى الخليفة يعرض فيه شكواه من الملاحدة وحينئذ قدم إليه قاضي القضاة شمس الدين القزويني طاعته والمثول بين يديه. وكان القاضي لابساً درعاً. وبين إلى بايجو نويان أنه يخشى من الملاحدة أن يظفروا به ويقتلوه. ولذا لبس الدرع. ثم أخذ يظهر تألمه من تغلب هؤلاء الملاحدة. وأن هذا القاضي طلب أن تعرض شكواه إلى القاآن[1].

وفي سنة ٦٥٠هـ ١٢٥٢م توجهت قاميش (اغول غانميش) وجماعتها في عساكرهم نحو فيلق مونگو قاآن (مانگو). وكان المقدم على جيوشهم سيرامون ونافوا. ولما قربوا اتفق أن رجلاً من اردو مانگو قاآن من الذين يربون السباع لأولاد الملك هرب منه أسده فخرج في طلبه متحرياً عنه في الجبال والصحاري فاجتاز بطرف من عسكر سيرامون فوجد صبياً منهم قد انكسرت عجلته وهو جالس عندها فلما رأى

---

(١) الجامع الرشيدي.

المذكور مجتازاً استدعاه ليستعين به في ترميم عجلته. فأجابه إلى ذلك ونزل عن فرسه وأخذ يصلح معه العجلة فوقع بصره على أسلحة مستورة في باطن العجلة فسأل الغلام عنها فقال له ما أغفلك كأنك لست منا كيف لا تعرف أن كل العجلات التي معنا كهذه مشحونة بآلات الحرب.

فلما تحقق ذلك ترك الأسد الآبق وسار مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد عائداً إلى اصحابه وأعلمهم بما رأى وسمع. فأمر مانگو قاآن أن يمضي إليهم (منكسار) في ألفي فارس ويستطلع حالهم. فمضى وذكر ما نقل عنهم فلم يتمالكوا توجيه أمرهم وداخلهم الرعب ولم يسعهم إلا التسليم لما يقضي به القاآن عليهم.

ولما حضر الكبير منهم والصغير وقع السؤال وثبتت الجريمة عليهم فعوقبوا بما استوجبوا من الهلاك وتقسيم عساكرهم على الأولاد والأمراء. فتم القضاء على أمر المخالفين.

أعمال منگو قاآن:

بعد أن قضى على المخالفين شرع في ترتيب العساكر وضبط الممالك. فأقطع بلاد الخطا وماچين وقراجانك (الظاهر قراخطا) من حد الميرى إلى سليكاي [سولنقا] وتنكوت [تنكقوت] وتبت وجورجه وكولى لقبلاي اغول (وفي الرشيدي قوبلاي). أخيه، والبلاد الغربية وتحصيل الأموال لهلاكو أخيه، وولى على البلاد الشرقية من شاطىء جيحون إلى منتهى بلاد الخطا الصاحب المعظم يلواج (هو محمود يالواجي) وولده مسعود بيك، وعلى ممالك خراسان ومازندران وهندوستان والعراق وفارس وكرمان ولور وأرّان وأذربيجان وكرجستان والموصل والشام الأمير ارغون آغا (كذا في العبري...) وأمر أن يؤدي المتمول الغني في بلاد الخطا في السنة ١٥ ديناراً والوضيع الفقير ديناراً واحداً. وببلاد خراسان يزن المتمول في السنة ١٠ دنانير والفقير ديناراً واحداً. وعن

ذوات الأربع مما يسمونه [قوبجور][1] يؤخذ واحد عن مائة رأس من جنس واحد ومن ليس له مائة لا يؤخذ منه شيء.

وأطلق العباد وأرباب الدين من الوثنيين والنصارى والمسلمين من جميع المؤونات والأوزان والتكاليف[2]...

توجه هلاكو إلى البلاد الغربية[3]:

إن القاآن كان يرى في سيماء أخيه هلاكو خان إمارات الفتح والغلبة ويتفرس في عزائمه أنه سيستولي على العالم كما أنه يفكر في أن بعض الممالك الآن في حوزة آل جنگيزخان والبعض الآخر لا يزال في تصرف غيرهم ولم تدخل بعد في حوزتهم وتحت سلطتهم وأنه يلاحظ أن فسحة العالم واسعة الأرجاء فعزم أن يدع كل صوب وإقليم إلى إدارة واحد من إخوته وأمرته فيجعلها تحت سلطانهم ويكون هو في وطنه مترفهاً ورئيس الكل في منتصف الممالك فيقرر العدل كما يجب...

نضج هذا الفكر عنده وتم له تدبيره فجهز إخوته تنفيذاً لما ارتآه ولا يهمنا تفصيل القول عن وقائع الأقاليم الأخرى وما أحرز فيها من نصر وما تأسست من حكومة إذ لا تعلق لها بنا سوى أننا نقول إن هذه الحكومة كان حليفها النصر حيثما توجهت ونكتفي ببيان طراز قيامهم

---

(١) قوي في لغتهم الشاة والغنم. «ر: لغة الجغتاي ص ٢٤٢».

(٢) ابن العبري.

(٣) في تاريخ الجويني تفصيل لحادث ظهور هولاكو، وفيه ما يصح بعض الاعلام ويبين المتفق عليه من اعلام القواد، وأكابر الرجال، وطريق سيرهم وعددهم فهو يصح لضبط الاعلام.. (جهان كشاي جويني ص ٩٠ ج٣). وفي طبقات ناصري مباحث مهمة عن خروج جنگيز وهولاكو وهو من الماصرين المتصلين بهم، وفي نهاية معلومات لا غنى عنها.. (طبق ناصري: طبع كلكتا سنة ١٨٦٤م ص ٣٢٤ إلى آخر الكتاب).

والخطة التي مشوا بمقتضاها لفتح العالم.

وذلك أنه بعد أن نضج هذا الفكر وتم التدبير جهز أحد إخوته وهو قبلاي قاآن بجيش إلى ممالك خيتاي وماچين وقراجائك وتنكقوت وتبت وجورجه وسولنقا وكولي وبعض اقاليم الهند التي تتصل بخيتاي وماچين. ومن ثم انقطعت عنا أخبار الحكومة الأصلية إلا قليلاً فصرنا لا ننظر إلا إلى وقائع هذا القائد والفاتح العظيم (هلاكو) خان فإنه انفصل رويداً رويداً عن أصل حكومته التي أسسها جنگيزخان. ولذا نرى البعض يزعم أنه الملك المطلق والخان الأعظم(١).

ففي سنة ٦٥١هـ ١٢٥٣م توجه هلاكو خان(٢) من نواحي قراقروم إلى الأقطار الغربية وسير معه منگو قاآن خمس الجيوش وصحبه أخوه الصغير سنتاي أوغول، ومن جانب باتو يلغاي ابن سبقان وقورنار اوغول وقولي (ويروى بلغاي عوض يلغاي وتولا عوض قولي) في عساكر باتو، ومن قبل جغتاي تكودار (ويروى توكدار) اوغول ابن بوخي اغول، ومن جانب جيجكان بيكي بوقا تيمور في عسكر الاويرات، ومن ناحية الخطا ألف بيت من صناع المنجنيقات وأصحاب الحيل في إصلاح آلات الحرب. فكان أمير الترك كيدبوقا الباورجي، وكان القائم مقام هلاكو بجيش منگو قاآن ولده جومغار بسبب أن أمه أكبر خواتين أبيه هلاكو.

ومن الأمراء الذين رافقوا هلاكو خان: دوقوز خاتون وهي أعظم الخواتين. واولجاي خاتون، والابنان الكبيران: آباقا، ويشموت [وما ورد في العبري من أنه يسمون فغير صحيح].

فالقاآن كان أمره أن يتوجه أولاً لجهة غربي ايران ثم يذهب إلى

(١) «الجامع الرشيدي».
(٢) في ابن الفوطي اجمال عن هذا في حوادث سنة ٦٥١هـ.

سورية ومصر والروم وأرمينية، فباشر في العمل واستصحب معه الجيوش التي كانت أرسلت من قبل مع بايجو نويان كما أن القاآن عززه بجيوش أخرى، فهاجم بهم الغرب.

وصية منگو قاآن لهلاكو:

وكان منگو قاآن قد وصى هلاكو بالوصية التالية قائلاً ما مؤداه:

«إني مرسلك مع هذا الجيش الجرار من ملك توران (طوران ولا يزال العرب والغرب يقولون اللغات الطورانية) إلى مملكة ايران وموصيك ان تعمل بمقتضى يوسون (تعاليم أو بالتعبير الأصح قواعد) وياسا[1] جنگيزخان في كليات الأمور وجزئياتها، نفذ تعاليم جنگيزخان بحذافيرها ولا تتهاون بها، واعلم أن من أطاعك وانقاد لأمرك ونهيك من هنا إلى أقصى بلاد مصر فاخفض له جناحك وأظهر له حبك، ومن عصاك أو خالفك فاسحقه وأذله مع زوجه وولده وسائر أقربائه ومتعلقاته ونكّل بهم جميعاً.

«ابدأ بهدم القلاع والأسوار والاستحكامات وخرّبها من أول قهستان إلى منتهى خراسان، فإذا أنهيت ذلك وتم لك الفوز في ايران فتوجه نحو العراق، وأهلك من انتصب لمناوأتك وأراد أن يكون عثرة في طريقك من لرّ وكرد وغيرهما ممن يعادونك أو يعارضونك.

«ولا تتعرض للخليفة[2] ببغداد إن كان أظهر لك الطاعة وانقاد لخدمتك. وأما إذا أبدى غروراً وكبراً ولم يخلص لك قلباً ولساناً فعامله كغيره ممن سبق.

«وعليك أن تجعل العقل رائدك والرأي الصائب مقتداك ونهجك

---

(١) مخفف ياساق بمعنى أوامر ونواهي، أو زواجر وموانع وجاءت بلفظ ياسه أيضاً.

(٢) لعل هذا بناء على المخابرات السياسية السابقة أيام جنگيز خان.

في كل الأحوال ولا تزغ عن ذلك، وأن تراعي الحيطة والرزانة وتكون يقظاً متنبهاً في جميع الأحوال.

«ولا تكلف الرعايا بتكاليف باهظة لا يطيقونها ولا يستطيعون القيام بها، وعليك أن ترفه عليهم، وأن تعمر البلاد التي كنت استوليت عليها وهدمتها في حينها، وأعد لها عمارتها ثانية.

«وعليك أن تفتح ممالك الطغاة بالقوة الإلهية لتكون الممالك المفتوحة ميداناً فسيحاً للمربع والمشتى وأن تشاور في جميع القضايا دوقوز خاتون وتعقد معها مجلساً». انتهى[1].

وكان في نية منگوقاآن أن يرسل هلاكو بجيش عظيم ففعل وعززه بغيره وأمله أن يبقى في ايران بعد الاستيلاء عليها ويكون سلطاناً مطلقاً فيها، ولكنه أمره ظاهراً أن يرجع إليه إذا تم له الفوز.

وبعد أن أتم وصاياه ونصائحه بهذا الوجه أكرمه ومن تبعه من الخواتين والأولاد كلاً على حدة في الذهب واللباس والخيل ما يليق بهم من وافر العطايا وأنعم على بقية الأمراء والأتباع الذين كانوا بصحبته...

ولما وصلوا حدود تركستان استقبلهم صاحب تركستان وما وراء النهر أمير مسعود بك وأمراء تلك الأنحاء. وقاموا بخدمات جلى نحوهم وقدموا الهدايا اللائقة.

والحاصل أن هلاكو خان ذهب إلى معسكره في أواخر سنة ٦٥٠هـ ١٢٥٣م في ذي الحجة وفي ذي الحجة من سنة ٦٥١هـ ١٢٥٤م توجه لغربي ايران. فكانوا أثناء ذهابهم يسهلون الطرق والمعابر للمرور وينشئون الجسور على الانهار وكل واحد من الأمراء والأولاد يدبر الجيش الذي

---

(١) الجامع الرشيدي.

في عهدته وتحت قيادته ويسعى في نظامه وترتيبه لئلا يتشوش انتظامه.

وفي سنة ٦٥٢هـ ١٢٥٤م تواردت (الرسل) في طلب السلطان عز الدين صاحب الروم ليحضر بنفسه في خدمة منگو قاآن. فاعتذر بظهور أعداء له من ناحية المغرب. وقد أوضح أبو الفداء العلاقة معهم في حوادث سنة ٦٤١هـ وما بعدها، فنكتفي بالإشارة هنا.

سفر هلاكو وقصده بلاد الملاحدة ووقائع أخرى[1]:

وفي شعبان سنة ٦٥٣هـ ١٢٥٥م نزل هلاكو بمروج مدينة سمرقند، أقام بها أربعين يوماً وحينئذ استقبله الملك شمس الدين كرت ونال حظوة عند الخان أكثر من غيره من سائر الذين استقبلوه وهناك أدرك أخاه سنتاي اوغول اجله وأخبر بوفاة أخيه الآخر في طرف بلاذر فتكدر خاطره لهاتين الوقعتين فوصل إليه الأمير أرغون وأكثر اكابر خراسان وقووا عزمه.

ثم وصلوا خراسان وعسكروا هناك. فأقاموا شهراً واحداً في

---

(١) في جهانكشاي جويني سعة زائدة عن مذاهب الباطنية، وعن الإسماعيلية من (ص ١٠٦: ١٤٣ ج ٣) وبيان واف عن حسن الصباح وأخلافه، وهم (إسماعيلية) أوضح عنهم من ص ١٨٦ إلى آخر الكتاب وهناك حواش وتعليقات قيمة للأستاذ القزويني، وتعريف ببلدانهم من ص ٣٠٢ إلى ص ٤١٠ ويلاحظ أن ما ذكرته في ص ١٥٤ من كتبهم وهو (سمط الحقائق) فإنه من كتب الإسماعيلية المعروفين (بالبهرة)، وينتسبون إلى الطيب وتدعى فرقتهم بـ (الطيبية) وهي مشتقة من المستعلية وأما الإسماعيلية (أصحاب حسن الصباح) فإنهم تدعى نحلتهم بالـ (نزارية)، ومن بقاياهم الأغاخانية في الهند، ومن كتبهم المعروفة روضة التسليم، ومطيع المؤمنين، وهفت باب المعروف بـ (كلام پير) و(الهداية الآمرية) و(حقيقة الدين)... وفي هذه الأيام عرف من كتبهم (الفلك الدوار)، ونشرات أخرى، كل منها يعين ناحية، ويكشف عن صفحة... وفي طبقات ناصري توضيح عن الدولة الإسماعيلية في مصر..

خلاله نشروا أوامر (يرليغات) إلى ملوك الطوائف تشعر بنواياهم وأنهم لم يأتوا بقصد التسخير. وإنما جاؤوا لإبادة (الملاحدة) والقضاء على هذه الطائفة المفسدة. ومن سلم وأتى إلى المعسكر وساعد بالعدد والعدة بقي له وطنه وحافظ على جيوشه وأهليه وقبلت طاعته...

ومن أبدى التهاون والإهمال في امتثال الأمر فحينئذ وإثر أن نسحق تلك الطائفة بقوة الباري تعالى نتوجه على العاصي ولا نسمع منه عذراً ونعامله آنئذ بما نعامل به الطائفة المذكورة.

وأرسل هلاكو لتبليغ هذه الأوامر سفراء سريعي السير. وحين سمعوا بالخبر وافت الوفود من أنحاء كثيرة لعرض الطاعة. فورد من الروم السلاطين عز الدين وركن الدين، ومن فارس سعد ابن اتابك مظفر، ومن العراق وخراسان وأذربيجان آخرون. وكذا من كرجستان وغيرها. فأبدوا الطاعة والانقياد.

وفي غرة ذي الحجة سنة ٦٥٣هـ ١٢٥٦م انشأوا جسراً على نهر جيحون وعبروا. وكان الوقت شتاء شديد البرد لا يقشع غيمه ولا ينقطع وقوع الثلج، وهناك قضى جيشه الشتاء فلم يستطع المضي لتلف الخيول الكثيرة. فأمر الأمراء أن يقصدوا في عساكرهم قلاع الملاحدة...

وكان مقدم الإسماعيلية يومئذ ركن الدين خورشاه[1] بن علاء الدين وأخربت خمس قلاع من قلاعه التي لم يكن فيها ذخائر للحصار وأقبل رسول هلاكو إلى حد قصران وكان أرسل كيتو بوقا نويان قائداً بتاريخ جمادى الثانية سنة ٦٥٠هـ ٢٦٥٢م إلى حرب الملاحدة فذهب إلى هناك. وفي اوائل المحرم لسنة ٦٥١هـ ١٢٥٣م عبر نهر جيحون وأخذ يغزو

(١) ورد في بعض الكتب خوزشاه وليس بصحيح وقد ذكره صاحب جامع التواريخ وغيره مكرراً بالوجه المذكور في الأصل.

ولايات قهستان. وكان معه خمسة آلاف من الخيالة ومثلهم من المشاة ووصل إلى كردكوه.

وفي خلال المدة بين ربيع الأول لسنة ٦٥١ وصفر سنة ٦٥٥هـ ١٢٥٧م استولى على بقاع عديدة حتى حدود زاوه. . . فتمرض هناك، من ثم أرسل كوكا ايلكا وكيتوبوقانويان مع سائر الأمراء لفتح باقي المدن.

وفي ٧ ربيع الأول وصلوا إلى بلدة تون وفي ١٩ ربيع الآخر استولوا على بلدة شهرستان وتوجهوا نحو طوس ففتحوها وتوجهوا إلى دامغان وخربوا الموت (عاصمة الإسماعيلية).

وفي هذه الأثناء لازم الخواجه نصير الدين الطوسي هلاكو خان وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الإسماعيلي فحظي عنده وأنعم عليه فعمل الرصد بمراغة. ثم توجه نحو خورشاه ملك الإسماعيلية للاستيلاء على قلاعه وبلاده وكان من محاسن الصدف ـ كذا قال الخواجه رشيد الدين ـ مرافقة نصير الدين الطوسي لهلاكو في هذه الحملة. وكان هو السبب في حقن الدماء وتسليم البلاد لهلاكو. لأن الناس كانوا لا يستطيعون الحرب معه فسعى في المسالمة وأخذ ينصح خورشاه لطاعة هلاكو والانقياد له. فقبل خورشاه النصيحة. وكان يتماهل في إظهار الطاعة إلى أن حاصروه من جميع الجهات في قيادة بوقاتيمور وكوكا ايلكا وذلك في ١٤ شوال سنة ٦٥٤م ١٢٥٦م حتى اضطروه إلى التسليم في اواخر ذي القعدة من السنة المذكورة. وقتل سنة ٦٥٥هـ[1]. فافتتحت بلاد الملاحدة.

---

(١) ابن الفوطي حوادث سنة ٦٥٤هـ، وقد أوضح ابن العبري، وجامع التواريخ سبب قتل خورشاه.

اجمال عن الملاحدة:

هذه الحكومة من حكومات الإسماعيلية، دامت من سنة ٤٧٣هـ (وعلى قول صاحب جامع التواريخ من سنة ٤٧٧هـ)[1] إلى سنة ٦٥٤هـ ولي أمرها ثمانية امراء أولهم الحسن بن علي بن محمد الصباح الحميري وآخرهم ركن الدين خورشاه؛ وكانت قاسية في حكمها وأنتهكت حرمات وقتلت علماء وأمراء، وأجرت مظالم سجلها التاريخ عليها...

وهذه قائمة بأسماء حكامها:

١ ـ الحسن بن علي بن محمد الصباح (٤٧٣ هـ ١٠٨١م: ٥١٨هـ ١١٢٥م).

٢ ـ كيابزرك أميد (٥١٨هـ ١١٢٥م: ٥٣٣هـ ١١٣٩م).

٣ ـ كيا محمد بن كيابزرك أميد (٥٣٣هـ ١١٣٩م: ٥٥٧هـ ١١٦٢م).

٤ ـ الحسن بن كيا محمد (٥٥٧هـ ١١٦٢م: ٥٦١هـ ١١٦٦م).

٥ ـ خواند محمد بن الحسن (٥٦١هـ ١١٦٦م: ٦٠٧هـ ١٢١١م).

٦ ـ خواند جلال الدين حسن ابن خواند محمد (٦٠٧هـ ١٢١١م: ٦١٨هـ ١٢٢٢م).

٧ ـ خواند علاء الدين محمد ابن خواند جلال الدين حسن (٦١٨هـ ١٢٢٢م: ٦٥٣هـ ١٢٥٦م).

٨ ـ خواند ركن الدين خورشاه بن علاء الدين محمد (٦٥٣هـ ١٢٥٦م: ٦٥٤هـ ١٢٥٧م).

وهذا الأخير ووالده قتلهما المغول وقضوا على ادارتهم...

---

(١) في جامع التواريخ أن اسم «الموت» هو تاريخ حكومتهم وظهورهم وحروفها تساوي ٤٧٧ فبنى تاريخه على هذا الاساس.

وقال في جامع التواريخ ملوكهم سبعة بإغفال جلال الدين حسن السادس من المذكورين في القائمة.

وأوضح عقائدهم ناصر خسرو في كتبه (وجه دين)، و(زاد المسافرين)، و(سفر نامة)، و(روشنائي) وغيره وكان هذا قد تلقى تعاليمه من مصر مركز الدعوة، ومن نفس قرامطة البحرين فصارت أساساً لهؤلاء...

ويعتقدون ما يعتقده غلاة التصوف من الوحدة والاتحاد والحلول وهم منهم، ويتمسكون بالفلسفة اليونانية، وبأمور من شأنها ابطال الشريعة الإسلامية بالركون إلى تأويلات خرجوا بها عن مدلول اللفظ، وصرفوها عما يفهم منها إلى معاني الحروف، والرموز المكنونة فيها وهي من اختراعهم لتوجيه الناس إليها دون الالتفات إلى معاني الآيات...

ومنهم اشتقت عقائد (غلاة التصوف)، و (الحروفية)، و(الدروز)، والأغاخانية والكشفية والبابية، والبهائية... في أزمنة مختلفة، وأشكال متنوعة...

وأصل عقيدتهم تسليم القياد للأشخاص بحيث يعدونهم تارة آلهة، وأخرى أئمة أو دعاة، أو دعاة الدعاة وهكذا... فيتمسكون بالأشخاص تمسكاً ليس وراءه حد...

وقد تكلم كثيرون عن عقائدهم، وأظهروا بعض ما أبطنوا منها، ولا تزال المجاهيل عديدة، واشتهر من كتبهم (رسائل إخوان الصفا)، وكتب، (ناصر خسرو)، وفي كتب الملل والنحل بيانات كثيرة عن عقائدهم، وفي (كتاب الفرق) وعندي مخطوط منه تفصيل كثير عن عقائدهم، وطريق دعوتهم، ومؤلفه أبو محمد لا نعرف عنه أكثر من أنه يمان، مجاور لهم، اطلع على مؤلفاتهم ونقل عنها عازياً كل قول لصاحبه...

وعند استئصال هذه الفرقة من قبل هلاكو خان طلب علاء الدين الجويني من هلاكو حينما كان في (لمسر)[1] أن يطلع على مكتبتهم المشهورة في بلدة (الموت) فوافق وحينئذ ذهب إليها وأخرج منها المصاحف والكتب النفيسة، والكراسي وكتاب الحلق، والاسطرلابات وغيرها فانتقاها من بين كتبهم، وحرق الباقي مما يتعلق بضلالاتهم مما لا يستند إلى معقول أو منقول... حكى ذلك كله الجويني ونشر لهم ملخص ما يسمى عندهم بـ (سيرة سيدنا) (سركذشت سيدنا) في مناقب الحسن ابن الصباح مؤسس حكومة الملاحدة، ذكر ذلك في الجلد الثالث من كتابه (جهان گشا)، ثم بسط القول أكثر الخواجه رشيد الدين في كتابه جامع التواريخ في المجلد الثاني منه...

ولا تزال كتب الإسماعيلية موجودة في الهند واليمن. وقد عثرنا مؤخراً على رسالة منظومة في عقائدهم تسمى (سمط الحقائق) للداعي علي بن حنظلة بن أبي سالم...

وعلى كل ما زالت ولا تزال النشرات عنهم متوالية...

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی

توغل هلاكو خان في فتوحه:

وفي شوال سنة ٦٥٤هـ كان توجه هلاكو نحو مدينة طالقان، ومنها توجه نحو قهستان.

وفي ربيع الأول سنة ٦٥٥هـ أتم هلاكو خان أمر الملاحدة وتوجه من قزوين إلى همذان وحينئذ وصله القائد باجونويان من حدود آذربيجان. فعاتبه هلاكو خان وقال إني لولا كثرة الجيوش ووعورة الطرق لافتتحت بغداد. وأنقذتها من أيدي الكفار (يقصد الخلفاء). ثم ذهب بايجو نحو الروم وحارب الأمير غياث الدين بن علاء الدين في

---

(١) في جامع التواريخ «المبسر».



قبلاي قاآن

مكان يسمى كوسه داغ فكان المنتصر.

أما هلاكو خان فإنه مع سائر أمراء الجيش أخذ يهيىء العدد في صحراء همذان بقرب كردستان ويستعد للكفاح.

وفي هذه الأثناء سيَّر السلطان عز الدين رسولاً إلى خدمة هلاكو خان شاكياً على باجو نويان أنه ازاحه من ملكه فأمر هلاكو خان أن يقتسم الممالك هو وأخوه ركن الدين...

ثم خرج بايجو نويان من حدود الروم طالباً العراق. ولما وصلوا ملطية خرج أهلها إلى خدمة بايجو نويان بأنواع الهدايا (الترغو)[1] والتحف...

توجه هلاكو تلقاء بغداد

توجه هلاكو على بغداد ـ تردد الرسل:

في ٩ ربيع الآخر سنة ٦٥٥هـ ١٢٥٧م وصل هلاكو خان إلى دينور قاصداً بغداد ومن هناك رجع إلى همذان في ١٢ رجب من تلك السنة. وفي ١٠ رمضان أرسل رسولاً إلى الخليفة مزوداً بالتهديدات والوعيد ومعاتباً له في عدم نصرته له في حرب الملاحدة (الإسماعيلية) قائلاً:

ـ «كلما استنجدت بك اعتذرت ولم تبعث لنا مدداً مع أنك من عائلة قديمة وسلالة نبيلة. أما سمعت بأننا من ظهور جنگيزخان إلى يومنا هذا قد أصبنا العالم ما أصبناه بجيشنا المغولي وألحقنا بالأسرة الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والاتابكية وغيرهم ما ألحقنا مع ما كانوا عليه من الكبرياء والعظمة والمقدرة... أما رأيتم ما نالهم الآن من الذل والهوان...

(١) تلفظ تورغو أيضاً وتعني النفائس والأقمشة الثمينة كما مر.

ولم تكن بغداد في يوم مسدودة على هؤلاء الأمراء. وإنما كانت مفتحة الأبواب لهم فكيف تكون مغلقة في وجوهنا وموصدة عنا مع ما لنا من الحول والسلطة والعظمة...

إننا نحذرك مغبة المناوأة والعداء وأن تتقي الحرب وإلا تضرب... فالشمس لا تستر بغربال... هذا وقد مضى ما مضى فعليك أن تهدم القلاع وتطمّ الخنادق وتسلم البلدة والممالك إلى أحد أولادي، وأن تتوجه لملاقاتنا، وإذا صعب عليك المجيء فأرسل إلينا الوزير وسليمان شاه والدواتدار ليأخذوا العهد منا ويوصلوه إليك بلا زيادة ولا نقصان.

وإذا لم تفعل ذلك ولم تراع ما انطوى عليه هذا الكتاب فتأهب للقتال واستعد للنضال وجهز جيشك وعين جبهة القتال. فإنا متهيئون للكفاح، ومستأنسون به...

فإذا جهزت العساكر وغضبت عليك فاعلم أنك لا تنجو مني ولو صعدت إلى السماء أو اختفيت في باطن الأرض فلا واقي لك... وإن أردت أن تبقى رئيساً لأسرتك القديمة النبيلة فاسمع نصيحتي... وإلا فنرى ما يريد الله بنا وبكم». انتهى.

هذا وكان أيام محاصرته قلاع الملاحدة قد سير رسولاً إلى الخليفة المستعصم يطلب منه نجدة ـ كما أشار في هذا الكتاب ـ فأراد الخليفة أن يسير إليه فلم يمكنه الأمراء وقالوا:

ـ إن هلاكو رجل صاحب احتيال وخديعة. وليس محتاجاً إلى نجدتنا. وإنما غرضه إخلاء بغداد من الرجال ليملكها بسهولة...

فتقاعد الخليفة بسبب ذلك عن إرسال الرجال. ولما فتح هلاكو تلك القلاع أرسل رسولاً آخر إلى الخليفة وعاتبه على إهماله تسيير النجدة بكتابه المدون اعلاه فوصل الرسل إلى بغداد وأنذروا الخليفة وحينئذ شاور الوزير فيما يجب أن يفعلوه فقال:

ـ لا وجه لإرضاء هذاا لملك الجبار إلا ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه. . .

وعندما أخذوا في تجهيز ما يسيرونه من الجواهر والمرصعات والثياب والذهب والفضة والمماليك والجواري والخيل والبغال والجمال قال الدويدار الصغير وأصحابه:

ـ إن الوزير إنما يدبر شأن نفسه مع التتار وهو يروم تسليمنا إليهم. فلا نمكنه من ذلك!!

وحينئذ أبطل الخليفة تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نزر لا قيمة له وأرسله مع شرف الدين عبدالله ابن استاذ الدار محيي الدين يوسف ابن الجوزي وكان رجلاً فصيحاً وجعل صحبته جماعة سيرهم مع رسل هلاكو، وزود الخليفة رسله بجواب إلى هلاكو وهو:

ـ أيها الولد الغر الذي لم يبلغ الحلم أظن أنك تريد أن تذهب بحياتك وتتطلب قصر الأجل، تتخيل أن اقبال الأيام ومساعدة الظروف تدوم لك، كأنك تحاول أن تسيطر على العالم، وتحسب أن أمرك قضاء مبرم، وإرادتك حكم محتم، فأراك تطمع بما لا يتيسر. . .!

أما تعلم أن أهل المشرق والمغرب من غني وفقير وشيخ وشاب ممن يدينون بدين الله يذعنون لي بالطاعة، وإذا أشرت عليهم أن يجمعوا شملهم فعلوا واستولوا على ايران وتوجهوا من هناك إلى توران فاكتسحوا ممالككم إلا أني لا أرغب في ايجاد البغضاء ولا أود أذى الخلق فلا أحب أن يفتح لسان الورى من هيبة جيوشي ورهبتهم بتحسين أو استياء. . .!!

وأنت لو كنت تزرع بذر المحبة والسلم في قلبك لما كنت تكلفنا بهدم القلاع وطمّ الخنادق.

والحاصل أدعوك أن ترجع إلى خراسان! وإلا فإن جيشنا كبير يحجب غبار خيله نور الشمس». انتهى.

وأرسل معهم بعض الهدايا والتحف كما تقدم.

ولما صار رسل هلاكو خارج بغداد كانت الصحراء مملوءة من عوام الناس وأخذوا يسبون الرسل ويظهرون السفه. وكانوا يأخذون بأثواب الرسل ويمزقونها ويشتمونهم ويتفوهون بما يؤذونهم به... فلما علم الوزير بذلك أرسل من يفرقون هؤلاء السفهاء عنهم.

وحينما وصل الرسل إلى هلاكو عرضوا عليه ما شاهدوه وما نالهم فغضب هلاكو وقال:

ـ تبين أن الخليفة ليس له كفاءة. فإذا ساعدني اللّه وأمدني بمدد منه فسأقوم معوجّه!!.

ثم وصل رسل الخليفة إلى هلاكو عقيب ذلك وهم ابن الجوزي المذكور وبدر الدين وزنكي وبلغوا الرسالة فغضب هلاكو من كلمات الخليفة وقال في نفسه:

ـ يظهر أن اللّه يريد السوء بهؤلاء القوم!

وأذن هلاكو بانصراف رسل الخليفة وقال لهم:

ـ إن الخالق القديم منذ نشر لواء جنگيز وهبنا وجه الأرض من الشرق إلى الغرب فكل من كان مخلصاً لنا حفظ ماله وأهله وأولاده ونجا من مخالب الموت ومن خالفنا فليس له أمان ولا أمن.

وأخذ يعاتب الخليفة وكتب له:

ـ إن حب الجاه والمال والغرور قد أثر ببصيرتك بحيث لم تسمع نصائح المصلحين ومريدي الخير ولم تعد تسمع أذناك كلام المشفقين فانحرفت عن طريق آبائك وأجدادك فعليك أن تستعد للقتال فإني سائر

عليكم نحو بغداد بجيوش عدد النمل والجراد. وإذا تبدلت الأحوال فذاك لله... !

وفي سنة ٦٥٥هـ تجاوز هلاكو حدود همذان بجيوشه الكثيرة...

ولما وافى رسل بغداد بعدما أدوا الرسالة إلى الخليفة وقرروا ما قاله هلاكو برمته وعرضوها على الخليفة استطلع الخليفة رأي وزيره وأمرائه في دفع هذا الخصم القاهر، والعدو القادر فقال له الوزير:

- إن ساعدي الخصم لا تغلان إلا ببذل المال، والنصرة على الأعداء لا تحصل إلا بالصرف، لأن المال إنما يدخر لوقاية العز والشرف. فعلينا أن نرسل إليهم ألف حمل من الأموال النفيسة محمولة على ألف من كرائم الإبل وألف حصان عربي نجيب وأن نقدمها مع موسيقى تعزف أمامها، وأن نبعث للأمراء لكل منهم تحفاً وهدايا تليق بمقامهم...

وهذه تقدم مع رسل دهاة كفاة وأن نعتذر عما بدر وأن تقرأ الخطب، وتضرب النقود باسمه». انتهى.

فقبل الخليفة رأي الوزير. ثم أمر بتنفيذ ما ذكره الوزير، وكان بين مجاهد الدين ايبك ويسمى الدواتدار الصغير وبين الوزير عداوة مستحكمة وكدورة قديمة[1] فانتهز الدواتدار الفرصة للفتك بالوزير فذهب إلى الخليفة ومعه الأمراء وذوو الأغراض وقالوا: إن رأي الوزير وتدبيره ناشىء عن مصلحة شخصية ويريد بذلك أن يحبب نفسه إلى هلاكو ليفتك بنا وبجيشنا فيوقعنا بمحن. فيجب أن نرسل الجيش ونستعد للنضال...

فخدع الخليفة بهذه الكلمات وعدل عن رأيه بحمل الأموال وقال

---

(١) كان الوزير من المتهمين في ان الدواتدار الصغير دبر خلع الخليفة، وغيره أتهم بذلك أيضاً وقد فصل ابن الفوطي هذا الحادث في سنة ٦٥٣هـ.

لا خوف من المستقبل. لأن بيني وبين هلاكو خان وأخيه منگو قاآن روابط ودية ومحبة صميمة لا عداوة ونفرة. وحيث إني أحبهم فلا شك أنهم يحبونني ويميلون إلي وأحسب أن الرسل قد بلغوني عنهم كذباً. وإذا ظهر خلاف فلا خشية منه. لأن كل الملوك والسلاطين على وجه الأرض بمنزلة جنود لنا فهم مطيعون ومنقادون فلا خوف من تهديد المغول ووعيدهم ولو أنهم ممتعون بقوة وشوكة... فهم بالنسبة للعباسيين لا أهمية لهم...

فاضطرب الوزير من هذه الكلمات وأيقن بالوبال عليهم وعلى الخلافة. وكان يرى انقراض الخلافة وسقوط العباسيين في وزارته صعباً عليه وهو يراه مجسماً في ذهنه ومخيلته وكان يتألم جداً من هذه الأحوال فهو كالملدوغ فلم يدخر وسعاً من السير الحثيث والتدبير الصائب لسلامة هذه العائلة[1]...

وكان أعاظم بغداد كسليمان شاه بن برجم وفتح الدين ابن كره ومجاهد الدين الدواتدار الصغير... قد اجتمعوا عند الوزير وفتحوا ألسنتهم بالطعن على الخليفة، وقالوا إنه مولع بالمطربين ومنهمك باللهو ويبغض العسكريين وأمراء الجيش...

قال سليمان شاه: إن الخليفة إذا لم يقدم على دفع العدو ولم يبادر إلى رتق الخلل فلا يؤمل أن يجلب خواطر الناس إليه، وعما قريب نرى الجيش المغولي مسلطاً على بغداد لا يرحم احداً كما فعل بسائر البلاد وفتك بأهلها وهتك الحرمات وتجاوز على عصمة المخدرات... ولما لم يستول المغول على كافة المواطن فإننا نتمكن من مهاجمتهم ليلاً ومداهمتهم على حين غرة خصوصاً أنهم لم يضيقوا علينا بعد ولم

---

(١) جامع التواريخ.

يحصروننا من كل جانب. . . فلو جمعنا جيشاً وفتكنا بهم ليلاً وعلى غفلة لاستطعنا تفريق شملهم. وإذا وقع خلاف ذلك فنكون قد أدينا الواجب في المقاومة والدفاع لآخر نفس.

فلما سمع الخليفة بذلك قال: إن رأي سليمان شاه وتدبيره مصيب فاستعرضوا الجيوش حسبما قرره. . .! لأراهم وأبذل لهم ما يحتاجون.

أما الوزير فإنه يعلم أن الخليفة لا يبذل المال ولكنه لا يظهر ذلك خشية من اعدائه وقال لرئيس الاستعراض (التجهيزات) أن يجهز الجيش تدريجاً ليذاع صيت تجمعهم في القريب والبعيد من الأماكن وليتشجع في البذل ولئلا يحصل فتور في قصده وإرادته.

وبعد خمسة أشهر أعلم رئيس التجهيزات الوزير بأنه جمع فرقاً عظيمة وجيوشاً كثيرة، وأنهم يحتاجون إلى المال من الذهب والفضة فعرض الوزير ذلك على الخليفة فاعتذر.

وحينئذ يئس الوزير من مواعيده تماماً ورضي بالقضاء ووجه عيون الانتظار إلى أبواب الاصطبار. . .

وكانت العلاقة لا تزال سيئة في هذه الفترة بين الدواتدار والوزير فأخذ اراذل البلد والأوباش المشايعين للدواتدار يشيعون على أفواه الناس أن الوزير متفق مع هلاكو خان ويريد نصرته وخذلان الخليفة فأرسل الخليفة إلى هلاكو خان قليلاً من التحف والهدايا مع بدر الدين وزنكي والقاضي البندنيجي وبلغهم أن يقولوا لهلاكو:

ـ إننا مع علمنا أن هلاكو لا يقصد لنا السوء ولكنه يسأل من الواقفين على الأحوال بأن ما من ملوك وسلاطين قصدوا السلالة العباسية ودار السلام إلا كانت عاقبتهم وخيمة مع ما كان لهم من الصلابة والقوة، لأن بناء هذا البيت محكم للغاية وسيبقى أبد الدهر، وأن يعقوب الصفاري قصد الخليفة بجيش عظيم وتوجه إلى بغداد ولم

يصل إلى غرضه فابتلي بوجع البطن وقبل أن يتحقق غرضه مات من الوجع المذكور وكذا أخوه عمرو عزم على الوقيعة بالخليفة فألقى القبض عليه إسماعيل بن أحمد الساماني وسجنه وأرسله إلى بغداد ليرى جزاء ما كسبت يداه. وكذا البصاصيري[1] توجه إلى بغداد ومعه جيش لجب من مصر فوصلها وألقى القبض على الخليفة وحبسه في حديثة وأمر الناس أن يخطبوا باسم المستنصر (أحد خلفاء الإسماعيلية بمصر)[2] وتضرب النقود باسمه. فاطلع طغرل بيك السلجوقي على ذلك وتوجه بعسكر جرار من خراسان لنصرة الخليفة فنكل به وأخرج الخليفة من الحبس وأجلسه على مقر خلافته، وكذلك السلطان محمد السلجوقي قصد أيضاً بغداد فانهزم في أثناء الطريق كما أن السلطان محمداً خوارزمشاه عزم على إبادة هذا البيت بجيش عظيم ومن أثر غضب اللّه نزل عليهم امطاراً غزيرة وصواعق فرجع خائباً خاسئاً بعد ان هلك أكثر جيوشه ورأى جزاء أعماله من جدك جنگيزخان في جزيرة (آبسكون).

لذا كان قصدكم هذا البيت ليس من مصلحتكم فاعتبر بهذا الزمان الغدار» انتهى.

فغضب هلاكو من هذه الكلمات غضباً شديداً وأرجع الرسل من حيث أتوا، وعلى كل حال لا يرى هلاكو قيمة للبيت العباسي ولا يعرف له شأناً، وأن الوقائع أمثال هذه كان لها عوامل وأسباب لم تقترن بنتيجة لا أن تولد اعتقاداً مثل هذا خصوصاً في من يعتقد أن الخلفاء كفار. فلا يصد جيش العدو إلا بمثله ولا يقارع بالبيان واللسان. فالحجة للقواضب وللعدة الكافية الكافلة...

---

(١) البساسيري.

(٢) هؤلاء لا يفترقون كثيراً عن إسماعيلية خراسان المعروفين بالملاحدة ولعل بينهما فروقاً لا نستطيع ادراكها. وكتاب الفرق المذكور يتكلم عن هؤلاء وكذا «سمط الحقائق»...

ومع هذا نرى النقول جاءتنا من رجال المغول وكتابهم... والأقلام بيد اعداء الخلافة العربية يكتبون بها ما شاؤوا...

وكل هذه الأقوال مصروفة لتبرئة ساحة الوزير وبيان الوضع السيء للخليفة باسناد كل خرق له...

تدابير هلاكو للزحف على بغداد:

إن هلاكو حينما رجع رسل الخليفة أخذ يوجس خيفة على نفسه من كثرة جيوش بغداد. ثم أمر بتجهيز الجيوش والتأهب بنية أن يستولي أولاً على اطراف بغداد ونواحيها ليسهل عليه دخولها في يده نظراً للاستحكامات المنيعة التي كانت تعترضه في طريقه.

وعليه أرسل إلى حسام الدين عكة[1]. وكان هذا حاكماً على

---

(١) لما أن ارجع هولاكو رسل الخليفة صار يرتاب من كثرة جيوش بغداد، فأمر بالتأهب بغية أن يستولي أولاً على أطراف بغداد (العراق) ونواحيها، وفيها من الجبال الشاهقة والمنيعة ما ربما تعترضه في طريقه، وتكون حائلاً دون وصوله إلى غرضه وعليه ارسل هولاكو إلى حسام الدين هذا رسلاً وكان حاكماً على درتنك (حلوان) ونواحيها.

وفي جامع التواريخ النسخة الفارسية المخطوطة في استانبول أنه جاء إلى خدمة هولاكو وترك ابنه الأمير سعيداً مكانه فنال منه كل لطف وإعزاز، وأنعم عليه بقلعة زر (دززر) وهل هذه هي المعروفة اليوم بـ (آلتون كوبري)، أو (قنطرة الذهب)، وأن البلد كان يسمى فيها بـ (قلعة الذهب)؟ ثم شاع بـ (قنطرة الذهب)؟ وقلعة المرج (دزمرج)، وبقلاع أخرى، فانقادت له.. ثم علم منه خيانة فقبض عليه وقتله... أما ابنه فقد فر وذهب إلى بغداد، فقتل في المعركة...

وفي المطبوع من جامع التواريخ أنه منحه قلعة ورروده (دزورروده)، وقلعة المرج (دزمرج)، وقلاعاً أخرى. وفي تعدد النسخ نرى أسماء بلدان أخرى. هذا وإن الصديق الأستاذ مصطفى جواد يرى أن (مبارز الدين كك) هو المعني هنا إلا أننا نرى الاسم، والزمان مختلفين...

ودز هنا يراد بها القلعة أو البلد وتكون العبارة الواردة في (ص ١٦٤ س ٣ و٤) أنه خوله التصرف بالقلاع المذكورة وأطاعه أهلوها... الخ (التفصيل في جامع =

درتنك[1] ونواحيها من قبل الخليفة وكان متألماً من الخليفة فلبى دعوة هلاكو بلا تردد ففوض ما تحت يده من الممالك إلى ابنه أمير سعد وذهب بنفسه لخدمة هلاكو فرأى منه كل عطف ولطف فأمره بالرجوع وجعل تحت تصرفه نواحي أخرى مثل ذر وروده، ودزمرج، ونواحي أخرى.

سخر هذا دزاً وأطاعه الدزيون وانقادوا له. ولما رأى أنه نال ما كان يأمله بالأمس واجتمع تحت أمرته جيوش سليمان شاه وقبلوا طاعته أخذه الكبر والغرور (كذا في خواجه رشيد الدين) وأرسل إلى حاكم اربيل تاج الدين محمد ابن صلايا العلوي وقال له إني زرت هلاكو خان واطلعت على كفاءته وكياسته. وإني رأيته رجلاً مهيباً وذا أنفة. ولكن لم أخش سطوته وليس هو ذا قدر ومنزلة في نظري فإن الخليفة أكرمني وشجعني وأرسل إليّ جيشاً لتأييدي ونصرتي فأنا أيضاً أتمكن أن أبرز جيشاً من الكرد والتركمان ما يقرب من مائة ألف مقاتل وأسد الطرق في وجه هلاكو وعساكره ولا يستطيع مخلوق حينئذاك من دخول بغداد.

وعلى هذا أعلم حاكم أربيل ذلك للوزير فعرض هذا الأمر إلى الخليفة فلم يلتفت الخليفة إليه فوصل الخبر إلى مسامع هلاكو وثار ثائره وزاد حنقه وأمر بإعزام قائد الجيش كيتو بوقا نويان بثلاثين ألف مقاتل للتنكيل بهم.

= النوازع ح ١ ص ٢٥٤ و ٢٥٦ فكان اعتراض الصديق الأستاذ مصطفى جواد في محله مما دعا لمعاودة النظر... [الملحق الثاني].

(١) ودرتنك كانت أيام الخلافة وما بعدها تعد من ألوية بغداد واحتفظت بذلك إلى أيام سلطان سليمان القانوني، وبعدها... واليوم بيد ايران...

وفي الملحق: ورتنك هذه كانت مشهورة بـ (حلوان) فقد جاء في كتاب نزهة القلوب: إن حلوان من الاقليم الرابع من مدائن عراق العرب السبع، بناها قباد ابن فيروز الساساني. والآن خراب... ومن المدفونين.

ولما تقدم الجيش المغولي إلى تلك النواحي أرسل القائد إلى حسام الدين يخبره أنهم متوجهون إلى بغداد ويحتاجون إلى مشورته ولم يدر أنها خدعة وحيلة للوقيعة به فعزم على الذهاب بلا تدبر ولا تفكر. فجاء إليهم فأمره القائد بأن يخرج زوجته وأسرته وأولاده وسائر متعلقاته وعساكره... إن كان يريد النجاة وأن يعرضوا أنفسهم أمامه للإحصاء ليقرر لهم الرواتب طبق عددهم.

فلم ير بداً من الامتثال وحينئذ أخرج هؤلاء فقال له القائد إنك إن تخلص لنا وتكون في صفاء مع السلطان هلاكو خان فعليك أن تأمر اصحابك بهدم القلاع والحصون ليتحقق لنا حسن نيتك... فأحس حسام الدين بأنهم اطلعوا على منوياته (مذكراته مع الخليفة والمكاتبات معه) فيئس من حياته وأمر الأصحاب بهدم القلاع.

وبعد أن امتثلهم فيما أمروه وأصحابه إلا ابنه أمير سعد الذي امتنع عن طاعتهم وكان متحصناً في القلعة مع اعوانه فأنذروه بالتهديد فلم يجب لذلك وقال:

- إنكم أناس لا وثوق بمواعيدكم ولا اعتماد عليكم. وما مواعيدكم إلا دسائس وحيل.

وبقي متوارياً في الجبال والوديان ثم ذهب إلى بغداد فلقي حين قدومه إكراماً من صاحب الديوان. وأقام بها إلى أن قتل في الحرب.

ثم رجع القائد كيتوبوقا نويان ثملاً بخمرة النصر وجاء إلى هلاكو خان وهذا الذي أوقعوا به هو حسام الدين خليل بن بدر الكردي[1]

---

(١) حسام الدين خليل بن بدر الكردي - حسام الدين عكة:

في تواريخ عديدة نرى ذكر حسام الدين خليل بن بدر الكردي وأنه كان حاكماً على درتنك (حلوان) لهذا الموضوع صلة في مبحث: درتنك: - حلوان، المار الذكر. فمال إلى المغول وهكذا يعرض لنا اسم حسام الدين عكه في عين =

= الوضع، ونرى العلاقة بالمغول متماثلة للاثنين فكل منهما التجأ إليهم لما رأى من نفرة من دار الخلافة، وكان الظن مصروفاً غالباً إلى أنهما بالنظر لما ذكر يتبادر إلى الذهن العينية كما أن سليمان شاه بن برجم ذو ارتباط بحوادث كل منهما واسمه مقرون باسمهما... حتى أن التاريخ على ما جاء في بعض نصوصه متقارب... ولا يكاد يفرق بينهما. ذلك ما دعانا أن نشير إلى المخالفة بينهما.

وإذا راجعنا التواريخ القديمة المعاصرة للمغول، أو القريبة العهد بهم، ولاحظنا المتأخرين ممن نقل عن تلك الآثار تكونت لنا من النصوص بالنظر لمجراها ما يفيدنا أنهما متغايران بالرغم من اتفاق الموقع، والحاكمية، واللقب، والاتصال بالمغول.. وأن الأول منهما هو حسام الدين خليل بن بدر قد زال عنه الابهام والغموض تاماً، وأن حسام الدين عكه لا يزال في طي الخفاء، لا يعرف عنه أكثر من أنه كان أحد أمراء الكرد المشاهير وكان حاكماً في حلوان (درتنك). ولم نر من تعرض لأصله وطريقة استيلائه...

وتوضيحاً لهذا نذكر أن التخالف الذي شعرنا به وأشرنا إليه في صلب التاريخ (تاريخ العراق) قد تحقق كما يظهر من النصوص التالية:

١ ـ جاء في تاريخ مفصل ايران ما ملخصه أن حسام الدين خليل بن بدر كان من أمراء اللر الصغير، وكان بينه وبين سليمان شاه الايوائي منازعة شديدة فاضطر أن يلتجىء إلى المغول أيام تأهبهم للهجوم على بغداد فجعلوه شحنة (عهدوا إليه بخفارة الطرق) وبعد حروب بينه وبين سليمان شاه المذكور قتل سنة ٦٤٠هـ ذلك ما دعا أن يهاجم المغول بغداد انتصاراً لشحنتهم خليل بن بدر المذكور فهاجموها في ١٦ ربيع الآخر من سنة ٦٤٣هـ فلم يفلحوا في هجومهم وعادوا إلى بلادهم (تاريخ مفصل إيران ص ٤٤٩: ٤٥٢).

وغالب نصه الذي نقله يوافق ابن أبي الحديد... من جهة و(تاريخ گزيده) من أخرى وهذا الأخير يعين تاريخ قتلة حسام الدين المذكور في سنة ٦٤٠هـ وبالوجه المنقول عن تاريخ ايران المذكور.

٢ ـ قال في نهج البلاغة: (بعد أن ذكر كلاماً عن التتر).

«.. دخلت سنة ٦٤٣هـ فاتفق أن بعض أمراء بغداد وهو سليمان بن برجم وهو مقدم الطائفة المعروف بالايواء وهي من التركمان قتل شحنة من شحنهم (شحن التتر) في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر فأثار قتله أن سار من تبريز عشرة آلاف غلام منهم يطوون المنازل ويسبقون خبرهم ومقدمهم المعروف بجكتاي (جغتاي) الصغير فلم يشعر الناس ببغداد إلا وهم على البلد وذلك في شهر ربيع =

. . . .

= الآخر من هذه السنة في فصل الخريف.. فلما قربوا من بغداد وشارفوا الوصول إلى المعسكر أخرج المستعصم... مملوكه وقائد جيوشه شرف الدين اقبال الشرابي إلى ظاهر السور في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور ووصلت التتر إلى سور البلد في اليوم السابع عشر فوقفوا بإزاء عسكر بغداد صفاً واحداً وترتب العسكر البغدادي ترتيباً منتظماً ورأى التتر من كثرتهم وجودة سلاحهم وعددهم وخيولهم ما لم يكونوا يظنونه... فحملت التتار على عسكر بغداد حملات متتابعة وظنوا أن واحدة منها تهزمهم لأنهم اعتادوا أنه لا يقف عسكر من العساكر بين أيديهم، وأن الرعب والخوف منهم يكفي ويغني عن مباشرتهم الحرب بأنفسهم فثبت لهم عسكر بغداد أحسن ثبوت ورشقوهم بالسهام. فما زال العسكر البغدادي يظهر عليه امارات القوة ويظهر على التتار امارات الضعف والخذلان إلى أن حجز الليل بين الفريقين ولم يصطدم الفيلقان وإنما كانت مناوشات وحملات خفيفة لا تقتضي الاتصال والممازجة ورشق بالنشاب شديد، فلما أظلم الليل أوقد التتار نيراناً عظيمة وأوهموا أنهم مقيمون عندها وارتحلوا في الليل راجعين إلى جهة بلادهم فأصبح العسكر البغدادي فلم ير منهم عيناً ولا أثراً.. عائدين حتى دخلوا الدربند ولحقوا ببلادهم (نهج البلاغة ج٢ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

٣ ـ وفي جامع التواريخ: عند ذكر المعاصرين لمانگوقا آن أيام حكومته من سنة ٦٤٨هـ ـ ١٢٥١م: ٦٥٥هـ ـ ١٢٥٧م بين أن هذا الحادث مما وقع في أيامه كما أشار إلى ذلك جامع التواريخ ج ٢ ص ٣٤٠.

قال: «وفي هذه السنين خرج حسام الدين خليل بدر بن خورشيد البلوچي من كبار الأكراد عن طاعة الخليفة، والتجأ إلى المغول، وكان في زي الصوفية كان يعدّ نفسه من مريدي سيدي أحمد ففي ذلك الوقت قد تشاور مع جماعة من المغول فذهب إلى خولنجان من أنحاء نجف (كذا غير منقوطة) فهاجم جمعاً من اتباع سليمان شاه واغار عليهم فقتل فيهم. ومن هناك توجه نحو قلعة وهار (تعرف اليوم ببهار) وكانت تعود لسليمان شاه، فحاصرها. ولما علم سليمان شاه بذلك طلب من الخليفة اذناً وتوجه إلى هناك لدفع هذا الصائل، فوصل إلى حلوان (درتنك) المذكورة وجمع إليه جيوشاً لا تعد ولا تحصى. وكذا جهز خليل ما استطاع من مسلمين ومغول فتصافوا في موضع يقال له سهر، وكان سليمان شاه قد صنع له كميناً فاشتبك الحرب بين الفريقين وحمي الوطيس فأظهر سليمان شاه الهزيمة وسار حسام الدين خليل في عقبه حتى اجتياز الكمين ومن ثم رجع =

. . . .

= سليمان شاه عليه فجعلوه وجيشه في الوسط فقتلوا الكثيرين منهم والقوا القبض على خليل وقتلوه وأن أخاه اعتصم بالجبل وطلب الأمان فنزل واستولى سليمان شاه على مدينتين من مدنهم أحدها شيكان وكانت حصناً حصيناً، والأخرى دزيزا كذا، وغير منقوطة) وهي ضمن مدينة شاپور.

وفي هذه السنين أيضاً قصدت جماعة من المغول تقرب من خمسة عشر ألف فارس أنحاء بغداد، سارت من همذان، ثلة منهم مضت إلى خانقين، وأخرى صادفت أصحاب سليمان شاه فواقعتهم.. وجماعة توجهت إلى ناحية شهر زور.

وأن الخليفة أمر شرف الدين إقبال الشرابي، ومجاهد الدين ايبك الدواتدار الصغير، وعلاء الدين التون پارس الدواتدار الكبير مع جيش عظيم من الموالي والأعراب فخرجوا عليهم، ونصبوا خارج بغداد المجانيق، فجاءت الاخبار أن المغول وصلوا إلى قلعة.. وأن سليمان شاه رتب الجيوش المذكورة ونظم صفوفها للحرب ووصل المغول إلى قرب الجعفرية، وليلا أوقدوا النيران، وعادوا ولم يمض إلا القليل حتى أتت الأخبار بورود المغول إلى الدجيل وغارتهم له، وأن الشرابي ذهب لدفع غائلتهم من هناك فعادوا (جامع التواريخ ج ٢ ص ٣٤٢ وما يليها.

وهنا لم يشأ مؤرخ المغول أن يدون هزيمة لهم فأخذها هذا المؤرخ بخفة واختصار ولم يصرح بما يجب.. وهذه الوقعة توافق ما ذكره صاحب النهج سواء عن حسام الدين أو عن هجوم المغول إلا أن التاريخ متخالف.. فقد ذكر الوقعة أيام مانگو (مونككا) المذكورة أعلاه وتبتدىء قطعاً بعد سنة ٦٤٨هـ المذكورة في حين أن تاريخ گزيده بخلاف ذلك وكذا صاحب شرح النهج..

٤ ـ ومن ثم تتوضح الوقائع التي اوردها التاريخ المنسوب للفوطي. قال: «ذكر قتل خليل بن بدر الكردي ـ كان أحد زعماء ارستان (صحيحها لرستان لما مر من النصوص السابقة) فخرج عن طاعة الخليفة، والتجأ إلى المغول، وكان يلبس زي القلندرية ويزعم أنه من أصحاب الشيخ أحمد بن الرفاعي، وأظهر الاباحة، فأجتمع عليه خلق كثير، وكان يشرب الخمر، ويأكل الحشيش المسكر فخرج معه جمع كثير من المغول وغيرهم وقصد نواحي اللحف (في جامع التواريخ وردت بلفظ تحف غير منقوطة) ونهب جماعة من رعية سليمان شاه وقتلهم، ثم حضر قلعة وهار وهي لسليمان شاه، فخرج إليه في خلق كثير، فالتقوا واقتتلوا من ضحى النهار إلى العصر، فقتل من أصحاب خليل ومن المغول ألف وستمائة فارس وراجل، وانهزم خليل، فظفر به بعض أصحاب سليمان شاه وأراد قتله =

. . . .

= فوعده بمال كثير فلم يقتله، فأخذه أسيراً فمر به قوم من التركمان من أصحاب سليمان شاه كان قد قتل منهم جماعة فقتلوه وحملوا رأسه إلى سليمان شاه فأمر بتعليقه على باب خانقين فعلق» اهـ (تاريخ الفوطي ص ٢٨٦).

ومن النصوص المذكورة أعلاه نجد العلاقة بين هذه الوقعة المدونة في حوادث سنة ٦٥٣هـ والوقعة التالية المذكورة فيه في حوادث سنة ٦٤٣هـ صلة وارتباطاً. قال:

«في المحرم وصل الخبر إلى بغداد من ارسل أن المغول خرجوا من همذان في ستة عشر ألفاً وقصدوا الجبل، فأمر الخليفة بالاستعداد للقائهم، وتبريز العسكر إلى ظاهر السور فخرجوا على التوءدة والهوينى، فوصل الخبر أن طائفة منهم قصدوا خانقين، ووقعوا على جماعة من أصحاب الأمير شهاب الدين سلمان شاه ابن برجم زعيم الايوانية (وردت في شرح النهج الايواء، وفي تاريخ ايران الايوائية كما مر في النصوص السابقة)، وقربوا من بعقوبا، ونهبوا وقتلوا، ووصل أهل طريق خراسان والخالص إلى بغداد، فأمر حينئذ باستنفار الأعراب من البوادي والرجال من الأعمال، وتفريق السلاح، ورفع المجانيق على السور، وخرج الشرابي إلى مخيمه بظاهر السور فوصل إليه رسول من فلك الدين محمد سنقر الاسن المعروف بوجه السبع، وكان بالقليعة يزك يخبره بوصول المغول ومحاذاتهم له فركب في الحال وعين على من يتوجه لمساعدة فلك الدين المذكور ثم أخذ في تعبئة العساكر وترتيبها ميمنة وميسرة، فوصلت عساكر المغول ونزلوا بإزائهم وجرت بين الفريقين حرب ساعة من نهار، ثم باتوا على تعبئتهم فلما أصبحوا لم يجدوا من عساكر المغول أحداً.

ثم ورد الخبر أن طائفة منهم عبرت إلى دجيل فقتلوا ونهبوا فنفذ إليهم جماعة من العسكر والعرب نحو ثلاثة آلاف فارس وقدم عليهم الأمير قزقر الناصري فلما عرفوا بعبور العسكر إليهم رجعوا» اهـ (تاريخ الفوطي ص ١٩٩ ـ ٢٠٠).

وهذا التفريق الكبير في تاريخ الفوطي بين الوقائع المتماسكة والمتصلة هو الذي سبب أن تحوم الظنون حول القطع في واحد من المترجمين المذكورين وهل الواحد منهما عين الآخر؟ والآن لم يبق ريب في الغيرية وأن خليل بن بدر من اللر الصغير، وبقي الشك في حسام الدين عكه من أي قبيل هو؟. فلا يزال الغموض باقياً والتحري مستمراً. . .

وهنا يلاحظ أن الاضطراب في تاريخ الفوطي موجود من جهة بيانه قتلة خليل بن بدر فقد عرف مما مر أنه قتل سنة ٦٤٠هـ كما أن شرح النهج عين وقعة المغول =

الوارد ذكره في حوادث سنة ٦٥٣هـ من ابن الفوطي إلا أنه بينهما تخالف وما جاء في جامع التواريخ يفصل الوقعة، والشخص واحد، وبعض العبارات تتفق تماماً[1]. . .

وكان هلاكو يستشير أركان دولته وأعيان حاشيته عن فتح بغداد. فكل واحد كان يبدي رأيه حسب اعتقاده فطلب حضور حسام الدين المنجم الذي كان مصاحباً لهلاكو خان بأمر القاآن. وهذا لم يقدم على أمر ما إلا برأيه ومشورته فقال له:

ـ بيّن لنا رأيك بلا تردد ولا مداهنة فيما تراه من الحوادث الدالة على وقوع ذلك استطلاعاً من سير الكواكب ومطالع النجوم فقال له المنجم بلا تردد ولا خوف:

ـ إني لا أرى من المصلحة أن تقصد الخلافة العباسية وأن تدفع بجيشك إلى بغداد إذ ما من ملك مقتدر وسلطان قاهر أراد سوءاً بالعباسيين بقصد الاستيلاء على بغداد إلا كان نصيبه الخيبة والخذلان وانسلاب الملك من يده وانقطاع حياته. وإذا لم يسمع الملك بما نصحته وقصد بغداد وأساء إلى العباسيين فسيقع من عمله هذا ست حوادث:

= سنة ٦٤٣هـ والارتباك في هذه الوقعة يجعلنا نجزم بأن الفوطي لم يذكرها إلا نقلاً عن غيره بصورة مبتورة ومرتبكة، فلا اتصال لبعض اجزائها ببعض. . .

وعلى كل إن النصوص المارة كشفت الغموض عن حقيقة الوقعة مع خليل بن بدر والتعريف به وحقيقة علاقته بوقائع بغداد والمغول والسياسة التي كانوا يرمون إليها من جذب المجاورين واستمالتهم باستخدامهم على الخلافة.. وقد عرضنا هذه النصوص لتعلم درجة علاقة الفيلية بالعراق واتصالهم الوثيق به، وليكون القارىء على علم من حقيقة الأوضاع السياسية آنئذ وروابطها بالمجاورين، وما تجره الاغلاط من ويلات ونتائج قاسية.

(١) جامع التواريخ ج ٢ ص ٢٠٤.

١ ـ هلاك الدواب والحيوانات ومرض الجنود.

٢ ـ لا تطلع الشمس من مشرقها.

٣ ـ تقطع الأمطار.

٤ ـ تهب ريح صرصر أو عاصفة شديدة ويقع زلزال يخرب العالم.

٥ ـ لا تنبت الأرض نباتاً.

٦ ـ يموت في تلك سلطان عظيم.

فطلب هلاكو منه أدلة قاطعة وحججاً دامغة وبراهين ساطعة يأتي بها إثباتاً لما بينه فعجز عن ذلك.

ثم أخذ الأمراء وقواد الجيوش يحثون هلاكو بالمسير ويقوون عزمه ويقولون له: إن توجهنا إلى بغداد عين الصلاح والصواب.

وحينئذ أمر أن يحضر الخواجه نصير الدين الطوسي فاستطلع رأيه في القضية فتوهم الخواجه أن هذا الطلب على سبيل الامتحان له فقال مبدياً رأيه بأن ما بينه حسام الدين المنجم غير صحيح ولا تقع حادثة ما، فقال هلاكو: فماذا يكون؟ قال له:

ـ إنما تكون أنت خليفة بمكانه.

ثم أمر هلاكو باجتماع المنجمين المذكورين فقال الخواجه:

ـ اتفق جمهور علماء الإسلام بأن أكثر الصحابة قتلوا ولم يقع فساد في الكون. وإذا قالوا إن هذه الحوادث سوف تقع لأجل العباسيين ومن خصائصهم فإن طاهراً قد ذهب بأمر المأمون من خراسان وقتل أخاه محمداً الأمين، وأن المتوكل قد قتل بتحريك من ابنه أو أن ابن المتوكل اتفق مع الأمراء وقتل أباه، وأن المنتصر والمعتز قتلا من قبل الحراس والحجاب بتحريك من الأمراء... وقد قتل من الخلفاء عدد كثير ولم يقع خلل في الكون.

الزحف على بغداد:

ثم إنه بعد الاطلاع على ما تقدم وسماع الأقوال وتدبرها من قبل هلاكو استعد للزحف وعزم عزماً جازماً لفتحها وجيَّش جيوشاً من الأطراف والجوانب. وأمر بعض القطعات المغولية المرابطة في جهة الروم التي كانت تحت قيادة جرماغون وبايجونويان[1] أن تسير على ميمنته من أطراف أربيل وتتوجه نحو مدينة الموصل وتعبر جسرها وتعسكر في الجانب الغربي من بغداد وعين لمسيرهم إلى غرب بغداد وقتاً معيناً يصادف وقت مجيء الرايات المغولية من المشرق وأمر أيضاً قواداً آخرين من المغول أن يسيروا إلى ميمنته وهم:

(بلغا بن شيبان بن جوجي)، و(توتار بن سنقور بن جوجي)، و (قولي بن أورده بن جوجي)، و(سونجاق نويان)[2]، و(بوقا تيمور نويان)، وأمر (كيتو بوقا نويان) و(قدسون) و (ترك ايلكا) أن يسيروا على الميسرة من حدود لورستان وبيات وتكريت[3] وخوزستان وكانت جبهتهم ممتدة إلى سواحل عمان[4].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ثم توجه هلاكو خان من أرياف همدان ووضع على رأسه التاج

---

(١) ورد في تاريخ الفخري بلفظ «باجو».

(٢) ورد في الحوادث الجامعة بلفظ سوغو نجاق وكذا في جامع التواريخ.

(٣) قد بلغ التصحيف في الأعلام التاريخية حده، ومهما قوبلت النسخ، أو روجعت النصوص المتنوعة فلا يكاد يظهر أحياناً وجه الصواب وعاد لا يعرف. وما ذلك إلا لأن الغلط يتكرر ولا يدخل الإصلاح والتنبيه على اللفظ الصحيح، وقد يصعب... وهذه اللفظة جاءت في جامع التواريخ بلفظ (تكريت)، وهو الأشبه بالقبول. ولكن الأستاذ القزويني كان قد راجع نصوصاً عديدة منها تاريخ كزيده، وشرفنامة، ودائرة المعارف الإسلامية فتحقق لدى حضرته أنها (كريت) من قرى مملكة اللر، وأنها لا تزال معروفة بهذا الاسم مما لا يدع ريباً في صحة تدقيقه... (جهانكشاي جويني ج ٣ ص ٤٧١).

(٤) الظاهر عبادان.

المغولي المسمى [قباق[1] نويان] ويعني (تاج القيادة) أو (تاج الإمارة).

وفي أواخر المحرم لسنة ٦٥٥ توجه ومعه جيش عظيم وسار من طريق كرمنشاه وحلوان وبرفقته من أعاظم الأمراء:

كوكا ايلكا، وارقنو، وارغون آغا، وقراتاي بتيكجي[2] (بمعنى كاتب)، وسيف الدين بتيكجي.

وكانوا من مدبري مملكته. وكذا كان معه الخواجة نصير الدين الطوسي والصاحب علاء الدين عطا ملك مع أعاظم ايران وكتابها.

ولما وصلوا إلى أسد آباد أرسل أيضاً رسولاً إلى الخليفة يبلغه لزوم حضوره إلى هلاكو خان. وجاءهم أيضاً من بغداد إلى دينور ابن الجوزي للمرة الأخرى حاملاً كتاب الخليفة ممزوجاً بالوعد والوعيد والتضرع والالتماس طالباً رجوع هلاكو خان مع جيشه وانصرافه عن التوجه إلى بغداد مبيناً انقياد الخليفة لما يقرره هلاكو وما يطلب إرساله من المال في كل سنة إلى خزانة هلاكو.

تدبر هلاكو في الأمر وظن أن الخليفة ينوي بهذا أن يرجع مع جيشه ليستعد هو ويكتب للأطراف فقال:

ـ نظراً لقطعنا المسافات البعيدة لا يسعنا أن نرجع بلا ملاقاة الخليفة ومواجهته. ثم بعد الحضور والمشافهة نرجع بإجازته.

ومن هناك توغلوا في جبال كردستان.

---

(١) قباق ما يلبس في الرأس ونويان يراد بها القائد، أو الأمير، «الشهزادة»، وما جاء في جامع التواريخ بلفظ قياق بالياء فغير صحيح.

(٢) وهو بتقديم التاء على الياء بخلاف ما جاء في جامع التواريخ «راجع: لغة جغتاي ص ٧٤».

وفي ٢٧ من الشهر المذكور نزل في كرمانشاه[١] فتطاولت أيديهم بالسلب والغارة للأطراف...

ثم أمر هلاكو بإحضار الأمراء (الشهزادية) وسونجاق وبايجو نويان وسونتاي على وجه السرعة وأن يصلوا إليه قرب طاق كسرى، فألقوا القبض على (ايبك الحلبي) و(سيف الدين قلج) وأتوا بهما إلى هلاكو فعفا هلاكو عن ايبك وتعهد هذا أن يعرض له الأمر على وجه الصحة. ثم عينه هلاكو خان ضابطاً ليزك المغول[٢].

وفي الحوادث الجامعة: «سار السلطان حينئذ نحو بغداد، وأمر الأمير سوغو نجاق أن يسير بقطعة من الجيوش على اربل، ويعبر دجلة ففعل وسار السلطان في باقي الجيوش. فلما بلغ الخليفة مسيره أمر الدويدار أن يخرج من بغداد بالعساكر فخرج ونزل قريباً من بعقوبا. فلما بلغه وصول سوغو نجاق وابيجو عبر دجلة ونزل حيال حربى، وأرسل أميراً يعرف بايبك الحلبي في مقدمته فمضى واتصل ببايجو وأقبل بين يدي العسكر يعرفهم الطرق ويهديهم.» اهـ[٣].

ثم أنعم هلاكو على الأمراء وأمرهم أن يعبروا دجلة ويتوجهوا نحو غربي بغداد. وكانت لهم عادة أن يحرقوا الصوف الذي في كتف الأغنام فأحرقوه وعبروا دجلة وتوجهوا نحو غربي بغداد.

وكانت جيوش بغداد معسكرة في تلك الجهة تحت قيادة قراسنقور القبجاقي ولما كان سلطان جوق[٤] من الخوارزميين بمعية المغول (في

(١) تلفظ عند الإيرانيين كرمان شاهان والعرب يقولون قرمسين واليوم شائعة «كرمنشاه» على لسان العموم.

(٢) جامع التواريخ.

(٣) ابن الفوطي حوادث سنة ٦٥٥هـ.

(٤) وفي موطن آخر ورد بلفظ «سلطان جون».

يزكهم) وهو في خدمة هلاكو أرسل رسالة إلى قراسنقور[1] يخبره بأننا وإياكم من جلدة واحدة وقوم واحد ونحن بعد الدفاع الكثير عجزنا واضطررنا إلى طاعة هلاكو والآن نحن في خدمته وهو يحسن إلينا. وأنتم أيضاً ارأفوا بأرواحكم وأشفقوا على أولادكم وأطيعوا المغول حتى تكونوا في مأمن منهم على أنفسكم وأموالكم وأولادكم. فأجابهم قراسنقور:

ـ إن المغول أعجز من أن يتمكنوا من الفتك بالبيت العباسي. لأن هذا البيت رأى أمثال جنگيزخان كثيراً. فأساسه أحكم من أن يمسه جنگيز وأتباعه بسوء ولا يتزلزل لكل عاصفة مهما كانت شديدة. وهم منذ أكثر من خمسمائة سنة يحكمون كابراً عن كابر. وكل من قصدهم بسوء نال جزاءه، ولا يأمن سطوات الدهر.

ولما كنت تكلفني بالطاعة لدولة المغول الحديثة العهد فقولكم هذا بعيد عن الكياسة. ومن لوازم القرابة والصداقة أنكم لما رأيتم هلاكو خان فتح قلاع الملاحدة أن تصدوه وترجعوه إلى الري وترجعوا إلى مواطنكم تركستان وخراسان.

فالخليفة متألم من تطاول هلاكو خان. وأن هلاكو خان إذا كان ندم عن فعله وجب عليه أن يرجع بجيشه إلى همذان حتى يتشفع الدواتدار له عند الخليفة ليعفو عن هلاكو ويقبل الصلح فيسد باب القتال والجدال.

وهذا الكتاب قدمه (سلطان جوق) إلى هلاكو خان.

وحينما اطلع هلاكو على مضمون هذا الكتاب ضحك بسخرية وقال:

---

(١) جاء في أكثر الكتب العربية «قراسنقر».

- إن قوتي وعظمتي نتيجة فعلي وإرادتي ولم تكن بدرهم ولا دينار. وإذا يسر الله نصرتي وأعانني فلا أخشى من الخليفة وجيشه.

ثم إنه أرسل رسولاً آخر يبلغ الخليفة أنه يدعوه بالحضور إليه قبل سليمان شاه والدواتدار حتى يسمع نصيحته. وتوجه في اليوم التالي إلى اطراف نهر حلوان. فأقام هناك من ٩ ذي الحجة إلى ٢٢ منه وفي تلك الأثناء ورد إليه كيتو بوقا نويان آتياً من لورستان وكان قد استولى على الكثير منها طوعاً وكرهاً. وفي ٩ المحرم سنة ٦٥٦هـ توجه بايجو نويان وبوقا تيمور وسونجاق على الموعد من طريق دجيل فعبروا دجلة ومنها مضوا حتى وافوا إلى حدود نهر عيسى.

وقد التمس سونجاق نويان من بايجو أن يكون في مقدمة العسكر المتوجه إلى غربي بغداد فوافق وسار مع جيشه ووصل إلى حربي[(١)]. وكان مجاهد الدين ايبك الدواتدار قائد جيش الخليفة هناك مع فتح الدين بن كر القائد وعسكروا بين بعقوبة وباجسرى. ولما سمعوا بوصول المغول إلى غربي بغداد غيروا وجهتهم وساروا من دجلة إلى حدود الأنبار على ابواب قصر المنصور في صدر المزرفة ويبعد تسع ساعات عن بغداد ورتبوا صفوفهم واستعرضوا الجيوش مع عساكر سونجاق نويان وبوقا تيمور، أما جيش المغول فإنه عطف عن المصاف وانحاز إلى نهر بشير من بز الدجيل فرأوا بايجو واتصلوا به فقال لهم ارجعوا. وفي هذا المكان كسروا سدة النهر من هناك ليغرقوا جيش بغداد ولتغمر المياه تلك الصحراء...

وفي يوم الخميس وقت طلوع الفجر من يوم عاشوراء هاجم بايجو وبوقا تيمور جيوش الدواتدار وابن كر وهزموهم شر هزيمة. وقتل

---

(١) جاءت في جامع التواريخ بلفظ حربية وصحيحها ما ذكر والعامة عندنا يسمونها «حربة» وهي أطلال ويقربها «جسر حربة» قنطرة لا تزال قائمة.

في هذه الحرب قراسنقور وفتح الدين بن كر وهما قواد الجيش مع اثني عشر ألفاً من الجيش. وهؤلاء عدا من غرق في النهر. وانهزم إلى نواحي الحلة والكوفة وبقوا متفرقين مدة.

وفي يوم الثلاثاء منتصف المحرم استولى بوقا تيمور وبايجو وسونجاق على الجانب الغربي من بغداد ونزلوا في ساحل دجلة في اطراف البلدة.

ووصل في هذه الأثناء من أطراف نحاسية وصرصر القائد كيتو بوقا نويان مع امراء آخرين بجيش عظيم.

وعن هذه جاء في ابن الفوطي:

«ذكرنا في سنة ٥٥ مسير السلطان هلاكو قاآن من بلاده نحو بغداد، وأنه أمر الأمير بايجو بالمسير إلى اربل وأن يعبر دجلة ويسير إلى بغداد من الجانب الغربي ففعل ذلك، فلما بلغ الخليفة وصوله تقدم إلى الدويدار الصغير مجاهد الدين ايبك وجماعة من الأمراء بالتوجه إلى لقائه، فعبروا دجلة فلما تجاوزوا قنطرة باب البصرة بفرسخ واحد رأوا عساكر المغول قد أقبلت كالجراد المنتشر فالتقوا واقتتلوا يوم الأربعاء تاسع المحرم، فانكسرت عساكر المغول قصداً وخديعة، فتبعهم الدويدار وقتل منهم عدة كثيرة وحمل رؤوسهم إلى بغداد، وما زال يتبعهم بقية نهاره فأشار عليه الأمير فتح الدين بن كر بأن يثبت مكانه[1] ولا يتبعهم،

---

(١) وفي مجمع الآداب أيضاً «وكان من الامراء الذين عبروا إلى الجانب الغربي، وامتار عليهم بالرجوع فلم يسمعوا الامير أبو المظفر الدمشق بن عبد الله القفجاقي الناصري) فلم يسمعوا، وقاتل إلى أن قتل رحمه الله في المحرم سنة ٦٥٦ وقد نيّف عن الثمانين» قاله معالي الشيخ الاستاذ محمد رضا الشبيبي. وفي طبقات ناصري أن الملك عز الدين بن فتح الدين قد كان جهده منصرفاً إلى لزوم تعقب أثر المنهزمين للقضاء عليهم. ولكن مجاهد الدين الدوالي تأنى في الأمر ليلته.

فلم يصغ إليه، فأدركه الليل وقد تجاوز نهر بشير ببز دجيل فباتوا هناك فلما أصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالاً شديداً، فلم يثبت عساكر الدويدار، فانكسروا وكروا راجعين إلى بغداد فوجدوا نهر بشير قد فاض من الليل وملأ الصحراء فعجزت الخيول عن سلوكه، ووحلت فيه، فلم يخلص منه إلا من كانت فرسه شديدة، وألقى معظم العسكر نفسه في دجلة فهلك منهم خلق كثير، ودخل من نجا منهم بغداد مع الدويدار على أقبح صورة، وتبعهم الأمير بايجو وعسكره يقتلون فيهم، وغنموا سوادهم وكل ما كان معهم، ونزلوا بالجانب الغربي، فشرعوا بالرمي بالنشاب إلى الجانب الشرقي، فكانت سهامهم تصل الدور الشطانية اهـ[1].

أما هلاكو فقد توجه من خانقين إلى بغداد ونزل في شرقيها في ١١ المحرم سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م وكان العسكر المغولي منتشراً في اطراف بغداد كالجراد وقد توغل في هذه الأنحاء ونصبوا المنجنيقات حوالي بغداد.

وفي يوم الثلاثاء ٢٢ المحرم ابتدأوا بالحرب واشتبكوا في القتال. وكان جيش هلاكو قد اتخذ مقره وسار هلاكو من (طريق خراسان) من نواحي الخالص متوجهاً على ميسرة المدينة وهدفه (برج العجمي)[2]. وكان هدف ايلكا نويان، نحو باب كلواذى، وقولى، وبلغا، وتوتار، وشيرامون، وأرقيو، كانت وجهتهم وسط المدينة باب سوق السلطان (الباب الوسطاني).

---

(١) الحوادث الجامعة سنة ٦٥٦هـ ومثله في الفخري.

(٢) هذا البرج لا يزال معروفاً وأصله أن الشيخ عبد القادر الكيلاني كان يلزم الخلوة فيه فسمي برج العجمي نسبة إليه... كما في بهجة الأسرار و «مقام الشيخ» هناك كان معروفاً إلى أيام احتلال بغداد على يد الانجليز والآن محله معروف إلا أنه اندرس وزال بناؤه...

وبوقا تيمور متوجه من أطراف القلعة من جانب القبلة في موضع دولاب. وتوجه بقل وبايجو وسونجاق من جانب غربي بغداد نحو البيمارستان العضدي.

وكان هؤلاء قد اشتبكوا مشتركاً ونصبوا مقابل (برج العجمي)[1] مجانيق متعددة وضعضعوا البرج المذكور.

وفي هذه الأثناء أرسل الخليفة الوزير ومعه الجاثليق وقال لهم بلغوا هلاكو بأن الخليفة أوفى بعهده وأرسل لك الوزير الذي أردته قبلاً فيكون بعمله هذا قد نفذ أمر السلطان فقال هلاكو خان:

ـ إن هذا قد اشترطته على أبواب همذان حينما كنت هناك. وفي هذا الوقت وصلنا بغداد وتلاطمت الفتن والانقلابات. فلا يسعني أن اكتفي أو أقنع بوصول وزير واحد فأريد أن يأتوا إلي ثلاثتهم: الدواتدار وسليمان شاه والوزير فرجع الرسل إلى المدينة ودخلوها.

وفي اليوم التالي توجه الوزير وصاحب الديوان وجماعة من مشاهير البلدة وأعيانها إلى هلاكو فخرجوا من بغداد فأرجعهم الجيش المغولي. ودامت الحرب ستة أيام متوالية. وأمر السلطان هلاكو أن يرسلوا يرليغات (فرامين سلطانية) إلى القضاة والعلماء والشيوخ والعلويين والأعيان (أو التجار) والذين ليسوا معهم في حرب... يؤمنونهم بها على أرواحهم وشدوا هذه الكتب بألواح ونشروها في أنحاء المدينة (رموها) للإعلام بها وإعلانها.

---

(١) من رأي الاستاذ القزويني أن سبب تسميته ببرج العجم، أو العجمي هو أنه كان لمحلة قطيعة العجم من محلات بغداد، ويشتبه من صحة التسمية المذكورة في حواشي الحوادث الجامعة ص ٣٢٦ المتضمنة ملازمة الشيخ عبد القادر في هذا البرج فنسب إليه، نقلاً عن بهجة الاسرار قال ويسمى (با) الترك العثمانيين بـ (طابية الزاوية) والطابية هنا تعني البرج ـ راجع ح ٣ ص ٤٧٤ من تاريخ جهان كشاي جويني.

ولما لم يكن لديهم أحجار للرمي صاروا يجلبون الأحجار من جبل حمرين وجلولاء فصاروا يرمونها بواسطة المنجنيقات في المدينة. وكانوا يقطعون النخيل ويجعلون ذلك مكان الأحجار للرمي.

وفي يوم الجمعة ٢٥ المحرم هدموا (برج العجمي).

وفي يوم الاثنين ٢٨ منه تقابلت الجيوش قرب (برج العجمي) وأخذ التتار يستولون على البرج وينسحب الناس من داخلها. وكذا اشتد الأمر من جانب سوق السلطان.

ولما كان القائدان بلغا وتوتار اللذان كان هدفهما جانب السوق السلطاني لم يتمكنا بعد من الاستيلاء عليه وافاهما السلطان هلاكو وشد عزمهم بتحريك نخوتهم. وكانوا طول الليل يحاولون الاستيلاء على سور المدينة.

ثم إن هلاكو أمرهم أن ينصبوا جسرين أحدهما في أعلى بغداد وآخر في أسفلها فأعدوا السفن لها والمجانيق وقطعوا طريق المدائن والبصرة. وهؤلاء كانوا تحت قيادة بوقاتيمور ومعه تومان أي فرقة (عشرة آلاف من الجيش) فأقاموا على طريق المدائن والبصرة. وكان قصدهم من قطع الطريق أن يمنعوا كل من يريد الفرار من بغداد ويحاول الهزيمة.

في هذا الموقف اشتد الحرب في بغداد وضاق الأمر بالناس وحينئذ أراد الدواتدار أن يركب في سفينة وينهزم إلى جانب السيب. ولما مر من قرية (العقابية)[1] أحاطه جيش بوقاتيمور وأخذوا يرمون السفينة بالأحجار والسهام وقوارير النفط بواسطة المنجنيقات واستولوا على ثلاث سفن وأهلكوا من فيها فرجع الدواتدار حينما رأى الفرار

---

(١) قرية في الأراضي المعروفة اليوم بأراضي العقابية قرب بغداد في الجانب الغربي في أراضي الدورة وقد سميت في جامع التواريخ بقرية العقاب وكذا في الحوادث الجامعة.

صعباً عليه. فاطلع الخليفة على هذه الحالة فيئس من حكومة بغداد وملكها يأساً كلياً. لأنه لم ير مفراً ولا ملجأ لنفسه فقال: ليس لي بد من طاعتهم.

وعلى هذا أرسل الخليفة فخر الدين الدامغاني وابن الدرنوس[(١)] ومعهما تحف قليلة. لأنه حاذر أن يرسل تحفاً كثيرة فتدل على خوفه منهم فيحصل بذلك تعنت من العدو وعناد. فلم يلتفت هلاكو إلى التحف المرسلة ومن ثم رجعوا خائبين.

وفي يوم الثلاثاء ٢٩ المحرم خرج أحد أولاد الخليفة وهو المتوسط منهم أبو الفضائل (الفضل) عبد الرحمن ومعه الوزير وصاحب الديوان وجمع من الأعاظم ومعهم أموال كثيرة فلم يقع ذلك كله موقع القبول من هلاكو خان...

وفي سلخ المحرم خرج ابن الخليفة الأكبر والوزير وجمع من المقربين بقصد الرجاء والشفاعة فلم يجد ذلك نفعاً. وحينئذ أرسل هلاكو الخواجة نصير الدين وايتيمور بصفتهما رسلاً إلى الخليفة وبصحبتهما صاحب الديوان فخر الدين الدامغاني وابن الجوزي وابن درنوس وكانوا يقصدون جلب سليمان شاه والدواتدار.

وفي غرة صفر دخلوا بغداد وجاؤوا بيرليغ (أمر سلطاني) وعهد (بايزه) ليطمئنوهما وقالوا:

---

(١) هو عبد الغني بن الدرنوس ذكره ابن الطقطقي وقال كان حمالاً فتوصل في أيام المستنصر حتى صار براجاً في بعض ابراج دار الخليفة فما زال يحسن التوصل إلى ولد المستنصر وهو المستعصم وكان في زمن أبيه محبوساً، فما زال يتعهده بالخدمة إلى أن جلس على سرير الخلافة فعرف له حق الخدمة ورتبه متقدم البراجين ثم استحجبه حتى بلغ أن صار إذا دخل إلى الوزير ينهض له ويخلي المجلس لعله جاء في مشافهة من عند الخليفة ولقب نجم الدين الخاص... الخ ص ٣٣.

ـ إن الخليفة إذا أراد أن يخرج فليخرج. وإلا فالرأي له.

وأمر هلاكو الجيش المغولي أن يستقر في أطراف بغداد إلى أن يرجع الرسل ويبلغوه النتيجة.

وفي يوم الخميس غرة صفر تمكنوا من إقناع الدواتدار وسليمان شاه فخرجوا بمعيتهم. ولما وصلوا إلى المعسكر أمرهما أن يرجعا ثانياً ويخرجا متعلقاتهما من بغداد حتى يكونوا في مأمن من الفتك. فلما رأى الأهلون في بغداد ذلك عزموا أن يتبعوهما. وحينئذ أحاط بهم الجيش المغولي وقسموهم ألفاً ومائة وعشراً إلى العسكر وقالوا لهم هؤلاء سهامكم فاقتلوهم فقتلوهم عن آخرهم.

ومن بقي في المدينة أخذوا يختفون في الزوايا والتكايا والأماكن غير المنظورة كالثقوب والسواقي والآبار.. ليبعدوا عن الأنظار فخرج جماعة من أعيان بغداد وأرادوا نجاة منهم وقالوا إن خلقاً كثيراً يطلب الأمان ويظهر الطاعة. وإن الخليفة وأولاده سيخرجون فأمهلونا.

وفي هذه الأثناء أصاب سهم عين أحد أكابر أمراء هلاكو وهو (هندوي بتيكجي) فغضب هلاكو خان وسخط على الأهلين فاستعجل في الاستيلاء على بغداد وأمر الخواجة نصير الدين أن يقف عند باب الحلبة ويؤمن الناس للخروج من هذا الباب فأخذ الناس يخرجون جماعات كثيرة.

وفي يوم الجمعة ثاني صفر قتلوا الدواتدار فاحتال سليمان شاه للخلاص فجمع نحو سبعمائة نسمة من أقاربه وقد حضروا كلهم لدى هلاكو خان مكتفين (مغلولي الأيدي) فعاتبه هلاكو خان وقال له: إن لك علماً في التنجيم وسير الكواكب وتعلم حالات السعود والنحوس. أما كنت ترى هذا اليوم الأسود، اليوم الذي تكون عاقبته سيئة عليك فلم لم تنصح مولاك؟! ليبادر لخدمتنا من طريق الصلح!

فقال له سليمان شاه (هو شهاب الدين الأمير ابن برجم):

ـ إن الخليفة مستبد ولم يكن رجلاً سعيداً (موفقاً) ليسمع نصائح المصلحين الذين يريدون له خيراً!!

فأمر بقتلهم وأتباعهم تماماً. وقتلوا أيضاً ابن الدواتدار الكبير وهو الأمير (تاج الدين) ابن علاء الدين الطبرسي وقطعوا رؤوس هؤلاء الثلاثة وسلموها إلى الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ فأرسلها إلى الموصل. فبكى بدر الدين للصداقة بينه وبين سليمان شاه ولكن لم يَرَ بدّاً من تعليق رؤوسهم فعلقت حذراً من أن تصيبه نقمة من هلاكو خان.

ثم إن الخليفة لما رأى الأمر قد تضايق عليه من كل الجوانب وأنه خرج الأمر من يده دعا الوزير وسأله تدبيراً فأجابه:

يـظـنـون أن الأمـر سـهـل وأنـمـا

هـو الـسـيـف عـدت لـلـقـاء مـضـاربـه

وفي يوم الأحد ٤ صفر سنة ٦٥٦هـ خرج الخليفة من بغداد ومعه ابناؤه الثلاثة وهم أبو الفضل عبد الرحمن وأبو العباس أحمد أبو المناقب مبارك مع ثلاثة آلاف من السادات والأئمة والقضاة والأكابر والأعيان فوصلوا إلى هلاكو خان فلم يبد هلاكو خان أثراً من الغضب عليهم وأخذ يسأل أحوالهم بكلمات طيبة ثم قال للخليفة:

ـ مر الناس أن يلقوا السلاح ويخرجوا من المدينة حتى أحصيهم فرجع الخليفة إلى المدينة ونادى المنادي بأمر الخليفة أن يلقوا السلاح ويخرجوا فألقوا اسلحتهم وأخذوا يخرجون من المدينة. وكان الجيش المغولي يقتلهم عند خروجهم.

ثم أمر أن يخيم الخليفة وأولاده ومتعلقاته محاذياً لباب كلواذى وهو محل معسكر كيتو بوقا نويان فنزلوا هناك وعين بعض أفراد المغول

لحراستهم وكان الخليفة يرى أنه سيهلك قطعاً فلم يبق له ارتياب. وكان يأسف على إبائه قبول النصائح[1]...

احتلال بغداد:

ثم بتاريخ ٥ صفر سنة ٦٥٦هـ استولى المغول على بغداد ودخلوها وقد مرّ الكلام على ذلك في أول الكتاب...

وقد أوقعوا بالأهلين ما لم يخطر ببال، وقد اتفق المؤرخون في حكاية الحادث وعظم المصاب[2]...

وفي يوم الأربعاء ٧ صفر باشر المغول بالقتل العام وسلب الأموال فهجم الجيش المغولي دفعة واحدة وكانوا يحرقون الأخضر واليابس فلم يسلم منهم أحد إلا البيوت الحقيرة للغرباء والزراع... فكان الهول عظيماً...

وفي يوم الجمعة ٩ صفر دخل هلاكو المدينة وتوجه إلى مقر الخليفة وجلس في الميمنية وأمر أن يحضر الأمراء وأشار بإحضار الخليفة وقال له:

ـ إننا ضيوف وأنت رب المنزل فأت إلينا بما يليق لضيافتنا. فزعم الخليفة أن ذلك صحيح وكان يرتجف من الخوف ومندهشاً لدرجة أنه عادَ لا يعلم مفاتيح خزائنه فأمر أن يكسروا الأقفال فأخرجوا ما يقدر بألفين من الثياب وعشرة آلاف دينار ونفائس ومرصعات وجواهر عديدة... فلم يلتفت هلاكو خان إلى هذه الأشياء ووزعها على الأمراء الحاضرين.

---

(١) جامع التواريخ وابن العبري وغيرهما...

(٢) ر: ص ٣٧: ٤٠ من هذا الكتاب.

ثم خاطب الخليفة بأن الأموال الموجودة في سطح الأرض ظاهرة فنريد أن تبين الدفائن وموضعها وماهيتها فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء من الذهب في وسط السراي (البلاط الملكي أو القصر الملكي) فأخذوا يحفرون المكان الذي عينه فوجدوه مملوءاً من الذهب الإبريز (الخالص). وكانت كل قطعة منه بزنة مائة مثقال.

ثم أمر أن يحصوا حرم الخليفة فوجدوا ٧٠٠ من النساء والسرايا وألفاً من الخدم...

فلما اطلع الخليفة على احصاء حرمه تضرع وقال إن حرمي لم تكن الشمس والقمر تطلع عليها فقال له هلاكو: إن عليك أن تختار مائة منهن وخل الباقين فجمع الخليفة مائة من النساء اللآتي لهن علاقة به من أقاربه والخاصين به فجمع منهن مائة وهن القريبات إليه فأرسلهن خارج بغداد ورجع هلاكو خان إلى معسكره ليلاً وأمر القائد سونجاق أن يذهب إلى المدينة (بغداد) ويضبط أموال الخليفة ويخرجها فجمع هذا ما كان ادخره الخلفاء في مدة خمسمائة سنة فلفها بأقمشة وأخرجوها...

وقد أحرقت أكثر المواقع الشريفة في هذه الوقعة كجامع الخليفة ومشهد موسى الجواد ومراقد الخلفاء.

وحينئذ التمس الناس من شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنجاني و(ملك دل راست)[1] ليذهبوا إلى هلاكو خان ويطلبوا الأمان فتشفع هؤلاء فشفعهم وأمر أن يكفوا عن القتال وسلب الأموال. وأمر باستقرار الناس واشتغالهم بكسبهم. وعليه أمن من بقي من الناس ممن نجا من سيوفهم...

---

(١) هو نجم الدين أبو جعفر احمد بن عمران ويسمى وزير راست دل أيضاً «ر: ص ٣٠٨ جامع التواريخ».

وقال ابن الطقطقي:

«وأما حال العسكر السلطاني فإنه يوم الخميس رابع المحرم من سنة ٦٥٦هـ... قد طبق وجه الأرض وأحاط ببغداد من جميع جهاتها، ثم شرعوا في استعمال أسباب الحصار، وشرع عسكر الخليفة في المدافعة والمقاومة إلى يوم ٢٩ المحرم فلم يشعر الناس إلا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من برج العجمي... وتقحم العسكر السلطاني هجوماً ودخولاً، فجرى من القتل الذريع، والنهب العظيم، والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه جملة فما الظن بتفصيله...» اهـ[1] ولا محل لإيراد جميع النصوص المنقولة واستيعابها...

خروج هلاكو من بغداد ووقائع أخرى:

في يوم الأربعاء ١٤ صفر رحل هلاكو خان من بغداد نظراً لعفونة هوائها بسبب القتلى ونزل في قرية الوقف والجلابية[2]. وأرسل الأمير عبد الرحمن لفتح ولاية خوزستان وطلب إحضار الخليفة فكان يرى الخليفة أمارات سيئة مما سيصيبه واشتد خوفه فقال للوزير:

- ما التدبير لنجاتنا!

فأجابه:

- لحيتنا طويلة! (وكان قصده من ذلك أنه لما دبر أول الأمر وأبدى رأيه بإرسال تحف كثيرة لدفع هذه المصيبة قال الدواتدار آنئذ: لحية الوزير طويلة!) وكان قد أفسد تدبيره بهذه الكلمة فقنع الخليفة بقوله.

والخلاصة أن الخليفة لم يبق له أمل في الحياة وطلب رخصة أن يدخل الحمام ويجدد غسله. فأمر هلاكو أن يصحبه خمسة من المغول

---

(١) الفخري ص ٣٠١.

(٢) الظاهر الجلالية.

وكان الخليفة يكره صحبة هؤلاء الخمسة الذين عينوا لحراسته وكان يكرر:

وأصبحنا لنا دار كجنات وفردوس
وأمسينا بلا دار كأن لم نغن بالأمس

القضاء على الخليفة:

وفي آخر يوم الأربعاء ١٤ صفر صنة ٦٥٦ قضوا على الخليفة وعلى أولاده وخمسة من خدمه وملازميه في (قرية الوقف).

وفي اليوم التالي قتلوا من كان اتبع الخليفة وخرج معه وأقام في باب كلواذى. ولم يبقوا ممن وجدوا من العباسيين إلا نفراً معدوداً ممن لم يدخل في الحساب.

ووهبوا مبارك شاه ابن الخليفة الأكبر إلى اولجاي خاتون. وهذه ارسلته إلى مراغة وكان مع الخواجة نصير الدين فزوجوه بامرأة مغولية فولد لها منه ولدان.

وفي يوم الجمعة ١٦ صفر استشهد ابن الخليفة المتوسط، قضي عليه وألحق بأبناء الخليفة الآخرين وكانوا قد قتلوا في باب كلواذى فتم أمر آخر الخلفاء العباسيين وانقرضت حكومتهم وبهذا خلصت بغداد للتتر...

ترجمة الخليفة المستعصم بالله:

هو أبو أحمد عبدالله ابن الخليفة المستنصر بالله أبي جعفر. ولما توفي والده بكرة الجمعة ١٠ جمادى الثانية لسنة ٦٤٠هـ ١٢٤٢م لم يكن حاضراً فاستدعاه شرف الدين إقبال الشرابي[١] من مسكنه بالتاج سراً من باب يفضي إلى غرفة في ظهر داره فحضر ومعه خادمه مرشد الهندي

---

(١) توفي سنة ٦٥٣هـ وترجمته في ابن الفوطي في حوادث هذه السنة.

فسلم عليه الشرابي بالخلافة وأجلسه على سرير الخلافة وكان والده مسجًى، وكتم الأمر إلى ليلة السبت ١١ من الشهر المذكور، ثم استدعى الوزير ابن الناقد فحضر في محفة لعجزه عن المشي وأحضر أستاذ الدار ثم حضر عمه أبو الفتوح حبيب وجماعة من بيت الخلافة ومن أولاد الخلفاء فبايعوه ثم بايعه الوزير وأستاذ الدار ثم تقدم بتعيين الأمراء لحراسة البلد.

أصبح الناس يوم السبت فشاهدوا أبواب دار الخلافة مغلقة وقد أمر عبد اللطيف بن عبد الوهاب الواعظ أن يشعر الناس بوفاة الخليفة المستنصر بالله وجلوس ولده المستعصم.

ثم استدعي إلى دار الوزارة المدرسون ومشايخ الربط والولاة والزعماء وأعيان الناس وفتح باب العامة فدخل منه من استدعى الدخول وعليهم ثياب العزاء فبايعوا على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم. وأستاذ الدار يلقن الناس لفظ البيعة.

ثم أسبلت الستارة وانفصل الناس. وكانت الحال ساكنة والناس على اشغالهم. ثم جلس في اليوم الثاني فدخل كافة الأمراء والمماليك وبايعوه. وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة حضرها من تخلف من الأمراء والغرباء وضروب الناس كالتجار وغيرهم...

ثم أمر الناس بالخروج ومضى الوزير وأستاذ الدار...

هذا ولا محل لتفصيل كل ما جرى من مراسم أبهة، وأشكال عظمة[1]...

ثم تقدم الخليفة بالإفراج عمن كان محبوساً بحبس الجرائم وليس في قتله حد شرعي.

---

(١) التفصيل في ابن الفوطي.

وفي يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة قد نثرت مبالغ كثيرة من النقود في الجوامع عند ذكر الخليفة.

ثم جاءت الوفود من الجهات القريبة والنائية للعزاء والتبريك. وفي ٢ رجب أمر الخليفة بتغيير ثياب العزاء وخلع على الأمراء والأعيان ونفذت خلع إلى ولاة الأطراف أيضاً[١].

وهنا نقول لم تكن الخلافة والبيعة في الحقيقة إلا من قبل مملوكه الشرابي... ثم استدعى بعض أهل الحل والعقد... وما هذه المراسم والترتيبات إلا بقايا عن الفرس والأعجام، ومثلها ما مر عن تتويج ملوك المغول والأبهة والعظمة... لمن لا يستحق أن يستعظم لهذا الحد... فإننا أمرنا بطاعة الخليفة للقيام بواجب الخلافة ومراعاة لوازمها... وإن هي إلا الإدارة الرشيدة بتطبيق الشرع وتأمين العدل والمحافظة على بيضة الإسلام... ومن حين دخلت هذه الظواهر والمظاهر واستعظام الأمور إظهاراً للكبرياء والأبهة... دب دبيب الضعف والانحطاط وحاول القوم بهذه وأمثالها أن يبرزوا لأعين الرائين...

وغالب من تكلموا على الخليفة من كتاب المغول ومؤرخي عصورهم فلا يعول على ما يقولون من وصفه الشخصي، ولنورد بعض النصوص، قال ابن الطقطقي:

«كان... شديد الكلف باللهو واللعب وسماع الأغاني لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات لا يراعون له صلاحاً... وكتبت له الرقاع... في ابواب دار الخلافة فمن ذلك:

قـــل لــــلــــخـــلــــيــــفـــة مـــهـــلا

أتـــــاك مـــــا لا تـــــحـــــب

---

(١) «ر: تاريخ الفوطي».

هـــا قـــد دهـــتـــك فـــنـــون
مـــن الـــمـــصـــائـــب غـــرب
فـــانـــهـــض بـــعـــزم وإلا
غـــشـــاك ويـــل وحـــرب
كـــســـرٌ وهـــتـــكٌ وأســـرٌ
ضـــرب ونـــهـــبٌ وســـلـــب

كل ذلك وهو عاكف على سماع الأغاني...» إلى آخر ما جاء... مما كتب إرضاء للقوم وأمرائهم... وكان قد نقل عنه حكاية عبد الغني بن الدرنوس وتقبيح رأي المستعصم مما لا يسع المقام ذكر أمثالها... وقص ترجمته الواسعة عند بيان الخلفاء[1]...

وقد نعته ابن العبري بقوله:

«وكان صاحب لهو وقصف، وشغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء وكان ضعيف الرأي، قليل العزم، كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول. وكان إذا نبه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار إما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم، أو تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق فكان يقول: أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها عليّ إذا نزلت لهم عن باقي البلاد ولا يهاجمونني وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي. فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب فأصيب بمكاره لم تخطر بباله...» اهـ.

وفي تواريخ المغول الأخرى ما يؤيد هذه وقد مر ذكر بعضها...

وفي خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك لعبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي ما نصه:

---

(1) الفخري ص ٤٢ وص ٣٣ وص ٢٩٧.

«قال ابن الساعي: شاهدته يعني الخليفة المستعصم وهو اسمر اللون مسترسل اللحية، ربعة، ليس بالطويل، ظاهر الحياء، لين الكلام، سهل الاخلاق، سليم الصدر...

كان حافظاً للقرآن المجيد، عاكفاً على تلاوته مواظباً على الصلوات في أوقاتها وصوم الاثنين والخميس من كل شهر وصوم شهر رجب دائماً لا يخل بذلك مدة خلافته وقبل خلافته وله جاريتان قبل الخلافة له من إحداهما ثلاثة بنين وبنت ومن الأخرى أربع بنات فلما أفضت الخلافة إليه لم يتغير عليهما ولا اغارهما بل راعاهما حفظاً لعهدهما. ثم طلبت منه أم البنين أن يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك فلما ماتت استجد أخرى وحظيت عنده فلم يعترض بغيرها وجاء منها بولد ذكر وطلبت منه أيضاً أن يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك. هذا فيما يرجع إلى حسن العشرة وحفظ العهد ومراعاة الصحبة والوفاء. وكان عفيف الفرج لم ينكشف ذيله على حرام قط، ولا شرب مسكراً ولا وقعت عينه عليه، ولم يعلم أنه عصى اللّه بفرجه ولا فمه غير أنه لم ينزه سمعه من سماع المحرم فإنه كان مغرماً بسماع الملاهي محباً للهو واللعب، يبلغه أن مغنية، أو صاحب طرب في بلد من البلاد فيراسل سلطان ذلك البلد في طلبه.

ثم وكل أموره الكليات إلى غير الأكفاء وأهمل ما يجب عليه حفظه والنظر فيه فأنفذ اللّه فيه قضاءه وقدره وأجرى عليه ما قدره فقتل... فكانت مدة خلافته ١٦ سنة و٧ أشهر و٤ أيام وعمره ٤٦ سنة... وكان ولد يوم ١١ شوال سنة ٦٠٩ وأمه أم ولد واسمها هاجر.» اهـ.

والظاهر كما يفهم من الاستدلال ببعض الحوادث والنقول المارة أنه كان مغلوباً على أمره، وأمراؤه متخالفون، فهو مضطر للمماشاة وتوجيه الإدارة بقدر الإمكان...

وكان الأمراء قد ضربوا على يد الخليفة باستخدام العوام والإذاعة في تقبيح عمل الوزير. وبالنتيجة توجيه اللائمة على الخليفة من جراء التزامه الوزير وقسره على متابعة اولئك... مما دعا إلى تذبذب الإدارة وسقوط المملكة...

والأمراء كلهم أو أكثرهم كانوا من المماليك الترك أو كان أهل السلطة منهم وكانوا يتناوبونها ويتنازعون عليها من مدة طويلة ويتحكمون في غيرهم... فانحلت الإدارة أو بالتعبير الأصح صارت منقادة طوع ارادتهم وتسييرهم، وكان منهم إقبال الشرابي وقد تنازع على السلطة قبل هذا مع رشيق فالخليفة من حين تسنم عرش الخلافة قربه وكان شرابياً له... فنال مكانة لحد أنه ولي زمام القيادة للخيالة (سرخيل العسكر) أو قل إنه صار أكبر أهل العقد والحل، وغالب رجال الجيش من الترك.

ومهما كان الأمر أو تعدد الأمراء العرب أو كثروا... فالعروة بيد الكواز، والحكومة حقيقة بيد الجيش التركي...

ومن الأدلة التاريخية المذاكرات والمعارضات الجارية عند الحوادث المهمة كحوادث المغول العديدة والمداولات من أجلها والاستفادة من الأوضاع السياسية وحوادث العزل والنصب... فكان الخلفاء فداء هذا الإصرار والعناد الذي قام به الأمراء والوزير دون انصياع إلى الصواب أو محافظة للاعتدال ولا مراعاة الغرض وكانت الحزبية بالغة غايتها... وكانت الفتن تجري ومنها ما وقع بين الدواتدار الصغير وبين الوزير، ومثلها ما جرى بين محلة أبي حنيفة والخضريين وبين أهل الرصافة، ومنها ما وقع بين أهل الكرخ الشيعة، والسنة... وهكذا أهمل البلد بوقوع الغرق العظيم وتلف أكثر عماراته... ومن ثم زادت النقولات وكثرت على الخليفة وعلى وزيره وأمرائه التنديدات، وأهمها أن الخليفة أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم بميله لرأي

الوزير... فآلت أحوالهم إلى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع...

هذه الحالة من وسائل توليد العداء بين أفراد الشعب، وعدم سماع الأقوال النافعة... يضاف إلى هذه فقدان الأقوات بحدوث الغلاء، والعدو على الأبواب توجه نحو العراق... قال المجد النشابي متألماً لما وقع ولما ستؤدي إليه التذبذبات في الإدارة وقلة الحزم ولم يستثن أحداً:

يا سائلي ولمحض الحق يرتاد
اصخ فعندي نشدان وإنشاد

❀ ❀ ❀

عن فتية فتكوا في الدين وانتهكوا
حماه جهلاً برأي فيه إفساد
إذا ترامت أمور الناس ليس لهم
فيها رواء ولا حزم وانجاد
أما الوزير فمشغول بعنبره
والعارضان فنساج ومداد
وحاجب الباب طوراً شارب ثمل
وتارة هو جنكي وعواد
وشيخ الإسلام صدر الدين همته
مقصورة لحطام المال يصطاد

❀ ❀ ❀

إن جئت يثرب أو شارفت ساحتها
فقل لمن انزلت في حقه صاد
الكفر أضرم في الإسلام جذوته
وليس يرجى لنار الكفر اخماد

واضيعة الملك والدين الحنيف وما
تلقاه من حادثات الدهر ببغداد
أين المنية مني كي تساورني
فللمنية إصدار وإيراد
من قبل واقعة شنعاء مظلمة
يشيب من هولها طفل وأكباد[1]

ومع هذه الآلام والمصائب على الأهلين والجند لا يؤمل ضبط الإدارة وتحسين الحالة فضلاً عن صد غائلة العدو الذي جاء بجيوش تملأ الفضاء واستصحب آلات الحصار وغيرها وأجفل أهل السواد من بين يديه إلى بغداد حتى ضاقت على سعتها وامتلأت شوارعها ونال الناس الخوف الشديد...

ولا نطيل القول بأكثر فقد مر بنا بعض الحوادث الخاصة بالمغول والتدابير المتخذة ضدهم... مما يعين حقيقة الحالة... كما أن الوضع الراهن بالنظر لحدود سلطة الخليفة جغرافياً صريح في الاستدلال على ضعف إداراته، والأهواء تتجاذبه، والأمواج السياسية تتقاذفه... وتكاد تقضي عليه قبل أن يتصادم مع جيش قوي قد اتخذ كل أهبة، واحتاط بكل ما وسعه من تبصر وحساب للأمر...

قتل الخليفة بالوجه المشروح[2]، والأسف ملء القلوب على انقراض هذه الأسرة وعلى تسلط حكومة أجنبية لا علاقة للأهلين بها ولا رابطة لهم معها سوى القدرة الحربية التي قضت على جيش المسلمين... فاستولى اليأس على القلوب، وماتت السجايا العالية... والعوامل في إماتتها كثيرة ومنها ما وقع على يد نفس الحكومة المنقرضة

(١) تاريخ الفوطي.
(٢) ص ١٢٥ من تاريخ الفخري وما يليها وفيها تفصيل عن حادثة القتل.

حباً في الاحتفاظ ببيتها وإشادته... خذلت العرب في مواطن عديدة، وحوادث كثيرة إلى أن وصلوا إلى حالة لم تعد فيهم معها قدرة أن يقودوا الجيوش وأن يناضلوا عن الكيان ويحرصوا على حفظ بيضة الإسلام... واليأس قتال ولا أضر منه على النفوس... وقد استولى على الكل... ولعل أكبر عامل فيه الوزير فإنه لم يتخذ تدبيراً وإنما كان يخذل... فلم تظهر منه مساعدة، ولا أي عمل من شأنه أن يدفع العدو وكل ما عرف التخذيل لكل تدبير وإظهار التألم منه وتقوية اليأس...

وهكذا قضي الأمر. ولم تفرح النفوس، وتنتعش لمدة قصيرة إلا عندما قبل المغول الشريعة الإسلامية ومالوا إليها رغبة فيها... ولكن هذه لم تفد لإحياء الروح العربية وإنعاشها بإعادة قدرتها الأولى وسجاياها الماضية...

نظرة عامة في عهد العرب المسلمين في العراق

أيام العرب المسلمين في العراق

في عام ١٧هـ ٦٣٨م ـ على أصح الروايات ـ خلص العراق للعرب المسلمين واختطوا الكوفة وعسكروا فيها بتاريخ المحرم لسنة ١٧هـ بعد مقارعات دامت بضع سنوات من المحرم ١٢هـ ٦٣٣م يتخللها بعض فواصل قليلة آخرها وقعة جلولاء، وكان في أيدي الفرس الساسانيين وشعوبه مختلفة من فرس وعرب وكلدان وكرد...

وأذلت هذه الحروب الساسانيين وعركتهم عركة قطعت أوصالهم. ومزقتهم أي ممزق. وعاون العرب المسلمين جماعات من عرب العراق من الشيبانيين ورئيسهم المثنى وغيرهم والعرب آنئذ في ضواحي الفرات وفي الحيرة ومواطن أخرى كثيرة حتى خليج فارس (الأبلة). وأساساً عهدهم قديم في سكنى العراق فاندغموا في العرب المسلمين سواء منهم

من قبل الاسلامية أو من بقي على دينه الأصلي وغالبهم آنئذ نساطرة...

رأى الفرس من العرب وفيهم من كان تحت نير سلطتهم وإدارتهم ما لم يروه من قوم، ولا شاهدوا كحروبهم من أمة ما... والمدة التي قضوها لتخليص العراق وفتحه قليلة جداً لم تتيسر لأمة حتى في هذه الأيام... مع ملاحظة الفواصل، والحروب الأولى وهي أشبه بحروب عصابات لغرض التشويش في الإدارة والتزام جيوش كثيرة في أنحاء عديدة والمطاولة في ذلك...

وكان الميل إلى الدين الإسلامي واعتناقه كبيراً جداً. دخل الناس فيه أفواجاً... وبعد استقراره للعرب المسلمين جاءته الفرس. وقد قبلت الإسلامية كما أن أقواماً جديدة أخرى دخلت في الإسلامية وأهم عناصرها الترك ولا تزال بقاياهم إلى اليوم... وموضوعنا يتناول:

١ ـ العرب:

من أوضح العناصر العراقية الشعب العربي فهو أكثرها دائماً وتغلب على سائر الأقوام... **وعناصره القحطانية والعدنانية. وكانت الإسلامية ظهرت في الحجاز عام البعثة في مكة المكرمة وأكثر الأهلين هناك حتى صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام من الجذم العدناني وأهل المدينة من القحطانية ومثلهم أهل اليمن...**

وأهل المدن في ذلك العهد من العرب عامة اصحاب إمارات صغرى محددة سلطتها في مدنها، وفي بعض القبائل المجاورة لها... وأهل البادية قبائل تمتُّ إلى أحد الجذمين[١] ولها رؤساء يديرون شؤونها وهم في حالة مبعثرة، مشتتة لا تجمعهم جامعة، وفي الغالب لا علاقة لقبيلة مع أخرى ولا ارتباطاً سياسياً أو قومياً إلا بعض الحلوف والعهود

(١) القبائل المتحيرة قليلة.

بنتيجة المجاورة أو القربى... والإمارات لديهم قليلة جداً، ولا يلتفت إلى دعاوى بعض امرائهم. أو شعرائهم في حماستهم من أنهم أقوى الأمم، وأنهم تخر لهم الجبابرة ساجدين، وأنهم ملكوا البر والبحر... ومن شاهد القوم في باديتهم لأول وهلة، ورأى إدارتهم بنظرة بسيطة قطع أنهم أهل بداوة... والأمر بين ذاك الغلو في الدعوى والمبالغة في الذم من المجاورين (الفرس خاصة)... فللعرب نظام اجتماعي لكل قبيلة ويكاد يتشابه في القبائل بتفاوت قليل مما أصله معروف ومتعين... يضاف إلى هذا ما لديهم من أخلاق نبيلة في كثير من أحوالهم كالشمم والإباء، وحفظ الجوار والوفاء... والصلاح لكل ما يستطاع من المكانة الاجتماعية. والفضائل النفسية...

كان يفقدهم التضامن، والاجتماع العام نظراً إلى تأصل العداء وتمكنه منهم، ومن ظواهره الأخذ بالثأر ولو تقادم العهد... والنهب والسلب (الغزو)، والتباعد من بعضهم البعض بحيث تكاد كل قبيلة أن تنفصل عن غيرها وتستقل في كافة شؤونها... يدل على ذلك التفاوت نوعاً في لغاتهم، والتباين في أديانهم، والتخالف في عوائدهم، وغزو بعضهم بعضاً، وقتالهم سواء في حلهم وترحالهم... لم تؤلف بينهم جامعة، وتغلب عليهم الفوارق أكثر من التشابه، ولم يتفقوا إلا بعض الاتفاقات كما في (التنوخ) المعروف تاريخياً... وهؤلاء حلوا البحرين. ثم مالوا إلى ضواحي العراق وتملكوا بعض أنحائه... وكونوا إمارات صارت ملجأ للعرب الذين هاجروا إليهم بعد ذلك؛ وكان قد سبقهم إلى التوطن (الحضر) في العراق. و(الغسانيون) في سورية، ولهؤلاء تاريخ معروف اجمالاً. وتنقل عنهم مبالغات زائدة مثلما ينقل بفخر وحماسة عن امراء البادية... المجاورون ـ خصوصاً الفرس ـ تجاوزا الحد في الذم ونبزوهم بشر الأوصاف، وعدوها خصائص لازمة قطعاً، وغير منفكة... ولم يدروا أن الأقوام في تبعثرها الاجتماعي وأوضاعها

المشتتة لا تختلف عن العرب، وأنها تحتاج إلى من ينفخ فيها روح الشجاعة والبطولة، والدعوة إلى الاصلاح... والعرب أقرب الأمم لقبول الحضارة، وأكثر استعداداً للحصول عليها...

وبينا هي في هذه الحالة، أو ما يقاربها إذ ظهر المبدأ الإسلامي الجليل، والدين القويم فأصلح العقيدة ووحد الأمة، ونظم شؤون العائلة، والقبيلة؛ وسير كافة أقسام الشعب نحو نظام اجتماعي عام أساسه الأخوة الدينية، وهذب الكل، وألف بين شؤونهم، وساقهم إلى الوحدة في كل معانيها، وجعل أساسها الاخلاص في العقيدة والأخوة التامة، والتبشير بالاخلاق الفاضلة الشريفة... وبعث فيهم روحاً جديدة لها علو همتها، وقرر التعاون على البر والتقوى والإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ومنع من الإثم والفسوق والتنابز بالألقاب مما شأنه أن يولد البغضاء. والحاصل جعل الأساس الاخلاص للّه وحده، وأن يراعى الخير لصلاح الجماعة والأمة ونفعها بل هو إصلاح لجميع الشعوب... مما لم تألفه البشرية في عصورها البائدة...

نهض هذا المبدأ السامي بهؤلاء القوم؛ وبشر ودعا أن يترك أكثر ما كان عليه القوم، وما كانوا تلقوه عن آبائهم من الرذائل والشرور فصاروا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر... فنالته مصاعب كبرى ومخالفات شديدة في سبيل هذه الدعوة شأن الجديد الذي لم يجرب ولم تعرف نتائجه... أو لغرابته وعدم مألوفيته... خصوصاً في جزيرة العرب حتى اذعن الكل... ومن ثم دعا هؤلاء القوم مجاوريهم فعارضوهم أيضاً وجادلوهم بل جالدوهم حتى استظهر العرب المسلمون عليهم...

قوم عمائمهم ذلت لعزتها الـ

قعساء تيجان كسرى والأكاليل

ومن الأقطار التي أذعنت بالطاعة: العراق وكثير من أهليه عرب فإنه جادل مدة قليلة وحكومته فارسية فأذعن بالطاعة وولى القوم الأدبار... ومن ثم تغلب العنصر العربي وخلص العراق بالوجه المذكور آنفاً...

وحينئذ كون حكومة عربية، وأسس حضارة على يد الخلفاء الراشدين ومن وليهم وكانت حكومته مستقلة في إدارتها إلا في بعض الشؤون كالولاية، والقضاء، والاستشارة في المهمات وعظائم الأمور وهي من خير الإدارات، وحكومته من أفضل الحكومات... لم تدع مجالاً للتدمير والتخريب ولا محلاً للقسوة والظلم...

٢ ـ حكوماته:

١ ـ وحكوماته من زمن عمر (رض) إلى آخر أيام الإمام علي(رض) تدعى (حكومة الخلفاء الراشدين). وهذه بشرت بالمبدأ الإسلامي الجليل ورأت من الناس قبولاً كبيراً ولم يصبها خلل إلا في أواخر أيام عثمان (رض) وأيام الإمام علي (رض) فصار العراق فيها موطناً لوقائع مهمة مثل وقعة الجمل وصفين والنهروان... حدثت من جراء نزاع الخلافة والقيام عليها من جوانب مختلفة وفي هذا الحين صار العراق موطن الخليفة الإمام علي (رض) حتى كان مشهده الأخير فيه...

٢ ـ وقد تلتها (الحكومة الأموية) وبهذه انقاد العراق إلى الشام ببيعة الحسن (رض) عام ٤٠هـ لمعاوية (رض) ومن ثم انقطع النزاع على الخلافة نوعاً ولأمد قصير، تخلص الحكم للأمويين وصارت مملكة العراق تابعة للشام بعد أن كانت منقادة للحجاز أولاً وعاصمة للخليفة الإمام علي(رض) ثانياً... ودامت سلطة الأمويين إلى عام ١٣٢هـ وفي أيامها نالت الخلافة الإسلامية مكانة عظمى ورسوخاً وسعة في الملك.

وفي خلال الحكم الأموي حدثت وقائع سياسية وحربية مهمة... ونهضات على الحكم الأموي من كثيرين والكل يرى أنه الأهل للحكم والأحق به... ولكن هذه الحوادث كلها لم تؤثر على الروح الإسلامية في فتوحها وانتشارها... ولم تقض على وضعها وإدارتها القويمة رغم تلاعب الأهواء واختلاف النزعات والحزبية القاسية في وضعها، والقاهرة في نكايتها بعدوها والمتصلبة في سائر أحوالها...

وتوالى على العراق سواء في عهد الخلفاء أو في عهد الأمويين أمراء كثيرون وحدثت وقائع ذات بال أهمها قتلة الحسين (رض)، وحوادث المختار، ووقائع الحجاج، وما أعقبها من حوادث العلوية والعباسية... إلى آخر ما هنالك مما لا طريق فيه للتوسع...

٣ ـ الخلافة العباسية وهذه نتيجة تشويش في الإدارة، وثورة على الأمويين بصورة متوالية ومن كل فج، وأحزاب قوية... فكان العراق وخراسان موطن النشرات والإذاعات والترتيبات المختلفة على الأمويين لبعده عن العاصمة حتى تغلب الحزب العلوي والعباسي فاتفقا على الوقيعة بالأمويين، والقضاء على حكومتهم فتمكن القوم من مرادهم...

تكونت الحكومة العباسية. وهذه قد صفا لها الجو وسارت أمورها بنجاح وقويت في أيامها ثقافة المسلمين ونشطت عقيدتهم نشاطاً تاماً إلا أنها بعد قليل وجدت من العلويين نفرة، وصار دينهم الدعوة والتكتم ومراعاة الحزبية تارة والظهور أخرى فشوشوا على العباسيين أمرهم... فلم تقو الدعوة العلوية على قلب هذه الحكومة والسيطرة على الإدارة... ولكنها لم تخل من ازعاج ونفرة، ومن تكدير الصفو، أو الخوف أو التخوف من جانب العباسيين بانضواء الأحزاب المعارضة إلى العلوية وغالبهم فارسي النزعة... وقد وقعت فتن أدت إلى استقلال العلويين في مصر والمغرب، وتكوين حكومة أيضاً باسم العلويين في

اليمن وأخرى في نجد (الإحساء والبحرين)، وفي ايران بأنحاء قهستان والموت... وكل هذه لم تفلّ من غرب العباسيين، ولا استطاعت القضاء عليهم ولم يتم ذلك إلا على يد هلاكو عام ٦٥٦هـ والخلافة العباسية في آخر رمق من حياتها... وخلصت المملكة العراقية للتتر بعد أن دامت حكومتها للعباسيين من ١٢ ربع الأول عام ١٣٢م ٧٤٩م إلى ٥ صفر ٦٥٦هـ ١٢٥٨م.

وبهذا فقد العراق الحكم العربي في البلاد. وفي الحقيقة كان فقدانه لاستقلاله وحكمه من أمد بعيد، فالاسم كان للعباسيين والواقع أن العباسيين كانت حكومتهم فارسية في اوائل أمرها، تركية في اواخرها... ولم يكن حكم للعباسيين عربياً فالحربية بيد أهلها والوزارة منقادة للسيف وكفى... وإن كانت المدونات عربية.

هذا ولا مجال للتفصيل والإطالة... وعلى كل دام الحكم في العراق للعرب المسلمين من سنة ١٧هـ إلى سنة ٦٥٦هـ.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

٣ ـ الشعوب الأخرى في العراق:

إن الأقوام العراقية بعد الفتح الإسلامي تغلبت عليهم العربية والعرب منهم يمتون إلى العنصر القحطاني ويتلوهم في الكثرة الجذم العدناني. وأول من مال إلى العرب المسلمين من غير العرب الديلم فإنهم انحازوا إلى العرب وقاتلوا معهم... أيام الفتوحات الإسلامية الأولى وهناك وإثر تأسيس الحكم المدني أو بالتعبير الأصح بعد انقراض الفرس مالت ايران إلى العراق وعاودته مسلمة وتكاثر فيه الفرس وحصل على ثقافة جديدة، هي الثقافة العربية ولكنها كانت تنزع إلى حضارتها الفارسية الأولى بتلقينات وبلا تلقينات، أو بذكرى الماضي والميل إليه... خصوصاً إن بعض القوم لا يزال على ديانته الأولى وصار هؤلاء يبشرون بالوطنية الإيرانية ويدعون إليها حينما رأوا أن لا قدرة لهم ولا

قوة على المناضلة عن كيان دينهم... وهكذا فعل باقي أعداء المسلمين ممن دخلوا في الذمة، وصاروا من المعاهدين... يبثون ما من شأنه التشويش ويروجون إذاعة روح التفرقة سواء في كلماتهم، أو أعمالهم، أو سائر أحوالهم حتى مدوناتهم التاريخية... إلا أن قلة العناصر الأخرى من أكبر دواعي خذلانها وعدم الاستطاعة في التأثيرات الكبرى على الدين والثقافة، وتغلبت الأخوة الدينية في الأكثرية الساحقة... وأن كان الأثر مشاهداً في السياسة وملموساً... ولا تعاب الحكومة إلا من جهة تعصبها الشديد للعرب بزيادة عن غيرهم...

لم ينتبه العرب في الدور الأموي لتغلب الفرس من طريق الاعتصام بالمخالفين إلا وقد انقلب الحكم وزالت الأموية من العراق وغيره... وقد جربت تجارب عديدة أو اكتشفت مؤامرات كثيرة لقلب الحكومة العباسية في عين الطريقة التي قضى بها على الأموية بل أشد وأقوى فذهبت التدابير عبثاً وبلا جدوى وإن كلفت بما لا يستهان به بل تعد من البواعث الكبرى للقضاء على الحكومة العباسية... لما نالها من التأثير المتوالي... ونجاحها في هذه ظاهري...

أما التدابير الأخرى التي قامت بها العباسية كالقضاء على أبي مسلم الخراساني أولاً وعلى البرامكة ثانياً، وجلب الأتراك لإيقاف تغلب الفرس عند حد والسيطرة عليهم... فهي مما كون بلاءً آخر وحول الحكومة من فارسية إلى تركية...

وذلك أن القوم لم يحتاطوا دائماً وفي غالب أحوالهم لقهر اعدائهم، أو المناوئين لهم، أو المتغلبين من رجالهم... كما فعل أسلافهم وأوائلهم الذين كانوا يفكرون في الأخطار وما ينجم من بوادر الحوادث والإشارة الخفيفة تكفي للتنبه... وأن يتداركوا الخلل وتوقع المصائب ببصيرة... وإنما استهوى القوم النعيم وتركوا الحزم وفاتتهم اليقظة للحوادث وأبطرهم المال، وانغمسوا في الملاذ واتبعوا الشهوات والأهواء...

فلما استخدم القوم الترك وخلفهم ابناؤهم ولم يلقنوا السياسة ومنطوياتها. أو أنهم أهملوا أمرها لانهماكهم في ملذاتهم، ولأنهم أمنوا الطوارىء بخدامهم الصادقين فأمّروهم وباتوا بطمأنينة كاملة... ومن هنا داهمهم الخطر وتسرب إليهم الضرر، ونالهم المكروه من جراء الإهمال... أو قل سلموا مقاليد الأمور إليهم، بل إنهم استرسلوا في الأهواء فناب عنهم خدامهم وأعوانهم فصاروا هم الأمراء بل الخلفاء وأودع إليهم الحل والعقد وصارت الدولة في أيديهم...

عرف هؤلاء الأمراء خلفاءهم. ولما استقر لهم المقام في ادارتهم، ونالوا الإمارة؛ تسلطوا... وتدخلوا في كافة الشؤون حتى في أمور الخلافة، ولم تدر الخلفاء ماذا يفعل بهم... فعهدت الأمور إلى هؤلاء المماليك من حوط الثغور والنظر في السياسة... ولما شعر بعض الخلفاء بما جرى حاول القيام فلم يتمكن وهو في حالة من يصحو من سكرته قليلاً فقام المماليك في وجههم علناً. وطغوا على ملوكهم... فأصاب الخلفاء منهم ما أصابهم، وقد يكون ما أصاب بعض الخلفاء بلا علم منه ولا معرفة بما وقع... ذلك لأن الأمراء تقارعوا فيما بينهم فكانت العاقبة أن سخط هؤلاء على الخليفة للسخط على مملوكه وهو أمير آخر... وهكذا.

ومن ثم قوي أمرهم كثيراً واستمروا في الإدارة ولم يستطع في هذه الحالة الخلفاء أن يستعينوا بغيرهم للقضاء عليهم... إلى أن قضي على الخلفاء وعليهم... بالصورة المشروحة عند الكلام على الخليفة المستعصم. لذا نرى قادة جيشنا في محاربة المغول تركاً وتتراً والمخابرات السياسية والاستهواء كان من هذه الناحية وحادثة ايبك الحلبي من جملة هذه، فقد مال للجيش المغولي وصار هاديه في سيره... ولعل أكبر دواعي تمكن المغول هو أن الترك كانوا منبثين في كل الأنحاء فلم يجد المغول غرابة أو عدم ألفة معهم بل التفاهم سهل جداً... وهكذا وقع...

والعامل المهم في التسلط لم يكن في تغلب العناصر وحدها فقد رأينا الأمة اليقظة لا تبالي بتغلب عنصر أو أكثر... وإنما تستفيد من هذا التغلب لتجعلهم في تطاحن... أو كما فعلت الإسلامية بأن سوت بين الجميع... وإنما كان الخلل في سوء الإدارة فالعباسيون شغلوا بالملاذ والملاهي ولم يكن لهم من الوقت ما يبصرهم بإدارة المملكة ولم ينظروا إلا لنعيم أنفسهم وتنعمهم فساق ذلك إلى قهر الأهلين وظلمهم... ومن ثم تدخل المماليك في الإدارة وذاقوا حلاوتها فسيطروا وهكذا استمروا حتى انتزعوها من أهليها... وكان الانتباه أحياناً من بعض العباسيين بعد أن قضي الأمر وسبق السيف العذل يعد في غير أوانه ولم يعدل في الوضع، ولا في التغلب على العنصر القابض على أزمة السلطة... ومن العدل الإلهي أن لا يدوم ملك بلا نظر، وحسن إدارة...

والأمة في الحقيقة لا تدري إلا بقيام خليفة مكان آخر وهي في حالاتها تئن من ظلم السابق وتتوقع عتوّ اللاحق... وكانت السلطة تتناوبها المماليك وأمراء الترك الواحد إثر الآخر، والحكم للأقوى... والخليفة تابع لمراسم يجريها فكأنه آلة ميكانيكية تابعة لحركة غيرها ليس له من الأمر شيء... ويكفيه الجواري الكثيرة، والملاذ النفسية ولا تهمه الإدارة ولا الشعب...

والأولى لحكومة مثل هذه أن تموت أولاً لأنها ساعدت على سحق الشعب فلم تسوّ بين أفراده، وثانياً لم تبق فيه من المقدرة للنهوض في وجهها ومحاسبتها على اعمالها... وهذه الغلبة أي انتصار الحكومة على الشعب لم يسبق له نظير في أمة... والمأسوف عليه أنها لم تستبدل بما هو اصلح منها. وإنما الحالة سارت إلى التسافل والتدني يوماً فيوماً إلى أن قضي عليها وعلى الأهلين ولم يبق فيهم من يعرف للحرية قيمة ولا للحياة الاجتماعية مكانة فهم مسيرون لا يدرون ماذا

يفعل بهم أو يراد... يسومهم الملوك والأمراء سوء العذاب يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم... ولا بلاء أكبر من هذا...

ويتبادر إلى الذهن أن تبديل الإدارة إلى الترك أو استبدالها بهم كان غير صواب والأمر لم يكن كذلك وإنما كان تدبيراً صالحاً إلا أن هذا العنصر ترك وشأنه ومال الخلفاء إلى الانهماك بالملذات وتسليم الإدارة إلى الخدم والحشم من هؤلاء... دون علم بما ستصير إليه الحالة فساق ذلك إلى نتائج مؤلمة وإلا فلم يعوز حل ولم يعص تدبير لو كانت الادارة استمرت على رشدها ويقظتها... واللوم في التدبير الأول فإنه الذي ساق إلى الانهماك في الملاذ النفسية أي أن القوم لم يعلموا بما ستجري عليه الحالة وأن الملوك لم تطرد فيهم المزايا... وكان الأولى أن يقووا العنصر العربي ويعتمدوا عليه ولكنهم كانوا حاربوه للقضاء على الأموية فلم يعد لهم أمان منه فكأنه عدو ألد لا يصير يوماً صاحباً وحبيباً... وكانوا يخشون أن يتقدم قائد عربي خوفاً أن ينتزع السلطة، أو يشمخ عليهم بأنفه ولم يروا متسعاً من الوقت إلى أن يفكروا في الذي أمنوا منه أو اطمأنوا به ونالوا الانتصار به على عدوهم أنه سيعاديهم يوماً ما، أو ينازعهم السلطة والإدارة... وهذا من نقص التدبير فكانوا محل العبرة والاستبصار، وحديثاً لمن بعدهم وخير مزدجر للملوك أمثالهم... نعم إن الأقوام الأخرى من العناصر السائرة ممن جعلوهم آلة لتدمير عدو... ملتفة حولهم لا يتحاشون من تقبيل الأقدام، وإبداء كل ذل وخضوع للتوصل إلى الإدارة أو الدخول في الخدمة من أي فرجة وجدت... مما لا يأتلف والنفس العربية الشماء، والروح الأبية المجبولة على الحرية، والنفسية الكاملة لا الذليلة المقهورة...

والحاصل أن التنازع صار أخيراً وبعد انعزال العرب عن الإدارة بين العناصر غير العربية، وأهين الشعب العربي ولكنه لم يستكن لهذه

الإهانة ورجح شظف العيش والعري على الذل والخنوع. . . وصار في الانزواء أو في الانحياز التام عن التدخلات الإدارية. . . واستغنى عن الحكومة ورضي بالميسور إذ لم يجد له ناصراً. . . بل طارده القوم حتى في خصه وبيت شعره، أو خيامه الخلقة. . . فلم يبال. . . وأصاب اولئك الخلفاء من الذل والمسكنة ما لا يقل عن أي ذل رغم ظواهر السلطان. وبهرجة الديوان، وضخامة البنيان. . . هذا ولا يكاد يقف القلم عن جريه فالشجي يبعث الشجى والحديث ذو شجون وشؤون بل آلام وأوجاع. . . ونكتفي بهذا.

والعناصر العراقية:

١ ـ العرب: وهم المسلمون وفيهم النصارى ولا تزال جزيرة العرب تفيض بعشائرها العربية المسلمة كلما ضاق موطنها بهم. وقد مر القول عنهم.

٢ ـ العجم وغالبهم المسلمون وفيهم المجوس والمزدكية. . . وأكثر الإفسادات كانت من غير المسلمين منهم، والمسوق بآرائهم من المسلمين قليل.

٣ ـ الترك. وفيهم التتر وغيرهم ومن بقاياهم اليوم البيات.

٤ ـ الكرد. وهؤلاء من العناصر الفعالة في العراق وكلما زادت نفوس سكان الجبال منهم مالت إلى المدن.

وفي وقائع كثيرة خدموا الإسلامية، وناصروها، فكانوا عضدها القوي وساعدها المكين. . . وهم من أقدم سكان العراق ومن أوضح العناصر فيه. . . وقد برز منهم علماء، وأمراء كثيرون. . .

٥ ـ الكلدان. وهم نصارى ولهم كيانهم الديني ولم يكن لهم من الكثرة ما يترك أثراً كبيراً إلا أنهم كلما زادت نفوسهم مالوا من القرى

إلى المدن وما زالوا ولا يزالون في قلة... ولا يفرقون عن العرب في احوالهم وعاداتهم...

٦ ـ الصابئة.. أرباب دين وكيان معاً. وهم من أقل العناصر العراقية.

٧ ـ اليهود. وهم أهل دين وسكناهم قديمة... وهم في قلة أيضاً.

وزارة مؤيد الدين ابن العلقمي من ١٤ صفر سنة ٦٥٦هـ إلى مستهل جمادى الثانية

تنظيم إدارة بغداد:

إن حادثة بغداد شوشت الإدارة وبعثرت الأمور وغيرت المعالم، وهذا أمر طبيعي، بقيت الحالة العسكرية والحربية إلى اليوم الذي قتل فيه الخليفة (١٤ صفر) ومن ثم عين لادارة بغداد وترتيب شؤونها الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي فقد جعل وزيراً.

فهو آخر وزير للعباسيين وأول وزير للمغول في بغداد واختير معه من الموظفين في الإدارة:

فخر الدين ابن الدامغاني صاحب الديوان نصب للديوان أيضاً، والأمير علي بهادر للشحنة، وأرتاقان وأوزان كمرشحين له (رده) ونائبين لقراتاي عماد الدين عمر القزويني و(الأعمال الشرقية) كالخالص وطريق خراسان والبندنيجين فوضت إلى نجم الدين أبي جعفر أحمد بن عمران الذي كان يسمى بالوزير الصادق أو المخلص (راست دل)، وهو من أهل باجسرى، وكان يخدم زمن الخليفة عاملاً فاتصل ببعض الأمراء أيام الحرب وحضر بين يدي السلطان هلاكو خان وأنهى إليه من حال العراق

ما أوجب تقديمه وتشريفه، فعهد إليه أن يتفق مع الوزير وصاحب الديوان في الحكم ولقب بـ (الملك)، ونجم الدين عبد الغني بن درنوس، وشرف الدين العلوي المعروف بالطويل، وجعل تاج الدين علي ابن الدوامي حاجب الباب (صدر الأعمال الفراتية)[1]؛ كان قد خرج مع الوزير إلى حضرة السلطان فأمر أن يكون صدر الأعمال الفراتية فلم تطل مدته وتوفي في ربيع الأول فنصب ولده مجد الدين حسين مكانه.

وحضر (قاضي القضاة) نظام الدين عبد المنعم وجاء في جامع التواريخ أنه (عبد المؤمن) البندنيجي ولما صار بين يدي هلاكو خان أقره على القضاء. وكان قاضي القضاء في زمن الحكومة العباسية إلى أواخر أيامها، قد عين لهذا المنصب سنة ٦٥٥هـ نقل إليها من قضاء الجانب الغربي[2].

فلما عاد الوزير والجماعة المذكورة من السلطان هلاكو خان قرروا حال البلاد ومهدوا قواعدها وعينوا بها الصدور والنظار والنواب فعينوا:

سراج الدين بن البجلي في الأعمال الواسطية والبصرية.

ونجم الدين بن المعين صدر الأعمال الحلية والكوفية.

وفخري الدين مبارك ابن المخرّمي صدر دجيل والمستنصري.

وعز الدين بن أبي الحديد كاتب السلة. فلم تطل أيامه وتوفي فرتب مكانه ابن الجمل النصراني.

وعز الدين بن الموسوي العلوي نائب الشرطة.

والشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش إمام مسجد قمرية خازن الديوان.

---

(١) ابن الفوطي.

(٢) حوادث سنة ٦٥٥هـ من الفوطي.

ورتبوا في جميع الأعمال نواباً وشرعوا في عمارتها.

ووصل الأمير قيراغا (وفي جامع التواريخ قرابواقا) وايلكان نويان إلى بغداد مع ثلاثة آلاف من المغول ليعمروا ما كانوا هدموه وأن يقبضوا على نواصي الأمور.

وعين الأمير قراتاي عماد الدين عمر بن محمد القزويني نائباً عن الوزير. فكان يحضر الديوان مع الجماعة. وكان ذا دين ومروءة وعين شهاب الدين بن عبدالله صدراً للوقوف وتقدم إليه بعمارة جامع الخليفة. وكان قد أحرق وكذا مشهد موسى الجواد (مشهد الكاظمين) ثم فتح المدارس والربط وأثبت الفقهاء والصوفية وأدرّ عليهم الأخباز والمشاهرات وسلمت مفاتيح دار الخليفة إلى مجد الدين محمد بن الأثير وجعل أمر الفراشين والبوابين إليه.

وحينئذ أخذ الناس يدفنون قتلاهم ورفعوا جثث الدواب المطروحة في الأسواق والأزقة وشرعوا في تعمير الأسواق[1]...

ومما نقله الفوطي أن الجاثليق تقدم بسكنى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التي على شاطىء دجلة فسكنها ودق الناقوس على اعلاها واستولى على (دار الفلك) التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة، وعلى الرباط البشيري المجاور لها، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني....

التشكيلات الإدارية:

هؤلاء موظفو العراق آنئذ، وإن التشكيلات الإدارية أبقيت على ما هي عليه وأهم أوصافها أن الوزير في الحقيقة لم يكن مستقلاً في

(١) ابن الفوطي وجامع التواريخ.

الحكم، وهذا طبيعي في حكومة أجنبية لم تعرف حقيقة الأشخاص ومع هذا راعت الترتيبات السابقة بمقياس صغير فأضافت إلى الوزير من يراقب أعماله مراقبة عامة...

نعم إن حكومة هلاكو لم تتول ادارة العراق رأساً وإنما استعانت بنا ولو كانت تدار رأساً من قبل الفاتحين لامَّحت كافة نضاراتها، ولذهب حسنها بمدة وجيزة وما أصابها حين الفتح من دمار فكان أشبه بالمرض يعتري البدن ثم يزول... سوى أن هؤلاء كانوا أبصر بالمضرة، وأعلم بطرق افادة الأجنبي فثبّتوا مواقعهم واستفادوا وقد قرروا الادارة السالفة باختصار...

والحكومة المركزية كانت تودع شؤونها لأمير مغولي بمقام مراقب حذراً من اختلاس الأموال، أو التدخل في شؤون السياسة المضرة بصالحهم... لكنها رأت من القوم الفساد الأخلاقي والتنازع بين الأفراد على الوظائف بحيث صار كلٌّ يسند الخيانة لصاحبه ويظهر الخدمة والإخلاص... فلم تقف الحكومة على حقيقة الأقوال من كل جانب فولت الإدارة إلى غيرهم... إلا أنها لم تنزع كل الوظائف وإنما احتفظت ببعضها واستخدمت الباقين من أهل العراق.

والتشكيلات الإدارية آنئذ تقسم إلى:

١ ـ بغداد. وفيها الوزير وفي الغالب له مشرف ونائب وصاحب الديوان والشحنة ونائب الشرطة وخازن الديوان.

٢ ـ الأعمال الشرقية (الخالص وطريق خراسان والبندنيجين).

٣ ـ الأعمال الفراتية.

٤ ـ الأعمال الواسطية والبصرية.

٥ ـ أعمال دجيل والمستنصري.

٦ ـ الأعمال الكوفية والحلية.

٧ ـ أعمال الأنبار.

٨ ـ أعمال داقوقا.

والأخيرتان لم ينظر في هذه الأيام في أمر إدارتها، ولا عدتا ضمن الأعمال التي جرى التوظيف من أجلها للقيام بشؤونها...

وأما إربل فإنها لا تزال خارجة عن حدود هذه المملكة... وكان يعين لهذه الأعمال الصدور والصدر هنا بمقام (متصرف) وكل منطقة من هذه الأعمال بمنزلة (اللواء)، وقد يسمى القائم بإدارته الملك وهذا اللقب يناله من كانت له خدمة يستحق عليها هذا اللقب مثل نجم الدين أبي جعفر أحمد بن عمران الباجسري وغيره ومعهم النواب والنظار حسب الحاجة وسعة الأعمال...

وعلى هذا اكتسبت الإدارة استقراراً نوعاً وأبقيت المملكة على إدارتها السابقة وقوانينها... إلا أنها لم تبقها على اتساعها بل صغرت الإدارة وجعلتها متناسبة مع القابلية الحاضرة..

وقائع وحوادث أخرى:

ولنرجع إلى ذكر وقائع بغداد. فبعد أن رتبت أمور بغداد ووجهت الأعمال أي في يوم الخميس ٢٩ صفر توجه عز الدين[١] ابن الوزير وصاحب الديوان إلى اعتاب السلطان هلاكو خان لإطلاعه على الأحوال فسمعوا أوامره ورجعوا إلى بغداد.

وكان في يوم الجمعة ٢٣ صفر رحل هلاكو ونزل بجوار قبة الشيخ مكارم ومن هناك رحل حتى وصل مع معسكره إلى خانقين.

---

(١) وجاء في جامع التواريخ أنه شرف الدين والأصح الأول كما في التاريخ المنسوب للفوطي أنه عز الدين أبو الفضل، وهكذا جاء في الوافي بالوفيات كما سيجيء.

وأثناء حصار بغداد كان قد أتى نفر من العلويين وأعاظم أهل الحلة وعلمائها فالتمسوا أماناً من هلاكو فأرسل إليهم (بوكله) و(أمير نجلي النخچواني) وأرسل في أثرهم بوقا تيمور وهو أخ اولجاي خاتون ليمتحنوا إخلاص أهل الحلة والكوفة فاستقبلوهم وجيوشهم استقبالاً باهراً ونصبوا جسراً على الفرات لعبورهم وفرحوا بوصولهم وأظهروا مزيد السرور...

رأى بوقا تيمور إخلاصهم وثباتهم فرحل في ١٠ صفر وتوجه إلى واسط. وفي اليوم ١٧ منه وصلها فلم يطعه الأهلون هناك وشرع في قتالهم ومحاربتهم وقتل منهم ما يقارب الأربعين ألفاً.

ومن هناك توجه إلى خوزستان واصطحب معه شرف الدين ابن الجوزي فأطاع أهل تستر وقتل من بقي من جيش الخليفة هناك وانهزم بعضهم وأظهر الطاعة البعض الآخر ممن كان قد فر إلى حدود البصرة.

ثم إن الأمير سيف الدين البتكيچي (البيتكچي) التمس أن يرسل معه مائة من المغول إلى النجف لمحافظة مشهد أمير المؤمنين علي(رض) وأهليه ومن جاوره.

وفي ١٢ ربيع الأول عاد بوقا تيمور إلى معسكر هلاكو في سياه كوه. وفي ١٩ منه ارجع رسل حلب الذين جاؤوا إلى بغداد.

نص الكتاب المرسل إلى حلب:

وهذا نص الكتاب الذي كتبه الخواجة نصير الدين الطوسي بأمر من هلاكو خان:

«أما بعد فقد نزلنا بغداد سنة ٦٥٦هـ فساء صباح المنذرين فدعونا مالكها وأبى فحق عليه القول فأخذناه أخذاً وبيلا. وقد دعوناك إلى طاعتنا فإن أتيت فروح وريحان وإن ابيت فخزي وخسران. فلا تكن

كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه... فتكون من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وما ذلك على اللّه بعزيز. والسلام على من اتبع الهدى.» انتهى.

ما جرى بعد ذلك:

وفي يوم الأربعاء ١١ ربيع الآخر وصل هلاكو خان إلى معسكره في حدود همذان وسياه كوه. فاستراح هناك من عناء السفر وانحرف مزاجه اسبوعاً كاملاً ثم كسب الصحة.

وفي ١٦ منه إلى ٢٠ منه توالى وصول الأمراء إلى هلاكو خان وهم (ايلكا نويان) وآخرون.

أواخر أيام الوزير ابن العلقمي: (وفاته)

لم تطل أيام هذا الوزير ولم يبق في الادارة إلا قليلاً وغاية ما عمله أن أبقى الإدارة كما كانت تقريباً بعد أن زال من البين مناوئوه على يد هلاكو وبعد أن نالت المملكة مكانتها الحقيقية فاكتسبت شكلها المصغر... وحينئذ عاجلته المنية في مستهل جمادى الثانية[1] من هذه السنة فخدم حكومة العباسيين والمغول معاً ونال رضاهما رغم الشغب الموجه عليه... ودفن في مشهد موسى بن جعفرعليه السلام (الكاظمية). فخلفه ابنه عز الدين أبو الفضل فصار وزيراً.

ترجمة حاله:

إن غالب ترجمة الرجل، وتاريخ حياته رسمي وحكومي أي أنه

(١) ابن الفوطي، وفي كتاب الفخري توفي في جمادى الأولى ص ٣٠٣، وفي جامع التواريخ أنه توفي في ثاني جمادى الآخرة ص ٣١٢.

سياسي أوضح من غيره. وهو آخر وزير للعباسيين وأول وزير للمغول.

وفي الفخري:

«هو أسدي أصله من النيل (قرب الحلة) وقيل لجده العلقمي لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي، ثم سمي الغازاني. اشتغل في صباه بالأدب ففاق فيه، وكتب خطاً مليحاً». اهـ.

كان إلى سنة ٦٢٩ مشرف دار التشريفات للخليفة المستنصر، . . .

وفي يوم الاثنين ١٩ شوال من السنة المذكورة ولي استاذية الدار وبقي في هذا المنصب إلى آخر أيام المستنصر ومن بعده في أيام المستعصم حتى سنة ٦٤٣هـ وفيها نال الوزارة آخر نهار الاثنين ١٣ صفر[1] واستمر فيها إلى آخر أيام العباسيين. . .

وهذا الوزير كان كاملاً في العلوم والآداب وقد نقلت عنه جملة صالحة من الآثار الأدبية عن مؤرخين عديدين منهم الفوطي، وابن أبي الحديد في شرح النهج، وفوات الوفيات، والوافي بالوفيات وفيها النثر والنظم في ساعات خطرة وحالات حرجة وآنية مما يدل على غزارة أدبه وفضله. . .

وفي الفخري «واشتملت خزانته على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب، وممن صنف له الصغاني اللغوي صنف له (العباب) في اللغة، وابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة. . .

---

(١) في التاريخ المعروف بالفوطي خطأ نشأ من ترتيب صفحاته فذكرت فيه وزارته بتاريخ عام ٦٥٣هـ أيام وفاة أبي الأزهر أحمد بن الناقد يدل على ذلك العنوان المذكور سنة ٦٤٣ في ترتيب الوزارة وإهمال مراسمها مع ان المؤرخين اتفقت كلمتهم على أن وزارته دامت ١٤ سنة. وفي الفخري: «مات نصير الدين» «ابن الناقد» سنة ٦٤٢هـ ولما توفي ولي ابن العلقمي الوزارة. . .» ص ٢٩٥ وص ٣٠١.

وكان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه ويحسدونه، وكان الخليفة يعتقد فيه ويحبه، وكثروا عليه عنده فكف يده عن أكثر الأمور، ونسبه الناس إلى أنه خامر، وليس ذلك بصحيح.» اهـ.

فالحوادث أثرت تأثيراً كبيراً على سمعته في الداخل والخارج ولا تزال باقية ما بقي التاريخ وبقيت آثاره...

ومن نظر قدرة الحكومة العباسية آنئذ ودرجة سلطتها وشاهد وضعها السياسي والعسكري وأنها لم تكن لها من المكانة ما تستطيع أن تدفع عنها الملوك الذين هاجموها قبل المغول... قطع بأن منزلتها كانت اسمية أكثر منها فعلية... خصوصاً بعد أن عرفنا أن حكومة المغول بقوتها القاهرة قد قضت على حكومات جمة، وأرعبت العالم بما أحدثته من دويّ وضجة... فليس في وسع الحكومة العباسية أن تقاوم، وكان وزيرها أعلم بالوضع فأبدى لزوم المسالمة فلم يسمع منه قول.
وكان قد أنشد:

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم
ضيعوا الحزم فيه أي ضياع
فمطاع الكلام غير سديد
وسديد المقال غير مطاع

وكان بينه وبين أمراء بغداد مشاحنة واستفادة من وقائع المغول نسبوا إليه الخيانة وأتخذوها وسيلة للوقيعة به كما أنه نسب إليهم محاولة خلع الخليفة... فكانت نتائج هذا الخلاف بين الطرفين وخيمة...

فاتخذ مناجزوه آراءه هذه وسيلة للوقيعة به والتنديد بها وتفنيدها والإذاعات المرة عنها بنسبة الخيانة إليه... وقد ذكرها غالب المؤرخين ففي التاريخ المسمى بالفوطي قال:

«توفي الوزير... وعمره ٦٣ سنة وكان عالماً، فاضلاً أديباً، يحب

العلماء ويسدي إليهم المعروف إلا أن خيانته لمخدومه تدل على سوء أصله.» اهـ[1].

وفي ابن خلدون:

«بينا هلاكو سائراً نحو الإسماعيلية بلغه في طريقه وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم ببغداد في كتاب ابن الصلايا صاحب إربل يستحثه للمسير إلى بغداد ويسهل عليه أمرها لما كان ابن العلقمي رافضياً هو وأهل محلته بالكرخ، وتعصب عليهم أهل السنة وتمسكوا بأن ابن الخليفة والدوادار يظاهرونهم وأوقعوا بأهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمي ودس إلى ابن الصلايا بإربل وكان صديقاً له بأن يستحث التتر لملك بغداد وأسقط عامة الجند يموه أنه يصانع التتر بعطائهم... وسار هلاكو والتتر إلى بغداد واستنفر بنحو (هوبايجو) مقدم التتر ببلاد الروم فيمن كان معه من العساكر فامتنع أولاً ثم اجاب وسار إليه (الخ ما هناك من حوادث الفتح حتى قال): واستبقي ابن العلقمي على الوزارة والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره إلا الكلام في الدخل والخرج متصرفاً من تحت آخر أقرب إلى هلاكو منه فبقي على ذلك مدة ثم اضطرب وقتله هلاكو.» انتهى[2].

ومثله في تواريخ أخرى عديدة ولا نرانا في حاجة إلى نقل كل ما شاع من هذا النوع... وإنما نكتفي بملخص ما قصه صاحب كتاب (الوافي بالوفيات) قال:

«أبو طالب الوزير المدبر مؤيد الدين محمد بن محمد[3] بن محمد المعروف بابن العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم، ولي الوزارة

---

(١) «ر: حوادث سنة ٦٥٦هـ».

(٢) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٤٣.

(٣) ورد في ابن أبي الحديد وغيره بدل محمد «أحمد».

١٤ سنة فأظهر الرفض قليلاً، وكان وزيراً كافياً، خبيراً بتدبير الملك، ولم يزل ناصحاً لأستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار، لأنه كان يتغالى في السنة، وعضده ابن الخليفة، فحصل عنده من الضغن ما أوجب له أنه سعى في دمار الإسلام، وخراب بغداد على ما هو مشهور لأنه ضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار بحاشية الخليفة حتى قال في شعره:

وزيـر رضـى مـن بـأسـه وانـتـقـامـه
بـطـيٌ رقـاع حـشـوهـا الـنـظـم والـنـثـر
كـمـا تـسـجـع الـورقـاء وهـي حـمـامـة
ولـيـس لـهـا نـهـي يـطـاع ولا أمـر

وأخذ يكاتب التتار إلى أن جرّ هولاكو وجرأه على أخذ بغداد، وقرر مع هولاكو أموراً انعكست عليه وندم حيث لا ينفعه الندم، وكان كثيراً ما يقول عند ذلك:

وجرى القضاء بعكس ما أملته.

لأنه عومل بأنواع الهوان من أراذل التتار والمرتدة... ولم تطل مدته حتى مات غماً وغبناً في أوائل سنة ٦٥٧هـ، ومولده في شهر ربيع الأول سنة ٥٩١هـ... (إلى أن قال): واشتغل بالحلة على عميد الرؤساء أيوب وعاد إلى بغداد، وأقام عند خاله عضد الدين أبي نصر المبارك بن الضحاك وكان أستاذ الدار»[١].

وعلى كلٍّ إن الحكومة كانت ضعيفة ومحكومة الزوال قطعاً، وليس لها قدرة على المقاومة بوجه ولكن اللوم إنما يوجه على الوزير من جراء تخذيل الخلافة والشعب بإضاعته قسراً لآراء الآخرين التي استقر عليها رأي حكومته بالوجه المذكور دون أن يتخذ معها تدبيراً حازماً، وإن

(١) الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٨٤.

الترجيح أو المتابعة لآراء الآخرين والقطع به يجب أن يكون مقروناً بقوة ومساعدة قلباً وقالباً ما دام القوم رجحوا غير رأيه... فلم يقم بعمل، ولا شوق الخليفة على الدوام في الحرب واتخاذ لوازمها.

وفي هذا جريرة عظمى إلا أن مؤرخي المغول مثل صاحب جامع التواريخ والفخري وجهوا اللوم مباشرة على الخليفة من جهة أنه لم يتمكن من الوزير ولم يتسلط عليه في أمور المال والصرف على الجند، والحال أن هذا الإهمال إنما ينسب إلى الوزير المسؤول عن الحكومة فكان الأولى به أن يعتزل المنصب أو يقوم بواجباته لا أن يمنع ارزاق الجند، ويسقط أكثرهم من ديوان العرض بحيث آلت أحوالهم إلى سؤال الناس وبذل وجوههم للطلب في الأسواق والجوامع... مع أن العدو على الأبواب...

وتابع هؤلاء المؤرخين آخرون في هذه الفكرة والتزام التوجيه بموجبها...

ومدة وزارته ـ أيام الحكم المغولي ـ قليلة جداً، وفيها بعد قتل الخليفة عاد والجماعة الذين معه من خدمة هلاكو، فقرروا حال البلاد؛ ومهدوا قواعد الحكومة وعينوا لها الصدور والنظار والنواب... ورتبوا جميع الأعمال، وشرعوا في عمارة المدينة... وكان يندد به من جهة قبوله الوزارة بعد قتل الخليفة،... ومن جراء لومه الخليفة وتسفيهه لرأيه بعتاب وتقريع... وأمثال ذلك مما كان يتمثل به من البيت المشهور والمنقول سابقاً... ومهما يكن فالآراء متضاربة في أمره، ووضعه ما حكيناه، والتقصير موجه على الكل فلا يسلم منه أحد...

وزارة عز الدين أبي الفضل بن العلقمي
من ٢ جمادى الثانية سنة ٦٥٦هـ

وزارة بغداد:

يوم الخميس ٢ جمادى الثانية وجهت وزارة بغداد بأمر من السلطان هلاكو إلى عز الدين أبي الفضل بن مؤيد الدين العلقمي وقد جاء في جامع التواريخ أنه شرف الدين والصحيح المنقول عن التاريخ المنسوب للفوطي وكتاب الوافي بالوفيات أنه ما قدمنا. فصار وزيراً مكان أبيه الوزير المتوفى.

إربل ـ الاستيلاء عليها (قتلة ابن صلايا):

إن إربل من ألوية العراق وكان يعين لها صدر فلما عزم هلاكو على فتح بغداد كان قد أرسل ارقيو نويان لفتح هذه المدينة (اربل)[1] وهي قلعة حصينة يكاد لا يكون لها نظير في البلاد فزاول ارقيو نويان محاصرتها وفتحها ولكن سكانها الأكراد قاوموه مقاومة الأبطال...

وفي هذه الأثناء انفرد بإظهار الطاعة تاج الدين أبو المعالي محمد ابن الصلايا العلوي ووصل إلى القائد ارقيو نويان فقال له:

ـ إنما يصح إظهار الطاعة بتسليم القلعة:

فرجع تاج الدين إلى باب القلعة وبذل جهوداً لإقناع الأكراد فلم ينل مطلوبه منهم ولم يسمعوا قوله فأخذ يبالغ في الإلحاح والتماس العفو فلم يفده ذلك فاضطر للذهاب إلى ارقيو نويان وهذا أرسله إلى هلاكو خان فلم ينل قبولاً منه وأمر بقتله فقتل في سياه كوه، وكان كريماً، جواداً، فاضلاً متديناً يبالغ في عقوبة من يفسد أو يشرب الخمر. وهذا

(١) لفظها الصحيح إربل، والآن شائعة بلفظ اربيل وقد جرى كتاب العجم على هذا.

هو الصاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى الهاشمي العلوي المدائني نائب الخليفة بإربل كان من رجال الدهر عقلاً ورأياً وهيبة... قتله هلاكو في ربيع الآخر[1]...

ثم إن القائد ارقيو نويان حاصر قلعة إربل مدة فلم ينقادوا له بل بقوا في الحصار. فاستعان عليهم بالسلطان بدر الدين لؤلؤ ليرسل جيشاً إليه فأرسل. وإن سكان أهل القلعة نزلوا ليلاً وباغتوا المغول وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأحرقوا منجنيقاتهم ثم رجعوا إلى المدينة مقرهم.

فعجز القائد ارقيو نويان من مقاومتهم الشديدة ودعا إليه بدر الدين لؤلؤ واستشاره فقال له بدر الدين لؤلؤ:

ـ التدبير هو أن تترك مهمة الفتح إلى موسم آخر. لأن الأكراد عاجزون عن الحروب ويملون منها. وفي زمن المعركة يفرون إلى الجبال حيث إن هذا الموسم طيب الهواء. ولهم ذخائر كثيرة ومؤن كافية، والقلعة في غاية الإحكام... ولذا يتعذر فتحها إلا بالحيلة.

ثم إن القائد المذكور فوض مهمة فتح القلعة ـ مدينة إربل ـ إلى السلطان بدر الدين لؤلؤ وهذا قد هدم سور القلعة. وبهذه الوسيلة والتدبير استولى على المدينة.

وعلى كل تسلط العدو علينا بتدبير منا وحيل احتلناها لمصلحته، فالكل عاونوه وساعدوه بأمور لا تخطر على بال...

وكانت إربل لزين الدين علي المعروف بكوجك من التركمان ملك إربل وبلاداً كثيرة في تلك النواحي وفرقها على أولاد أتابك قطب الدين ابن مودود بن زنكي صاحب الموصل ولم يبق له سوى إربل وانقطع بها إلى أن توفي ليلة الأحد ١١ ذي القعدة سنة ٥٦٣ فولي بعده ولده مظفر

(١) ابن الفوطي والشذرات ج ٥ ص ٢٨٤.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الدين أبو سعيد كوكبوري (كوكبري) وكان عمره (١٤ سنة) فأقام مدة ثم تغلب عليه أتابكه مجاهد الدين قايماز، وكتب محضراً أنه ليس أهلاً، وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف وكان أصغر منه، ثم أخرج مظفر الدين من البلاد، فتوجه إلى بغداد فلم ينل بها مطلوبه، ثم سار إلى الموصل فأقطعه مالكها سيف الدين غازي بن مودود مدينة حران فانتقل إليها وأقام بها مدة.

ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده وتمكن منه وزاده في الإقطاع الرّها سنة ٥٧٨هـ أخذها صلاح الدين من ابن الزعفراني وأعطاها مظفر الدين مع حران. وأخذ الرقة من ابن حسان وأعطاها ابن الزعفراني. ثم اعطاه سميساط وزوجه اخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب. وشهد مظفر الدين مع صلاح الدين مواقف كثيرة وأبان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزة وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره.

ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازلاً عكا بعد استيلاء الفرنج عليها وردت إليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه وكان في جملتهم زين الدين يوسف أخو مظفر الدين وهو يومئذ صاحب إربل فأقام قليلاً، ثم مرض وتوفي في ٢٨ رمضان سنة ٥٨٦هـ بالناصرة فلما توفي التمس مظفر الدين من السلطان أن ينزل عن حران والرّها وسميساط ويعوضه إربل فأجابه إلى ذلك وضم إليه شهر زور فتوجه إليها ودخل إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦هـ وبقي فيها إلى أن توفي ٨ رمضان عام ٦٣٠هـ وكانت ولادته بالموصل ليلة الثلاثاء ٢٧ من المحرم سنة ٥٤٨[١].

وكان قد جاء إلى بغداد عام ٦٢٨هـ فاحتفل به احتفالاً باهراً ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك.

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٥.

وفي ١٧ رمضان لسنة ٦٣٠هـ ورد الخبر بوفاة مظفر الدين أبي سعيد كوكبري (ورد في ابن خلكان كوكبوري وضبطه كذلك) فتقدم الخليفة بتعيين جماعة من الأمراء للتوجه إلى إربل وكان بها خادمان أحدهما برنقش والآخر خالص فامتنعا من فتح البلد فحصلت معركة ثم افتتح وجاءت البشائر إلى بغداد فأمر الخليفة بإحضار الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة فورد بغداد في ١٤ ذي القعدة فوجهت إليه، وسار فوصلها في ١٩ منه[1].

وهكذا توالى الأمراء عليها، إلى أن جاء هلاكو فاستولى عليها وكان ناظرها ابن الصلايا[2] فقتله... وليها بعد الوقيعة من التتار في سنة ٦٣٥هـ وبقي إلى أن قتل سنة ٦٥٦هـ بالوجه المشروح.

أما الأمير شمس الدين باتكين فإنه عاد إلى بغداد وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٦٤٠هـ.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

نقل أموال بغداد وأموال الملاحدة وغيرها:

إن هلاكو أمر بإرسال الخزائن والأموال الوافرة المستحصلة حين فتح بغداد إلى اذربيجان بصحبة الملك ناصر الدين بن علاء الدين صاحب الري. وكذا الأموال التي حصلوا عليها حين استيلائهم على قلاع الملاحدة وبلاد الروم والكرج والأرمن (واللر) والكرد وأمر الملك مجد الدين التبريزي بإنشاء عمارة عالية ومحكمة على الجبل الذي هو في ساحل بحيرة أورمية وسلماس.

وهذا قد بنى عمارة عالية في غاية الإحكام والمتانة وأخذوا من

---

(١) «تاريخ الفوطي - فيه تفصيل».

(٢) ورد في جامع التواريخ وغيره بلفظ ابن صلابة.

هناك جميع النقود والأموال ووضعوها في العمارة بعد أن صيروا الذهب والفضة قطعاً.

كذا في جامع التواريخ. وجاء في غيره أن هلاكو أمر أن تبنى عمارة عالية داخل جزيرة في بحيرة اورمية (بحر كبودان) ما بين مدينة سلماس وأورمية فتمت كما اراد ووضعت فيها الأموال وقطع الذهب والفضة، وأن هذه الجزيرة غارت سنة ٦٨١هـ في السنة التي مات فيها ابقا خان[1].

وأرسل هلاكو خان إلى أخيه منگوقاآن من هذه الأموال تحفاً وهدايا مع بشائر ظفرهم وفتحهم وأطلعه على كيفية استيلائهم على ممالك ايران، ثم عاصمة الخلافة، وأعلمه أنه عازم على الذهاب إلى ديار مصر والشام إذ تم له فتح بغداد.

وكان حامل هذه الرسالة الأمير هولاجو.

أما القاآن فإنه قد فرح بهذا الفتح وسر كثيراً لنبأ هذه البشارة العظمى...!

وفود إلى هلاكو خان:

بتاريخ ٢٩ رجب سنة ٦٥٦هـ وفد بدر الدين لؤلؤ إلى هلاكو بإشارة من حضرته فوصل إليه في حدود مراغة. وكان تجاوز من العمر ٩٠ عاماً. فبالغ هلاكو خان بإكرامه وإعزازه ورجع في ٦ شعبان من السنة المذكورة.

وفي ٧ شعبان من تلك السنة وفد إليه اتابك سعد بن أبي بكر

---

(١) عباس إقبال: «تاريخ مفصل إيران». وهذا تأليف نافع، طبع سنة ١٣١٢ هجرية شمسية في طهران.

اتابك فارس[1] ليهنىء هلاكو خان بفتح بغداد وصل إلى اعتابه فرأى منه كل لطف وإنعام، ثم رجع.

وفي ٤ منه وصل إليه السلطان عز الدين ملك الروم في حدود تبريز ثم وصل إليه السلطان ركن الدين يوم الأربعاء ٨ منه.

وكان هلاكو خان متألماً من السلطان عز الدين لعدم التفاته إلى أحد قواده بايجونويان ومحاربته له. وبعد استيلاء المغول على بغداد أحس عز الدين بالخطر الحائق به فدبر حيلة ينقذ بها نفسه ويتذرع بها للخلاص فركن إلى المثول بين يدي هلاكو خان واغتنم فرصة الوفادة بصنع نعل جعل صورته مصورة فيه وقدمه إلى هلاكو وقال له:

ـ إن صورتي التي تحت نعلك آمل أن تكون شفيعاً لي وتجعلني مفتخراً بلطفك.

فاستذل لهذا الحد فتعسأ له ولما صنع. .

وحينئذ رق عليه هلاكو خان وبتوسط دوقوز خاتون عفا عنه.

حكاية عن هلاكو تعين خطته:

لا نرى فائدة في استيعاب أحوال هذا الفاتح وذكر وقائعه مما ليس له تعلق بالعراق وأحواله. فهو بالإجمال فاتح عظيم، ـ والقصة الآتية تبين سياسته وخطته.

---

(١) أصل «آتا» تركية بمعنى الأب وبك بمعنى أمير، ثم اطلق اتابك بمد وبلا مد على من يقوم بتربية أولاد ملوك السلاجقة من الأتراك ثم أودعت لبعض هؤلاء ادارة بعض الممالك كولاة فاستقلوا بمرور الأيام فصار يطلق عليهم «الاتابكة» وملوك الاتابكة. . . ومن هؤلاء اتابكة فارس مثل أتابك سعد المذكور، واتابكة الموصل وهم اتابكة العراق.
وسيأتي الكلام عليهم. . .

يحكى أن الخواجه نصير الدين الطوسي عرض على هلاكو خان أن السلطان جلال الدين خوارزمشاه الذي كان قد انهزم من استيلاء المغول ولما وصل إلى تبريز أخذ جنده يمدون الأيدي ويتطاولون على الرعايا فطلب منه لزوم تأديبهم وعرض له عن هذه الحالة فقال:

- إننا في هذا الوقت نشتغل في الفتح والاستيلاء لا في حراسة الملك وإن حالة الاستيلاء لا يلتفت فيها إلى أحوال الرعايا... ولما كنا لم نتم الاستيلاء فلا نراعي ذلك. ولكننا بعد أن تنتهي الفتوح نصغي إلى سماع شكاوى الناس وتظلمهم.

وأما ما تفضل به السلطان هلاكو فهو:

«أنه بحمد اللّٰه تعالى قد استولى وملك ولا يزال مع الطغاة في حالة الحرب ومع المطيعين في حالة العدل»، لا كجلال الدين فإنه في حالة ضعف وعجز لم يكن فاتحاً (جهانكير) فحسب، ولا مالكاً لزمام الادارة وحدها (جهاندار)...

وهذه توضح أوضاعهم وحالاتهم السياسية والحربية بصورة جلية.

والحاصل أن هلاكو خان بعد هذا توجه إلى ديار الشام واستولى على حلب ومدن كثيرة من سورية وكل هذا الدور هو زمن حروب واستيلاء كما تقدم...

اثر سقوط بغداد في النفوس

كانت بغداد إلى حين سقوطها على يد هلاكو تعتبر عاصمة العالم الاسلامي ومركز خلافته لمدة تزيد على خمسمائة سنة ولم تفقد مكانتها العظمى وسيطرتها الدينية والعلمية والصناعية والأدبية وإن حصل اعتلال في السياسة في غالب الأحيان وكان قد حاول خوارزمشاه محمد إلغاء الخلافة، ورفع الخطبة... فلم يفلح كما مرّ ذلك فيما سبق.

مزاياها العلمية لم تعتل بوجه وإن كانت تأسست مواطن علمية كبرى في الأقطار الإسلامية النائية والمستقلة عنها... فهي في احتكاك معها دائماً واتصال بها ولو على طريق الحج والزيارة أو على سبيل الأخذ والتلقي للدراسة من جانب رجال المدارس الأخرى وسائر العلماء...

هي السوق الأعظم لتجارة العلوم وعرضها والمعهد الأكبر للمعارف والثقافة والحضارة، كانت غنية برجالها لا يضارعها قطر ما، ومركز اساسي للحضارة بأنواعها والبواقي فروع قد تفرعت منه ولم تستغن عنه... وغالب من رحل عنها من علمائها نال المكانة السامية في القطر الذي حل فيه...

هذه المكانة من دينية وعلمية وسياسية وأدبية وصناعية إنما يستدعي فقدانها وضياعها الحزن العظيم والألم الكبير. فإنها صارت مدينة عادية يعين لها وال أو وزير وتابعة لغيرها بعد أن كانت رأس المدن وأم البلاد وعادت لا قيمة لها سياسية ولا منزلة علمية...

ناهيك مما اصابها في النفوس والأموال، و(حادثة الضياع الكبرى) هي في الحقيقة ضياع الاستقلال والإدارة والمركز الديني، فالأهلون وإن كانوا في تذمر من إدارة العباسيين بسبب ما كانوا يرون من أنواع الجفاء والظلم على يد المسيطرين من الاتراك فإن رأسها (خليفتها) منهم، وصبغتها صبغتهم وطابعها طابعهم، وإدارتها ـ وإن كانت قاسية ومؤلمة ـ تعد منهم. فلا يودون الأجنبي ولو ملك خير الصفات ولا يرغبون في سيطرة الأغيار وإن جاؤوا من السماء...

هذا ما دعا الشعراء أن قالوا قصائد كثيرة أبدوا فيها احساسهم، وما نالهم من آلام في هذه الوقعة التي لم تضارعها وقعة اصابت البلاد إلا حادثة (ضياع بغداد) على يد الانجليز...

وعلى كل حال إن النفوس لا تريد أن تحكم إلا بما شاءت وطبق رغبتها، ولا تود أن يسيطر عليها إلا من تهواه وتميل إليه من رجالها المخلصين وأبنائها البررة...

والأمم اليوم لم يأت لها الوقت أن تدقق فيه المبادىء فتختار أحسنها، وأن تراعي الإدارات فتنتقي خيرها... فلا تزال تنظر إلى الطوابع الخاصة والعلائم الفارقة فلا لوم عليها أن تحزن وأن يذكر شعراؤها المصاب...

فاض على لسان شعرائها ما كان يشعر به الكل. فهلاكو لم يغير في الإدارة ولا في رجال الحكومة إلا قليلاً ولكنه بدل السلطة وغير الرأس (رأس الحكومة) وإن كان أبقى الشرائع على مجراها وترك الشؤون تجري بمقتضى حالتها... بعد أن انتهب خزائنها وأموالها وقتل في نفوسها...

ولا محل لإيراد جميع ما قيل من شعر عن هذه الحادثة وما ولدته من ضجة في العالم الإسلامي وإنما أكتفي بما قيل إثر المصاب قال **شمس الدين محمد بن عبدالله الكوفي الواعظ:**

بانوا ولي أدمع في الخد تشتبك
ولوعة في مجال الصدر تعترك
بالرغم لا بالرضى مني فراقهم
ساروا ولم أدر أي الأرض قد سلكوا
يا صاحبي ما احتيالي بعد بعدهم
أشرْ عليَّ فإن الرأي مشترك
عزَّ اللقاء وضاقت دونه حيلي
فالقلب في أمره حيران مرتبك
يعوقني عن مرادي ما بليت به
كما يعوق جناحيْ طائر شَرَك

أروم صبراً وقلبي لا يطاوعني
وكيف ينهض من قد خانه الورك
إن كنت فاقد إلف نح عليه معي
فإننا كلّنا في ذاك نشترك
يا نكبة ما نجا من صرفها أحدٌ
من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكنت بعد عزٌ في احبتنا
أيدي الأعادي فما أبقوا ولا تركوا
لو أن ما نالهم يفدى فديتهم
بمهجتي وبما أصبحت أمتلك
ربع الهداية أضحى بعد بعدهم
معطلاً ودم الإسلام منسفك
أين الذين على كل الورى حكموا
أين الذين اقتنوا أين الألى ملكوا
وقفت من بعدهم في الدار اسألها
عنهم وعما حووا فيها وما ملكوا
أجابني الطلل البالي وربعهم الـ
خالي نعم ههنا كانوا وقد هلكوا
لا يحسبوا الدمع ماء في الخدود جرى
وإنما هي روح الصب تنسبك

ولما شاهد هذا الشاعر ترب الرصافة وقد نبشت قبور الخلفاء وأحرقت تلك الأماكن وأبرزت العظام والرؤوس على بعض الحيطان قال:

إن ترد عبرة فتلك بنو
العباس حلت عليهم الآفات
استبيح الحريم إذ قتل الأحيا
ء منهم وأحرق الأموات

ومما قاله أيضاً:

يـا عـصـبـة الإسـلام نـوحـوا وانـدبـوا
أسـفـاً عـلـى مـا حـل بـالـمـسـتـعـصـم

دَسْـت الـوزارة كـان قـبـل زمـانـه
لابـن الـفـرات فـصـار لابـن الـعـلـقـمي[1]

ولهذا الشاعر مراثٍ أخرى في خراب بغداد وانقراض الخلفاء[2].

وما قاله غيره من هذا النوع كثير ومن هؤلاء سعدي الشيرازي فقد أبدى تألمه لهذا الحادث الجلل بما نظمه في العربية والفارسية...

ولم يكن أثر هذه الوقعة مقصوراً على موقع، أو مختصاً بزمن وإنما أثر في نفوس شعرائنا في عصور مختلفة ومواطن عديدة فلا نرى فائدة في ذكرها سوى إعادة الأسى وتحريك الأشجان وتهييج الأحزان، مما لا يفيد في التربية والسجايا القويمة بل ذلك لم يكن شأن الرجال، والعاقل من فكر في طريقة الخلاص دون أن يستولي اليأس على قلبه ويأخذ القنوط منه مأخذه... والمطلوب تعمير المغلوبية، استفادة مما حدث بأن ننهض من الكبوة لا أن نجعل البكاء ديناً والندب ديدنا...

ولا ينكر أن المرء تفيض نفسه، وتشتد آلامه وأحزانه من عظم المصاب، أو ينفد صبره ويظهر أثر ذلك على لسانه أو وجهه.

وهذا الرصافي ابن عصرنا يتوجع لهذه القارعة ويتألم لها قال:

هـو الـدهـر لـم يـرحـم إذا شـدَّ فـي حـرب
ولـم يـتـئـد إمـا تـمـخـض بـالـخـطـب

---

(1) «ر: تاريخ الفوطي والشذرات ص ٢٧١».

(2) «ر: ص ٢٣٧ وص ٢٣٨ من ج ١ فوات الوفيات».

يزمجر أحياناً ويضحك تارة
فيظهر في بردين للجد واللعب
فلا هو في سلم فنأمن بطشه
ولا هو في حرب فنقعد للحرب
يسالم حتى تأخذ القوم غرة
فيهجم زحفاً في زعازعه النكب
أرى الدهر كالميزان يصعد بالحصى
ويهبط بالموزون ذي الثمن المربي
أدال من العرب الأعاجم بعدما
أدال بني عباسها من بني حرب
ولم أر للأيام أشنع سبة
لعمرك من ملك العلوج على العرب

❀ ❀ ❀

صفت لبني العباس أحواض عزهم
زمانًا وعادت بعد مخلبة الشرب
عَنَتْ لهم الدنيا فساسوا بلادها
بعدل أضاء الملك في سالف الحقب
فكانوا طفاح الأرض عزاً ومنعة
خلائف ساسوا بالسيوف وبالكتب
لقد ملكوا ملكًا بكت أخرياته
بدمع على المستعصم الشهم منصب
تشاغل باللذات عن حوط ملكه
فدارت على ابن العلقمي رحى الشغب
أطال هجوداً في مضاجع لهوه
على ترف والدهر يقظان ذو إلب

لقد غره أن الخطوب روابض
ولم يدر أن الليث يربض للوثب
فكان كمروان الحمار إذ انقضت
به دولة مدت يد الفتح للغرب

۞ ۞ ۞

جرت فتنة من شيعة الكرخ جلَّحتْ
على شيعة في الكرخ بالقتل والنهب
فقامت لدى ابن العلقمي ضغائن
تحجرن من تحت النياط على القلب
فأضمر للمستعصم الغدر وانطوى
على الحقد مدفوعاً إلى الغش والكذب
وخادعه في الأمر وهو وزيره
مواربة إذ كان مستضعف الإرب
فأبعد عنه في البلاد جنوده
وشتتهم من أوب أرض إلى أوب
ودسّ إلى الطاغي هلاكو رسالةً
مغلغلةً يدعوه فيها إلى الحرب
وقال له إن جئت بغداد غازياً
تملَّكتها من غير طعن ولا ضرب
فثار هلاكو بالمغول تؤمه
كتائب خضر تضرب السهل بالصعب
وقاد جيوشاً لم تمرَّ بمخصب
من الأرض إلا عاد ملتهب الجدب
جيوش تردُّ الهضب في السير صفصفاً
وتعرك في تسيارها الجنب بالجنب

فما عتمت حتى بنت بغبارها
سماءً على أرض العراق من الترب
ولما أبادت جيش بغداد هالكاً
على رغم فتح الدين قائده الندب
أقامت على اسوار بغداد برهة
تعض بها عض الثقاف على الكعب
فضاق عليها بالحصار خناقها
وغصت بكرب يا له اللّه من كرب
وقد حمَّ فيها الأمن بالرعب فانبرت
له رحضاء من عيون أولي الرعب
هناك دعا المستعصم القوم باكياً
بدمع على لحييه منهمل سكب
فأبدى له ابن العلقمي تحزناً
طوى تحته كشحاً على المكر والخلب
وقال له قد ضاق بالخطب ذرعنا
وأنت ترى ما للمغول من الخطب
فكم نحن نبقى والعدو محاصر
نذل ونشقى في الدفاع وفي الذب
وماذا عسى تجدي الحصون بأرضنا
وهم قد أقاموا راصدين على الدرب
فدع (يا أمير المؤمنين) قتالهم
على هدنة تبقيك ملتئم الشعب
ولسنا (وإن كانت كباراً قصورنا)
نردّ هولاكو بالقتال على العقب
وإلا فإن الأمر قد جدّ جدّه
وليس سوى هذا لصدعك من رأب



تولي خان وزوجته سورقوقتي

فلما رأى المستعصم الخرق واسعاً
وأن ليس للداء الذي حل من طب
مشى كارهاً والموت يعجل خطوه
يؤم لفيفاً من بنين ومن صحب
وراح بعقد الصلح يجمع شمله
كمن راح بين النون يجمع والضب
فأمسكه رهناً وقتل صحبه
هلاكو ولم يسمع لهم قط من عتب
وأغرى ببغداد الجنود كما غدا
بادماء يغري كلبه صاحب الكلب
فظلت بهم بغداد ثكلى مرنَّةً
تفجع بين القتل والسبي والنهب
وجاسوا خلال الدور ينتهبونها
وصبوا عليها بطشهم أيما صب
وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعاً
مهتكة استاره خائف السرب
وباتت به من واكف الدمع بالبكا
عيون المها شتراء منزوعة الهدب
وراحت سبايا للمغول عقائل
من اللآء لم تمدد لهنّ يد الثلب
لقد شربوا بالهون أوشال عزّها
وما أساروا شيئاً لعمرك في القعب
فقلص ظلّ كان في الملك وارفاً
وأمحل ملك كان مغلولب العشب



لقد بات إذ ذاك الخليفة جائماً
على الخسف مرقوباً بأربعة غلب
وخارت قواه بالسعار لمنعه
ثلاثة أيام عن الأكل والشرب
فقال وقد نقت ضفادع بطنه
ألا كسرة يا قوم أشفي بها سغبي
فقال هلاكو عاجلوه بقصعة
من الذهب الإبريز واللؤلؤ الرطب
وقولوا له كل ما بدا لك إنها
لآلىء لم تعبث بهن يد الثقب
ألست لهذا اليوم كنت ادخرتها
فدونك فانظر هل تنوب عن الحب
وكنت بها دون الممالك معجباً
وفاتك أن المقت من ثمر العجب
ولو كنت في عز البلاد أهنتها
وأنزلت منها الجند في منزل خصب
لما اكلتك اليوم حربي وإن غدت
تذيب لظاها عنصر الحجر الصلب
سأبذلها دون الجنود ازيدهم
صيالاً بها فوق المطهمة القبِّ
وسوف وإن لم يبق إلا حديثنا
تميز ملوك الأرض دأبك من دأبي

❁ ❁ ❁

هنالك والطوسي أفتى بقتله
قروه بقتل آدب أفجع الأدب

أشار هلاكو نحو علج فتلّه
فخرّ صريعاً لليدين وللجنب
فأدرج في لبد وديس بارجلٍ
إلى أن قضى بالرفس ثمة والضرب
وقد اثخنت بغداد من بعد قتله
جروح بوار جاء بالحجج الشهب
وما اندملت تلك الجروح وإنما
ببغداد منها اليوم ندب على ندب

وإلى مدة قريبة اعتدنا المصائب واستولى اليأس وكادت تزول من اذهاننا فكرة الاستقلال...

لولا أننا نرى النفوس اليوم طافحة بالأمل، والانتعاش باد، والصدور منشرحة...

حوادث الموصل

وفاة بدر الدين لؤلؤ:

توفي بالموصل في شعبان سنة ٦٥٦هـ وجاء في جامع التواريخ أنه توفي سنة ٦٥٩هـ وفي تاريخ ابن خلكان أنه توفي يوم الجمعة ٣ شعبان سنة ٦٥٧هـ بقلعة الموصل ودفن بها في مشهد هناك وعمره نحو ثمانين سنة[1]، وكان قد توجه إلى السلطان هلاكو بعد واقعة بغداد فأنعم عليه وأعاده، فلما دخل الموصل مرض أياماً ومات وعمره ثمانون سنة وفي جامع التواريخ بلغ ٩٦ عاماً، ملك الموصل خمسين سنة ودفن بالقلعة ثم نقل إلى مدرسة انشأها على شاطىء دجلة تعرف بالبدرية. وكان عاقلاً

(١) ج ١ ص ١٠٤ في ترجمة ابن المشطوب.

حازماً لبيباً جواداً كريماً، ذا دهاء وحيلة. مدحه ابن سنان الخفاجي فأجازه بألف دينار وخلع عليه وطلب من الشيخ عز الدين ابن الأثير أن يجمع تاريخاً ويجعله باسمه ففعل وعمل التاريخ الكامل فأجزل صلته. وكرمه وجوده وصنائعه وحسن سيرته مشهور. كان كثير الإحسان إلى الرعية، مائلاً إلى رغباتهم عادلاً شهماً، حسن السياسة، كثير القتل والتشويه والمواخذة وقيل كان موته سنة ٥٧، وقام بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل وهذا ملك الموصل كما أن ابني بدر الدين الآخرين تملك المظفر علاء الدين منهما سنجاراً والمجاهد إسحق تملك جزيرة ابن عمر فأبقاهم هلاكو عليها مدة ثم استولى عليها ولحقوا بمصر فانقرضت حكومتهم ولم يبق لها ذكر...

ومن الغريب أن صاحب وفيات الأعيان لم يعقد له ترجمة خاصة مع أنه معاصر له وكذا في فوات الوفيات، وخلاصة ما علم من الآثار التاريخية أنه كان ممن تربى في احضان اتابكة العراق المعروفين بأتابكة الموصل من الأمراء الذين كانوا تبعاً لحكومة السلاجقة وبرزوا في خدمات كبرى ونالوا الإمارة وأولهم عمادالدين زنكي ولي عام ٥٢١هـ ١١٣٧م ودامت حكومتهم إلى سنة ٦٣١هـ ١٢٣٤م ومن ثم استقل بدر الدين لؤلؤ في دار المملكة، وكان ارمنياً مملوكاً لنور الدين ارسلان شاه ابن عز الدين مسعود صاحب الموصل، دبر دولة استاذه ودولة ولده الملك القاهر عز الدين مسعود فلما مات القاهر سنة ٦١٥هـ ١٢١٩م، أقام بدر الدين ولد القاهر وهو نور الدين ارسلان شاه ويسمى عليًّا صورة وبقي اتابكه إلى آخر السنة، فمات فاستقل هو بالسلطنة...

وفي الحقيقة أنه استقل بالإدارة من وفاة نور الدين عام ٦٠٧هـ ١٢١١م ولذا لم يخطىء من قال إنه ملك خمسين عاماً. وكانت حكومته تضيق وتتسع إلى أن زحف هلاكو على العراق فاستولى على بغداد ثم عاد إلى آذربيجان وحينئذ أتاه بدر الدين لؤلؤ وأذعن له بالطاعة فأقره

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

على الموصل وقد توفي عام ٦٥٧هـ أو ٦٥٦هـ على اختلاف في ذلك وترجمته مذكورة في قاموس الأعلام ودائرة المعارف للبستاني وتاريخ الفوطي والشذرات... وقد خلفه أولاده بالوجه المشروح.

وفيات

مضى الكلام عن أشهر الوفيات، والآن نذكر سائر المعروفين ممن توفي:

١ ـ علم الدين أحمد. أخو الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي. توفي بعد أخيه بقليل.

٢ ـ تاج الدين علي ابن الدوامي كان حاجب الباب، ولاه هولاكو صدرية الأعمال الفراتية. وكانت وفاته في ١٣ ربيع الأول.

٣ ـ الشيخ أبو المناقب شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني. الفقيه الشافعي كان رئيس الشافعية ببغداد، وكان قاضي القضاة فعزل. قتل شهيداً في وقعة التتار. وهو والد عز الدين أحمد بن محمود الذي كان قد ولي قضاء الجانب الغربي ببغداد سنة ٦٥٥هـ. قال عنه في طبقات السبكي: «برع في المذهب والخلاف والأصول ودرس بالنظامية وعزل ودرس بالمستنصرية وصنف تفسير القرآن...» اهـ[1].

٤ ـ مجد الدين محمد بن الحسن بن طاوس العلوي.

٥ ـ القاضي موفق الدين أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني، توفي في جمادى الثانية. وفي الشذرات توفي ببغداد في رجب وقال: كان متكلماً أشعرياً، كاتباً، منشئاً بليغاً، وفقيهاً أديباً، شاعراً، محسناً، مشاركاً في أكثر العلوم[2].

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج ١٩ وابن الفوطي، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ١٥٤.

(٢) الشذرات ج ٥ وابن الفوطي.

٦ ـ أخوه عز الدين عبد الحميد بن هبة اللّٰه المدائني، توفي بعده بأربعة عشر يوماً، كذا في الحوادث الجامعة. وفي فوات الوفيات أنه توفي سنة ٦٥٥هـ، وفي آخر شرح نهج البلاغة من مصنفاته ترجمة منقولة عن ابن الفوطي من كتابه (مجمع الآداب في معجم الألقاب) وفيها أنه لما أخذت بغداد كان ممن خلص من القتل في دار الوزير مؤيد الدين مع أخيه والشيخ تاج الدين علي بن انجب الخ.

وهو معتزلي، فقيه، شاعر...

ومن مؤلفاته:

(١) الفلك الدائر على المثل السائر.

(٢) نظم فصيح ثعلب.

٣) شرح نهج البلاغة. كتبه باسم الوزير ابن العلقمي وهو كتاب مفيد في موضوعه وفيه تكلم عرضاً عن وقائع المغول قبل تسلطهم على بغداد واكتساحها، ومباحثه عنها مهمة، أوضح وقائع المغول وهجومهم على الممالك الإسلامية، وغارتهم على بغداد وإربل بتفصيل زائد وتقف حوادثه عند سنة ٦٤٣هـ أيام وزارة مؤيد الدين ابن العلقمي، ومدحه هناك بقصيدة[١]...

طبع بمصر سنة ١٣٢٩هـ ولا تخلو هذه الطبعة من اغلاط فاحشة، منها أنه سمى (اترار) المدينة المشهورة (اتران) غلطاً. وضبطها صاحب الوافي بالوفيات (اطرار) بضم الهمزة وسكون الطاء وبألف بين راءين وقال: فاراب من بلاد الترك وتسمى الآن اطرار[٢]...

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٣٧١.

(٢) ج ١ ص ١٠٨.

وللمترجم تعليقات على كتابي المحصول والمحصل للرازي وغيرها[1]...

٧ ـ موفق الدين أبو محمد عبد القاهر بن محمد ابن الفوطي البغدادي الحنبلي. قال ابن الساعي: كان إماماً ثقة، أديباً، فاضلاً، حافظاً للقرآن، عالماً بالعربية، واللغة، والنجوم، كاتباً شاعراً، صاحب أمثال... ولي كتابة (ديوان العرض)، وقتل صبراً في الواقعة ببغداد[2].

٨ ـ الشيخ علي الخباز الزاهد. أحد مشايخ العراق، له زاوية وأتباع، وأحوال وكرامات قتله التتار وألقي على مزبلة بباب زاويته ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب من لحمه.

٩ ـ الإمام شعلة. هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد الموصلي المقرىء العلاّمة قرأ القرآن على أبي الحسن علي بن عبد العزيز الإربلي وغيره وتفقه، وله معرفة تامة بالعربية، وبرع في الأدب والقراءات، وشعره في غاية الجودة. ومن مؤلفاته:

(١) نظم كتاب الشمعة في القراءات السبعة.

(٢) شرح الشاطبية.

(٣) كتاب الناسخ والمنسوخ.

(٤) كتاب فضائل الائمة الأربعة توفي في صفر بالموصل[3].

١٠ ـ محيي الدين أبو نصر محمد بن أبي صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، سمع من والده ومن الحسن بن علي بن المرتضى العلوي وغيرهما. كان عالماً؛ ورعاً زاهداً، يدرس

---

(١) «فوات الوفيات ج ١ ص ٣١٧».

(٢) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧٨ وعقد الجمان ج ١٩.

(٣) الشذرات ج ٥.

بمدرسة جده ويلازم الاشتغال بالعلم إلى أن توفي. ولي أبوه قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله ولم يقلد قضاء القضاة سواه عن الحنابلة وعزل سنة ٦٢٣هـ وولاه والده القضاء والحكم بدار الخلافة فجلس في مجلس الحكم مجلساً واحداً وحكم، ثم عزل نفسه وترك القضاء تورعاً ولازم مدرستهم بباب الأزج. توفي ليلة الاثنين ١٢ شوال ببغداد ودفن إلى جنب جده الشيخ عبد القادر بمدرسته، وكانت وفاته بعد انقضاء الواقعة. وكانت وفاة والده سنة ٦٣٣هـ[١].

١١ ـ ابن شقير الشيخ عفيف الدين أبو الفضل المرجى بن الحسن الواسطي المقرىء التاجر السفار. ولد سنة ٥٦١هـ، وقرأ القراءات على أبي بكر الباقلاني وأتقنها وتفقه، وكان آخر من روى وحدث عن أبي طالب الكتاني[٢].

١٢ ـ الصرصري. الشيخ العلاّمة أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الصرصري (بفتح الصادين نسبة إلى قرية على فرسخين من بغداد)، الشاعر المادح الحنبلي، الضرير البغدادي، وشعره في مديح الرسولﷺ مشهور، كان حسان زمانه، وديوانه معروف. كان إليه المنتهى في معرفة اللغة، ويقال إنه حفظ صحاح الجوهري، وصحب الشيخ علي بن إدريس البعقوبي تلميذ الشيخ عبد القادر الجيلي، وكان ذكياً يتوقد ذكاء، ينظم على البديهة وله:

١ ـ نظم الكافي للشيخ موفق الدين بن قدامة.

٢ ـ نظم مختصر الخرقي.

قتله التتار حينما دخلوا بغداد برباط الشيخ علي الخباز وحمل إلى

---

(١) الشذرات ج ٥ وابن الفوطي.

(٢) الشذرات ج ٥.

صرصر ودفن بها[1].

١٣ ـ شيخ الشيوخ ببغداد صدر الدين أبو الحسن علي بن الحسين ابن النيار. كان أولاً مؤدباً للخليفة المستعصم بالله فلما صارت إليه الخلافة نال رفعة عظيمة وولاه مشيخة الشيوخ ببغداد. ثم إنه ذبح بدار الخلافة كما تذبح الشاة في وقعة التتار[2].

١٤ ـ عز الدين حسين بن النيار أخو شيخ الشيوخ[3].

١٥ ـ آل الجوزي. توفي منهم الصاحب العلاّمة محيي الدين أبو المحاسن يوسف ابن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البكري البغدادي الحنبلي، أستاذ دار المستعصم بالله. ولد سنة ٥٨٠هـ، سمع من أبيه وذاكر ابن كامل وابن برش وطائفة وقرأ القرآن بواسطة علىٰ ابن الباقلاني، وكان كثير المحفوظ، قوي المشاركة في العلوم، وافر الحشمة، لبس الخرقة من الشيخ ضياء الدين ابن سكينة، واشتغل بالفقه والخلاف والأصول وبرع في ذلك وكان أشهر فيه من أبيه، وولي الولايات الجليلة ثم انقطع في داره يعظ ويفتي ويدرس... وله من المصنفات (معادن الابريز في تفسير الكتاب العزيز) و(المذهب الأحمد في مذهب أحمد) و (الايضاح) في الجدل. قتل مع أولاده الثلاثة وهم الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. وكان فاضلاً بارعاً واعظاً له تصانيف قتل وقد جاوز الخمسين.

وشرف الدين عبدالله. ولي الحسبة ثم تزهد عنها ودرّس.

وتاج الدين عبد الكريم ولي الحسبة أيضاً لما تركها أخوه ودرس.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج ١٩ والشذرات ج ٥.

(٢) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج ١٩.

(٣) ابن الفوطي.

قتل ولم يبلغ عشرين سنة[1].

١٦ ـ ابن الحلاوي. هو شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد ابن أبي الوفاء الهزبر، له فضيلة تامة، وشعره في غاية الجودة والرقة. مدح الملوك والكبار، عاش ٥٣ سنة، وكان في خدمة صاحب الموصل[2].

وقائع العراق سنة ٦٥٧هـ (١٢٥٩م)

تغيير في الموظفين:

في هذا العام توجه فخر الدين ابن الدامغاني (صاحب الديوان) إلى (السلطان هلاكو) ومعه (صدور أعمال العراق). فأنعم السلطان عليه وأراد أن يفوض أمر العراق إليه فوقع نجم الدين بن عمران عليه ونسب إليه أنه أطلق من السجن بالمدائن رجلاً من انساب الخليفة المستعصم فتوجه إلى الشام. . . فانتقض أمره واعتقل. فتوفي بنواحي اشنى (اسنى) من أعمال اذربيجان. وكان عمره نحوه ٦٥ سنة. . . ورتب نجم الدين ابن المعين (صاحب ديوان بغداد) فسار إليها وجماعة الصدور صحبته. فلما دخلها مرض وتوفي بها.

وكان من جملة من توجه إلى الاردو سراج الدين ابن البجلي صدر واسط والبصرة فأثبت عليه أنه أخربها وأهمل مصالحها فأمر بقتله فقتل. ورتب في واسط مجد الدين صالح بن الهذيل نقلاً من صدرية نهري عيسى وملك ولقب (بالملك). فلما وصل إليها وقرر قواعدها عمل لها جسراً فتم في أمد يسير ولم يكن لها من حين عمرت جسر.

---

(١) الشذرات ج ٥.

(٢) الشذرات ج ٥.

ضريبة شخصية:

وفي هذه السنة تقدم بجمع أهل بغداد وكتبت اسماؤهم وجعل عليهم امراء ألوف ومئات وعشرات وقرر على كل واحد منهم ما يؤديه في كل سنة على قدر حاله ما عدا الشيخ الكبير ومن هو غير بالغ إلا أنه لم يعين إحصاء عنهم مجموعاً... فما زالوا على ذلك إلى أن ولي الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني العراق فأسقط ذلك عنهم.

وفاة الوزير عز الدين أبي الفضل العلقمي

وفاة الوزير وبعض احواله:

في ذي الحجة سنة ٦٥٧هـ توفي عز الدين أبو الفضل محمد ابن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي. ولي الوزارة بعد وفاة أبيه. وكان على القاعدة التي كانت زمن الخليفة في الملبوس والمركوب.

دخل يوماً فقيل لعلي بهادر شحنة بغداد أن فرس الوزير على الباب وفي حلقها مشدة وعليها كنبوش ابريسم فقام ومضى وشاهدها فعجب من ذلك فقيل له هذه كانت على قواعد الوزراء والعظماء في زمن الخليفة فبال قائماً على المشدة وأمر بإخراج الفرس من الدرگاه وعاد وهو مغتاظ، منكر لهذه الحال.

وكان عمر عز الدين نحو أربعين سنة قال في الوافي بالوفيات:

«قرأ القرآن والعربية على التقي حسن ابن الباقلاني الحلي النحوي، واللغة على رضي الدين الصغاني، وكتب التقاليد عن الخليفة أيام والده.

وله النظم المتوسط، كتب على كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي.

سماء انارت للفضائل انجماً
وبحر أثار الدر فذاً وتوأما
جلا أوجه الآداب زهراً مضيئة
فثقف عود العلم حتى تقوّما
آثار خفيات الفضائل فانثني
سناها مضيئاً بعد أن كان مظلما
وألف من بعد التفرق شملها
على أن فيه حسنها متقسّما
تضمن أسماء ينير بها الدجى
ويهدى بها الغاوي ويجلى بها العمى[1]

ولا يعلم عن أحواله ومقدرته في الإدارة وغاية ما نعلمه أنه كان تزوج بنت القمي وأنه ولي الوزارة بعد أبيه. وفي الحقيقة اليد للفاتح فكانت ولايته اسمية نوعاً ولم يبد منه عمل يدل على مقدرة أو يبين عن مهارة... والغرض من نصب هذا وأمثاله الاطلاع على الحالة والتبصر في الادارة وطريق الجباية ومعرفة من لهم وعليهم...

ولاية علاء الدين عطا ملك الجويني في ذي الحجة سنة ٦٥٧هـ

في هذه السنة في ذي الحجة ولي بغداد علاء الدين عطا ملك الجويني وجعل معه عماد الدين عمر بن محمد القزويني[2]، ومن ثم انقطعت الوزارة من البغداديين وصارت لصنائع المغول وموظفيهم من الايرانيين ولهم حق السبق في الطاعة... ولذا نرى بعض المؤرخين

(١) الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٨٥.
(٢) ابن الفوطي.

يتهمون الايرانيين في تشويق هلاكو للاستيلاء على بغداد... من جراء قبضهم على إدارة بغداد...

وعلاء الدين هذا من أسرة عريقة في الآداب والادارة، ولها مكانتها في ايران... ومن أفراد هذه الأسرة من استخدم عند الخوارزميين والمغول، وأول من انتسب إلى المغول منهم بهاء الدين محمد بن شمس الدين الجويني أيام امارة چينتمور على خراسان ومازندران فجعله صاحب ديوان خراسان ومازندران... وأظهر كفاءة تامة ومقدرة وافرة.

وفي سنة ٦٣٣هـ ذهب إلى قراقروم بصحبة گرگوز إلى اوكتاي قاآن فنال التفاتاً منه ولقبه (صاحب الديوان) وهذا اللقب لازمهم، ومنحه (بايزه)[١] و(يرليغا)[٢] مختوماً بختم احمر، وبقي في خدمة المغول في ايران أيام گرگوز وأيام الأمير (ارغون) وتوفي بهاء الدين سنة ٦٥١هـ عن عمر ٦٦ سنة. وله من الأولاد شمس الدين صاحب ديوان الممالك والمترجم علاء الدين.

وقد اضطربت الآراء في أصل هذا البيت، يقال إنهم يمتون إلى امام الحرمين الجويني لمجرد الموافقة في الانتساب إلى جوين كما هو رأي صاحب مجالس المؤمنين، وصاحب مجمع الفصحاء إلا أن هذا غير معروف لمعاصريه. وبعضهم جعل أنه ينتمي إلى الفضل بن الربيع الوزير ومن القائلين بهذا شمس الدين الذهبي صاحب التاريخ نقلاً عن

---

(١) عندهم بمقام وسام وتكون من ذهب أو فضة أو نحاس أو من الخشب في بعض الأحيان ويحفر عليها اسم الله وإشارة السلطان وتمنح غالباً إلى امراء الجيش، ومنها ما ينقش فيها رأس اسد ويقال لها «بايزه سرشير» وهي من أعظم الأوسمة.

(٢) هو الفرمان، أو المنشور، أو الأمر أو الكتاب السلطاني ويوضع فيه ختم أحمر «آل تمغا» أو ما يسمى «آلتون تمغا»، أو مختومًا بحبر يقال له «قراتمغا»، والختم يكون مربعاً.

ابن الفوطي فاتخذ صاحب تاريخ الفخري هذه الاشاعة المذكورة وسيلة للطعن به اظهاراً لغضاضته بسبب قتلة والده على ما سيبين...

ومهما يكن فالمترجم ولي بغداد وكان قد ولد سنة ٦٢٣هـ وصار كاتباً خاصاً للأمير ارغون (والد الأمير نوروز الذي كانت له اليد البيضاء والمساعي العظيمة في إسلامية السلطان غازان من سلاطين المغول في العراق وايران)، فذهب إلى مغولستان مراراً وشاهد بنفسه بلاد الترك واتصل بالقوم اتصالاً مباشراً فتمكن أن يجمع مادة تاريخه... اطلع على الأقوام هناك، وشاهد البلدان، وعرف الأمراء كما أوضح ذلك في مقدمة كتابه (جهانگشا)، وهذا الكتاب كان المرجع المهم لتاريخ المغول إلا أنه وقف به عند حكومة الملاحدة فلم يتجاوزها، واشترك الجويني مع هلاكو في حرب الملاحدة مما مرّ البيان عنه وهكذا لازمه إلى أن أودع إليه منصب بغداد.

وفي جامع التواريخ أنه ولي بغداد عام ٦٦١هـ حينما قتل هلاكو وزيره الأمير سيف الدين بيتكجي ووجه منصب الوزارة إلى شمس الدين الجويني... وهذا غير صحيح لما جاء في ابن الفوطي من أن ذلك كله كان سنة ٦٥٧هـ، ولما جاء عن علاء الدين نفسه في رسالة له يقال لها (تسلية الإخوان)[1] أنه عين لهذا المنصب عام ٦٥٧هـ قال فيها ما معناه:

«إن القادر تعالى... انتزع ممالك العراق وبغداد وخوزستان من أيدي بني العباس وتصرفهم، وأودعهم ليد السلطان هلاكو... وفي شهور سنة ٦٥٧هـ أي بعد وقعة بغداد بسنة قد أسندت هذه المملكة، وفوضت إليّ لأقوم بمهماتها...» اهـ[2].

---

(١) منها نسخة في مكتبة باريس.

(٢) اسلامده تاريخ ومؤرخلر وجهانكشاي جويني.

وباقي احواله سيأتي الكلام عليها في حينها...

كاتب الانشاء في الديوان:

وفي هذه السنة وصل بهاء الدين علي بن الفخر عيسى الإربلي إلى بغداد ورتب كاتب الإنشاء في الديوان. وأقام ببغداد إلى أن مات، وستأتي ترجمته عند بيان وفيات سنة ٦٩٢هـ.

وقائع سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م)

شكوى على الوالي (صاحب الديوان):

في هذه السنة اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا السلطان هلاكو خان حيث كان في الشام (كان سار إلى حلب والشام في أواخر سنة ٦٥٧ فافتتحها وبلاداً أخرى من سورية) ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان أشياء اعتمدوها وأثبتوا ما استوعبه من الأموال فأعاده معهم إلى بغداد ليقابل على ذلك. فلما قوبل وثبت عليه ما نسب إليه أنهوا ذلك إلى السلطان فأمر بقتله فسئل العفو عنه فأمر بحلق لحيته فحلقت وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه.

قضاء القضاة ببغداد:

وفي هذه السنة ولي الصاحب علاء الدين عز الدين أحمد بن محمود الزنجاني قضاء القضاة ببغداد نقلاً من الجانب الغربي وخلع عليه. وكان قضاء الجانب الغربي يقوم به قاض، والجانب الشرقي يقوم به قاضي القضاة. وهذا الترتيب كان جارياً زمن الخلفاء العباسيين فلم يتغير الحال في القضاء... وكانت المراسم لا تزال مرعية. وكان يخلع على قاضي القضاة عند توجيه المنصب إليه...

وكان عز الدين أحمد بن محمود الزنجاني قد عين لقضاء الجانب الغربي زمن العباسيين سنة ٦٥٥هـ وهو ابن محمود بن أحمد الزنجاني وقد مرّ الكلام على وفاة والده المذكور في السنة الماضية[١].

وقائع سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م)

الملك الصالح إسماعيل صاحب الموصل وحوادث سورية:

إن الملك الصالح نظراً للحوادث التي وقعت أخيراً في سورية من انخذال عساكر المغول انتقض على هلاكو وذهب إلى دمشق واتفق مع الملك الظاهر ثم عاد إلى الموصل وسيأتي تفصيل ذلك...

صاحب الديوان شمس الدين في بغداد:

وفي هذه السنة وصل صاحب الديوان شمس الدين إلى بغداد ومعه (يرلينغ) يتضمن براءة أخيه علاء الدين مما نسب إليه وولايته العراق وبسط يده فيها فلما قرىء في الديوان قال الصاحب شمس الدين لعلي بهادر شحنة بغداد (الشعر إذا حلق نبت والرأس إذا حلق لم ينبت) ودبر في قتله وقتل عماد الدين القزويني على ما نذكره.

في المدرسة المستنصرية:

وفي هذه السنة أيضاً رتب الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ مدرس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية[٢] نقلاً من الاعادة بها وحضر درسه الصاحب علاء الدين والأكابر والعلماء فخلع عليه.

---

(١) ابن الفوطي.

(٢) هذه المدرسة شرع ببنائها سنة ٦٢٥هـ وافتتحت عام ٦٣١هـ ـ التفصيل في تاريخ الفوطي حوادث سنة ٦٣١هـ.

المستنصر بالله ـ العراق:

في رجب بويع بمصر المستنصر بالله أحمد بن الظاهر محمد بن الناصر لدين الله العباسي الأسود وفوض الأمور إلى الملك الظاهر بيبرس ثم قدما دمشق ثم سار المستنصر ليأخذ بغداد ويقيم بها وكان في آخر العام مصاف بينه وبين التتار الذين بالعراق فعدم المستنصر في الوقعة وانهزم الحاكم قبجا. والمستنصر هذا كان محبوساً ببغداد حبسه التتار فلما اطلقوه التجأ لعرب العراق فأحضروه إلى مصر وبايعوه، وكان شديد القوى عنده شجاعة وإقدام[1].

كان محبوساً ببغداد، فلما أخذت التتار بغداد أطلق فهرب وصار إلى عرب العراق اختبأ في قبيلة طيّىء فأوصله أميرها عيسى بن مهنا إلى ملك مصر الظاهر بيبرس[2] وفد عليه ومعه عشرة من بني مهارش، وشهد الأمير عيسى وقومه أنه من نسل العباسيين فبويع له بالخلافة في رجب سنة ٦٥٩هـ ولقب بالمستنصر بالله وجرت له البيعة واحتفل به احتفالاً باهراً قال الذهبي ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا هذا والمقتفي، ونقش اسمه على السكة، وخطب له...

إن المستنصر هذا عزم على التوجه إلى العراق فخرج معه السلطان يشيعه إلى أن دخلوا دمشق فجهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل وغرم عليه وعليهم من الذهب ألف ألف دينار وستة وستين ألف درهم فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق، وصاحب الموصل، وصاحب سنجار والجزيرة... ففتح المستنصر حديثة، ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا له فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة المستنصر فقيل قتل وهو الظاهر، وقيل سلم وهرب فأضمرته البلاد وذلك في الثالث من

---

(١) الشذرات ج ٥.

(٢) تسلطن الظاهر بيبرس في ١٣ ذي القعدة سنة ٦٢٨ هـ.

المحرم سنة ٦٦٠هـ[1].

الحاكم بأمر الله العباسي:

ثم ولي الخلافة بعد المستنصر بالله بسنة أبو العباس أحمد بن أبي علي القبيّ ابن علي بن أبي بكر ابن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله. وهذا كان قد اختفى وقت أخذ بغداد ونجا ثم خرج منها وفي صحبته جماعة فقصد حسين بن فلاح أمير بني خفاجة فأقام عنده مدة ثم توصل مع العرب إلى دمشق وأقام عند الأمير عيسى بن مهنا مدة فطالع به الناصر صاحب دمشق فأرسل يطلبه فبغته مجيء التتر فلما جاء الملك المظفر دمشق سير في طلبه الأمير فلج البغدادي فاجتمع به وبايعه بالخلافة، وتوجه في خدمته جماعة من امراء العرب فافتتح الحاكم عانه بهم وحديثة، وهيت، والأنبار، وصاف التتار وانتصر عليهم ثم كاتبه علاء الدين طيبرس نائب دمشق يومئذ والملك الظاهر يستدعيه فقدم دمشق في صفر فبعثه إلى السلطان وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة أيام إلى القاهرة فما رأى أن يدخل إليها خوفاً من أن يمسك فرجع إلى حلب فبايعه صاحبها الأمير شمس الدين أقوش ورؤساؤها... فلما رجع المستنصر وافاه بعانه فانقاد الحاكم له ودخل تحت طاعته. فلما عدم المستنصر في الوقعة المذكورة في ترجمته قصد الحاكم الرطبة وجاء إلى عيسى بن مهنا فكاتب الملك الظاهر بيبرس فيه فطلبه فقدم إلى القاهرة ومعه ولده وجماعة فأكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة يوم الخميس ٨ المحرم سنة ٦٦١هـ وامتدت أيامه... فمات في ١٨ جمادى الأولى سنة ٧٠١هـ فخلفه ابنه المستكفي بالله أبو الربيع سليمان في جمادى الأولى من هذه السنة. وهذا في سنة ٧٣٦هـ وقع بينه وبين الملك الناصر أمر فقبض عليه واعتقله بالبرج ومنعه من الاجتماع بالناس، ثم نفاه في

---

(١) تاريخ ابن اياس ج ١ ص ١٠٢ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣١٧.

ذي الحجة سنة ٧٣٧هـ إلى قوص هو وأولاده وأهله ورتب لهم ما يكفيهم وهم قريب من مائة نفس، واستمر المستكفي بقوص إلى أن مات بها في شعبان سنة ٧٤٠هـ ودفن بها[1]...

وهكذا استمروا إلى أن انقرضوا على يد السلطان سليم العثماني المعروف بـ(ياوز).

وهذه قائمة بأسماء الخلفاء منهم:

١ ـ المستنصر المذكور (٦٥٩هـ: ٦٦٠هـ).

٢ ـ الحاكم بأمر الله (٦٦١هـ: ٧٠١هـ).

٣ ـ المستكفي بالله (٧٠١هـ: ٧٤٠هـ).

٤ ـ الواثق بالله إبراهيم بن محمد بن الحاكم (٧٤٠هـ: ٧٤٢هـ).

٥ ـ الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي (٧٤٢هـ: ٧٥٣هـ).

٦ ـ المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي (٧٥٣هـ: ٧٦٣هـ).

٧ ـ المتوكل على الله أبو عبدالله محمد بن المعتضد (٧٦٣هـ: ٧٨٥هـ).

٨ ـ الواثق بالله عمر بن إبراهيم المذكور (٧٨٥هـ: ٧٨٨هـ).

٩ ـ المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم المذكور (٧٨٨هـ: ٧٩١هـ).

١٠ ـ المستعين بالله أبو الفضل العباس بن المتوكل (٨٠٨هـ: ٨١٥هـ).

١١ ـ المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل (٨١٥هـ: ٨٢٤هـ).

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي س ٣٢١: ٣٢٣ وكلشن خلفا ص ٣٨ ـ ٢.

١٢ ـ المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن المتوكل (٨٢٤هـ: ٨٥٤هـ).

١٣ ـ القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل (٨٥٤هـ: ٨٥٩هـ).

١٤ ـ المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف بن المتوكل (٨٥٩هـ: ٨٦٥هـ).

١٥ ـ المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل (٨٦٥هـ: ٩٠٢هـ).

١٦ ـ المستمسك بالله بن المتوكل (٩٠٢هـ: ٩٢٣هـ).

وهذا الأخير انقرضت الخلافة على يده وكان طاعناً في السن، وأن ولده المتوكل على الله محمد ذهب به ياوز سلطان سليم وسجنه في (يدي قله) وأطلق في سنة ٩٢٦ فتوفي بعد سنة وكان له من الأولاد عمر وعثمان وكانت قد أجريت لهم المخصصات من خزانة الدولة وبوفاتهم لم يبق أثر للخلافة العباسية[1].

وقائع سنة ٦٦٠هـ (١٢٦٢م)

قتل الملك الصالح وأخيه: (حوادث الموصل)

تقدمت الإشارة إلى أن السلطان هلاكو خان قد سار في أواخر سنة ٦٥٧هـ بعساكر عظيمة إلى الشام وكان في أول الاستيلاء كتب إلى الاطراف يهددها ويدعوها لطاعته... وكان استدعى ملكها الملك الناصر صاحب الشام فأنفذ ولده الملقب بالملك العزيز وأصحبه التحف

(١) كلشن خلفا ص ٣٩ ـ ١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي وغيرهما.

والهدايا فأنعم عليه وأعاده وقال له نحن طلبنا أباك وحيث لم يحضر نحن نسير إليه، فلما بلغه ذلك حار في أمره وسار بأهله وأولاده إلى الكرك.

ثم إن السلطان هلاكو خان أمر بعمل ثلاثة جسور على الفرات وسار بجيوش لا تحصى فعبروا، وتوجه إلى حلب فحصروها وقاتلوا من بها وفتحوها في ٥ صفر، ثم ملك الشام جميعها عنوة وصلحاً لمن سأله الأمان. ثم إن السلطان أحكم ثغور الشام وترك هناك جيشاً عليه الأمير كتبغا ورحل عنها فترك على ماردين صاحبها نجم الدين غازي فأرسل إليه ولده قرا أرسلان الملقب بالملك المظفر فأنعم السلطان عليه وأمره أن يحسن لأبيه الطاعة فلما عاد إليه وأبلغه الطاعة اعتقله خوفاً منه أن يقبض عليه فدام حصار ماردين ووقع فيها وباء كاد يفني من بها فمات صاحبها نجم الدين غازي فخرج ابنه الملك المظفر من الحبس ونزل إلى عبودية السلطان فخلع عليه وأعاده ثم رحل قاصداً مقرّ ملكه.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وأما كتبغا فإنه نزل على الكرك واستنزل الملك الناصر بأمان وسيره إلى عبودية السلطان فأكرمه ووعده أنه إذا ملك مصر أعاده إلى الشام.

وفي سنة ٦٥٩ سار الملك المظفر قطز صاحب مصر إلى الشام لما عرف أن السلطان هلاكو خان قد عاد إلى بلاده فخرج إليه الأمير كتبغا ومن معه من العساكر والتقوا واقتتلوا عند (عين جالوت) فقتل كتبغا وعدة من أولاده وجمع كثير من عسكره وانهزم الباقون وتعد هذه الوقعة من الانتصارات المهمة ومن أكبر العوامل لصد التتار عن التقدم... وفرح بها المسلمون وكانوا يظنون أن لن تكسر راية للمغول. ومن العوامل الأخرى التي صدت تيار المغول الخلاف بين هلاكو وابن عمه بركة (بركاي) فإنه مما فلّ من قوتهم وشغلهم... ثم إنه دخل الملك

المظفر قطز دمشق واستولى على الشام جميعه وأحكم أموره وقرر قوانينه وعاد إلى مصر.

فلما كان بنواحي غزة وثب البندقدار في عدة من مماليك الصالح ايوب فقتلوه واتفق الأمراء عليه فجعلوه سلطانهم ولقب الملك الظاهر فسار في الجيوش حتى دخل مصر. فلما استقر بها شرع في قتل كل من توسم فيه الرئاسة حتى توطد ملكه...

فلما بلغ السلطان هلاكو خان ذلك أمر بقتل الناصر وأخيه وأصحابهما وكانوا عنده ثم أمر ايلكانوين بالمسير إلى الشام فسار بخلق كثير من العسكر. فلما قرب من دمشق بلغه أن الملك الظاهر قد تجهز للقائه ووصل إلى دمشق فعاد إلى بلاد الروم.

كل ذلك بلغ الملك الصالح إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ ففارق الموصل وقصد الملك الظاهر وهو بدمشق وطلب منه جيشاً يمنع به المغول عن قصد الموصل فوعده بذلك.

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامي

وعندما عاد ايلكانوين عين له جماعة من العسكر فسار بهم إلى الموصل وأنفذ سنجر مملوك أبيه على مقدمته فلما بلغ الموصل منع عن دخولها أياماً فوثب محيي الدين بن زيلاق في طائفة من العوام وفتحوا له باب الجسر فدخل منه ووضع السيف في النصارى فقتل أكثرهم ونهب أموالهم فبلغه أن عسكر المغول واصل إليه فخرج ومعه ألف فارس وسار نحو نصيبين فالتقى به عسكر المغول فقتلوه وقتلوا أكثر من معه.

فلما بلغ السلطان هلاكو خان ذلك سير الأمير سمداغو[1] نوين إلى الموصل وأما الملك الصالح بن بدر الدين فإنه وصل الموصل ودخلها فلما استقر بها وصل الأمير سمداغو نوين وحصره ونصب

(١) ورد في النسخة الأصلية من الفوطي بهذا اللفظ ـ سمداغو ـ.

المجانيق على سور الموصل وخندق عليها وواصل الزحف والقتال مدة اثني عشر شهراً وكان أهلها قد أبلوا في الجهاد بلاءً حسناً وقام الملك الصالح في ذلك قياماً تاماً ونصب حيال مجانيق المغول بباب الميدان والجصاصين ثلاثين منجنيقاً ترمي ليلَ ونهارَ.

فلما طال الحصار ورأى سمداغو أن القتال والزحف لا يجديان نفعاً أمسك عن ذلك إلى أن فنيت ميرة أهلها وتعذرت الأقوات عليهم واشتد بهم الأمر حتى أكلوا الميتة ولحوم الكلاب...

فحينئذ طلب الملك الصالح من سمداغو الأمان له ولأهل البلد وترددت الرسل بينهما فاجابه إلى ذلك فلما خرج إليه قبض عليه وعلى ولده وأتباعه ودخل العسكر إلى البلد وقتلوا ونهبوا وسبوا وأسروا...

ثم أمر بقتل ولده الملقب علاء الملك فقتل وعلق رأسه على باب الجسر وسير الملك الصالح وأخاه الملك الكامل إلى السلطان هلاكو خان. فأمر بالملك الصالح فسلخ وجهه وهو حي ثم قتل وقتل أخوه وكان طفلاً وقتل أصحابهم وأتباعهم.

وكان الملك الصالح لما اشتد حصار الموصل كاتب سلطان الشام يسأله مساعدته فأرسل لنصرته أميراً اسمه ايلبرلك في جماعة فلما وصل سنجار كتب على الجناح إلى الملك الصالح يعرفه وصوله فاتفق أن بعض المغول رمى ذلك الطائر بسهم فوجد الخط فحمله إلى سمداغو فأرسل جماعة من عسكره نحو ايلبرلك فساروا إليه وقاتلوه بظاهر سنجار فقتلوه وقتلوا معظم اصحابه وانهزم الباقون.

ابن زيلاق:

ومن جملة من قتل بالموصل في هذه الوقعة محيي الدين محمد بن يوسف بن زيلاق وكان من الفضلاء وشاعراً مجيداً حسن المعاني وله

رسائل وأشعار مشهورة. منها قوله يعتذر إلى من يستدعيه:

أنـــا فـــي مـــنـــزلـــي وقـــد وهـــب
الـــلّـــه نـــديـــمًـــا وقـــيـــنـــة وعـــقـــارا

فـابـسـطـوا الـعـذر فـي الـتـأخـر عـنـكـم
شـــغـــل الـــحـــلـــي اهـــلـــه أن يـــعـــارا

وترجمته وبعض شعره مذكور في الشذرات وبلفظ زيلاق.

ابن يونس الباعشيقي (والي الموصل الجديد):

ثم رتب ابن يونس الباعشيقي والياً بالموصل. ورتب معه الأمير نوروز شحنة.

نقرة وفلوس:

وفي هذه السنة ابطلت الدراهم السواد بالموصل وكانت نحو أربعين درهماً بدينار وضرب بها دراهم نقرة وفلوس.

فتح جزيرة ابن عمر:

ولما فرغ سمداغو من فتح الموصل سار إلى جزيرة ابن عمر ففتحها بأمان وقتل حاكمها واستعمل عليها رجلاً نصرانياً اسمه مارحيا. ثم عاد إلى السلطان.

وقائع بغداد في هذه السنة

قتل عماد الدين القزويني:

وفي سنة ٦٦٠هـ قتل عماد الدين القزويني أحد الحكام ببغداد. وسبب ذلك ما تقدم ذكره في وقائع السنة الماضية. فلما كان الصاحب شمس الدين بالعراق أخذ خطوط الولاة والأكابر بما صار إليه من

الأموال وعرض ذلك على السلطان هلاكو خان فأمر بالفحص عنه فثبت عليه أكثره فأمر بقتله.

قتل مجد الدين ملك واسط:

وفي هذه السنة أيضاً قبض الصاحب شمس الدين على مجد الدين صالح ابن الهذيل ملك واسط وطولب بالبقايا وشدد عليه. ثم دوشخ وضرب وطيف به في واسط واستوفي منه قدر يسير ساعده به الناس وقبض على اصحابه ونوابه وطولبوا بالأموال وضربوا...

ثم سلمت الأعمال الواسطية إلى الملك فخر الدين منوجهر ابن ملك همدان فانحدر إليها واستصحب فخر الدين مظفر ابن الطرّاح وجعله نائباً عنه في تدبيرها. وهذا جاء ذكره في فوات الوفيات عند الكلام على أخيه الصاحب قوام الدين الحسن بن محمد وقال:

«من بيت رياسة وحشمة وعلم وحديث... وكان لأخيه فخر الدين المظفر بن محمد تقدم عند التتار...» اهـ[1].

وقائع سنة ٦٦١هـ (١٢٦٣م)

قتل علي بهادر شحنة بغداد والعلوي المعروف بالطويل:

في هذه السنة قتل علي بهادر شحنة بغداد والعلوي المعروف بالطويل وكانا ممن سعى في الصاحب علاء الدين كما تقدم فأخذ الصاحب شمس الدين خطوط حكام بغداد بما صار إليهما من الأموال وما اعتمدا في العراق وعرض ذلك على السلطان فأمر بقتلهما. فأرسل الايلچية في طلبهما من بغداد فلما سارا عنها أنفذ من قتلهما...

---

(١) ج ١ ص ١٧٣ فوات الوفيات.

وعين الأمير قرابوقا شحنة بغداد.

وكان علي بهادر حسن السياسة مظهراً للخير ملازم الصلوات في الجمع والتراويح وغيرهما فلما قتل قبض على شهاب الدين داود بن عبدوس وكيله وثقل بالحديد وطولب بالأموال فأدى عشرة آلاف دينار.

ثم إن الصاحب علاء الدين خاطب في أمره فتقدم بإعادة ذلك عليه.

نقابة الطالبيين:

وفي هذه السنة ولي السيد رضي الدين علي بن طاوس نقابة الطالبيين بالعراق.

وفيات

١ ـ توفي عز الدين عبد الرحمن بن الناقد وعمره إحدى وخمسون سنة وخمسة أشهر.

٢ ـ الرسعني. نسبة إلى رأس العين وهو العلاّمة عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر المحدث، المفسر، الحنبلي، ولد سنة ٥٨٩هـ وسمع بدمشق من الكندي، وببغداد من ابن منينا، وصنف تفسيراً جيداً سماه رموز الكنوز، وكان شيخ الجزيرة في زمانه. ولي مشيخة دار الحديث بالموصل، وكانت له حرمة وافرة عند صاحب الموصل وغيره من ملوك الجزيرة، ومن مصنفاته (كتاب مصرع الحسين) ألزمه بتأليفه صاحب الموصل فكتب فيه ما صح من المقتل دون غيره وكان متمسكاً بالسنة والآثار وله نظم حسن توفي ١٢ ربيع الآخر من هذه السنة[1].

❀ ❀ ❀

---

(١) الشذرات ج ٥.

علي بن سنجر ابن السباك:

لأول وهلة كنا ظننا أن هذا المترجم غير المذكور في المجلد الثاني من كتابنا هذا وقلنا إن المشابهة في الاسم والأب لا يدل على العينية إلا أن الذي جلب انتباهنا أننا رأينا صاحب الفوائد البهية يذكر له عين المؤلفات المنسوبة إلى ذاك وبين أنه ولد في شعبان سنة ٥٦١هـ وقال أخذ عنه ابن الساعاتي صاحب المجمع. وفي كشف الظنون أنه توفي سنة ٦٦١هـ أو سنة ٧٠٠هـ.

وقد راجعنا كتباً كثيرة بقصد التوصل إلى الصحيح خصوصاً أن آل السباك اشتهر منهم جماعة وقد ذكر منهم محمد بن علي ابن السباك وكان ممن أخذ عنه الفيروزآبادي ومضى البيان عنه في المجلد الأول من تاريخ العراق ولكن التراجم التي عثرنا عليها لم تبق شكًّا في أن المترجم هو نفس المذكور في تاريخ الجلايرية ويتوضح ذلك من النصوص التالية:

١ ـ جاء في طبقات الحنفية لعلي بن سلطان محمد القاري: أنه عالم بغداد له ارجوزة في الفقه، وشرح الجامع الكبير. وهو القائل:

هـــل أرى لـــلـــفـــراق آخـــر عـــهـــد
ان عـــمـــر الـــفـــراق عـــمـــر طـــويـــل

طـــال حـــتـــى كـــأنـــنـــا مـــا اجـــتـــمـــعـــنـــا
فـــكـــأن الـــتـــقـــاءنـــا مـــســـتـــحـــيـــل[1]

٢ ـ جاء في معجم ابن رافع: علي بن سنجر بن عبدالله البغدادي المعروف بابن السباك. سمع من الرشيد محمد بن عبدالله بن أبي القاسم... ومن الكمال محمد ابن المبارك المخرمي... ومن محمد بن عبدالله المالحاني، ومن ست الملوك بنت أبي البدر...

---

(١) طبقات الحنفية مخطوطة.

وكل هذه التراجم لم تعين تاريخ وفاته ولا فصلت من أخذ عنهم لنتحقق صحة ما جاء في الفوائد وفي كشف الظنون.

٣ ـ جاء في المنتخب المختار عنه ما نصه: «علي بن سنجر بن عبدالله البغدادي أبو الحسن بن أبي اليمن الحنفي الملقب تاج الدين بن قطب الدين المعروف بابن السباك».

سمع من الرشيد محمد بن عبدالله المعروف بابن أبي القاسم، ومن كمال الدين محمد بن المبارك المخرمي، ومن صفي الدين محمد ابن عبدالله بن إبراهيم المالحاني ومن ست الملوك فاطمة بنت أبي نصر علي بن علي بن أبي البدر، وأجاز له أبو الفضل محمد بن محمد الدباب وأبو عبدالله محمد بن عمر بن المرنج (كذا لم تقرأ تماماً) وعلي ابن محمد بن عبيدالله الخالدي بن مشرف.. وحفظ القرآن وأخذ القراءات عن امين الدين المبرز بن عبدالله الموصلي المعري ومنتجب الدين الحسين.. التكريتي وقرأ علم الشريعة على الشيخ ظهير الدين محمد بن عمر البخاري قرأ عليه من فقه المذهب وحدث. سمع منه ابن المطري والدهلي، وعلى مظفر الدين أحمد بن علي ابن تغلب ابن الساعاتي مصنفه المسمى بمجمع البحرين والهداية، وقرأ الفرائض على الشيخ شهاب الدين عبد الكريم بن بلدجي، وأصول الفقه على العفيف ربيع بن محمد وقرأ السراجية على الشيخ شمس الدين محمود بن أبي بكر البخاري، والعروض وعلم الأدب على الحسين بن أبان... وصار ببغداد رئيس الحنفية وعالم العراق ومدرس المستنصرية، له الكتابة الفائقة والاشعار الرائقة قال الإمام سراج الدين عمر بن علي القزويني له ارجوزة في الفقه وشرح قريباً من ثلثي الجامع الكبير وخطه يشبه خط الرشيد بن أبي القاسم، ودرس بمشهد الإمام أبي حنيفة مضافاً إلى تدريس المستنصرية. وله من الفصاحة والبلاغة أوفر نصيب. اهـ.

سئل عن مولده فقال في شعبان سنة ستين أو إحدى وستين وستمائة وله:

الأمـر أعـظـم مـمـا يـزعـم الـبـشـر
لا عـقـل يـدركـه مـنـا ولا نـظـر

فـانـظـر بـعـينـك أو فـاغـمـض جـفـونـك
وأحـذر أن تـقـول عـسـى أن يـنـفـع الـحـذر

فـكـل قـول الـورى فـي جـنـب مـا هـو فـي
نـفـس الـحـقـيـقـة إن هـم فـكـروا هـذر

وله:

يـا نـهـار الـصـيـام طـلـت وصـالا
مـثـلـمـا طـال لـيـل هـجـر الـحـبـيـب

ذاك قـد طـال بـانـتـظـار طـلـوع
مـثـل مـا طـلـت بـانـتـظـار مـغـيـب

وقد علم من هذا أن صاحب الفوائد غلط في تاريخ ولادته كما يظهر من المقارنة بين النص المنقول عن المنتخب المختار وهو مخطوط في القرن التاسع وبين الفوائد وكذا يفهم من مقابلة النص المذكور بسابقه أن المترجم أخذ عن ابن الساعاتي لا أنه أخذ عنه وهكذا. فزال الغموض الذي وقع فيه صاحب كشف الظنون وصاحب الفوائد تبعاً، والتراجم لواحد والمؤلفات المذكورة له فلم يبق إشكال، وعلى هذا لا محل لذكره في وفيات هذه السنة. وإنما ذكر هنا للتنبيه إلى الغلط الواقع لئلا يتكرر..

أبو محمد عبد الكريم ابن السباك:

هذا وإن للمترجم ابناً فاتنا أن نذكره في المجلد الثاني وهو عبد الكريم بن علي بن سنجر البغدادي أبو محمد ابن الشيخ تاج الدين

المعروف بابن السباك الحنفي سمع من أبي عبدالله محمد بن عبد المحسن الدواليبي مسند أحمد بن محمد بن حنبل والأحكام للشيخ محيي الدين بن تيمية وعلى جماعة، منهم: الكمال عبد الرزاق ابن الفوطي، وتفقه واشتغل وأعاد ببعض المدارس... مولده سنة ٧٠٩هـ وتوفي سنة ٧٤٩هـ[١]...

وقائع سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٤م)

نصير الدين الطوسي والدويدار في بغداد:

في هذه السنة وصل نصير الدين الطوسي إلى بغداد لتصفح الأحوال والنظر (في أمر الوقوف) والبحث عن الأجناد والمماليك...

ثم انحدر إلى واسط والبصرة وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل الرصد.

ووصلها أيضاً جلال الدين ابن مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير[٢].

القبض على ابن عمران ـ محاكمته: (قتله)

قبض على نجم الدين أحمد بن عمران الباجسري وأخرج مكتوفاً راجلاً إلى ظاهر بغداد وقد نصبت هناك خيمة بها:

صاحب الديوان علاء الدين

والخواجة نصير الدين الطوسي

وابن الدواتدار

(١) مختصر ابن النجار.

(٢) ويلفظ الدواتدار، والدوادار أيضاً.

وجماعة من الأمراء.

فعمل (يارغو)[1] وقوبل على أمور نسبت إليه فوجب عليه القتل فقتل وأخذ ابن الدواتدار مرارته. ثم طيف برأسه على خشبة ونهبت داره...

وكان حسن السيرة ذا مروءة، كان من متصرفي السواد ببغداد فلما وصل السلطان هلاكو العراق توصل حتى مثل في حضرته وأنهى إليه من الأحوال ما أوجب الإنعام عليه وتقديمه حتى صار من جملة الحكام ببغداد. وشارك في تدبير الأعمال وخوطب بالملك. فقال في حق علاء الدين صاحب الديوان وعاداه فأفضت حاله إلى ما جرى عليه... وكان قد وقع في كثيرين فأصابه ما أصابهم...

ابن الدويدار:

ثم إن ابن الدواتدار شرع في بيع ماله من الغنم والبقر والجواميس وغير ذلك واقترض من الأكابر والتجار مالاً كثيراً واستعار خيولًا وآلات السفر وأظهر أنه يريد الخروج إلى الصيد وزيارة المشاهد وأخذ والدته وقصد مشهد الحسينعليه السلام ثم توجه إلى الشام فتأخر عنه جماعة ممن صحبه من الجند لعجزهم.

فلما عادوا إلى بغداد أخذهم قرابوقا شحنة بغداد وقتلهم وقبض على كل من كان ببغداد وواسط وغيرها من الجند فقتلهم...

اعتقال علاء الدين صاحب الديوان:

وفي هذه السنة قبض قرابوقا شحنة بغداد على علاء الدين صاحب الديوان واعتقله ونسب إليه أشياء قد عزم على أن يعتمدها فأرسل إلى

(١) اليارغو المحكمة أو المجلس للتحقيق أو ما يسمى بالمحاكمة العرفية.

أخيه الصاحب شمس الدين وهو بأذربيجان يعرفه ذلك فعرض أمره على السلطان فأمر أن يأتي إليه باختياره ومعه كل من قال عنه وسعى به إلى قرابوقا تحت الاستظهار. . .

فلما وصلوا وعمل (اليارغو) لم يثبت على الصاحب علاء الدين ما نسب إليه فأمر بقتل من سعى به وعزل قرابوقا عن العراق وأعيد الصاحب علاء الدين على قاعدته إلى بغداد. . . ورتب (توكال بخشي) شحنة بغداد (هوشتاي) توكره (وجاء بلفظ هوشتكتاي). . . كذا في ابن الفوطي وفيه نظر على ما سيجيء في حوادث سنة ٦٦٥هـ.

وقائع سنة ٦٦٣هـ (١٢٦٥م)

وفاة السلطان هلاكو خان

وفاة هلاكو خان:

في ١٩ ربيع الآخر توفي السلطان هلاكو خان[١] وفي ابن خلدون أنه توفي سنة ٦٦٢هـ ودفن في قلعة تلا من أعمال مراغة عن نحو خمسين سنة من العمر، كان عالي الهمة عظيم السياسة عارفاً بغوامض الأمور وتدبير الملك. فاق من تقدمه بالرأي السديد والبأس والسياسة القاهرة. . .

كان يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم ويجزل صلاتهم ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم والتخفيف عنهم ولم يثقل عليهم ولا كلفهم ما جرت عادة الملوك به من التكليفات والتوزيعات وغير ذلك[٢]. . .

---

(١) أصل هلاكو قولاخو ومعناها الفرس الأحمر والأبيض وصارت علماً على الخان المذكور ابن تولي خان ابن جنگيز خان «لغة جغتاي» ويقال أيضاً ـ قولاقو ـ كما في شمس الدين سامي وفي كتاب ـ ترك بيوكلري ـ مثله وزاد أن هولوق، وأولوق وأولاق وأولاغ من أصل واحد وأولوق وأولاق منها بمعنى الفرس ـ ص ١٠٨ ـ.

(٢) تاريخ الفوطي.

ولم يكن هو[1] القاآن أي الملك الأعظم للمغول كما تقدم وإنما أرسله أخوه منكو قاآن لاكتساح ايران وبلاد الملاحدة والعراق وسورية. . . إلا أنه كان مستقلاً في إدارته كما أن أخاه ليس له الأمل أن يكون هلاكو تحت ادارته وإنما غرضه ان يستقل. . .

والحق أنه بالنظر لما مر من الحوادث لم يقبل بالظلم والتعدي، ولم يغمض عيناً أو يتهاون لأحد في سوء الادارة ولا رضي باختلاس. . . ومن أهم ما يذكر عنه أنه ساوى بين العناصر وراعى الحرية لكل دين ومذهب في تقاليده ومراسمه ولم يطلب من أحد سوى الصدق والاخلاص والعقل القويم. . . وبعدها جعل الحرية في أن يعتقد كلٌّ بما شاء ورغب، يضاف إلى ذلك أنه حافظ على مؤسسات كل طائفة وموقوفاتها وراعى ما أرصدت لأجله. . .

وفي تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من أهل الأزمان للعلاّمة الأثري المؤرخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي الشهير بابن أبي عذيبة[2] ما نصه:

---

(١) القاآن عند المغول أعظم الملوك أو ما يقال له عندنا ـ سلطان السلاطين ـ امبراطور ـ ودونه ـ الخاقان ـ وأقل سلطة منه ـ الخان ـ ثم ـ بكر ليكي ـ بمعنى أمير الأمراء ثم ـ بك ـ أي أمير.

(٢) كان قد ذكره الأديب الفاضل الشيخ كاظم الدجيلي في المجلد ٢٨ من مجلة الهلال صحيفة ٦١٧ ووصف تاريخه وصفاً كافياً بعنوان (تاريخ ابن أبي عدسة) ونقل الترجمة المذكورة على ظهر الكتاب من تاريخ أنس الجليل في أخبار القدس والخليل. ثم تعقب البحث الأستاذ عيسى المعلوف وبين أنه وقف على نسخة من التاريخ في مكتبة (آل الحسيني) في دمشق، ورجح أن الأرجوزة التي شرحها المؤرخ للشيخ عبد الرحمن بن علي بن أحمد البسطاحي الحنفي المتوفى سنة ٨٤٣ هـ.

ثم إن الأستاذ عبدالله مخلص صحح اسم المؤرخ بأنه ابن أبي عذيبة كما جاء في الهلال في المجلد ٣٠ ص ٨٦٢ فكان لتحقيقه قيمته العلمية ونبه إلى أن للمؤلف (كتاب قصص الأنبياء) عليهم السلام.

«كان هلاكو... من أعظم ملوك التتر، وكان شجاعاً، مقداماً، حازماً، مدبراً، ذا همة عالية، وسطوة مهابة، وخبرة بالحروب، ومحبة في العلوم العقلية من غير أن يعتقل منها شيئاً، اجتمع له جماعة من فضلاء العالم، وجمع حكماء مملكته، وأمرهم أن يرصدوا الكواكب، وكان يطلق الكثير من الأموال والبلاد وهو على قاعدة المغل في عدم التقييد بدين من الأديان، وكان سعيداً في حروبه طوى البلاد، واستولى على الممالك في أيسر مدة... قال الظهير الكازروني حكى النجم أحمد ابن البواب النقاش نزيل مراغة قال: عزم هلاكو على زواج بنت ملك الكرج فأبت حتى يسلم فقال عرفوني ما أقول فعرضوا عليه الشهادتين فأقربهما وشهد عليه بذلك خواجة نصير الدين الطوسي وفخر الدين المنجم فلما بلغها الفخر المنجم أنعمت بالزواج وعقدوا العقد باسم تامار خاتون بنت الملك داود على ثلاثين ألف دينار. قال ابن البواب وأنا كتبت الكتاب في ثوب اطلس أبيض.» اهـ[1].

= وأقول: قد ذكرت عنه بعض الملاحظات في صحيفة ٢٧٩ من هذا الكتاب وترجمه صاحب الضوء اللامع قال ويعرف بابن أبي عذيبة. ولد سنة ٨١٩هـ ببيت المقدس وتوفي سنة ٨٥٦هـ وترجمته مبسوطة هناك، وقال: «ولع بالتاريخ وجمع من ذلك جملة لكنه تتبع مساوي الناس فتفرق لذلك بعده ولم يظفر مما كتبه بطائل مع ما فيه من فوائد وإن كان ليس بالمتقن، وجمع لنفسه معجماً وقفت على جلد بخطه وفيه أوهام كثيرة جداً، ومجازفات تفوق الحد بل من أجل ما سلكه كان القدح فيه بين كثيرن» اهـ.. وكان لقي ابن قاضي شهبة فاستمد منه وانتفع بتاريخه وتراجمه وأذن له بالتاريخ وقال له أنت حافظ هذه البلاد بل وغيرها..

وبهذا زال الشك عنه وعرفت ترجمته، ومن اراد التفصيل فليرجع إلى الضوء اللامع.

(١) المجلد الخامس منه. وهذا الكتاب من التواريخ النادرة في خمس مجلدات وفيه بيان عن العلماء في أيام كل خليفة أو ملك ويعتمد على مؤلفات مهمة وستأتي النقول عنه في حينها وعندي نسخة خطية منه منقولة على نسخة صاحب المعالي فخر الدين باشا آل جميل ببغداد، وأولها: الحمد لله القديم قبل حدوث الزمان والمكان الخ. وتنتهي حوادثه في سنة ٨٠٦هـ.

كان قد ذكره الأديب الفاضل الشيخ كاظم الدجيلي في المجلد ٢٨ من مجلة الهلال صحيفة ٦١٧ ووصف تاريخه وصفاً كافياً بعنوان (تاريخ ابن أبي عدسة) ونقل الترجمة المذكورة على ظهر الكتاب من تاريخ أنس الجليل في أخبار القدس والخليل. ثم تعقب البحث الأستاذ عيسى المعلوف وبين أنه وقف على نسخة من التاريخ في مكتبة (آل الحسيني) في دمشق، ورجح أن الأرجوزة التي شرحها المؤرخ للشيخ عبد الرحمن بن علي بن أحمد البسطاحي الحنفي المتوفى سنة ٨٤٣ هـ.

ثم أن الأستاذ عبدالله مخلص صحح اسم المؤرخ بأنه ابن أبي عذيبة كما جاء في الهلال في المجلد ٣٠ ص ٨٦٢ فكان لتحقيقه قيمته العلمية ونبه إلى أن للمؤلف (كتاب قصص الأنبياء) عليهم السلام.

وأقول قد ذكرت عنه بعض الملاحظات في صحيفة ٢٧٩ من هذا الكتاب وترجمه صاحب الضوء اللامع قال ويعرف بابن أبي عذيبة. ولد سنة ٨١٩هـ ببيت المقدس وتوفي سنة ٨٥٦هـ وترجمته مبسوطة هناك، وقال: «ولع بالتاريخ وجمع من ذلك جملة لكنه تتبع مساوي الناس فتفرق لذلك بعده ولم يظفر مما كتبه بطائل مع ما فيه من فوائد وأن كان ليس بالمتقن، وجمع لنفسه معجماً وقفت على جلد بخطه وفيه أوهام كثيرة جداً، ومجازفات تفوق الحد بل من أجل ما سلكه كان القدح فيه بين كثيرين» اهـ. وكان لقي ابن قاضي شهبة فاستمد منه وانتفع بتاريخه وتراجمه وأذن له بالتاريخ وقال له أنت حافظ هذه البلاد بل وغيرها..

وبهذا زال الشك عنه وعرفت ترجمته ومن اراد التفصيل فليرجع إلى الضوء اللامع[1].

---

(١) ويلفظ برقاي وبركاي كما في جامع التواريخ، وفي شجرة الترك بوركه خان. وهذا هو ابن جوجي خان ابن جنگيز خان ولي مملكة القبجاق المعروفة بدشت قبجاق أي صحراء قبجاق سنة ٦٥٤هـ ولما كان مسلماً صار المسلمون يسمون =

ولا نرى فائدة في النقل عن مؤرخين كثيرين فتكاد الأقوال تتفق في الاعجاب مما قام به مما لم يتيسر لفاتحين كثيرين... ولم يعترضه في طريقه إلا معاداة بركة خان[1] ابن جوجي بن جنگيز فإنه ناصبه الحرب وصارحه القتال وكان ملك (قبجاق) وأراد أن يذل هلاكو لما قام به من القسوة في المسلمين وفي الخليفة دون عقد شورى فجهز جيشاً عظيماً لمقارعته وفي شوال سنة ٦٦٠هـ تقاتلا فانتصر هلاكو عليه، وأرسل ابنه ابقاخان بجيش قوي عليه وتأهب هو أيضاً للمرة الثانية فالتقى الجمعان فتغلب بركة خان[2] على عدوه وولى الأدبار في جمادى الأولى سنة ٦٦١هـ، وكذلك وقعة (عين جالوت) أثرت على الوضع وضعضعت من القوة... ما دعا أن تتوقف الفتوح ويفتر العزم بل تخور القوى فلم تتحقق الأماني والاتفاقات مع الصليبيين...

ولولا أن الخوف لا يزال مستولياً على النفوس لهاجت عليه البلاد من كل صوب... ولكنه لم يخل من الحساب للأمر، يقال إنه السبب الوحيد لوفاته... قال ابن أبي عذبة المذكور:

= مملكته «دشت بركة» تفاؤلاً باسمه... وكان يحب المسلمين وهو أول من أسلم من ملوك المغول، ويعزى سبب المشادة بينه وبين هلاكو إلى فعلات هذا الأخير بالمسلمين وقتل الخليفة دون أن يؤلف الشورى «كنكاش» ويستطلع الآراء...

(١) (٢) تعليق ـ بركة خان صحيح لفظه (بركاي) ويعني السوط والعصا. ويقال إنه أول من خرم قواعد جنگز (الياسا) ولما اسلم تفاءل المسلمون باسمه وحولوه إلى بركة خان. حكم القفجاق والقرم، وله حروب بلغ بها استانبول، وأخرى كانت مع هلاكو وفي سنة ٦٦٣هـ حارب أبا قاخان. مرض في قفقاسية فمات..

وجاء في صحيفة ٣٣٧ من هذا التاريخ أنه أول مسلم من ملوك المغول يعزى إسلامه إلى عظيم مشهور من ترك قفجاق يسمى (بابر) سعى سعياً بليغاً حتى تمكن منه وحارب هلاكو حروباً عظيمة، وكان يأتلف مع الخوارزميين، وبذل جهوداً كبيرة لنشر الإسلامية بين أقوام المغول ولما أسلم بركه مال أكثر لحماية الإسلامية..

فلما بلغ هلاكو قتل كتبغا[1] وعسكره وما جرى لهم (في عين جالوت) حنق وطلب الملك الناصر... وقتله... ثم لما انكسر عسكر التتر جرد قطز في أثرهم بيبرس البندقداري فتبعهم إلى أطراف البلاد وقتلوا عن آخرهم. فلما سمع هلاكو بهذه القضية وكان متوجهاً إلى العراق لحقه خناق ومات بعلة الصرع...» اهـ.

والظاهر أن السببين اجتمعا أو بالتعبير الأصح تواليا فأوديا بحياته غماً... وكان قد اشغله هم القضاء على بركة خان وتأهب لمناضلته مرة أخرى إلا أنه مرض في ربيع الأول سنة ٦٦٣هـ قال في جامع التواريخ وتوفي في ١٩ ربيع الآخر في شاطىء نهر جغاتو الكائن في جنوب بحيرة اورمية ودفن في جبل شاهو تجاه قرية خوارقان (دهخواركان)[2].

وكان محباً للعمارات وأقام الكثير منها في حدود مراغة، وبحيرة اورمية ونهر جغاتو[3]، وجبل الآتاع (طاغ) وميله إلى التنجيم، والفلك والكيمياء كان كبيراً، ويقال إنه بذل ما انتهبه من ثراء في سبيل الكيمياء، كما بنى الرصد في مراغة وبذل له الأموال الوافرة واتخذ له مكتبة كبرى...

وكان على مذهب البوذية، وفي خوى بنى داراً للأصنام... ولكن زوجته دوقوز خاتون بنت ابن اونك خان من الكرايت كانت على النصرانية، وهذه كانت زوجة والده تولي خان، وبعد وفاته تزوج بها وكان لها نفوذ عظيم عليه ورأي النصارى بسببها توجهاً زائداً... وكان ذلك مما أدى إلى اتفاقات مهمة بين المغول والحكومات المسيحية

---

(١) هو كيتو بوقا من قبيلة كرايت. وقد ورد في الغالب بلفظ كتبغا، وكتبوغا.

(٢) جامع التواريخ ص ٤١٦ ومفصل تاريخ ايران ص ١٩٨.

(٣) وهذا النهر يسمى عند الايرانيين زرينه رود. وأما المغول فيدعونه ـ جغاتو نغاتو ـ كما في ص ٤٠٠ من جامع التواريخ.

الغربية للقضاء على الإسلامية... فخذل المغول في الوقائع السالفة فصارت من البواعث الرئيسية لتوقفهم، وحبوط مساعيهم في تحقيق امانيهم... خصوصاً كانت الإسلامية قد تجدد نشاطها بإسلام مملكة القبجاق على يد بركة خان رأس حكومتها وهناك سبب آخر وهو أن امراء ايران كان لهم النفوذ الكبير لمنع توسيع سلطة الأرمن وتوقيف نفوذهم عند حده... وماتت (دقوز خاتون) بعد قليل أي في ٥ جمادى الثانية ٦٦٣هـ ويعزو صاحب جامع التواريخ تأثره من حادث ابن الدواتدار الصغير وما فعله في بغداد وذهابه إلى سورية هارباً من حكم المغول... وهذا أيضاً يعد سبباً آخر لاضطرابه...

وكان قد رثاه الطوسي بأبيات فارسية مبيناً فيها تاريخ وفاته... خلفه ابنه اباقا خان في ٨ جمادى الثانية من السنة المذكورة...

والحاصل أن حكومته أشبه بالحكومات المتمدنة التي تراعي الحرية الدينية بحذافيرها ولم تتقصد النكاية بأهل نحلة أو دين...! بل هو أوسع صدراً.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لم يحارب إلا المحارب ومهمته سياسية حربية صرفة... وما قام به الجيش من سوء الأحوال وانتهاك الحرمات فلا يعذر من أجله والظاهر أنه كان هذا منهاجه، أو أنه لا مندوحة له من وقوعه ولا يتيسر صده قضاء على النزعات واستئصالاً لها من أساسها مما دعا أن يعد من أكبر السفاكين... وعلى كل كان من السياسة المدنية بمكان...

ولو كانت الحكومة العباسية طبقت الخطة السياسية الإسلامية في منتهاها كما راعتها في أولاها لما تسلطت عليها الأقوام، ولا خشيت بطش الزائغين، ولما ركنت إلى العصبية الحزبية التي أدت إلى الخلاف أكثر وإلى الثورات أعظم، ولما فزعت إلى التوسل بالعنصرية، أو المذهبية وما شاكل...

ومعلوم أن تطبيق هذا المبدأ يحتاج إلى قوة وسلطة قهارة تدع كلًا يقف عند حده ويراعي غيره كما يراعي نفسه ولكن المبدأ العباسي تداعى بنيانه وهوت حيطانه ولم يعد يصلح للحياة بل البقاء في جانبه خطر ومهلكة...

وهنا يلاحظ في حكومات ذلك العصر أنها أصل الجماعة وسائر الأقوام الذين تحت سلطتها خلقوا لتعيش هي برفاه وسعادة واطمئنان دون أن يلتفت إلى ما يؤدي إلى ثراء الشعب ونعيمه ورفاهيته. فترى الخليفة يخزن أموال الأمة ويجعلها لنفسه ولم تستفد الأمة ما يعود لمصلحتها بالخير شيئاً يذكر... وكذا هلاكو يهاجم الأمة ويسلبها أموالها ويغتنم ما خزنه الخليفة غنيمة باردة... فلم تبق للأمة مؤسسات نافعة، ومفيدة اللهم إلا ما يساعد على مصلحة اعدائها وأعمالهم العسكرية من صنع جسور وتسهيل طرق... والحاصل لم تدع هذه الحكومات من قوتها لسلب أموال الأمة والتنعم بها... إلا فعلته...

وحكاية نصير الدين الطوسي المارة آنفاً عنه كاشفة لحقيقة خطته رغم المبالغة فيها كما أنها مطابقة لنهج جنگيزخان ووصاياه لأولاده وسلوكه مع الأقوام... فهو فاتح (جهانكير) ومدبر (جهاندار) مما يعبر به عنه... وعلى كل هي تعديل في الخطط...

أما سياسته في العراق بعد الفتح فإنه لم يداج أحداً ولم يراع جانباً ولا أغمض عن عاتٍ ولا تغافل عن ظالم أو ناهب وهمه إقامة العدل ومراعاة السياسة الحكيمة فكانت أذنه صاغية ومحاكمة الموظف المنسوبة إليه الخيانة حاسمة... لم يتردد في إقامة العدل وتنفيذه في حق من استوجب العقوبة ولو كان أعز الناس إليه أو أكبر من قام بخدمة له...

وهذه سجايا لا نكاد نراها في حكومة ولا نعرفها عند أحد من معاصريه ومن بعدهم... حكومة رشيدة ولكن النفوس فاسدة والسلوك

رديء والناس منطوون على سيىء الأعمال وخبيث الأفعال... وتكاد تضارع إدارته خطة العرب المسلمين لولا قسوتها وفظاعتها...

ومما ينكر عليه نهجه الديني أيضاً فهو غير مسلم، وأعماله ليست مصروفة لخير الجماعة وصلاحها... وأنه أول كافر وطأ هذه الأرض مذ زمن عمر بن الخطاب(رض) فنفرته الأمم الإسلامية جمعاء من جراء هجومه على بغداد ونكايته بالخلفاء والقضاء عليهم وسفكه الدماء الوفيرة وسيطرته على هذه البلاد، وجعلها منقادة له، مما أوجب استياء كافة المسلمين في شرق البلاد وغربها... ولا يزالون يذكرونها والحزن رفيقهم والهمّ حليفهم...

ذلك أمر أراده اللّه تعالى ليعلموا أن دعوى الإسلامية وحدها لا تجديهم نفعاً ما لم يسلكوا طريقها الحق ومنهجها القويم، وأهم ما في هذا الايمان الخالص والاستقامة التامة ومراعاة العدل ولو مع من نكره... وهذه مقومات الاجتماع ووسائل حسن الارتباط بين القوم والأمة أو الأمم قلباً وقالباً...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وعلى كل حال إن الحوادث الجزئية المارة وغيرها مما هو معروف عنه تنبىء عن مقدرة هذا الفاتح العظيم والسياسي الخطير الذي في وسعه ادارة عالم لا أمة أو بضعة أمم بسياسة حكيمة وعقل مدبر وفكر كامل... ومن أهم ما قام به ضدنا أنه أضاع مزايا العراق باتخاذه عاصمة الملك في موطن بعيد عن العراق... مما قلل من مكانته... وجعله مملكة أصغر شأناً من غيرها...

ومهما يكن الأمر فهو ليس فاتحاً فحسب وإنما هو سياسي خطير ولا تزال الأمم ترى الصعوبات الجمة في تطبيق خطته لأنها لا تزال تمشي بمقتضى الحزبية (هذا من شيعته وهذا من عدوه) ولكنها تتضاءل أمام عظمة الإسلامية واعتدال دمها مع كافة الأقوام بنهجها القويم الأقوم والعام الشامل...

أسس حكومة عظمى في ايران وانقاد له العراق من الموصل إلى بغداد فالبصرة وقارع الأطراف وأهم حروبه كانت في سورية وفي القفجاق (قبجاق) حينما نازعه بركة خان وأراد أن يقضي عليه من جراء حنقه وغضبه على الخليفة وتألمه لمصابه. . . فلم ينجح في حروبه معه ومقارعاته له. . . فتم لهلاكو الفوز واستقل بإيران وما والاها وأحكم إدارة العراق، وبعث بكتبه[1] ثم سار بجيشه القوي إلى الاطراف إلا أنه شعر بالخطر مؤخراً لما رأى من الأوضاع.

دام حكمه ببغداد من ٥ صفر سنة ٦٥٦هـ واستمرت ادارته إلى تاريخ وفاته في ١٩ ربيع الآخر سنة ٦٦٣. وهو الذي قارع العباسيين وقضى عليهم وقتل الخليفة المستعصم ولم يبق منهم احداً إلا ابن الخليفة وأخاه. أما الأخ فكان استنجد وجمع وحشد عساكر الشام ومصر وجاؤوا على طريق الانبار فقتلهم المغول عن آخرهم وقتلوا أخا الخليفة. وبقي الابن في مصر فأعلنوا خلافته وسموه (ابن البركة) فتحولت الخلافة إلى هناك ولم تخرج من كونها خلافة بالاسم ومراعاة مراسم دون قيام بأعبائها ومهماتها. . . فلا يجلس السلطان بمصر إلا بإذنهم وبيعتهم ظاهراً إلى أن انقرضوا الانقراض الأخير على يد السلطان سليم المعروف بياوز فنقل الخلافة إليه وسمى نفسه بالخليفة[2]. وتلك الأيام نداولها بين الناس.

السلطان آباقا خان ولي في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٦٦٣هـ

وفي ٢٥ ربيع الآخر لسنة ٦٦٣ ولي آباقا خان[3] وأجمع الأمراء

---

(١) منها ما مر نقله ومنها ما هو مذكور في الشذرات ج ٥ ص ٢٧٢ و٢٧٣ وابن العبري ص ٤٨٤.

(٢) الغياثي وغيره.

(٣) ذكره صاحب قاموس الأعلام بلفظ ـ اباقا خان ـ وأحال بالمراجعة إلى مادة ـ ابقا =

والعساكر على طاعته وذلك بعد أبيه السلطان هلاكو خان وكان حين توفي والده حاكماً في مازندران فتحرك على وجه السرعة والعجلة فجاء إلى تبريز وحلّ محل أبيه.

وفي زمن والده كان يذكر في عناوين الأحكام اسماء منگوقاآن، ثم قبلاي قاآن أما أباقا فلم يوافق على ذكر اسم قوبيلاي وإنما ذكر اسمه أصالة وأعلن نفسه ملكاً على ايران مستقلاً[1].

وذلك أن مانگوقاآن كان قد توفي في مملكة الصين بعد أن اكتسح غالبها فولي بعده قوبيلاي قاآن وقد وقع خلاف في ملوكيته إلا أنه تمكن من إخضاع المخالفين واذعن الجميع له بالطاعة، وفتح مملكة الصين بتمامها، ولي الحكم ٣٥ عاماً، وعلى ما جاء في خلاصة الاخبار أنه توفي سنة ٦٩٣هـ[2]...

وقد عمرت بلاد ايران والروم بحسن سيرته. وكان مدار ملكه على الأمير سوغنجاق، والوزير الخواجة شمس الدين صاحب الديوان وهو ابن الصاحب بهاء الدين الجويني. وكانوا أباً عن جد اصحاب ديوان خراسان وكانوا قائمين بأنواع الكمالات، وحازوا فنون العلم، وفازوا بالنصيب الكامل، وأحرزوا قصب السبق في تربية العلماء الأفاضل، ونالوا من حسن السيرة والعدل ما لم يصل إليه همم الأواخر والأوائل،

= ـ وأما في دائرة المعارف للبستاني والشذرات وأبي الفداء ـ ابغا ـ بالغين وهكذا جاء عن ابن خلدون وفي دائرة المعارف الإسلامية ـ اباقا ـ بلا مد والصحيح الأول وإن كان نطق المؤلفون بالألفاظ الأخرى وجاء في لغة جغتاي بلفظ ـ اباغه ـ و ـ اباقه ـ وقال معناها العم، والابن الكبير لهلاكو ـ ص ٢ ـ وشجرة الترك وجامع التواريخ ووصاف وغيرها ـ.

(١) ابن الفوطي.

(٢) شجرة الترك وغيرها واسم قوبيلاي يلفظ في تواريخ عديدة ـ قبلاي ـ، و ـ قوبلاي ـ وأصل تلفظه قوبيلاي.

وكانوا ملجأ لسلاطين ايران وملاذاً وموئلاً للملوك ومعاذاً في ذلك الزمن[1].

حوادث العراق في هذه السنة:

أقر السلطان آباقا خان ولاية الصاحب علاء الدين ببغداد، وصله يرليغ منه وخوله به أن يكون حاكماً مطلقاً لا يكون فوق يده يد وكان شحنة بغداد قرا بوغا ونائبه إسحق الارمني... كذا في ابن العبري وفيما يلي ما يخالف هذا...[2] وقد نسبا إليه الممايلة إلى سورية فلم يثبت ذلك عليه.

حوادث الموصل:

وفي هذه السنة (سنة ٦٦٣) عين رضي الدين المعروف بالبابا والياً بالموصل وفي تاريخ الموصل أنه ناصر الدين الفأفأ فدخلها وقبض على الزكي الإربلي الذي كان واليها وطالبه بالبقايا التي ساقها الحساب عليه واستوفى منه معظمها ثم قتله، والزكي الإربلي هذا كان من اجناد الموصل وبعد ان استولى سمداغو على الموصل وجعل حاكمها الأمير شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي نظراً لخدمته في ايصال الكتاب الوارد إلى الملك الصالح من أخيه علاء الدين يدعوه أن يكون مع البندقدار سعى الزكي الإربلي في الامير المذكور وقال عنه إنه جمع الأموال والجواهر من خزائن بيت بدر الدين... فأنكر فضربوه أشد الضرب ليقر وقتل وتولى الموصل الزكي سنة ٦٦١هـ[3].

---

(١) تاريخ الغياثي.

(٢) و (٣) ابن العبري وفيه تفصيل... والفوطي.

وقعة الجاثليق:

وفي هذه السنة قبض مليخا الجاثليق على نصراني من أهل بغداد قد اسلم فاعتقله بداره المعروفة (بدار الدويدار الكبير) على شاطىء دجلة وعزم على تغريقه فبلغ العوام ذلك فاجتمعوا ونهبوا سوق العطارين برأس درب دينار وغيره من محال النصارى وحصروا الجاثليق وأحرقوا باب داره وقابلوا اصحابه فنزل في سفينة وقصد صاحب الديوان علاء الدين واستجار به فأمر (الكلخية) بكف العوام وركب (توكال بخشي) شحنة بغداد وأخذ نفراً من العوام وقتل منهم وحبس جماعة فسكنت الفتنة.

ثم إن الجاثليق توجه إلى الاردو[1] السلطاني وعاد إلى إربل وبنى بقلعتها بيعة. ثم قدم بغداد وأقام بها إلى أن مات ورتب في منصبه (ماردنحا) الإربلي.

وقائع سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٥م)

فيلان ببغداد:

وفيها وصل إلى بغداد رجل معه فيلان أفرد الديوان لهما داراً فأقام أياماً ثم توجه بهما إلى السلطان.

وفاة المخرمي:

في هذه السنة توفي فخر الدين أبو سعيد المبارك بن المخرمي.

ترجمة المخرمي:

توفي فخر الدين أبو سعيد المبارك ابن المخرمي وكان قد خدم الخلفاء في عدة خدمات منها القضاء ومنها نيابة ديوان الزمام ثم رتب

(١) يراد به فيلق السلطان ومركز وجوده لا مطلق الفيلق كما يفهم من لفظه المجرد.

وكيل باب طراد والنظر بدار التشريفات عوض علي ابن العنبري نقلاً من نيابة ديوان الزمام[1].

وفي ربيع الآخر سنة ٦٣٣هـ نقل إلى صدرية المخزن وخلع عليه وأعطي مركوباً بعدة كاملة وأنعم عليه بألف دينار وأسكن في الدار المنسوبة إلى الوزير عبدالله بن يونس المجاورة للديوان، ثم نقل فخر الدين ابن المخرمي إلى صدرية ديوان الزمام في تلك السنة.

وفي سنة ٦٣٧هـ توفي والده عز الدين أبو زكريا يحيى وهو شيخ خير، دين من بيت معروف بالرواية والدراية والقضاء والعدالة والتنابه والتصوف والولاية... قد تصرّف في أعمال السواد نظراً وإشرافاً، وكان مشكور السيرة، كيساً، متواضعاً. ركب في ١٢ رمضان سنة ٦٣٧ إلى الجامع فصلى الجمعة وخرج ليركب فلما قارب الباب وقع إلى الأرض ومات فحمل إلى دار ولده فخر الدين أبي سعيد المبارك صاحب ديوان الزمام ولم يكن حاضراً ببغداد فغسل وصلي عليه في جامع القصر وحضر جنازته الولاة وأرباب الدولة والأمراء والأعيان وشيعوه إلى دجلة وحمل إلى مقبرة باب حرب فدفن بالقرب من قبر أحمد(رض) وقد جاوز الثمانين وقدم ولده فخر الدين بعد وفاته بثلاثة أيام.

وبقي المترجم فخر الدين في منصبه إلى سنة ٦٤٣هـ وحينئذ كفت يده فانقطع إلى داره إلى أن ملك السلطان هلاكو بغداد فلما تقرر حال الحكام بها ولاه صدراً بدجيل ثم نقل إلى مشيخة رباط الحريم بموجب التماسه وإيثاره العزلة والعبادة فبقي على ذلك إلى أن مات ودفن بحضرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وقد ورد في حوادث عزله عن ديوان الزمام أن له ابناً اسمه كمال

---

(١) ابن الفوطي حوادث سنة ٦٣٢هـ.

الدين محمد، وأخاً اسمه شمس الدين عبد الرحمن وآخر جمال الدين علي، وابن عم اسمه رضي الدين علي ابن المخرمي[1].

والمترجم من أسرة قديمة السكنى ببغداد فإن والده عز الدين أبا زكريا يحيى بن المبارك بن علي بن الحسين بن بندار المخرمي، وجده بندار المخرمي كان اعجمياً قدم بغداد واستوطنها وسكن المخرّم (محلة أعلى البلد) فنسب إليها. وأما جده المبارك بن علي فكان فقيهاً فاضلاً عالماً: عدلاً ثقة اشتغل بالفقه حتى برع ودرس وأفتى وبنى المدرسة المنسوبة إلى تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه اللّه، وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن الدامغاني سنة ٤٨٨هـ ثم ولي قضاء باب الازج وكان نزهاً في ولايته[2].

ومن هذا تعرف مكانة هذه الأسرة وقيمتها الادبية والعلمية وشهرتها بالصلاح وحسن السلوك وآخرها بالنظر لحوادث هذه الأيام مترجمنا.

وفيات

١ ـ وفاة ابن طاوس: توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاوس وحمل إلى مشهد جده علي بن أبي طالب عليه السلام قيل كان عمره نحو ثلاث وسبعين سنة. وقد مر بيان توليه النقابة... وقال عنه ابن الطقطقي:

«لما فتح السلطان هلاكو بغداد سنة ٦٥٦هـ أمر أن يستفتى العلماء أيما أفضل السلطان الكافر العادل، أو السلطان المسلم الجائر، ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا احجموا عن الجواب، وكان رضي الدين عليّ بن طاوس حاضراً هذا المجلس وكان مقدماً محترماً، فلما رأى احجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها

---

(١) ر: «حوادث سنة ٦٣٨ و ٦٤١ و٦٤٣هـ من تاريخ ابن الفوطي».

(٢) «حوادث سنة ٦٣٧هـ من الفوطي».

بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده.» اهـ[1].

ولا مجال لقبول هذه الفتوى بعد العلم بأن السلطان المسلم مهدد بالأمة وسخطها عليه وخلعه والملتزم أن لا تقبل حكومة الكافر وولايته... واليوم ـ بصورة عامة ـ لا ترضى الأمة أن تحكم إلا بنفسها، والإدارة أو الارادة للأمة وتختار رئيسها ليمثل رغبتها ويمضي طبق ما تريد... والتهديدات الإلهية كثيرة في لزوم اتباع المسلم دون سواه... وتقييده بما قيده الشارع...

والمترجم من العلماء المشاهير ورجال الشيعة المعروفين وله مؤلفات عديدة ذكرها صاحب روضات الجنات، وصاحب أمل الآمل، وصاحب لؤلؤة البحرين... والمطبوع منها كتاب الاقبال ومهج الدعوات وغيرها... وكان بينه وبين الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي وأخيه وابنه صداقة متأكدة أقام ببغداد نحواً من ١٥ سنة ثم رجع إلى الحلة ثم سكن المشهد الشريف برهة ثم عاد في دولة المغول إلى بغداد إلى أن توفي في ٥ ذي القعدة وكانت ولادته في المحرم سنة ٥٨٩هـ[2].

٢ ـ وفاة أبي بكر الشيباني البغدادي. هو الشيخ المعمر أبو بكر ابن إبراهيم الشيباني البغدادي الصوفي بخانقاه سعيد السعداء. مات ليلة ٢٢ ذي القعدة ودفن بالسفح المقطم، وكان قد ولد سنة ٥٥١هـ وهو شيخ صالح، صوفي، من اكابر المعروفين[3]...

---

(١) الفخري ص ١٥.

(٢) روضات الجنات ص ٣٩٦.

(٣) عقد الجمان.

وقائع سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٦) م

إن السلطان آباقا خان أول من انفصل من حكومة جنگيزخان الأصلية وأعلن استقلاله كما تقدم فكانت نتيجة ذلك ان هاجمه في هذه السنة (٦٦٥هـ) براق[١] بن جغتاي بن قبلاي قاآن فعبر النهر إلى غربيه بعساكر كثيرة... فسار آباقا خان للقائه فالتقوا بنواحي هراة واقتتلوا قتالاً شديداً استظهر فيه براق خان ثم صار النصر حليف آباقا خان فانهزم براق خان وعسكره وتمت هزيمتهم إلى جيحون وتبعهم عسكر السلطان آباقا خان يقتلون فيهم وينهبون ويأسرون وغرق منهم خلق كثير في جيحون ونجا براق خان وبعض عسكره...

هذه هي حادثة الانفصال ومن ثم اعتبر آنئذ الاستقلال وانفردت الحكومة بالادارة وتدبير شؤون الحكومة باسمها...

وقائع العراق الأخرى في هذه السنة:

١ ـ فيها عزل توكال بخشي عن نوكرية هوشتكتاي شحنة بغداد وجعل عوضه (تتارقيا).

٢ ـ وفيها وصل شمس الدين محمد الكبشي إلى بغداد وعين مدرساً بمدرسة النظامية وحضر درسه الحكام والعلماء فلم يزل على ذلك إلى أن خطر له التوجه إلى بهاء الدين ابن الصاحب شمس الدين الجويني فسار إليه.

---

(١) براق هذا ويلفظ ـ باراق خان ـ ابن ييسونتو بن موتوكن بن جغتاي ـ جاغاتاي ـ من ملوك ما وراء النهر. وهذا قبل الإسلامية بعد توليه الحكم بستتين ولقب نفسه ـ السلطان غياث الدين ـ وهو أول من أسلم من نسل جغتاي ثم صار بعد أمد كافة أكابر المغول مسلمين... ـ شجرة الترك ـ.

كان براق خان سابع ملوك الجغتاي في تركستان، وأن قوبلاي قاآن كان قد خلع مبارك شاه وأقامه مقامه. وفي أيامه توسعت مملكته وزاد نطاقها. ولما طعن في السن اسلم. توفي سنة ٦٧٠هـ (ترك بيوكلري ص ٤٧ وقائمة ملوكهم في تاريخ الجلايرية ص ٣١٨).

وقائع سنة ٦٦٦هـ (١٢٦٧م)

بناء رباط:

أمر علاء الدين صاحب الديوان ببناء رباط بمشهد الإمام علي(رض) ليسكنه المقيمون المجاورون هناك ووقف عليه وقوفاً كثيرة، وأدرّ لمن يسكنه ما يحتاج إليه.

ضرب نقود:

أمر بضرب فلوس من المس (النحاس) ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها وجعل كل أربعة وعشرين فلساً بدرهم وبكل دينار خمسة أرطال...

التاهب للحج:

أمر الناس بالتأهب للحج وأحضر (عرب الطريق) وأطلق لهم من ماله شيئاً كثيراً وأخذ منهم الرهائن على أن يسيروا الحجاج ويعيدوهم[1]...

ولما توجه الناس مضى الصاحب معهم إلى الكوفة، وجهز الفقراء وزوّدهم وعين للناس من يتأمّر عليهم في السفر فحجوا وعادوا سالمين...

قتل ابن الخشكري:

أمر الصاحب بقتل (ابن الخشكري)[2] النعماني الشاعر.

---

(١) هؤلاء رؤساء قبيلة طي.

(٢) ورد بلفظ ـ الحشكري ـ والتفصيل عنه في ابن الفوطي.

وفيات:

١ ـ توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال شيخ رباط المرزبانية.

٢ ـ توفي الشيخ ضياء الدين محمود الجاجرمي شيخ رباط الشونيزي.

٣ ـ عفيف الدين علي بن عدلان. وهو أبو الحسن الربعي الموصلي، ولد سنة ٥٨٣هـ وتوفي في ٩ شوال سنة ٦٦٦هـ وكان علامة تصدر بجامع الصالح، وكان من اذكياء بني آدم وأحد الائمة المشهورين بمعرفة الأدب وله مصنفات... وترجمته في فوات الوفيات[1].

٤ ـ الشريف أبو العباس أحمد بن أبي محمد عبد المحسن الواسطي العراقي التاجر مات بثغر الاسكندرية في ٥ صفر. ومولده بالغراف... (عقد الجمان ج ١٩).

ولاية الموصل:

وفي هذه السنة ولي على الموصل رجل نصراني اسمه مسعود. وهو من قرى إربل اسمها برقوطا. وعزل عنها البابا. ورتب معه شحنة من المغول اسمه اشموط.

ومسعود هذا كان ابوه أعلم الدين يعقوب التاجر من أخص ثقات آباقا وأعز المقربين إليه وكان في هذه السنة جاء لزيارة اباقا وفي عودته أدركته المنية فكافأ ولده الأكبر بولاية الموصل وإربل[2]... وعزل (البابا)[3].

---

(١) «فوات الوفيات ج ٢ ص ٧٥ وعقد الجمان ج ١٩».

(٢) تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ ج ١ ص ٢٤٠ وهو في مجلدين طبع الأول سنة ١٣٤٢هـ ١٩٢٣م ـ والثاني سنة ١٩٢٨م.

(٣) والظاهر أن لقب ـ البابا ـ هو المعروف اليوم ـ بيه ـ أو ـ بابان ـ والملحوظ أنه =

وقائع سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م)

قدوم السلطان آباقا خان إلى بغداد:

في هذه السنة قدم السلطان آباقا خان إلى بغداد وفي خدمته الأمراء والوزراء والعساكر فأقام إلى زمن الربيع وعاد واعتمد الصاحب علاء الدين في الخدمة بالتحف والاعلاق النفيسة ما يجب.

صدر الأعمال الحلية:

وفي هذه السنة رتب السيد النقيب تاج الدين علي ابن الطقطقي العلوي صدراً بالأعمال الحلية.

وفيات:

١ ـ توفي اقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي ودفن في صفة الشيخ جنيد. وبلغ ٧٦ سنة. وكان ورعاً، تقياً، حسن السيرة اشتغل في عنفوان شبابه بمدرسة دار الذهب ببغداد حتى برع، وأفتى ثم رتب معيداً بالمدرسة المستنصرية، ثم شهد عند اقضى القضاة كمال الدين عبد الرحمن ابن اللمغاني، ثم جعل في ديوان العرض... ثم عين قاضياً في الجانب الغربي سنة ٥٢ ثم نقل إلى الجانب الشرقي وخوطب بأقضى القضاة سنة ٥٥ فاستمر على ذلك... فلما توفي رتب قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي الشافعي نقلاً من التدريس بالمدرسة البشيرية[1]...

= أصل الأسرة البابانية أو من امرائها وتنسب إلى هؤلاء وهو الأقرب وأما القول بانه ـ فافاً ـ فمنقول عن النسخة السريانية وسيأتي الكلام عن البابان في العهد العثماني.

(١) ابن الفوطي.

٢ ـ القاضي فخر الدين عبدالله بن عبد الجليل الطهراني الراوي الحنفي.

٣ ـ الشيخ الصالح الزاهد محمد بن السكران ودفن في رباطه بناحية المباركة من الخالص. والتفصيل عنه في ابن الفوطي. ومرقده معروف اليوم قرب الجديدة من انحاء الخالص.

حوادث أخرى:

١ ـ سقط في هذه السنة وفر كثير كان سمكه في السطوح دون الشبر.

وقائع سنة ٦٦٨هـ (١٢٦٩م)



ولاية الموصل وشحنتها:

في هذه السنة رفع البابا على مسعود البرقوطي والي الموصل وأشموط الشحنة بما وصل من الأموال إليهما فأخذا وحوسبا وعزلا وسلمت الموصل إلى البابا وجعل معه بعض امراء المغول شحنة.

وقائع في بغداد:

١ ـ تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية يقبض الماء من دجلة ويرمي إلى مزملتها ثم يجري تحت الأرض إلى بركة عملت في صحن المدرسة. ثم يخرج منها إلى مزملة عملت تجاه ايوان الساعات خارج المدرسة وجدد تطبيق صحنها وتبييض حيطانها وكان المتولي لذلك شمس الدين الخراساني (صدر الوقوف).

٢ ـ ثم أمر بعمارة مسناة مسجد قمرية بالجانب الغربي وكانت قد

خربت في زمن الخليفة المستعصم عند زيادة دجلة وغرق بغداد وعمل موضعها سكراً من الخشب وبقي إلى الآن فتقدم بتجديده وعمله كما كان أولاً.

٣ ـ تقدم بترتيب الشيخ نور الدين علي بن الاطلبي الحنفي مدرساً بالبشيرية عن فخر الدين الطهراني المتوفى في السنة الماضية.

حادثة اغتيال:

في ١٥ جمادى الآخرة ركب علاء الدين صاحب الديوان لصلاة الجمعة فلما وصل إلى المسجد الذي عند عقد مشرعة الابريين نهض عليه رجل وضربه بسكين عدة ضربات فانهزم كل من كان بين يديه من (السرهنكية)(١) وهرب الرجل أيضاً. فعرض له رجل كان قاعداً بباب غلة ابن تومة وألقى عليه كساءه ولحقه السرهنكية فضربوه بالدبابيس وقبضوه. وأما الصاحب فإنه أدخل دار بهاء الدين بن الفخر عيسى وكان يومئذ يسكن في الدار المعروفة (بديوان الشرابي) ولما عرف بذلك خرج حافياً وتلقاه ودخل بين يديه وأحضر الطبيب فسبر الجرح ومصه فوجده سليماً من السم وأحضر الجارح وسئل من وضعه فلم يقل شيئاً وعاجله الموت. لكن توهموا أن ذلك بوضع بعض النصارى.

وفيات:

١ ـ توفي الشيخ أبو نصر محمد بن أبي الحسن الخراز الصوفي ببغداد. كان شيخاً ورعاً يقول الشعر. وله ديوان مشهور. . .

وجاء عنه في عقد الجمان أنه الشيخ أبو نصر محمد بن الحسن الحوار الصوفي. . . كان جميل المعاشرة حسن المذاكرة وله:

---

(١) أعوانه وحاشيته من مباشرين وغيرهم. . . والآن رتبة عسكرية معروفة في ايران.

نـهـض الـقـلـب حـيـن اقـبـلـت أجـلا

لا لـمـا فـيـه مـن صـحـيـح الـوداد

ونـهـوض الـقـلـوب بـالـود أولـى

مـن نـهـوض الأجـسـاد لـلأجـسـاد

٢ ـ تقي الدين بن كليب النحوي الواسطي. وكان فاضلاً، شاعراً.

حوادث أخرى:

في هذه السنة غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الحنطة مائة وخمسين ديناراً وكان الخبز يتعذر في الأسواق أكثر الأوقات.

وقائع سنة ٦٦٩هـ (١٢٧٠م)

ذيول حادثة بغداد:

في هذه السنة قتل العدل نجم الدين يحيى بن عبد العزيز الناسخ، وسبب ذلك أنه نسب إلى مكاتبة ملوك الشام فحبس وقرر فاعترف بذلك فأمر بقتله. وكان فاضلاً ورعاً تقياً. والاتهامات في هذه مما يلتفت إليه دائماً.

وفيات:

١ ـ توفي صفي الدين عبدالله بن جميل الجبي. كان أديباً فاضلاً، ظريفاً، خليعاً حسن الأخلاق طيب المحاضرة. من شعراء الديوان أيام الخليفة، وله أشعار حسنة.

٢ ـ توفي الشيخ سراج الدين عبدالله ابن الشرمساحي المالكي، مدرس المستنصرية، وكان عالماً كثير العبادة. ورد زمن الخليفة المستنصر ومعه أخوه علم الدين أحمد، فلما توفي عين أخوه علم الدين موضعه نقلاً من تدريس البشيرية.

وقائع سنة ٦٧٠هـ (١٢٧١م)

عقد نكاح لبنت ابن الخليفة:

في هذه السنة وصل الخواجة شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد الجويني صاحب ديوان الممالك وسأل من الصاحب علاء الدين عمه تزويجه بابنة أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم وهي رابعة فأحضر قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي وجماعة العدول والمشائخ فاشترطت والدتها وهي زوجة علاء الدين قبل العقد أن لا يشرب الخمر وأجاب إلى ذلك فعقد العقد وكتب (كتاب الصداق) بخط بهاء الدين أبي الفخر عيسى الإربلي المنشي فشهد فيه قاضي القضاة وعدلان. وهذه صورته:

«الحمد لله الذي جمع الشمل ونظمه، وقوّى عقد الألفة وأحكمه، وأوثق حبل الاجتماع وأبرمه، وصلواته على سيدنا محمد الذي شرفه وعظمه، ورفع قدره وكرمه، وعلى آله وصحبه الذين أوضحوا منار الايمان وعلمه، وأظهروا برهانه وأناروا ظلمه، وكشفوا لبسه وخصصوا مبهمه.

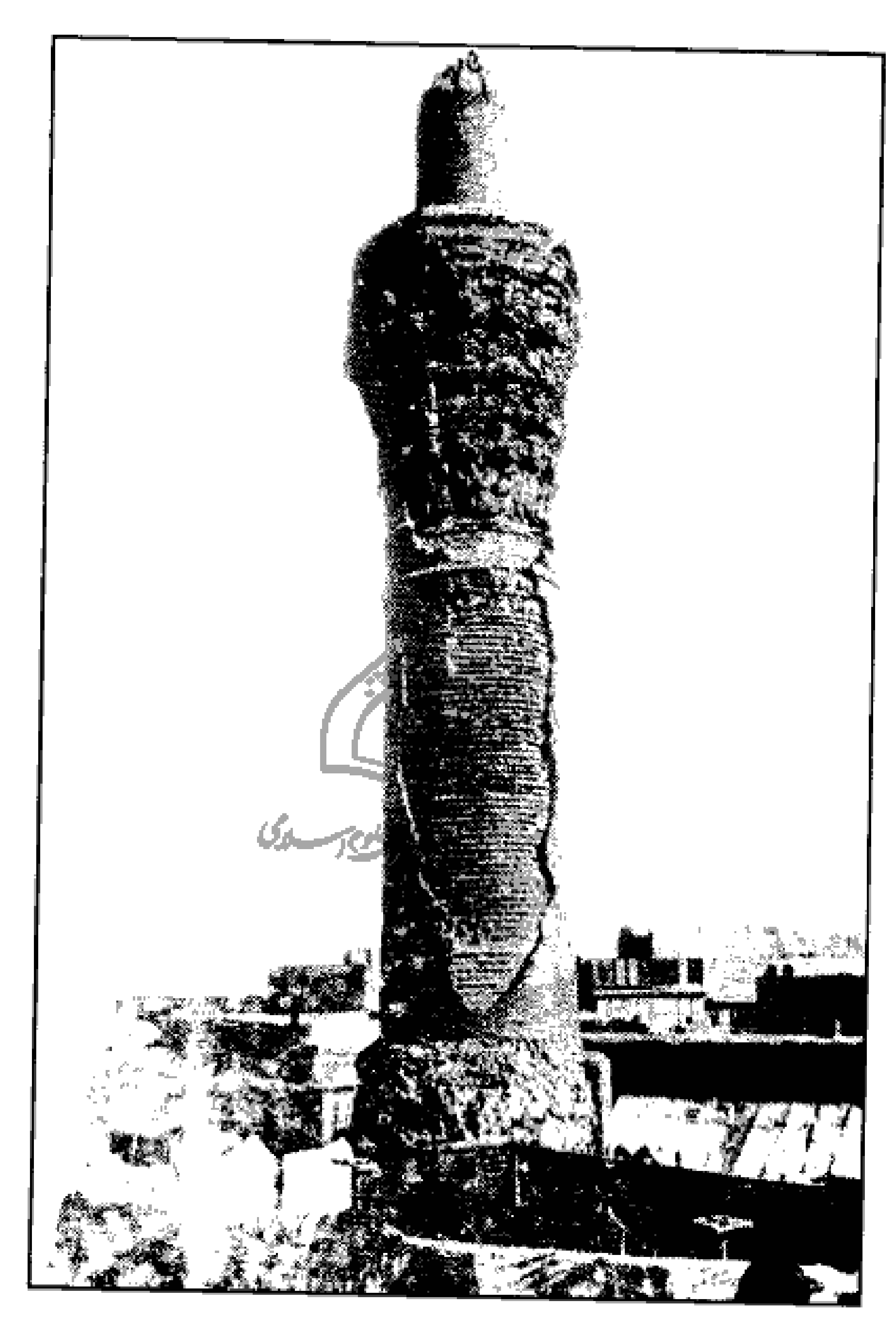
هذا ما أشهد عليه المولى الصاحب المعظم، شرف الدولة والدين، ملك الوزراء مفخر الدنيا، هارون بن المولى الصاحب (المعظم شرف الدولة والدين) الأعظم العادل المؤيد المجاهد المرابط، شمس الدين اصف العهد، ملك وزراء الآفاق، مالك رق المعالي بالاستحقاق، فريد العصر في شرف الخلال وكرم الاخلاق، محمد بن الصاحب المعظم بهاء الدين محمد. أطال الله عمر الخلف، وأهدى الرضوان إلى السلف، في صحة من رأيه الكريم، ونفاذ من تصرفه القويم، ومضاء من سداده المستقيم أن عليه وقبله وفي ذمته، وخالص ماله لزوجته السيدة الجليلة المعظمة المكرمة المقدسة الطاهرة الزكية أمة الله المباركة

المدعوة رابعة اخت البتول الزهراء في طهارة الميلاد وابنة عمها في نسب الآباء والاجداد بنت الأمير الكبير السعيد الشهيد أبي العباس أحمد ابن الإمام السعيد الشهيد أبي أحمد عبدالله الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين (وذكر نسبه إلى العباس عم النبيﷺ) من العين مائة ألف دينار ذهباً عيناً صحاحاً وذلك بحق صداقها الذي تزوجها عليه تزويجاً صحيحاً شرعياً تولي مرشد وشاهدي عدل وتولى هذا العقد الميمون قاضي القضاة شرقًا وغرباً وبعداً وقرباً سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي بإذنها ورضاها فصار المبلغ المشار إليه ديناً لها عليه وحقاً واجباً ثابتاً لازماً وصداقاً حالاً غير مؤجل يؤديه إليها متى شاءت من ليل أو نهار، من غير دفع ولا منع ولا اعتذار، أقر المولى الصاحب المعظم شرف الدين المشهد على نفسه أنه مليء بالنقد المذكور وهو مائة ألف دينار من النقد المعين فيه وفيّ به قادر عليه وقبل ذلك وصحّ قبوله وبذلك جميعه أشهد على نفسه الكريمة في جمادى الآخرة سنة ٦٧٠هـ» انتهى.

وفي ابن أبي عذيبة وتعرف بالسيدة النبوية توفيت معه في سنة واحدة على ما سيجيء ولها منه المأمون عبدالله والأمين محمد وزبيدة قال «قتل زوجها هارون فلم يعلم أحد منهما بموت الآخر وكان صداقها مائة ألف دينار وهذا ما سمع بمثله إلا لملك فإن القائم بأمر الله أصدق خديجة السلجوقية مائة ألف دينار وكذلك المكتفي زوج ابنته زبيدة بالسلطان مسعود بن محمد ملكشاه على صداق مائة ألف دينار.» اهـ[1].

---

(١) ابن أبي عذيبة ج ٥.



منارة جامع الخليفة

تجديد منارة جامع الخليفة[1]:

وفي هذه السنة أمر علاء الدين صاحب الديوان بتجديد منارة جامع الخليفة، وكان صدر الأوقاف يومئذ شهاب الدين علي بن عبدالله فشرع في ذلك وانتجزت في آخر شعبان. ثم سقطت في شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح ولم يتأذ أحد ممن كان هناك.

حريق في سوق المدرسة النظامية:

وفي هذه السنة وقع حريق بسوق المدرسة النظامية فاحترق جميعه وهلك فيه خلق كثير ممن كان في الغرف. وذهب من أموال الناس شيء كثير. فأمر الصاحب علاء الدين بعمارته من حاصل وقف المدرسة.

عمارات أخرى: (في واسط)

وفي هذه السنة أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمارة موضع في نهر جعفر من أعمال واسط سماه (المأمن) وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً وانتقل إليه خلق كثير. وكان التجار المنحدرون إلى البصرة والمصعدون منها يصعدون متاعهم إليه فانتفعوا به وأمنوا على أموالهم وبنى فيه ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي مدرسة.

وفيات:

١ ـ توفي قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي في آخر رمضان ودفن في الضفة التي تقابل ضريح الشيخ معروف (ر)؛ كان في مبدأ أمره فقيهاً، ثم ولي مدرساً في المدرسة البشيرية، ثم نقل إلى القضاء وولي القضاء بعده عز الدين أحمد الزنجاني.

---

(١) هو المعروف اليوم بجامع الخلفاء وقد جاء ذكره في تاريخ الغياثي وأن المنارة كانت قريبة من سوق الايكجية وهم أهل المغازل أو الغزل.



جلوس منكو قاآن

٢ ـ قتل نجم الدين خواجة إمام، كان من نواب الصاحب علاء الدين، قدم معه من خراسان فأثبته فقيهاً بالمدرسة المستنصرية وفوض إليه أمر وكالته في خاصته وقدمه وأعلى مرتبته حتى صار المشار إليه في بغداد وحصل أموالاً عظيمة ثم كفر النعمة واستعد للقول في الصاحب فبلغه ذلك، فقبض عليه وحبسه في داره فنقب الحبس وخرج منه ليلاً والتجأ إلى بعض امراء المغول وضمن له مالاً على أن يوصله إلى السلطان فأدركه الصاحب وقتله[1]...

وقائع سنة ٦٧١هـ (١٢٧٢م)

المدرسة العصمتية:

في هذه السنة تكاملت عمارة المدرسة التي أمرت بإنشائها زوجة علاء الدين صاحب الديوان مجاور مشهد عبيد اللّٰه ﷺ ظاهر بغداد وسميت العصمتية ووقفتها على الطوائف الأربعة وبنت إلى جانبها تربة لها ورباطاً للمتصوفة وفتحت في هذه السنة ورتب بها القاضي عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصري مدرس الطائفة الشافعية وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي مدرس الحنفية وشرف الدين داود الجيلي مدرس الحنابلة، ومجد الدين المعروف بشقير الواعظ مدرس المالكية وخلع على الجميع وعمل بها وليمة وجعلت النظر فيها إلى شهاب الدين علي ابن عبداللّٰه والإشراف عليه إلى من ولي قضاء القضاة ببغداد.

قاضي ومدرس: (وفاته)

وفيها عين تاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصلي الشافعي قاضياً بالجانب الغربي ببغداد وأضيف إليه الدرس بالمدرسة البشيرية.

---

(١) ابن الفوطي.

وكان رجلاً فاضلاً عالماً. له مصنفات مشهورة. فلم تطل أيامه وتوفي في آخر هذه السنة.

وفاة قاض آخر:

وفي هذه السنة توفي أيضاً القاضي مجد الدين أحمد الدوري فجأة.

الخواجة شرف الدين والمدرسة النظامية:

وفي هذه السنة جلس الخواجة شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين بن الجويني صاحب ديوان الممالك على السدة (بالمدرسة النظامية) وألقى دروساً وحضر علاء الدين صاحب الديوان عمه وكافة أرباب الدولة والمدرسون والعلماء والفقهاء تحت سدته. وأنشد الشعراء بعد فراغه.

نائب القاضي ببغداد: (وفاته)

في هذه السنة رتب قاضي القضاة عز الدين أحمد ابن الزنجاني عز الدين أبا العز أحمد[1] بن جعفر البصري نائباً عنه في القضاء ببغداد وقد توفي بعد ذلك بقليل أي لم يكمل السنة ودفن عند الجنيد وكان عالماً فاضلاً ولي تدريس النظامية بعد واقعة بغداد ثم نقل إلى تدريس مدرسة الأصحاب ودرس في المدرسة العصمتية عند فتحها وناب في الحكم والقضاء كما تقدم.

وفاة ابن القاسم الموصلي:

توفي تاج الدين عبد الرحيم بن محمد الموصلي من بيت الفقه

(١) ورد اثناء الكلام على المدرسة العصمتية بلفظ محمد «تاريخ الفوطي».

والرياسة. ولد سنة ٥٩٨هـ وسمع وحدث وصنف، واختصر الوجيز والمحصول، وله طريقة في الخلاف[1]...

وقائع سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٣م)

السلطان آباقا خان في بغداد:

في هذه السنة وصل السلطان آباقا خان إلى بغداد وفي خدمته الأمراء والعساكر والخواجة نصير الدين الطوسي وعبر دجلة وتصيد في أراضي قوسان[2] حتى بلغ قريباً من واسط. ثم عاد إلى بغداد ونزل بالمحوّل.

وأمر بالإحسان إلى الرعايا وتخفيف التمغات وحذف الأثقال عنهم وكتب ذلك على حيطان باب جامع المستنصرية.

ثم أقطع المحول بلغان خاتون.

فلما انقضى الشتاء عاد إلى مقر ملكه.

وأما الخواجة نصير الدين الطوسي فإنه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وادرّ أخباز الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها.

اضافة تستر وأعمالها:

وأمر السلطان بإضافة تستر وأعمالها إلى علاء الدين صاحب

---

(١) عقد الجمان ج ١٩.

(٢) بالضم ثم السكون وسين مهملة وآخره نون، كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط ونهره الذي يسقي زروعه يقال له الزاب الأعلى. كذا في معجم البلدان. وهذا الزاب هو النيل كما في مراصد الاطلاع.

الديوان وكانت أيام الخلافة مرتبطة ببغداد وتعد من أعمالها فتوجه الصاحب إليها وتصفح احوالها وعين بها نواباً وبهذا صارت إحدى ألوية العراق فذكروا له أن بها رجلاً يدعي النبوة وقد أتفق معه جماعة وقد نقص لهم من الفروض صلاة العصر وعشاء الآخرة فأمر بإحضاره وسأله عن هذه الحال فرآه ذكياً عارفاً ببعض العلوم فأمر بقتله فقتل وسلم إلى العوام وأخذ أكثر من كان قد اتبعه. وهذا كان صبياً من ابناء التجار اسمه كي اشتغل بحفظ القرآن والفقه والاشارات والنجوم وكان ينظم شعراً بالفارسية فادعى أنه عيسى ابن مريم وقال إن بلغت من العمر ثماني وثلاثين سنة تم امري. ونظم شعراً يتضمن ذلك فقيل ولم يبلغ ما ذكره من العمر.

تعيين مدرسين:

وفي هذه السنة عين نجم الدين محمد بن أبي العز البصري مدرس الطائفة الشافعية بمدرسة الأصحاب، ونصير الدين الفاروقي مدرس المدرسة النظامية[١].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

علاء الدين صاحب الديوان في واسط:

وفي هذه السنة انحدر علاء الدين صاحب الديوان إلى واسط وقبض على فخر الدين مظفر ابن الطراح وأصحابه ونوابه وأخذ منهم أموالاً كثيرة وعزله ورتب عوضه شمس الدين محمد ابن البروجردي[٢].

الأبهري الزمهرير:

وفيها أحضر عماد الدين محمد بن حسن الأبهري المعروف

---

(١) ابن الفوطي.

(٢) ابن الفوطي.

بالزمهرير تقدم بعض الخواتين إلى الخواجة نصير الدين الطوسي بمشيخة رباط الخلاطية فرتبه عوضاً عن شمس الدين ابن اليزدي. وكان شيخاً لم يخالط الصوفية ولا عرف قواعدهم ولا تأدب بآدابهم وكان الناس يولعون به فقال له يوماً شمس الدين الكوفي الواعظ أنا وأنت لا نرى الجنة فتأثر لذلك واغتاظ منه فقال له إن اللّه تعالى يقول **﴿لا ترون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾**. ولم يزل شيخاً بالرباط إلى سنة ٦٧٧هـ ثم سافر وأعيد ابن اليزدي إلى الرباط.

وفيات:

١ ـ قتل النقيب تاج الدين علي بن رمضان بن الطقطقي بظاهر سور بغداد وثب عليه جماعة من أهل الحلة وضربوه بالسيوف وكان السلطان ببغداد فلم يزل الصاحب علاء الدين يفحص عن قاتليه حتى حصلهم وقتلهم ثم أخذ أملاكه بشبهة ما بقي عليه من ضمان الأعمال الحلية.

والطقطقي من آل طباطبا علوي وهو والد صفي الدين محمد صاحب (تاريخ الفخري) كما عليه أهل الأنساب قتله علاء الدين عطا ملك الجويني بتحريض من أخيه شمس الدين الجويني حينما علم منه أنه شكا أحواله لدى السلطان فأرسل إليه الشكوى بعينها، وحينئذ عزم على الوقيعة به ودبر ما يلزم فكانت القاضية عليه قال في عمدة الطالب:

«تاج الدين علي بن محمد بن رمضان يعرف بابن الطقطقي، ساعدته الأقدار حتى حصل من الأموال والعقار والضياع ما لا يكاد يحصى، ومن غرائب الاتفاقات التي حصلت له أنه زرع في مبادىء احواله زراعة كثيرة في أملاك الديوان وهو إذ ذاك صدر الأعمال الفراتية، وأحرز ما تحصل له من الغلات في دار له كان قد بناها ولم يتمها وفصل حسابه مع الديوان وقد بقي له بقية صالحة من الغلات،

فأصاب الناس قحط شديد، وسعر النقيب تاج الدين في بيع الغلات فباع بالأموال ثم بالاعراض، ثم بالاملاك، وكان يضرب المثل بذلك الغلاء فيقال غلاء ابن الطقطقي نسب إليه لأنه لم يكن عند أحد شيء يباع سواه... وترقى أمره إلى أن كتب إلى السلطان أبقا بن هلاكو في عزل صاحب الديوان واقامته عوضه ووعده بأموال جزيلة وإشارة كفايات غريبة فوقع كتابه إلى الوزير شمس الدين الجويني فأخذ قرطاساً وكتب فيه:

كم لي انبه منك مقلة نائم
يبدي سباتاً كلما نبهته

فكأنك الطفل الصغير بمهده
يزداد نوماً كلما حركته

وجعل كتاب النقيب فيه وأرسله إلى أخيه فاستعد صاحب الديوان وتقرر أمره عنده على أن أمر جماعة بالفتك به ليلاً ففتكوا به وهربوا إلى موضع ظنوه مأمناً أمرهم بالمصير إليه صاحب الديوان فخرج إليه من ساعته إلى ذلك الموضع فقبض على اولئك الجماعة وأمر بهم فقتلوا واستولى على أموال النقيب وأملاكه وذخائره...» اهـ[1].

وبهذا نجا للمرة الأخرى من الشكاوى الموجهة إليه والتدابير المرتبة لإسقاطه والوشايات عليه...

وسيأتي الكلام على ابنه صفي الدين محمد صاحب الفخري وبيان علاقته بالجويني... في حوادث سنة ٧٠١هـ.

٢ ـ في منتصف ذي القعدة توفي الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ببغداد. وكان شيخاً جواداً مواصلاً لكل من يسترفده واشتهر ذكره بالكرم. تولى شحنكية واسط والبصرة وكان حسن السيرة

---

(١) عمدة الطالب ص ١٦٠.

عظيم الناموس ودفن في مشهد علي(رض) ورثاه الشعراء بأشعار كثيرة منها قول ابن الكبوش البصري من قصيدة هذا منها:

يـــزدحـــم الـــقـــول حـــيـــن أمـــدحـــه
كـــجـــوده والـــوفـــود تـــزدحـــم
كـــأنـــمـــا الـــنـــظـــم مـــن ســـهـــولـــتـــه
يـــنـــظـــمـــه قـــبـــل نـــظـــمـــه الـــكـــلـــم

والقصيدة طويلة راجع عنها الفوطي.

٣ - وفي ثامن ذي الحجة توفي الخواجة نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد الطوسي ودفن في مشهد موسى بن جعفر(ع) (الكاظمية) في سرداب قديم البناء، خال من دفن قيل إنه كان عمل للخليفة الناصر لدين الله.

ترجمته:

اشتهر هذا الرجل كاشتهار هلاكو خان ورافق في الغالب اسمه في حادث بغداد اسمه اتصل بهلاكو خان إثر القضاء على الملاحدة الإسماعيلية ويقال إنه كان سجيناً عندهم. وقد ترجمه علماء كثيرون منهم صاحب فوات الوفيات وصاحب الوافي بالوفيات وصاحب عقد الجمان وصاحب الشذرات وغيرهم جماعة. والكل شهد بسعة علمه وبمقدرته البارزة سواء في مؤلفاته، أو في استهوائه لهذا الرجل القهار (هلاكو) أو بنائه الرصد بمراغة، وقصة بناء الرصد واعتراض هلاكو عليه في المقادير وجوابه عنها مفصل في فوات الوفيات وغيره، واستخدامه علماء كثيرين لهذه المهمة...

وغالب ما يوجه عليه اللوم والتنديد من جراء مناصرته لكافر وتحبيذه اكتساح بغداد استناداً إلى ما اوحاه له علم الطالع ووقيعته بالخليفة، وإيعازه بقتله وتسليطه على بلاد المسلمين...

ولا أرى ما رآه صاحب الوافي بالوفيات من أنه نصيري ويعتقد ما يعتقدون وأنه كتب رسالة في النصيرية فلم تعرف هذه عنه وإنما هو مشبع بعقائد غلاة المتصوفة أمثال الحلاج وابن سبعين وأبي يزيد البسطامي ففي رسالته (أوصاف الأشراف) صراحة بذلك، يرى الاتحاد والوحدة، أو الظهور بصورة لا تقبل الارتياب... وفي كتابه (اخلاق ناصري) نراه إلى الباطنية أقرب وذلك أنه كان في خدمة علاء الدين محمد بن حسن الإسماعيلي ومحتشم قهستان ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور ولهذا الأخير ترجم كتب الحكمة والأخلاق من العربية إلى الفارسية فكان محترماً عنده وبمؤلفاته أيد مذهب الإسماعيلية وتعاليمهم[1] وقد

---

(١) قلت (وبمؤلفاته أيد مذهب الإسماعيلية وتعاليمهم) ومستندي ما جاء في تاريخ مفصل ايران قال:

«كان الخواجة نصير الدين في طوس واشتهر هناك في العلوم والفضائل فاستدعاه الإسماعيلية في قهستان وكان لهم المساعي البليغة في طلب العلوم وجمع الكتب وجلب العلماء.. فصار الخواجة إلى خدمة علاء الدين محمد بن حسن الإسماعيلي ومحتشم قهستان ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور وكان هذا الأخير محباً للفضل وأهله، وله رغبة في ترجمة كتب الحكمة والاخلاق من العربية إلى الفارسية فكان الخواجة محترماً لدى المحتشم المزبور، فبادر في تأليف ما يؤيد نحلة الإسماعيلية فترجم (تطهير الاعراق) أو (كتاب الطهارة) تأليف أبي علي ابن مسكويه ترجمه من العربية إلى الفارسية وهذبه فأبرزه بكتاب (أخلاق ناصري)، عمله لناصر الدين المذكور، وكان في قلاع الملاحدة» اهـ. (تاريخ مفصل ايران ص ٥٠٢).

وفي روضات الجنات عن أخلاق ناصري أنه (استخلصه من كتاب الطهارة لأبي علي ابن مسكويه، والذي أخذه أبو علي من حكماء الهند وغيرهم وتوجد فيه الرخصة في شرب الخمر على وجه مخصوص منحوس».

هذا والمعروف أن آخر مؤلفاته (التجريد) في عقائد الشيعة وفيها عيّن معتقده، فلا قول في أنه من الشيعة الإمامية، وله (قواعد العقائد) مطبوع أيضاً... وكانت تحمل مماشاته الإسماعيلية على التقية...

وقد أورد صاحب روضات الجنات قائمة بأسماء مؤلفاته. ومما لم يذكره (كتاب =

ترجم له تطهير الاعراق وكتاب الطهارة وأبرزهما بشكل (اخلاق ناصري) وهو مطبوع مراراً في ايران[1].

وأساساً أنه لم يحصل بينه وبين الإسماعيلية خلاف فهو متصل بهم... وما ينسب إليه من الخلاف السياسي فلم نعثر له على أصل صحيح.

أما مؤلفاته في عقائد الشيعة كالتجريد فإنها تعين معتقده وأن كان يرمى بأنه ممن يكتبون تبعاً لرغبات الآخرين... ومؤلفاته كثيرة... والمطبوع منها أوصاف الأشراف، والتجريد، وزبدة الهيئة (فارسي)، وأخلاق ناصري...

وفي القسم الأدبي والعلمي من هذا التاريخ سوف نناقش هذه النواحي ونتحرى المعتقد بالاستناد إلى نصوص قطعية وثابتة... ونبدي قولنا الفصل فيه... فلا نلتفت لما قيل دون تمحيص.

وهنا نقول إن أعمال هذا الرجل مصروفة إلى مناصرة العلماء والحكماء، وأنه حينما ورد بغداد عام ٦٦٢هـ تصفح أحوال بغداد، ونظر

= روضة التسليم) ألفه سنة ٦٥٠هـ جاء في كتاب (هفت باب) المسمى (كلام پير) كلام عليه (كتاب هفت باب ص ٥٧).

ويلاحظ أن المترجم كان حين ورود هلاكو ايران اتصل بعلماء الصين، وأن الطوسي بأمر من هلاكو اقتبس الزيج الايلخاني من عالم صيني جاء إلى ايران يدعى (توميجي) كان قد استفاد منه كثيراً مما يتعلق بقواعد علم النجوم فكان بينهما تبادل علمي واتصال وثيق. كما أن الخواجة رشيد الدين اقتبس كثيراً من علمائهم... (اسلامده تاريخ ومؤرخلي).

هذا وقد عيّن صاحب جامع التواريخ أنه توفي يوم الاثنين وقت الغروب في ٧ ذي الحجة سنة ٦٧٢هـ وكان قد ولد يوم السبت ١١ جمادي الأولى سنة ٥٩٧هـ. (جامع التواريخ ج ٢ ص ٥٥٨).

(١) تاريخ مفصل ايران ونفس كتاب الأخلاق وكتاب أوصاف الاشراف.

أمر الوقوف والبحث عن الاجناد والمماليك... وفي هذه المرة جمع من العراق كتباً كثيرة لأجل الرصد الذي وضعه بمراغة عام ٦٥٧هـ وعين فيه جماعة يتولون عمله إلى أن انتجز سنة ٦٧٢هـ؛[١]. وتنسب إليه رسالة في واقعة بغداد وحوادثها لا تفترق عن الوقائع المعلومة[٢]...

وقد وصفه الفوطي بقوله:

«كان فاضلاً، عالماً، كريم الأخلاق، حسن السيرة، متواضعاً، لا يضجر من سائل، ولا يرد طالب حاجة. ولد سنة ٥٩٧هـ ورثاه الشعراء فمما قاله بهاء الدين ابن الفخر عيسى الإربلي المنشي فيه وفي الملك عز الدين عبد العزيز النيسابوري المذكور:

ولما قضى عبد العزيز بن جعفر
وأردفه رزء النصير محمد
جزعت لفقدان الاخلاء وانبرت
شؤوني كما ارفض الجمان المبدد
وجاشت إليّ النفس حزناً ولوعة
فقلت تعزي واصبري فكأن قد

وترجمته مبسوطة في روضات الجنات أيضاً... وله المكانة الكبرى لدى الشيعة وأساساً فضله وقدرته العلمية مما لا ينكر..

حوادث أخرى:

ظهر جراد كثير وأكل الغلات وسائر الزروع وخوص النخل وورق الأشجار في الحلة والكوفة وبغداد.

---

(١) حوادث ٦٥٧هـ من تاريخ الفوطي».

(٢) ونشرت هذه الرسالة معربة من الفارسية في مجلة المرشد البغدادية إلا أنها مغلوطة... «المجلد الرابع ص ٢١ من المرشد» ومثبتة كذيل لتاريخ جهانكشاي في بعض النسخ الخطية.

وقائع سنة ٦٧٣هـ (١٢٧٤م)

صدر الحلة:

في هذه السنة رتب فخر الدين مظفر ابن الطراح صدر الحلة والكوفة والسيب.

مدرس المدرسة المغيثية:

وفي هذه السنة أيضاً رتب الشيخ محيي الدين محمد بن المحيا العباسي مدرساً بالمدرسة المغيثية.

قاضي الجانب الغربي ببغداد:

وعين القاضي نظام الدين محمود الهروي المعروف بشيخ الإسلام قاضياً بالجانب الغربي من بغداد. فعين الشيخ محيي الدين المذكور نائباً عنه في القضاء.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفيات:

١ - توفي السيد النقيب جمال الدين محمد ابن طاوس بالحلة ودفن عند جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي روضات الجنات أنه أحمد بن طاوس عالم مشهور صاحب مؤلفات وهو أخو السيد رضي الدين علي المذكور سابقاً. ولعله اشتهر بلقبه فالتبس اسمه... أخذ عن فخار بن معد، وعن الشيخ نجيب الدين ابن نما وغيرهما ومن تلاميذه الحسن بن داود صاحب الرجال وتفصيل القول عنه مبسوط في كتب الرجال العديدة[١]...

---

(١) روضات الجنات ص ١٩.

٢ ـ توفي نجم الدين منصور بن المؤذن. كان يخدم في زمن الخليفة ناظراً بالحجر البر ورتب بعد واقعة بغداد في الديوان مشاركاً للنواب ولم يزل على ذلك إلى الآن. وكان حسن السيرة مشكور الطريقة.

٣ ـ مات العلم الشرمساجي أخو سراج الدين المالكي وهو مدرس المالكية بالمستنصرية.

وقائع سنة ٦٧٤هـ (١٢٧٥م)

في هذه السنة عين الشيخ محيي الدين محمد بن المحيا العباسي خطيباً بجامع المدينة المعروف (بجامع السلطان) ولصلاة العيدين بالمدرسة المستنصرية. وشرط الواقف أن لا يخطب بها إلا هاشمي عباسي. ولم يخطب بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمي سواه.

نقيب الكاظمية:

وفيها عزل أمين الدين مبارك الهندي الجوهري من نقابة مشهد موسى بن جعفرعليه السلام وعين في النقابة نجم الدين علي ابن الموسوي. ولما كان مبارك المذكور نقيباً قال فيه بعض الشعراء:

رأيـت فـي الـنـوم إمـام الـهـدى
مـوسـى حـلـيـف الـهـم والـوجـد

يـقـول مـا تـنـكـبـنـي نـكـبـة
إلا مـن الـهـنـد أو الـسـنـد

تـحـكـم الـسـنـدي فـي مـهـجـتـي
وحـكـم الـهـنـدي فـي ولـدي

فـلـعـنـة الـلّـه عـلـى مـن بـه
تـحـكـم الـسـنـدي والـهـنـدي

وفيها رتب الشيخ جمال الدين عبداللّه ابن العاقولي مدرس مدرسة

الأصحاب ورتب نجم الدين بن أبي العزّ البصري نائباً عن قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني في القضاء ببغداد.

وفاة مؤرخ عراقي كبير:

في هذه السنة توفي تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان ابن عبيدالله البغدادي السلامي المعروف (بابن الساعي)المؤرخ.

ترجمته:

ولد سنة ٥٩٣هـ وكان اديباً فاضلاً وإماماً حافظاً له مصنفات كثيرة جداً آخرها (كتاب الزهاد) **وجد عليه بخط الشيخ زكي الدين عبدالله بن حبيب الكاتب:**

ما زال تاج الدين طول المدى
من عمره يعنق في السير
في طلب العلم وتدوينه
وفعله نفع بلا ضير
علا علي بتصانيفه
وهذه خاتمة الخير

كان خازن كتب المستنصرية ومن مؤلفاته (مشيخته بالسماع والإجازة) في عشر مجلدات. قرأ على ابن النجار تاريخه الكبير ببغداد وقد تكلم فيه. قال الكازروني وله أوهام انتهى. وفي تذكرة الحفاظ أن الظهير الكازروني قد طول في ترجمته وسرد تصانيفه وهي كثيرة... وقال صاحب الشذرات هو شافعي المذهب ونقل عن ابن شهبة في طبقاته أنه كان فقيهاً، بارعاً، قارئاً بالسبع، محدثاً، مؤرخاً، شاعراً لطيفاً؛ كريماً له مصنفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ منها تاريخ في ستة وعشرين مجلداً...

ونجد ترجمته في الفوطي والشذرات وغيرهما كالذهبي وعقد الجمان... وهو من مشاهير المؤرخين وأكثر النقول عن وقائع بغداد أيام حوادث التتر عنه وعن الفوطي والكازروني... ممن له مكانته المعروفة في التاريخ...

وقد طبع ببولاق مصر عام ۳۰۹هـ مختصر أخبار الخلفاء كما أن مختصر سير الملوك قد طبع في بيروت ومر النقل عنه... وقد طبعت من تاريخه الكبير قطعة تحتوي على الحوادث من سنة ٥٩٥هـ إلى سنة ٦٠٦ وكان طبعها ببغداد سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) طبعة معتنى بها في تعليق هوامش وعمل فهارس مترجمة ضافية للمؤلف...

وفيات آخرين:

١ ـ سقط ركن الدين ابن النقيب محيي الدين نقيب الموصل بفرسه إلى دجلة ببغداد وكان مجتازاً على الجسر...

٢ ـ توفي تاج الدين علي بن عبدوس. كان من كبار المتصرفين ببغداد.

٣ ـ تقي الدين مبارك بن حامد بن أبي الفرج الحداد. كان من كبار علماء الشيعة عارفاً بمذهبهم وله صيت عظيم بالحلة والكوفة وعنده دين وأمانة[1].

٤ ـ ابن ورخز البغدادي:

عبدالله بن علي بن مكي بن جراح بن علي بن ورخز البغدادي. أبو محمد بن أبي القاسم الخباز أبو عبد الرحيم سمع من عبد العزيز.. ومن أبي الفتح أحمد بن علي بن الحسين الغزنوي ومن أبي أحمد

---

(١) الشذرات ج ٥ ص ٣٤٤.

الأكمل بن أحمد بن مطر العباسي وأبي محمد عبد العزيز بن سعود بن الناقد وأبي العز مشرف بن علي الخالصي وأبي زيد بن يحيى بن هبة الله ومن الشيخ محيي الدين أحمد بن صالح البريدي ومن الانجب بن أبي السعادات الحمامي وحدث. سمع منه الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ببغداد وذكره في معجمه، ونجم الدين عبد العزيز بن عبد القادر البغدادي بالنظامية ببغداد سنة ٦٧٢هـ. وأجاز لأبي العباس أحمد بن محمد الكازروني. وكان رجلاً صالحاً. مولده في يوم السبت خامس المحرم سنة ٦٠٣هـ وتوفي في ليلة السبت السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٧٤هـ ودفن بمقبرة الإمام أحمد[1].

حوادث أخرى:

١ ـ في هذه السنة وقع ببغداد وفر كثير على الأرض مقدار شبر. وهبت ريح شديدة واظلم الجو فخاف الناس وانزعجوا وعادوا بالتضرع إلى اللّه تعالى والاستغفار حتى انكشف وتأخر وقوع الغيث في هذه السنة فخرج الناس إلى ظاهر بغداد للاستسقاء مشاة يتقدمهم قاضي القضاة عز الدين أحمد ابن الزنجاني وخطب الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ. ثم خرجوا من الغد كذلك وخطب الشيخ عماد الدين ذو الفقار مدرس الشافعية بالمستنصرية. ثم خرجوا في اليوم

---

(١) منتخب المختار مخطوط في تاريخ بغداد انتخبه محمد بن أحمد بن علي الحسني المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٨٣٢هـ من تاريخ الحافظ تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ الذي هو ذيل تاريخ بغداد لابن النجار وكان الفراغ من انتخابه ومقابلته في شعبان سنة ٨٣٠هـ بمكة والأصل في ثلاثة مجلدات أو أربعة رأى صاحب الدرر الكامنة بعضه بخط مؤلفه. قال صاحب كشف الظنون هو في غاية الاتقان. وكان المؤلف درس على علماء بغداد.. وهذه النسخة من المنتخب هي الاصلية وبخط أحمد بن علي المقري اليمني المتوفى سنة ٨٦٣هـ بمكة...

الثالث وخطب الشيخ ظهير الدين محمد بن عبد القادر فلم يسقوا ماء الغيث إنما زادت الفرات عقيب ذلك وسقت الزروع.

٢ ـ وفي آذار جاء برد عظيم جمد الماء منه وأتلف الأشجار ووقع في نيسان ببغداد برد كبار أهلك الزروع وقتل المواشي والغنم والطيور.

وقائع سنة ٦٧٥هـ (١٢٧٦م)

وقائع المغول:

في هذه السنة سار الملك الظاهر البندقدار بعساكره إلى بلاد الروم فخرج المغول إلى لقائه وكانوا نحو ثلاثة آلاف فارس فالتقوا به في قيسارية وقاتلوه فاستظهر عليهم وقتل أكثرهم وانهزم الباقون.

وقائع بغداد:

في هذه السنة تكرر وقوع النار في أسواق بغداد ومساكنها من منتصف المحرم إلى آخر صفر فلم يخل الانذار بوقوعها ليلاً ونهاراً. واشتد خوف الناس لذلك. وأمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل حياض في دروب بغداد وأن تملأ ماء ويستعد الناس في السطوح بالماء لإطفاء النار ولم يعلم سبب ذلك. إنما كان الإنسان يرى النار في كيسة داره أو خصها...

وحكي أن بعض الفقراء كان نائماً على الجسر فاستيقظ والنار في خلقانه واشتغل الناس بحفظ مساكنهم ولم يبق لهم اهتمام بغير الرصد لما يقع من الحريق وإطفائه.

وفيات:

١ ـ توفي شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالله الهاشمي الكوفي الواعظ ببغداد وهو من مشاهير شعراء هذا العصر وفي الفوطي

كثير من قصائده ومقطوعاته وقد تقدم ذكر بعضها أثناء الكلام على مصاب بغداد... وكان ولي التدريس بالمدرسة النشّية...

وجاء في فوات الوفيات بلفظ شمس الدين محمود وأورد جملة صالحة من شعره[1].

٢ ـ أبو محمد التكريتي:

هو عبد السلام بن يحيى بن القاسم بن المفرج التكريتي أخو أحمد ابن عبد الرحمن وهو الأكبر تفقه على والده وحفظ القرآن وقرأ الأدب وبرع فيه. وله النظم والنثر والخطب والمكاتبات والمصنفات الأدبية. ولد سنة ٥٧٠هـ وتوفي سنة ٦٧٥هـ وقد ذكر في فوات الوفيات جملة من شعره[2].

٣ ـ التلعفري:

الأديب البارع شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني التلعفري الشاعر المشهور. ولد في الموصل سنة ٥٩٣هـ واشتغل بالأدب ومدح الملوك والأعيان وكان خليعاً، معاشراً، امتحن بالقمار... توفي سنة ٦٧٥هـ وديوانه طبع في بيروت سنة ١٣٢٦هـ[3].

٤ ـ أبو إسحق البرهان الخياط:

إبراهيم بن أحمد أبي المفاخر الازجي أبو إسحق الخياط المنعوت بالبرهان. سمع من أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر القطيعي، وعلي ابن أبي بكر بن روزبة وأبي النجا عبدالله بن عمر بن اللتي، ومن محمد ابن محمد بن السباك، ومن عبد اللطيف بن محمد القبيطي، وحدث

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٦٦.
(٢) كذا ج ١ ص ٣٥١.
(٣) كذا ج ٢ ص ٣٤ والشذرات ج ٥ ص ٣٤٩.

سمع منه أبو محمد عبد العزيز بن أبي القاسم بن عثمان البغدادي البابصري، وأجاز لشيخنا أبي إسحق إبراهيم بن عمر الجعبري، وأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الكازروني. توفي هذا الشيخ في ليلة الجمعة خامس محرم سنة ٦٧٥هـ ببغداد ومولده سنة ٦٠٦هـ[١].

وقائع سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م)

قتل والي الموصل ونصب غيره:

في هذه السنة أنهى مسعود البرقوطي والي الموصل وأشموط[٢] الشحنة بها إلى السلطان آباقا خان أنهما ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل فأمر بتحقيق ذلك. فلما علموا حسابهما أثبتوا أن البابا كان على الباطل فيما اعتمده معهما فأمر بقتله فقتل وولاهما الموصل وإربل فعادا برأسه وطافا به وعلق على باب الجسر.

غرق بغداد:

في هذه السنة زادت دجلة وغرق ببغداد عدة أماكن وانفتح في القورج فتحة عظيمة فخرج علاء الدين صاحب الديوان وكافة الولاة والأكابر والعوام وأخذ الصاحب باقة شوك وضعها على فرسه فلم يبق أحد إلا وفعل مثله ونزل الصاحب وعمل بيده وتكاثر الناس وتساعدوا فاستدركوها وسدوها.

برد في بغداد:

وفي آذار وقع برد كبار أتلف كثيراً من الزروع في الحلة ونهر ملك ونهر عيسى.

---

(١) المنتخب المختار.

(٢) ورد بلفظ «اشموت».

خصومة في ثلاثة فلوس:

وفي هذه السنة تحاكم نفران عند قاضي بغداد في ثلاثة فلوس. وقيل إنه في سنة ٦٥٢ تحاكم رجلان عند قاضي تكريت في نصف درهم.

وفيات:

١ ـ توفي بهاء الدين أحمد بن عثمان البروجردي ببغداد.

٢ ـ ثم توفي أخوه شمس الدين محمد في جمادى الآخرة.

٣ ـ توفي العميد شمس الدين علي بن الأعوج. كان حمالاً ثم صار بائعاً للغلة والتمور في الخانات. كان أمياً، ثم تولى (تمغات بغداد) فأثرت حاله مع الناس والمتصرفين وأهل البيوتات والمروءة وواصلهم وأحسن إليهم، وتجمل تجملاً ظاهراً وصار له المماليك... وبقي على ذلك مدة، ثم رتب صدر الأعمال الحلية والفراتية، فلما قدم ششي بخشي والأمراء لتصفح حال العراق قال في علاء الدين صاحب الديوان أشياء، فلما انتصر الصاحب وعاد إلى منصبه عزله وأخذ أمواله، فرقت حاله وسافر إلى توريز (تبريز) فمات بها.

٤ ـ توفي الشيخ مجد الدين عبد الصمد بن أحمد البغدادي الحنبلي المقرىء أمام مسجد قمرية، ثم نقل إلى مشيخة رباط دار سونيسان وبعد واقعة بغداد رتب خازنًا بالديوان، ثم أعيد إلى مسجد قمرية. ولد سنة ٥٩٣هـ[١].

٥ ـ توفي عز الدين عبد السلام بن الكبوش البصري الشاعر. سكن في آخر وقته في المدرسة النظامية، وكان مولعاً بالكيمياء وقد أورد له الفوطي جملة من شعره.

---

(١) الفوطي وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٥٥ والشذرات ج ٥ ص ٣٥٣.

٦ ـ نجم الدين علي اسفنديار بن موفق الدين البغدادي بدمشق. عاش ٦٠ سنة وهو واعظ مشهور، حسن الإيراد، وله لطف شمائل، وبهجة محاسن، توفي في رجب[1].

وقائع سنة ٦٧٧هـ (١٢٧٨م)

ضريبة واضطراب:

في هذه السنة ورد تقدم إلى علاء الدين صاحب الديوان باستيفاء خمسين ألف دينار بالعسف والقهر. ثم أمر بإثبات الادؤر ببغداد فأثبتت جميعها وطالبوا أربابها بالأجرة عنها عن شهرين. فبينما هو على ذلك وصل من طلبه إلى الأردو المعظم للموافقة على ما نسب إليه من مكاتبته سلطان مصر والشام، وقبض على شرف الدين علي بن اميران كاتب الإنشاء وطوق وحمل صحبته. وقبض على حمزة التكريتي التاجر ونهبت داره وطوق وحمل صحبته أيضاً.

وانفرد مجد الدين ابن الأثير باستيفاء ما قرر على الناس فغلقت الأسواق واختفى أكثر الناس فطولب النساء بما قرر على رجالهن، ولم يخلص من هذا أحد حتى أن العلويين والقضاة والعدول استوفي منهم بالقهر والمضايقة العنيفة...

وكذلك جرى في أعمال بغداد جميعها.

أما الصاحب علاء الدين فإنه حيث قوبل على ما نسب إليه ظهر كذب القائل فأمر بقتله وحملت اطرافه إلى البلاد. وكتب الصاحب إلى بغداد مع الواصلين برأس المذكور كتاباً قرىء ببغداد في الجامع بعد صلاة الجمعة مضمونه:

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٥٥ والشذرات ج ٥ ص ٣٥٣.

«ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه»، إن الله تعالى ألطافًا خفية ترى في أول الأمر خشنة جفية، ويحسب الجاهل أنها نقمة، فإن انتهت عرف كل احداثها نعمة، ومعنى هذا الكلام، لا يخفى على الخاص والعام، وذلك فضل الله في إيراد كل امر وإصداره، وقد اردنا أن نوضح من أول الأمر إلى آخره كيفية الحال جلياً، ونتلو عليكم آيات رحمته التي انزلها علينا بفضله بكرة وعشيًا، فألهمنا اللّه العظيم قوله الكريم ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا اللّه ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل...**﴾ فهذه الآية قضية امورنا التي جرت، وعنه الحال أسفرت، فكأنما انزلت في هذا الشأن، فما احتجنا معها إلى زيادة تفصيل وبرهان، وفي الساعة التي قدم الكذاب المزور بين يدي الامراء ظهر من فلتات لسانه أنه كذب وافترى، فما احتجنا في تكذيبه إلى شاهد يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون:

وهبني قلت هذا الصبح ليل
أيعمى العالمون عن الضياء؟

فلما عرضوا كلامه على الآراء الشريفة برز التقدم المطاع لا زال نافذاً بعرضه على السيف على ملأ من الناس وأنفذوا يديه إلى بغداد وإلى الروم الرأس، ونادوا في الأسواق هذا جزاء من يقدم على عبيدنا المخلصين بالزور والالتباس، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد للّه رب العالمين. وحيث نعرف التفات قلوب أهل بغداد حفظهم الله من كل سوء وفساد أنفذنا الأمير محمداً يبشر بطيبة نفوسنا ليعلموا خلو بالنا من كل ما يكدر بواطنهم ويشوش خواطرهم ويعلم أن كل ما يصل من خير وفضل هو بصالح دعاء أهل بغداد وحسن نيتهم وصفاء قلوبهم فليقابلوا هذه المراحم بإعلان الدعوات الصالحات لهذه الدولة القاهرة التي ما اندحض فيها حق ولا غلب فيها باطل ونحن واصلون عقيب هذا إن شاء الله». انتهى.

ووصل بعد ذلك شرف الدين بن اميران والصاحب علاء الدين بعده.

شغب آخر على الصاحب:

وفي هذه السنة التجأ إلى تتارقيا شحنة بغداد رجل يعرف بالمنجم ابن حسين ويلقب بالكيباية كان من دلالي العقار يتمسخر ويضحك بنفسه ويضحك عليه من يعاشره...

وكان سبب قربه من الشحنة التزامه بأحمد الشريدار. وهذا أحمد من أهل واسط يعرف بابن بقا أسر في الواقعة ثم خلص وخدم في بغداد في اسطبل اليام ثم صار يتولى عصر الشراب في شرابخانة الديوان فصار له قرب بالشحنة والتزام تام فأثرت حاله واشتهر اسمه فشرع في البحث عن أحوال صاحب الديوان وعرف باطن حاله وما يعتمده. ثم إنه اتفق هو والكيباية على أن نسبا أكابر أهل بغداد إلى مكاتبة سلاطين الشام باتفاق صاحب الديوان فتحدث الكيباية بذلك عند الأمراء والحكام فأحضروا صاحب الديوان وجماعة من الأكابر الذين نسبهم إلى المكاتبة واستعادوا كلامه فقال أشياء كثيرة فطولب بالبرهان على صحتها فلم يقدر على ذلك. فلما شدد عليه وضويق قال إني كاذب في كل ما قلته والذي بعثني على الكلام نصرة الدين ابن أرغش وأخوه وولده فأحضروا وسئلوا عن ذلك فاعترفوا به وقالوا إن تتارقيا الشحنة وضع القائل على ما قاله فأمروا بحبس الجميع واحضر ابن بقا الشريدار وسئل عن الحال فاعترف بها فسلم إلى صاحب الديوان فأمر بحبسه فحبس أياماً ثم عمل له حجلة وسمر عليها وجعل على رأسه مسخرة كان ببغداد يعرف بالموصلي يصفعه بنعل ويروحه به ثم يبول عليه والناس يمدون الحجلة بالحبال في الأسواق والدروب في جانبي بغداد فأخذ في سب الصاحب وبسط لسانه فيه فنفذ إليه من قال له إن

الصاحب قد عفا عنك وأمر بتخليصك من الحديد على أن يقطع لسانك فإن آثرت ذلك فأخرج لسانك لنقطعه فأخرجه فوضعوا فيه مسلة فامتنع من الكلام. وما زالوا يعذبونه بمد الحجلة واضطرابها إلى آخر النهار ثم قطع رأسه ووضع مكانه رأس معز بأسلحته وطيف به وأحرق العوام جثته ورفع رأسه على خشبة وطيف به.

ثم إن ابن أرغش أحضر رجلاً من العرب وأعطاه كتباً ملصقة وأشار إليه ان يقول هذه سلمها إلى صاحب الديوان. فلما قال ذلك اخذ وحبس. أما الكيبابية فإنه قال إن فخر الدين بغدي بن قشتمر كان أيضاً من جملة الجماعة الذين اتفقوا على المكاتبة مع ابن ارغش فأحضر وسئل عن ذلك فأنكر فوكل به فقال الكيبابية إن العدل جمال الدين أحمد ابن عصية هو كان يكتب عن بغدي فأحضر وسئل فأنكر فوكل به.

ثم إن الصاحب عرف صدق العدل وبراءة ساحته فأفرج عنه وخلع عليه وتقدم له بمال ولم يزل الكيبابية والبدوي في السجن إلى أن توجه الصاحب إلى الأردو المعظم وأخذ بهما صحبته وقتلا هناك. وفي هذه وسوابقها لسان حاله يقول: «وكم مثلها فارقتها وهي تصفر».

ظهور مفسدين ببغداد:

وفي هذه السنة ظهر ببغداد صبيّان من الشطار يعرف أحدهما (بابن الحماس) والآخر (بالتاج الكفني) وانضم إليهما جماعة من الجهال وقويت شوكتهم وانتشر ذكرهم فأعمل صاحب الديوان الحيلة حتى احضر ابن الحماس إليه وعين عليه والياً في الشرطة فبقي على ذلك أياماً واستعفى فعفاه وجعله ملازماً باب داره ثم أشار إليه بإحضار التاج الكفني فأحضره وطيب قلبه وجعله رفيقاً له فكبس جماعة من اهل الحلة بباب الصاحب في بعض الليالي عليهما فلم يظفروا بهما ولا يمكن الصاحب من تحصيلهم.

ثم إن قتادة نائب الشرطة حكى لصاحب الديوان عن ابن الحماس والكفني أشياء من الفساد والتجريء على الناس وتكليفهم سراً وتخويفهم إن امتنعوا عن مساعدتهم فجمع بينهم وسئل قتادة عما قاله عنهما فقال أشياء أثبتها عليهما فأمر بقتلهما وطيف برأسيهما. فكبس على قتادة بعض اصحابه فأمر صاحب الديوان بنبش جثتي ابن الحماس والكفني وحرقهما.

عزل ناصر الدين قتلغ شاه:

وفي هذه السنة عزل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي من الأعمال الواسطية ورتب بها فخر الدين مظفر بن الطراح.

القضاء بالجانب الغربي: (وفاة القاضي)

وفيها أعيد صدر الدين محمد بن شيخ الإسلام الهروي إلى القضاء بالجانب الغربي من بغداد وتدريس المدرسة البشيرية فبقي على ذلك مدة شهرين وأصبح ميتاً فقال أكثر الناس إن ابنه خنقه. وكان قد ولي القضاء قبله والتدرس بالبشيرية ابن يونس الموصلي. وتوفي بعد ذلك بشهور قليلة فقال زين الدين ابن الدهان:

اظن قاضي القضاة ايده اللّـ
ـه إلى كردكوه ينتسب
إذ كل قاضٍ يقضي إلى الجا
نب الغربي يقضي وماله سبب
يا صاحب الملك يا عطا ملك
يا من به المكرمات تكتسب
ولّ الأعادي اللئام لجانب الغر
بي فصل القضا وقد نكبوا

نقل من يوجد له قبر:

في هذه السنة رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نوراً متصلاً بالسماء وفي صبحها قال بعضهم إنه رأى قبراً فيه أحد أولاد الحسن بمحلة الهروية فانهال الناس لزيارته ثم شرعوا في عمارته وتواترت بعد ذلك أخبار العوام يرون المنامات وكثرة الظواهر وتحدثوا بقيام الزمنى والمرضى وفتح أعين الأضراء ونقل قوم عن قوم أشياء لا أصل لها غير أهوية العوام وبطل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك فتقدم صاحب الديوان بنقل كل من يوجد له قبر إلى مشهد موسى ابن جعفرعليه‌السلام ففعلوا ذلك وسكن العوام.

دعوى:

ثم حضر بعض من يدعي أنه علوي وزعم أنه رأى في منامه ما يدل على ظهور قبر بعض أولاد الائمةعليهم‌السلام بتل الزبيبة فانهرع العالم إليه فلما كشفوا التراب عنه وجدوا صبياً مقتولاً وعليه قميص وفي جيبه كعاب كان يلعب بها فعرفه بعض الناس وقال هذا ولدي وإني فقدته منذ أيام وذكر فيه علامات فلما لمح بان صدقه ووجدوا عند رأسه صخرة عليها مكتوب هذا قبر عمر بن عبدالله فلما أخبر صاحب الديوان بذلك عزم على قتل العلوي الذي اخبر به فسأله أكابر الناس الصفح عنه فأجابهم إلى ذلك وافتضح المشار إليه بين العالم وعرفوا قلة دينه وفساد عقله.

وهذه نقلها صاحب (غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة عن الغبار) بشكل آخر قال «ظهر ببغداد سنة ٦٧٥هـ بتل الزبيبة وهي محلة من محال مدينة السلام قبر زعم جماعة أنه قبر عبدالله الباهر... وبنوا عليه الأبنية الجليلة ووضعوا عليه ضريحاً... وها هو إلى اليوم من المشاهد المعتبرة وليس بصحيح ما زعموه فإن عبدالله

الباهر مات بالمدينة ودفن بها[1]...

وفيات:

١ - توفي بهاء الدين حسن بن محاسن التاجر الصرصري.

٢ - توفي أيضاً عبد الغني بن الدرنوس ودفن في داره وكان في مبدأ أمره يعمل في (الكلة) مع ارباب تنانير[2] الآجر وهو الذي ينقل اللبن إلى التنور ثم يحطه بعد طبخه ثم ولع بالطيور الحمام فكتب في جملة البراجين بدار الخليفة ثم ترقت حاله إلى أن صار مقرباً عند الخليفة يراسل به الوزير ويشاوره في الأمور ويعمل برأيه ولقب (نجم الدين) ورتب بعد واقعة بغداد خازناً بالديوان ثم نقل خازناً إلى الكارخاناه فبقي على ذلك إلى أن مات[3].

٣ - الشيخ نجم الدين البادراني البغدادي. ذكره صاحب عقد الجمان.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

حوادث سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م)

سعال:

فسد الهواء في أكثر بلاد العجم والموصل وبغداد والحلة والكوفة وواسط والبصرة وجميع نواحي العراق. فأصاب الناس السعال وكثر ذلك فيهم حتى صار الطباخون في الأسواق يعملون المزاوير حسب وغلا الماش والعدس والحمص والسلق ودام ذلك شهوراً.

---

(١) ص ٦٦ من الكتاب وهو للسيد تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني نقيب حلب. طبع ببولاق مصر سنة ١٣١٠هـ.

(٢) تعرف اليوم بالكورة.

(٣) الفوطي. قد مضى الكلام عنه نقلاً عن الفخري.

تزييف النقود:

نسب جماعة من أهل بغداد إلى ضرب الدراهم الزيوف فأخذ بعضهم وضرب فأقر على جماعة منهم نجم الدين حيدر بن الايسر وكان من أعيان المتصرفين وأمر الصاحب بقطع ايدي جماعة منهم ابن الاخضر كان ينقش السكة، وقرر على ابن الايسر مالاً فأدّاه.

غلاء:

انقطعت الغيوث في هذه السنة وغلت الأسعار وتعذرت الأقوات ومات أكثر المواشي.

عمارة منارة جامع الخليفة:

تمت عمارة جامع الخليفة وكانت قد سقطت في شهر رمضان سنة ٦٧٠هـ وهذا هو المعروف بجامع الخلفاء وقد سبق الكلام عليه والآن أعيد بناؤها بإتقان وهي المعروفة بمنارة سوق الغزل وقد أشير إلى النقل عن تاريخ الغياثي واسمها لا يزال معروفاً بالسوق المجاور لها (الايكجية) وهو سوق الغزل أو المغازل... ولا يزال سوق الغزل والمغازل معروفاً إلى اليوم... والجامع كان كبيراً فصغر...

عمارة مسجد معروف الكرخي:

وكملت عمارة الشيخ معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد على شاطىء دجلة أمر بعمارته شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك. وكان قد خرب لما غرقت بغداد سنة ٦٥٣هـ. كذا في التاريخ المعروف بابن الفوطي مع أن المشهور إلى اليوم أنه خارج البلد من جانب الكرخ...

وفيات:

١ ـ توفيت شمس الضحى شاهلتي بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن أيوب زوجة علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب الديوان فدفنت في التربة التي انشأتها مجاور مدرستها المعروفة بالعصمتية ظاهر بغداد عند (مشهد عبيداللّه)[1] وكانت كثيرة الصدقات والإحسان والمبرات كانت تحب أهل بغداد وترى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم. كانت أولاً لأبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم باللّه وهي والدة ابنته رابعة التي تزوجها الخواجة شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني. ورابعة هذه لها من هارون ثلاثة أولاد زبيدة والأمين والمأمون. . . وزبيدة هذه سيأتي الكلام عليها في حوادث سنة ٧٠٦هـ عند وفاة ظهير الدين محمد بن الحسن الصرصري زوجها. . . ولشمس الضحى من علاء الدين بنات إحداهن زوجة الشيخ صدر الدين الجويني. . .

٢ ـ توفي بهاء الدين محمد ابن الصاحب شمس الدين الجويني وكان ملكاً بأصفهان ظالماً سيىء السيرة متفنناً في الظلم جدد القتل بالقنارة[2] التي كان وضعها البساسيري في ايامه وقد نسيت لطول العهد بها.

٣ ـ توفي كمال الدين علي ابن الصلايا العلوي. كان قد ولي نهر ملك فالتقاه جماعة من المغول ومعه نفر قليل من اصحابه فقتلوهم وكتفوه وألقوه في دجلة فسار نحو فرسخ فوجده بعض صيادي السمك

---

(١) وعبيد الله هذا ابن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وقبره يقال له«قبر النذور» في مقبرة باب البردان عند المصلى المرسوم بصلاة العيد. مصلى الأعياد، في الجانب الشرقي من مدينة السلام راجع «تاريخ بغداد ج١ ص ١٢٣».

(٢) القنارة لا تزال شائعة لفظتها وينطقها العوام «كنارة» ويقصدون منها آلة الصلب، وفي تاريخ المغول نرى أنواع العقوبات مما لم يقررها شرع وفيها مثلة.

فأخرجه وبه رمق وكان الزمان شتاء فدثروه وحملوه إلى المدائن فعاش بعد ذلك عدة سنين وظهر عليه رمد فكان سبب وفاته.

الحج:

وفي هذه السنة حج جماعة من العراق وعادوا سالمين.

حوادث سنة ٦٧٩هـ (١٢٨٠م)

منصب مشرف الممالك:

في هذه السنة اتصل مجد الدين اليزدي الذي كان ينوب عن عماد الدين القزويني ببغداد بعد فتحها بالسلطان (أباقا خان) وتحدث في الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين فرتبه مشرفاً (في جميع الممالك) وعين بها نواباً وكانت علامته مشرف الممالك.

عمل جسر لتستر:

وفي هذه السنة أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر وحمله إلى تستر مكملاً بسلاسله وآلاته فنصب تحت البند عند دزدبول[1].

غلاء في بغداد:

وفي هذه السنة غلت الأسعار ببغداد واشتد الغلاء وانسلخ العام على ذلك.

حادثة غريبة:

وفيها دخل تاج الدين عمر الهمذاني كاتب الكارخانة[2] إلى علاء

---

(١) هكذا لفظها ابن الفوطي، والمعروف أنها دزفول أو كما ينطقها الناس دسبول.

(٢) تكرر ذكر هذه اللفظة وقد جاءت في ترجمة ابن الدرنوس ولفظها ابن الفوطي =

الدين صاحب الديوان وبين يديه مسخرة اسمه علي فادعى علي المذكور بمال فأنكر ذلك فقال للصاحب لي عليه بينة ولي فيه علامة وقد كنت طالبته من قبل فجحد فلكمته وكسرت بعض أسنانه فتقدم إليه ان يريني فمه فلما فتح فاه لطمه المسخرة بدقيق كان في يده فطار في خياشيمه فاختنق في الحال.

ابن ميثم:

هو الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني صاحب شرح نهج البلاغة. كان من العلماء المبرزين في فنون عديدة، وشهد له النصير الطوسي بالتبحر في الحكمة والكلام... صنف شرح نهج البلاغة للصاحب الخواجة عطا ملك الجويني. كان ورد بغداد ومن مصنفاته شرحه الصغير على نهج البلاغة، وكتاب الاستعانة، وكتب النجاة في الإمامة، وكتاب شرح الإشارات للشيخ علي بن سليمان البحراني وهو استاذه مات في البحرين سنة ٦٧٩هـ في قرية هلتا من قرى الماخونة وقبر جده ميثم في قرية الدونج(١).

حوادث سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م)

قدوم السلطان آباقا خان:

في هذه السنة قدم السلطان آباقا خان إلى بغداد. وكان قد ارسل

= كارخاناه ويراد بها دار الحكومة، أو محل اعمالها «الدائرة أو المصلحة». ولا تزال تطلق على بعض المعامل في بغداد وتلفظ «كرخانة».

(١) كنز الاديب. وكتاب الدر المسلوك في أحوال الأنبياء والأوصياء والخلفاء والملوك. لأحمد بن الحسن العاملي. رأيت منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأستاذ الجليل محمد أحمد المحامي.

أخاه منكوتمر[1] وعدة من الجند في آخر السنة الماضية إلى الشام حيث كاتبه سنقر الاشقر يسأله انفاذ جيش ليأخذ به الشام ومصر وكان الاشقر المذكور قد حارب الملك المنصور الألفي فجهز عليه الألفي ستة آلاف فارس مقدمهم أيبك الحلبي فلما قرب من دمشق خرج سنقر الاشقر لقتاله في اثني عشر الفاً فالتقوا واقتتلوا ساعة فانهزم اصحاب الاشقر. ومضى الاشقر في خواصه إلى عيسى[2] بن مهنا بنواحي الرطبة فأقام هناك وراسل السلطان أباقا خان، فجهز إليهم خمسين ألف فارس جعل عليهم أخاه منكو تمر فدخل بهم الشام أما الاشقر فإنه لما بلغه مسير منكو تمر إليه ندم على ما فرط منه وأخذ عياله وأصحابه ولحق بقلعة صهيون وتحصن بها. فنزل منكوتمر على الرطبة وحصرها مدة أربعين يوماً ولم يحضر سنقر الاشقر إليه وتحصن بقلعة صهيون. فلما رأى ذلك بالغ في القتل والنهب والخراب. ثم سار يريد دمشق فخرج الألفي منها في جيوشه ونزل إليه سنقر الاشقر من القلعة وسار معه فالتقوا بالقرب من حمص واقتتلوا فانهزمت المغول وقتل منهم خلق كثير وعادوا إلى بغداد ثم انحدروا إلى السيب وأطراف بلاد واسط فنهبوا من الاعراب المفسدين خلقاً كثيراً وعادوا إلى بغداد ومعهم الاسرى والأموال...

الصاحب علاء الدين:

ونزل من الجيش في هذه السنة خلق كثير في الأدؤر ببغداد وأخرجوا أهلها منها وقبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه وسلم الصاحب إلى (مجد الملك) فاستوفى منه أموالاً كثيرة وبيع من اعلاقه وأسبابه جملة طائلة ودوشخ وألقي تحت

---

(١) منكوتيمور.

(٢) وعيسى بن مهنا هذا رئيس آل فضل أمير العرب من طيىء وكانت له المنزلة العالية عند حكومة سورية... راجع حوادث سنة ٦٨٣هـ.

(دار المسناة)[1] التي بأعلى بغداد على شاطىء دجلة مكتوفاً عليه قميص واحد وكان البرد شديداً جداً وضرب خواصه وخدمه وأتباعه واستوفيت الأموال منهم.

وكان قد انضم إلى مجد الملك في الرفع على الصاحب علاء الدين رجلان نصرانيان احدهما من بيت الجمل بغدادي اسمه عبد اليشوع والآخر من ماردين اسمه يعقوب. وقالا فيه قولاً كثيراً وكشفا من أحواله وأموره أشياء.

وقد حكى علاء الدين ذلك كله مفصلاً في رسالته (تسلية الإخوان) وبين الإهانات من ضرب وقيد وتحكم فيه ما يقشعر منه بدن الإنسان إلا أنه أفرج عنه في ٤ رمضان لسنة ٦٨٠هـ وبهذا التاريخ ختم رسالته المذكورة[2]...

وفاة السلطان آباقا خان:

أما السلطان فإنه توجه إلى بلاد الجبل. فلما وصل همذان مرض فعهد بالملك إلى ابنه ارغون وكان بخراسان واشتد مرضه فتوفي في ذي الحجة فسارت الرسل إلى أخيه (منكوتيمور) بالخبر فصادفوا الرسل من

---

(١) ويقال إنها البناية الموجودة في القلعة ولا تزال بقاياها قائمة وكانت أيام الترك العثمانيين قد اتخذت بمقام متحف للأسلحة القديمة على اختلاف أنواعها، وزيارتها تشعر بأنها ليست من صنع العصور المتأخرة والظاهر من وصف الفوطي أنها هي أو من الأبنية المماثلة، القريبة منها، ولا يصح القطع ما دامت الصلة مفقودة...

وأقول: كانت آنئذ في إدارة محمد المندو الملازم الأول مأمور الاسلحة إلى آخر أيام العثمانيين في العراق، وهو حي يرزق إلى هذا اليوم (١ أيلول سنة ١٩٣٦) وعاد اليوم متحفاً بديعاً وأجريت فيه تحسينات مهمة ويسمى بـ (القصر العباسي) ونشرت دار الآثار رسالة في وصفه وتصوير بقايا رسومه.

(٢) خلاصتها في مقدمة جهانگشاي جويني وفي تاريخ مفصل ايران.

اصحابه تخبر السلطان آباقا خان بوفاته وهذا من غريب الاتفاق وكانت وفاته بسبب انهماكه في الشرب في مرض هذيان السكارى. وفي دائرة المعارف الإسلامية أنه توفي في أول نيسان سنة ١٢٨٢م.

ترجمة السلطان آباقا خان:

قد مر من الوقائع ما ينبيء عن ناحية من حياته وقد كتب عنه مؤرخون كثيرون من معاصريه فمنهم من أوضح وقائعه في سورية وبلاد الروم مثل ابن العبري، ومنهم من بسط القول عن وقائعه في العراق كالتاريخ المنسوب للفوطي، ومنهم من اشبع وقائعه وفصلها عن حوادث المغول والقفجاق كالخواجة رشيد الدين، ووصاف وكانت طاحنة جداً... وقد أوضحت دائرة المعارف الإسلامية علاقاته مع الغربيين كما أن البستاني وصاحب شجرة الترك قد بينا وقائعه بصورة عامة...

ومن هذه كلها أو مجموعها نحصل على فكرة صادقة وصحيحة عن حياة هذا السلطان...

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

وحاصل ترجمته أنه ولي الحكومة لمدة ثماني عشرة سنة في خلالها قام بأعمال كبرى من اصلاحات كتخفيض الضرائب. ومن حروب كبرى أهمها انفصاله عن حكومة المغول الاصلية ووقائعه مع القفجاق، واتخاذه الوسائل السياسية المهمة للانتصار على سورية ومصر فأنشأ علاقات مع الغربيين ففي سنة ٦٧٣هـ (١٢٧٤م) وصلت وفوده إلى ليون وفي سنة ١٢٧٧م إلى روما فنالوا مكانة لدى الغربيين ومن ثم راسله كل من ادوارد الأول ملك انكلترا عام ١٢٧٤م والبابا كلمنت الرام سنة ١٢٦٧م وغريغوار العاشر (١٢٧٤م) ونقولا الثالث (١٢٧٧م) ومع كل هذا لم يتمكن من الانتصار على حكومات مصر وسورية بل خذل في بعض هذه الحروب بمخذولية كبرى... وكان قد تزوج ابنة ملك القسطنطينية التي كان ابوه خطبها وتوفي قبل وصولها إليه فبنى بها آباقا

خان سنة ١٢٦٥م وكان في أيامه وأيام والده علماء كثيرون ذاع صيتهم مثل الخواجة نصير الدين الطوسي وغيره. وقد مضى ذكر جماعة من المؤرخين والعلماء في العراق كما أنه سيأتي القول عن الباقين في بغداد وسائر انحائها فلا تزال بقايا رجال العباسيين وعلمائهم ومن تلقى العلوم عنهم في العراق وفي خارجه... وقد رأى العلماء توجهاً زائداً وحماية كبرى بسبب شمس الدين الجويني وأخيه علاء الدين... إلا أن هؤلاء رأوا نكبة في أواخر أيامه بوشاية من مجد الملك اليزدي الذي توصل إلى ارغون بها...

وفي البستاني أنه توفي يوم الأربعاء ٢٠ ذي القعدة بخلاف ما جاء عن الفوطي.

وقال الفوطي عنه إنه كان عمر السلطان آباقا خان نحو خمسين سنة... وكان عادلاً حسن السيرة محباً لعمارة البلاد، ولا يرى سفك الدماء، عفيفاً عن أموال الرعية وفي الشذرات له ترجمة مختصرة وسماه (أبغا). ولا يسع الكلام فيما يتعلق بالعراق بأكثر من هذا...

وقائع أخرى

رباط في مشهد سلمان الفارسي:

وفي هذه السنة عمر ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي رباطاً للفقراء في مشهد سلمان الفارسي رضي الله عنه وأسكن فيه جماعة ووقف عليه قرى بواسط وعدة مواضع ببغداد.

وفيات

١ ـ وفاة مجد الدين صالح بن الهذيل:

توفي مجد الدين صالح بن الهذيل بواسط وكان عمره نيفاً وستين

سنة وكان جواداً كريماً ذا معرفة وكفاءة ومروءة من أكابر المتصرفين بواسط وغيرها خدم بها نائباً في ديوانها في زمن الخليفة ورتب بعد واقعة بغداد صدراً في نهر ملك ونهر عيسى ثم نقل إلى صدرية واسط ولقب (بالملك) ثم اخذ ودوشخ وطولب بأموال واسط واستوفي منه جملة كبيرة وبيعت أملاكه وأسبابه، ثم رتب بعد ذلك حاكماً في إربل، ثم عزل ورتب صدراً في طريق خراسان ثم اخذ وخزم انفه وطيف به ببغداد ثم رتب بعد ذلك ناظراً بقوسان. ثم عزل فرتبه شمس الدين محمد بن البروجردي نائباً عنه في ديوان واسط وفوض إليه تدبير الأعمال فبقي على ذلك إلى أن توفي شمس الدين المذكور وأعيد فخر الدين ابن الطراح إلى صدرية الأعمال الواسطية فرتبه علاء الدين صاحب الديوان مشرفاً عليه فبقي إلى أن توفي...

٢ ـ علاء الدين أبو الحسن اليشكري:

علي بن محمد بن حسن بن نبهان بن سند اليشكري الربعي البغدادي الأصل البصري المولد، الشاعر المنجم، ولد سنة ٥٧٥هـ وتوفي سنة ٦٨٠هـ كانت له اليد الطولى في علم الفلك وحل التقاويم مع النظم وحسن الخط. وكانت وفاته بدمشق. وله شعر أورده صاحب فوات الوفيات[١].

٣ ـ الشيخ موفق الدين الكواشي:

(نسبة إلى كواشة قلعة بالموصل) وهو أبو العباس أحمد بن يوسف الشيباني الموصلي الشافعي. ولد بكواشة سنة ٥٩١هـ كان منقطع القرين... وله تفسير صغير وكبير. أخذ عنه القراءات محمد بن علي بن خروف الموصلي وغيره. توفي في ١٧ جمادى الآخرة[٢].

---

(١) فوات الوفيات ج٢ ص ١٠٧.

(٢) الشذرات ج٥ ص ٣٦٥ وتذكرة الحفاظ ج٤ ص ٢٤٧.

٤ ـ ابن أبي الدنية[1]:

مسند العراق شهاب الدين أبو سعد محمد بن يعقوب ابن أبي الفرج البغدادي. وفي تذكرة الحفاظ ورد أنه ابن أبي الدثنة. ولد سنة ٥٨٩هـ. ولي مشيخة المستنصرية إلى أن توفي في ١٨ رجب[2].

٥ ـ عبد الدائم بن محمود الموصلي:

كان قد سمع وحدث بالموصل، وتفقه بدمشق على الحصيري. مات سنة ٦٨٠هـ وهو أخو عبدالله بن محمود المذكور في صحيفة ٣٧٤ باسم عبدالله بن بلدجي[3].

٦ ـ المجد ابن الجليلي:

عبد العزيز بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم بن سنان بن موسى ابن حسن بن بشر بن إبراهيم التميمي الداري، أبو محمد المنعوت بالمجد المعروف بابن الجليلي. سمع ببغداد سنة ٦٢٠هـ وبعدها من الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي كتاب عوارف

---

(١) اشتبه اسم المترجم واختلف التلفظ به كما مر وجاء في منتخب المختار ما نصه: «محمد بن يعقوب بن أبي الفرج بن عمر بن خطاب بن أبي الدنى هكذا رأيته بخط الحافظ أبي محمد عبد المؤمن الدمياطي في مسوّده، وقال: ويدعى أيضاً أحمد أخو شيخنا عبد الوهاب.
قلت: ويقال ابن أبي الدنيّة وهو أكثر، البغدادي الازجي أبو عبدالله وأبو سعيد الحنبلي المنعوت بالشهاب... سمع منه الحافظ أبو محمد عبد المؤمن الدمياطي والإمام المؤرخ جمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الفوطي... وتفرد بالرواية عن جماعة من شيوخه. عمّر وهو شيخ دار السنة بالمستنصرية. ومولده في ذي الحجة سنة ٥٨٩هـ ببغداد. توفي ابن أبي الدنيا ببغداد في يوم الأحد ١٧ وقيل ١٨ من رجب سنة ٦٨٠هـ» اهـ.

(٢) تذكرة الحفاظ والشذرات ج٥ ص ٣٦٩.

(٣) الفوائد البهية ص ١٠٦.

المعارف... ومن أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبه... ومحمد ابن النفيس بن عبد الوهاب بن سكينة ومحمد بن النفيس بن عطاء وعمر ابن كرم، والأنجب الحمامي. توفي سنة ٦٨٠هـ.

وقائع سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م)

السلطان أحمد ١٦ المحرم سنة ٦٨١هـ

السلطنة بين ارغون وأحمد:

إن السلطان آباقا خان كان قد توفي بالوجه المذكور آنفاً ولم تتفق الآراء على من يخلفه وحينئذ اجتمع الأمراء والصاحب شمس الدين الجويني على رفع ارغون عن التخت وتسليمه إلى أحمد وهذا اسمه في الأصل تكودار[(١)] ابن السلطان هلاكو خان وقد أسلم فجعل اسمه أحمد وهو أول من اسلم من أولاد هلاكو خان. ومن ثم اطلقوا الصاحب علاء الدين من الاعتقال واعتقلوا مجد الملك اليزدي وبعثوا الرسل (الايلچية) إلى بغداد للقبض على الأمير (علي جكيبان)[(٢)]، و(صفي الدولة ابن الجمل كاتب السلة) وغيرهما، ثم ساروا إلى الطاق ليجلسوا السلطان أحمد على التخت فوصلوا إليه وأجلسوه على تخت الملك في ١٦ المحرم قال في الشذرات: اسلم وهو صبي ويسر له قرين صالح وهو الشيخ[(٣)] عبد الرحمن الذي قدم الشام رسولاً وسعى في الصلح...

---

(١) وقد اضطرب المؤرخون في تلفظ اسمه ففي الفوطي «تكدر» وفي كلشن خلفاء «تكدار اوغل» وفي أبي الفداء بيكدار وفي الكتب التاريخية الأخرى غير ذلك وكلها تصحيف والصحيح أنه كما يلفظه المغول «تكودار» أو كما ينطق به العرب «تكدر» بلا اشباع الحركة وفي شجرة الترك ص ١٨٠ توقودار وجاء بالنون غلطاً.

(٢) ورد جكيان وفي فوات الوفيات عند الكلام على ترجمة الصاحب علاء الدين جاء بلفظ «علي بن جكيان» والأول هو المعتبر ولا تزال التسمية بـ «شكيب» معروفة وهي الأقرب.

(٣) سيأتي الكلام عنه في موطنه الشذرات ج٥ ص ٣٨١.

ولما استقر في الحكم أمر بتفريق الأموال المدخرة في الخزائن على أهل بيته وعلى الأمراء وأعاد الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين إلى منصبهما وسلم مجد الملك إلى الصاحب علاء الدين فقتله في يوم الاربعاء ٧ جمادى الأولى سنة ٦٨١هـ على ما جاء في جامع التواريخ[١] وقد حكى علاء الدين الجويني ما جرى بالوجة المتقدم فلم تكن امارة مجد الملك إلا مدة يسيرة فناله جزاء غدره... ومجد الملك هذا هو ابن صفي الدين اليزدي. وكان قد انتسب إلى بهاء الدين بن شمس الدين الجويني في اصفهان ثم توصل إلى ان استخدم لدى شمس الدين الجويني إلا أنه رأى منه ما يكره فاضطر أن يعود إلى يزد، ثم ذهب إلى اصفهان وعاد إلى بهاء الدين ثم صار إلى شمس الدين فأرسله إلى بلاد الروم. وكان رجلاً مفسداً اتخذ الوسائل للقضاء على آل الجويني، فلم يدخر وسعاً في الوقيعة بهم... وفي آخر مرة توصل إلى ارغون بواسطة أحد المقربين من أمرائه وهو (اباجي) وفعل فعلته...!

وفي كلشن خلفا أنه أغرى بقتله فقتله قتلة شنيعة فولي ذلك شرف الدين هارون ابن أخيه وحملت أطرافه إلى البلاد وسلخ رأسه وحمله إلى بغداد وشوى الخربندية لحمه وأكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه... وانتقم منه.

السلطان أحمد والملك المنصور الألفي:

ثم إن السلطان أحمد ارسل القاضي قطب الدين محمود[٢] الشيرازي إلى الملك المنصور الألفي رسالة خلاصتها: إن الله تعالى حبانا بالايلخانية[٣] وأمرنا بالعدل وحقن الدماء فإن اردت الموادعة فنحن

---

(١) وفي وصاف ٤ ذي الحجة من السنة المذكورة.

(٢) وكان إذ ذاك قاضي سيواس «أبو الفداء ص ١٧ ج٤».

(٣) الايلخانية يقصد منها السلطنة المغولية «لغة الجغتاي».



نكف عسكرنا عن قصد بلادك ونفسح للتجار في السفر كيف شاؤوا آمنين فإن فعلت ذلك وإلا فعين للقتال موضعاً واعلم أن الله يطالبك بما يسفك بيننا من الدماء فسار قطب الدين فلما وصل البيرة سير إلى مصر ولم يدخل الشام وأدخل إلى الألفي ليلاً فوقف بين يديه وأدى الرسالة فقال له الترجمان نحن نجيب إلى ذلك وأمر في الحال بإنشاء الكتب إلى سائر البلاد ليتمكن التجار من السفر، ثم أذن لقطب الدين في العود وأمر له بمال وأعيد إلى البيرة[1].

توجه علاء الدين نحو العراق:

ثم توجه علاء الدين نحو العراق. فلما وصل اشنى بلغه أن أرغون سار من خراسان لما بلغه وفاة أبيه السلطان آباقا خان يريد العراق. فأقام في اشنى فأنفذ الكرزدهي والجلال بخشي ونجم الدين الأصغر[2] ومجد الدين ابن الأثير وجماعة من أصحابه ومعهم راس مجد الملك وكتب معهم كتاباً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صورة الكتاب:

وهذه صورته: «من صاحب الديوان أضعف عباد الله تعالى.

أما بعد حمد الله منقذ العباد من الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد.

---

(١) الفوطي. والرسالة بنصها منشورة في تاريخ ابن العبري ص ٥٠٦ وجوابها أيضاً في الكتاب المذكور ص ٥١٠ من سلطان مصر سيف الدين أبي مظفر قلاوون. وفي تاريخ وصاف صكوك المراسلة من السلطان أحمد إلى سلطان مصر ومن هذا إليه ص «١١٣» وما يليها. ومن المقارنة يشاهد الفرق وما لحق من غلط نساخ... والتفاوت بين النصوص ظاهر...

(٢) ورد في الفوطي وفي جهانكشاي بلفظ اصفر بالفاء وفي جامع التواريخ أصفر.

السلام عليكم يا أهل بغداد! أهل الوفاء والوداد. أردنا أن نعرفكم حيث نعرف منكم صدق المحبة وحسن الصفاء والاعتقاد ونطلعكم على ما يرد من جانبنا من بلوغ المرام والمراد وما أسفر الحال من جلية الأمور فيدخل بها بعد الترح على القلوب والصدور ايراد الفرح والسرور فألهمنا إلهام الصدق والصواب ما قاله اصدق القائلين في محكم الكتاب: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ فأغنانا عن الجمل والتفصيل، وكفانا تعب الاطناب والتطويل، وستسمعون من العين والرأس ما لا ريب فيه ولا التباس. وتبيان ذلك ما عرضنا بذكره من حال المسكين المنبوز بمجد الملك الذي أورده سوء نيته وفساد سريرته مورد الهلك فرحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره. وفقنا الله تعالى للقيام بشكر الائمة الصمدانية الأحدية، ودعاء الدولة القاهرة الايلخانية الأحمدية، التي نشرت ألوية الشريعة المحمدية وبسطت يد العدل في الارضين، وكفت عن البلاد والعباد أكف أمثاله من الظالمين، والحمد لله رب العالمين. وقد نفذ ملك الأمراء والنواب جلال الدين والصدر فخر الدين الكرزدهي والنوكرية ليشافهوكم بما شاهدوا من نعم الله تعالى التي تدور علينا من قديم كؤوسها والانعام الصادر عن الحضرة الشريفة الايلخانية التي طلعت من أفق الميامن شموسها. أعز الله سلطانها وأعلى في الخافقين شأنها» اهـ.

وكان وصولهم بغداد في رجب وقرىء هذا الخط في جامع الخليفة قرأه جلال الدين بن عكبر الواعظ وطيف براس مجد الملك في بغداد وشوارعها. ثم دخلوا دار مجد الملك ونهبوا ما كان بها.

وقبضوا على صفي الدولة ابن الجمل كاتب السلة وأصحابه ونهبوا داره وطلبوا الامير علي جكيبان فلم يوجد. وكان قد اتصل به الخبر فانهزم وكان قد وصل مع الجماعة فخر الدين عبد العزيز ابن النيار وفي

حلقه طوق من حديد فوكلوا به في داره. وكان معهم أيضاً صبي مثقل بعتلة من اهل إربل كان يخدم دلالاً في العقار يعرف بعلوش كان قد ادخل نفسه في الشنقصة واذى الناس، وعبد يشوع ويعقوب النصرانيان اللذان تقدم ذكرهما. كانا قد خدما مع مجد الملك وتجردا للقول في صاحب الديوان وأكثرا من ذلك فطيف بهم في بغداد عراة والعوام يصفعونهم ويضربونهم بالآجر. ثم قتلوا بقية اليوم وجر العوام جثتهم وأحرقوهم بباب قلاية النصارى.

ثم وصل الامير منصور ابن الصاحب علاء الدين وأخوه مظفر الدين ونجم الدين الاصغر ومعهم رأس النجم الدلال المعروف بالكيباية. وقد سبق ذكر ما وقع منه، من القول في الصاحب ففرح أهل بغداد بوصولهم وعلق رأس الكيباية بباب النوبي. وكان قتله في إربل.

ثم إن الامير منصور اخرج فخر الدين النيار من السجن ليلاً وقتله في النوفلية ظاهر بغداد فأصبح الناس ووجدوه مقتولاً وكان شاباً مليح الصورة اتصل بمجد الملك وخدمه، وقال في صاحب الديوان أشياء كثيرة. وكان قبل ذلك قد اخذه الصاحب وضربه ضرباً عظيماً. وسبب ذلك ما بلغه عنه من الزيادة في الكلام والغيبة وأنه كان في جماعة منهم رجل من أهل الحلة يعرف بابن الدربي وجرى بينهم حديث نجم الدين بن الدرنوس وحكمه في زمن الخليفة، وإن نجم الدين الاصغر قد استولى في هذه الدولة كما استولى هو فأنشد ابن الدربي أبياتاً لنفسه وهي:

نجمان كل منهما في بلدة
لا ناصح فيها ولا مأمون
وكلاهما ساسا العراق فذاك قد
كان الخراب به وذا سيكون
إن كان تأثير الكواكب هكذا
هذا جنون والجنون فنون

فأمر الصاحب بتحصيل الجماعة فاختفوا أياماً وأمسك الصاحب عنهم واستمر حكم نواب الصاحب علاء الدين في بغداد شهوراً من السنة.

الاضطراب في بغداد و(وفاة علاء الدين):

ثم اختلت الأحوال واضطربت الأمور وتوفي نجم الدين الاصغر نائبه في بغداد في شعبان وتوفي بعده الصاحب في ارّان (مغان) في ٤ ذي الحجة وحمل إلى تبريز فدفن بها، وأن السلطان أحمد نصب ابن أخيه الخواجة هارون ابن شمس الدين مكانه.

وقد اختلفت الأقوال في تاريخ وفاة علاء الدين الجويني سواء في كشف الظنون أو في أبي الفداء وابن الفوطي وجماعة من المؤرخين والمعول عليه ما ذكرناه من تاريخ الوفاة فإنه موافق لما جاء في وصاف وجامع التواريخ وهما من المعاصرين... ويعزى سبب وفاته إلى ما أصابه من تأثر لما قام به ارغون من القسوة بنوابه ببغداد حتى أنه امر أن ينبش نجم الدين الاصغر من قبره ويرمى في قارعة الطريق... بقصد الإهانة...

ترجمة الصاحب علاء الدين الجويني:

هو علاء الدين عطا ملك بن محمد بن محمد الجويني صاحب ديوان خراسان أخو الصاحب شمس الدين كان قد ولد في ١٠ ربيع الأول سنة ٦٢٣ ولي العراق ٢١ سنة وشهوراً. وكان عادلاً حسن السيرة اديباً فاضلاً. جمع تاريخاً للمغول سماه (جهانگشاي) ويعرف بجهانگشاي جويني وله رسائل جيدة منها (تسلية الإخوان) وذيلها وأشعار حسنة.

كان له الحل والعقد ـ كما لأخيه ـ في دولة آباقا، ونال من الجاه

والحشمة ما يجاوز الوصف. وقد مرّ من وقائع بغداد ما يتعلق به أيام ولايته عليها. وفي سنة ٦٨٠هـ قدم بغداد مجد الملك اليزدي فأخذ علاء الدين وغله وعاقبه وأخذ امواله واملاكه وعاقب سائر خواصه بتهمة نهب أموال الدولة واخفائها فصادروا كل ما ملك وتحروا عن جميع ما عنده ورموه بالممايلة إلى حكومة سورية والاتفاق معها، وأن المغلوبيات والوقائع على المغول جرت بسببه... واختلقوا عليه أموراً كثيرة... ولعل العلاقة الصهرية بالبيت العباسي مما قوى التهمة وأيد القول.... ثم إن السلطان أحمد اطلقه وأعاد له سلطته فتمكن من الوقيعة بمجد الملك اليزدي ومن معه... واختفى البعض من مناوئيهم وهرب... فلما ملك ارغون اختفى الاخوان وتوفي علاء الدين بعد الاختفاء بشهر سنة ٦٨١هـ وقد ذكر الذهبي أن علاء الدين في ولايته على بغداد قد عمر ما خربه المغول، وأزال عنهم ما نالهم، وأعاد إلى بغداد... عمارتها، وراحتها... وسعى سعياً بليغاً لذلك وكذلك في تاريخ وصاف وعد من عماراته أنه أجرى نهراً من قصبة الانبار إلى النجف الأشرف وصرف له مبالغ وافرة قدرها بمائة الف دينار ذهباً فتأسست عمارات وقرى في جانبيه وعددها مائة وخمسون قرية فانقلبت تلك الأراضي القاحلة إلى مزارع متصلة... هذا عدا ما مر بيانه. والظاهر أن النهر المذكور هو المعروف اليوم بـ (كري سعده). كما أنه أسس رباطاً في النجف وقد مر القول عنه... وقال صاحب فوات الوفيات:

«كان علاء الدين وأخوه فيهما كرم وسؤدد وخبرة بالأمور وعدل ورفق بالرعية وعمارة للبلاد. وبالغ بعض الناس فقال كانت بغداد أيام الصاحب علاء الدين أجود مما كانت أيام الخليفة. وكان الفاضل إذا عمل كتاباً ونسبه إليهما تكون جائزته ألف دينار. وكان لهما إحسان إلى العلماء والفضلاء. لهما نظرة في العلوم الادبية والعقلية.

وقد مرّ البيان عن بعض شعره وما رثاه به أخوه شمس الدين

الجويني عند الكلام على المراجع التاريخية[1]...

وأكبر اثر له التاريخ المعروف بـ (جهانگشاي جويني) وهذا التاريخ قد اخذ عنه مؤرخون عديدون وبين هؤلاء ابن الطقطقي وإن لم يصرح بالنقل عنه.. وهو خير صفحة كاشفة عن المغول بقلم أحد ولاة بغداد ومؤرخيها وقد مر بنا أن وصفنا الكتاب في المراجع التاريخية وكنا نأمل أن يدون عن قطرنا أيام حكومته فيكون اساساً لغيره خصوصاً جرت وقائع مهمة تدعو للبحث والتدقيق عن صفحة خفية وإن كان تاريخه عاماً يتعلق بالحكومة الاصلية... والمؤرخون مثل وصاف وإن كان يعد بمثابة ذيل لهذا التاريخ إلا أنه لم يكن صادراً من أهله، وذو صلاحية في التدوين...

وعلى كل فقد جمع المؤلف بين السياسة والعلم وتدوين الوقائع والدوبيت المذكور سابقاً يعين علاقته بهذا المحيط وحبه له رغم تظاهره بأنه كلف بحاضرة الأتراك وما فيها من جمال ويكفي للدلالة على ذلك أنه لم يشأ ان يبرح العراق ويفارق بغداد... والأهلون محبون له وراغبون فيه على خلاف ما رأوه من سائر أمراء العجم ممن سيجيء القول عنهم... وقد قال صاحب الشذرات عنه أن امر العراق كان راجعاً إليه فساسه أحسن سياسة. طلب في هذه السنة (سنة ٦٨٣هـ) فاختفى ومات في الاختفاء[2]. والصحيح عن وفاته ما أسلفنا.

وكان قد تزوج بنته الإمام الجليل والصوفي الزاهد الشيخ صدر الدين أبو المجامع ابراهيم ابن الشيخ سعد الدين محمد ابن المؤيد بن أبي بكر بن محمد ابن حمويه الجويني الشافعي. وهو الذي اسلم على يده السلطان غازان بمساعدة من امير نوروز فتابعه المغول في اسلامه

---

(١) ص ١١ وكلشن خلفا ورقة ٣٥ وفوات الوفيات ج٢ ص ٣٥ ووصاف.

(٢) ج٥ ص ٣٨٣.

فدخلوا افواجاً في الدين الإسلامي ونال أيام هذا السلطان حرمة عظمى وتوفي سنة ٧٢٢هـ[١].

والحاصل، نرى أكثر المؤرخين يلهجون بالثناء على علاء الدين وما جاء في وقائع العراق من التنديد به من بعض المغرضين فإنه ناشىء عن عداء وحزبية وإلا فإن الأهلين حينما سمعوا برجوعه إلى بغداد أيام السلطان أحمد سمع لهم دوي فرح وسرور بل عيد وابتهاج[٢]... وكان يرعى العلماء ويلحظ المدارس... وقد مدحه شعراء كثيرون بينهم سعدي الشيرازي، ومما مدح به من عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري:

عطا ملك عطاؤك ملك مصر
وبعض عبيد دولتك العزيز
تجازي كل ذي ذنب بعفو
ومثلك من يجازي أو يجيز

ونسبها الفخري إلى ابن الكبوش البصري توصلاً لذم قائلها ولذم علاء الدين للغضاضة القديمة بينهما[٣]...

وقائع ارغون:

أما ارغون فإنه لما بلغه وفاة أبيه السلطان آباقا خان أقبل من خراسان فاتصل به جلوس السلطان أحمد خان على التخت فتمم المسير إليه وحضر عنده.

ثم رحل إلى بغداد فدخلها في شعبان والأمير علي جگيبان بين

(١) جامع التواريخ.
(٢) كلشن خلفا..
(٣) تاريخ الفخري ص ١٦.

يديه واستنقذ صفي الدولة ابن الجمل كاتب السلة من اصحاب علاء الدين صاحب الديوان وخلصهما مما كانا فيه...

ثم أمر بعمل حساب العراق فعمل وتخلف على الضمناء شيء كثير فطولبوا به وضويقوا عليه. وألزم أهل بغداد بالمساعدة. وأحضر قاضي القضاة عز الدين الزنجاني وقرر عليه وعلى العدول عشرة آلاف دينار واستوفى ذلك بالعسف وكان كل من اختفى من الناس نهبت داره وبيع ما فيها وألزم نواب الأعمال الحلية والواسطية والبصرية وغيرهم بمثل ذلك.

ثم طولب اهل بغداد بأجرة املاكهم عن ثلاثة أشهر فاستوفى من اكثرهم ثم تقدم باعفاء الناس كافة. ثم عاد إلى خراسان في الربيع.

ملحوظة:

الغزو على بغداد ونهب ما يتيسر نهبه والقسوة بالناس صار معتاداً فكأن المدن العراقية خلقت لإعاشة الأشخاص الملقبين بالسلاطين وبالأمراء فلم يلتفت إلى حالهم ولم ينظر إلى ضرورة عمارة المملكة وتفقد أحوال اهلها وضعفائها والنظر في مصالح القوم وراحتهم...

وفيات:

١ ـ فقد الشيخ ظهير أحمد ابن عبد القادر الجيلي الحنبلي من مدرسة جده. ولم يعلم حقيقة حاله وأتهم به أولاد كديدا فوجد سنة ٦٨٦ في بئر داره التي في مدرسة جده. وعرف بخاتم كان في يده.

حكى بعض اصحابه أنه رآه في المنام بعد فقده بثلاثة أيام فسأله عن حاله فقال له يضرب المثل بمن يده تحت الرحا فكيف بمن حصل كله تحت الرحا.

٢ ـ توفي الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ مدرس

الحنابلة بالمستنصرية وكان عالماً، فاضلاً، ورعاً، زاهداً... جلس للوعظ بباب بدر في زمن الخليفة وبقي على ذلك إلى واقعة بغداد، ثم جلس في جامع الخليفة واستمر إلى أن مات وكان له قبول عند العالم.

٣ ـ توفي الشيخ الصالح أسد الدين محمد بن برس شيخ رباط القصر. ولد هو والشيخ جلال الدين في يوم واحد وماتا في يوم واحد.

٤ ـ توفي القاضي الفاضل المحقق شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر ابن خلكان[1]. وكان فاضلاً عالماً تولى القضاء بمصر والشام وله مؤلفات جليلة منها وفيات الاعيان من اشهر الآثار ولد في ١١ ربيع الآخر سنة ٦٠٨ بإربل.

٥ ـ توفي جمال الدين أبو إسحاق يوسف بن جامع بن أبي البركات البغدادي القصصي الضرير النحوي المقرىء الحنبلي الفرضي كان شيخ القراء ببغداد ولد ٧ رجب ٦٠٦هـ بالقصص من أعمال بغداد، انتفع به الناس في العربية والقراءات والفرائض واللغة وفي الذهبي أنه توفي سنة ٦٨٢هـ[2].

٦ ـ كمال الدين أبو البدر محمد الواسطي: محمد بن محمد بن محمود بن النجيب الواسطي الشرقي أبو البدر بن أبي طالب الشافعي المعدل كمال الدين نزيل بغداد. سمع من أبي بكر محمد بن مسعود ابن بهروز، ومن أبي بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن. حدث، سمع منه أبو العلاء الفرضي. وقال: كان شيخاً فقيهاً عالماً فاضلاً عدلاً. سمع بواسط جماعة وقدم بغداد في سنة ٦٢٥هـ وتفقه بالمدرسة النظامية. اهـ.

---

(١) فوات الوفيات وأبو الفداء ج٤ ص ١٧ والشذرات.

(٢) الشذرات ج٥ ص ٣٧٥ وتذكرة الحفاظ ج٤ ص ٢٧٤.

وقال ابن الفوطي لم أسمع منه شيئاً وأجازني جميع مسموعاته مولده سنة ٦٠٣هـ وتوفي في ٣ ذي الحجة سنة ٦٨١هـ وصلي عليه من الغد بجامع القصر الشريف ودفن بمشهد باب التبن بمقابر قريش غربي بغداد[١].

٧ ـ أبو الحسن البغدادي: علي بن أبي بكر بن الكردي الشهرزوري، أبو الحسن البغدادي... شيخ صالح عمل على طريقة السلف الصالح. قليل الكلام، كثير التلاوة، دائم الفكر.. قدم بغداد في صباه... مولده في شهرزور سنة ٦١٢هـ وتوفي سنة ٦٨٢هـ[٢].

❀ ❀ ❀

حوادث سنة ٦٨٢هـ (١٢٨٣م)

ولاية شرف الدين الجويني على بغداد

صاحب ديوان بغداد الجديد:

في رجب من هذه السنة وصل شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك إلى بغداد. وقد فوض إليه تدبيرها وجعل (صاحب ديوانها) على قاعدة عمه علاء الدين فاستبشر الناس بقدومه وحضر الشعراء بين يديه وأنشدوه المديح. **فمما قاله جمال الدين ياقوت المستعصمي الكاتب:**

الحمد لله قد مضى الترح
وقد أتانا السرور والفرح
وجاء صرف الزمان معتذراً
فكل ذنب جناه مطرح

(١) المنتخب المختار.

(٢) المنتخب المختار.

لا تعيبوا الدهر بعدها فبنو
الدهر وأحداثه قد اصطلحوا

لئن عراهم من صرفه محن
لقد تلتها الهبات والمنح

وقد أتاهم بكل ما طلبوا
منهم ووافاهم بما اقترحوا

فهمهم بعد ضعف همته
يبدو عليه النشاط والمرح

⊛ ⊛ ⊛

وكل حزب يسر حزبكم
يربح في سعيه الذي ربحوا

إن ينج من بطشكم بجثته
جان فلم ينج قلبه القرح

أو يتخلف من العدى شبح
فسوف ينزاح ذلك الشبح

يا شرف الدين والذي شرفت
بمدحه المادحون والمدح

ما خلق الله من عطا ملك
باباً لملك عليك ينفتح

آنست بغداد بعد وحشتها
فصدرها باللقاء منشرح

قد جليت بعد طول عطلتها
وزينتها القباب والملح

فدم لأهل العراق ملتجأ
تأسو بجدوى يديك ما جرحوا

وابـق مـدى الـدهـر مـا بـدا قـمـر
ومـا دنـا بـالإيـاب مـنـتـزح

وعين شمس الدين زرديان نائباً عنه.

قضاء وحسبة:

خلع على القاضي بدر الدين علي بن محمد بن ملاق الرقي وفوض إليه أمر القضاء بالجانب الغربي إضافة إلى ما كان يتولاه (من الحسبة) بجانبي بغداد والتدريس بمدرسة سعادة، وعين الشيخ نصير الدين عبدالله ابن عمر الفاروثي مدرس الشافعية بالمدرسة المستنصرية وسلك طريقة عمه في تدبير العراق.

ووصل بعده نظام الدين عبدالله ابن قاضي البندنيجين وقد رتب كاتب السلة بالديوان.

مجد الدين محمد ابن الاثير:

أحضر مجد الدين محمد ابن الأثير وطالبه الوزير بما وصل إليه من أموال الديوان ودوشخ ووكل به أياماً كثيرة واستوفي منه مقدار خمسين ألف دينار. ثم وصل في المحرم سنة ٨٣ من طلبه إلى الاردو وأعيد عليه كل ما اخذ منه ثم ندب للنيابة عن الخواجة شرف الدين هارون فأجاب إلى ذلك وعاد إلى الحكم في الديوان على ما كان عليه فبقي على ذلك مدة شهرين. ثم اخذ وطوق بالحديد وضويق وطولب بمال كثير واستوفي منه مبلغ مائة ألف دينار وحمل إلى الاردو.

ضرائب وتضييقات:

وفي هذه السنة ألزم التجار ببغداد بالقرض والمساعدة وضويقوا على

ذلك وألزم الناس بأجرة مساكنهم عن ثلاثة شهور وطولب ارباب الأموال بإقامة عسكر وقرر عليهم على قدر أحوالهم واستوفي ذلك بالقهر والعسف.

النقود: (دناكش)

في هذه السنة ابطلت الفلوس النحاس وضرب عوضها فلوس فضة وجعلت كل اثني عشر فلساً بدرهم وسميت دناكش[1]. ثم ابطلت في سنة ٨٣ وأعيدت الفلوس المس (النحاسية) وتعامل الناس بها كل ثلاثين فلساً بدرهم.

شحنكية بغداد: (شرطتها)

في هذه السنة أعيد تتارقيا إلى شحنكية بغداد.

المارستان العضدي:

وعزل سعد الدولة ابن صفي الدين عن نظر وقف المارستان العضدي وسلم إلى العميد زين الدين ضامن تمغات بغداد فقام فيه أحسن قيام وأجرى أموره على أحسن القواعد.

بين المدرسة النظامية والبشيرية:

وفيها نقل مجد الدين علي بن جعفر من التدريس بالمدرسة النظامية إلى المدرسة البشيرية ورتب في المدرسة النظامية نور الدين أبو البيان الحلبي.

---

(١) اصل دناكش تنكه بالكاف الفارسية وهي المعروفة عند المغول ويقابلها عندنا الدراهم الفضية، سكة متداولة ومعروفة وقد جاءت في لغة جغتاي وضبطها قوللرس بفتح الأول وسكون الثاني أو حركته بالفتح. وأما تنكجه فهو نقد صغير فضي ثم اطلق على كل نقد كما فيه. وهو تصغير اللفظة وجمعها على دناكش هو جمع تنكجه.. وتلفظ تنكشه بتبديل الجيم الفارسية إلى شين... والتاء والدال يتناوبان في اللغة التركية... «لغة جغتاي».

رسول إلى الشام: (وفاته)

في هذه السنة ارسل السلطان أحمد الشيخ عبد الرحمن إلى الشام لتقرير ما كان التمسه من الملك المنصور قلاوون لما ارسل إليه قطب الدين الشيرازي في السنة الماضية فلما وصل إلى دمشق حبس بها، ولم يعلم عنه شيء بعد.

وكان ابوه مملوكاً رومياً للخليفة المستعصم، فلما نشأ عبد الرحمن جعل من جملة فراشي السدة، وأسر في واقعة ببغداد، وقد ظفر بأشياء نفيسة من الجواهر وغيرها فجعل من فراشي الاردو، فأظهر الزهد والناموس حتى صار يعرف بالشيخ فدفن ما كان معه في قلعة (تلا)، ثم تنقلت به الأحوال حتى صار إلى الموصل، واتصل بعز الدين ايبك دزدار العمادية، وكان مولعاً بصناعة الكيمياء مهوساً بها فمخرق عبد الرحمن عليه بشيء من ذلك فحظي عنده وقربه، ثم سار عز الدين إلى السلطان وعبد الرحمن صحبته. فقال للسلطان إني رأيت في المنام في موضع من قلعة (تلا) دفيناً فيه جواهر ومال كثير فسيره إلى هناك فأظهره وعاد به إلى السلطان. ومن ثم قربه وعمل له بعض المخاريق فزاد اعتقاد السلطان فيه، ثم اتصل بالسلطان أحمد وحسن له الإسلام فأسلم وتسمى بأحمد ووعده بانتقال الملك إليه فلما ملك خدمه الأمراء والوزراء وعظمت منزلته عندهم. فلما ارسل الآن إلى سلطان الشام عرف حاله فأمر بحبسه من غير ان يجتمع به[1]... وجاء في الشذرات أنه مات في الاعتقال بقلعة دمشق سنة ٦٨٣هـ بعد السلطان أحمد.

وفيات:

١ ـ توفي عماد الدين زكريا بن محمود القزويني قاضي واسط بها.

(١) ابن الفوطي ص ٤٣١.

وهو صاحب كتاب عجائب المخلوقات حمل إلى بغداد ودفن بها في الشونيزية وكان عالماً فاضلاً، ويكتب خطاً جيداً، تولى قضاء الحلة سنة ٦٥٠هـ ثم نقل إلى قضاء واسط سنة ٦٥٢هـ وأضيف إليه التدرس بمدرسة الشرابي... وترجمته معروفة فلا نطيل القول بها.

٢ ـ توفي الحكيم أبو منصور ابن الصباغ الطبيب وكان طبيباً حاذقاً عمره زيادة عن مائة سنة، يكتب خطاً حسناً...

٣ ـ توفي الشيخ أحمد بن القش شيخ رباط جهبر ورباط الشيخ علي بن ادريس ببعقوبا ودفن تحت أقدام الشيخ علي بن ادريس. وكان زاهداً ورعاً.

حوادث سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م)

حكومة ارغون

قتل السلطان أحمد وحكومة أرغون:

في هذه السنة قبض أرغون على وجيه الدين زنكي بن عز الدين طاهر والي خراسان واستصفى أمواله. ثم اخذ من أعيان خراسان أموالاً كثيرة. فلما بلغ ذلك السلطان أحمد جهز إليه جماعة مع (علي ناق)[١] فالتقوا بظاهر قزوين واقتتلوا اقتتالاً شديداً حتى كثرت القتلى بين الفريقين وحجز الليل بينهما فانهزم علي ناق وأصحابه وعاد أرغون إلى خراسان. فلما وصل علي ناق إلى السلطان أحمد عظم ذلك عليه وسار بعساكره إلى خراسان فمال أكثر من كان مع أرغون إليه والتحقوا به فعند ذلك راسله السلطان أحمد يدعوه إلى طاعته وترددت الرسل بينهما فجمع

---

(١) علي ناق ورد في الكتب الايرانية بلفظ «اليناق» كما في تاريخ مفصل ايران ص ٢٣٠ وفي غيره «ال يناق» وفي ابن العبري «اليناخ» والتقارب ظاهر والمعول عليه ما جاء في ابن الفوطي من أنه «علي ناق».

أرغون أهله وخواصه وسار إلى بلد (كلات) في جبل فسيح قريب من طوس ليس له طريق إلا من جهة واحدة ولا سور عليه فسار في أثره الأمير بوقا وأحاط به فاستسلم حينئذ ونزل فحمله بوقا إلى السلطان أحمد فسلمه إلى علي ناق فجعل معه جماعة يحفظونه وقتل اصحابه وكل من كان معه من الأمراء...

ثم رحل السلطان يريد آذربيجان. وتخلف بعده الأمير بوقا وعلي ناق أياماً. فخلا الأمير بوقا بجماعة من الأمراء وأجمعوا رأيهم على تسليم الملك إلى أرغون. فلما اتفقوا على ذلك مضى بوقا إلى ارغون ليلاً وركب معه جماعة من الأمراء وقبضوا على أصحاب علي ناق واستخلصوا ارغون منهم وعرفوه ما اتفقوا عليه فركب أرغون في جماعة من العسكر وقصد علي ناق وكبس عليه وقتله وقتل جماعة من اصحابه فاضطربت العساكر.

ولما اسفر الصبح صعد الأمير بوقا تلاً وأمر فنودي في الجيش هذا ارغون هو السلطان. وأما علي ناق فقد قتل وهذا رأسه. فلما رأوا الرأس سكنوا...

ثم أجلسوا أرغون على التخت وأرسلوا من يقبض على السلطان أحمد فانتهت حكومة السلطان أحمد يوم الاربعاء ١١ جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ[١] فلما بلغه ذلك ركب قاصداً (بركة خان) فلم يتمكن من ذلك وعاجلوه وأحاطوا به وقبضوا عليه وأرسلوا إلى السلطان أرغون يعرفونه ذلك فأمر بتسليمه إلى أولاد قنقورتاي[٢] فسلم إليهم فقصفوا ظهره فمات ليلة الخميس ٢٦ جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ وفي ابن

---

(١) ابن العبري ص ٥٢٠.

(٢) ورد في ابن العبري وفي تاريخ مفصل ايران «قونغرتاي»، و«قوتغرناي» وفي وصاف قنغراتاي وفي «كتاب اسلامده تاريخ ومؤرخلر» جاء بلفظ «قونقوراتاي» وهو أخو ابقا خان.

العبري الاربعاء ٢ جمادى الثانية ويعزى سبب القيام عليه من أمرائه ميله إلى الإسلامية ومحاذرتهم ضياع حكومتهم وديانتهم فتعصبوا عليه وعلى أمرائه... وأساساً ناصب السلطان ارغون العداء لكل من كان مع السلطان أحمد... والملحوظ هو في الحقيقة النزاع بين الأمراء على السلطة، والأمور الأخرى من مسهلاتها وأسباب نجاحها...

بركة خان وحكومة القفجاق:

ومن النص الصريح المذكور أعلاه يفهم أن بركه خان ملك القفجاق لا يزال حياً سنة ٦٨٣ وأن السلطان أحمد حاول الالتجاء إليه لما رآه من أمرائه وميلهم إلى ارغون خان في حين أن ما جاء في شجرة الترك[1] عن وفاته أنها وقعت عام ٦٦٤هـ وأنه حكم ٢٥ سنة وكان جلوسه بعد سنة ٦٥٤هـ ولعل التاريخ كان عام ٦٨٤هـ.

وهذا هو ابن جوجي خان وقد نصبه القاآن خاناً على القفجاق. وكان والده جوجي خان بن جنگيزخان قد توفي في حياة أبيه فصار ابنه باتو خان بعده خاناً في صحراء القفجاق وهذا توفي سنة ٦٥٤هـ ١٢٥٦م فخلفه سارتاق أوغلاني ابن باتو خان ولكنه توفي قبل ان ينال السلطنة ومن ثم نصب القاآن أخاه اولاقجي (اولاقيچ) خاناً فلم يطل أمده وإنما

---

(١) مر بنا وصف «شجرة الترك» ولكن فاتنا أن نقول: منه نسخة فارسية عثرت عليها، كتبها مؤلفها بالفارسية رأساً كما كتب الأخرى في التركية. وأول هذه النسخة: حمد خدائي راكه ازلي وأبدى است واورا مصاحبي نيست الخ وكان قد وعد المؤلف أن يكتب نسخة منها بالفارسية فبرّ بوعده وسماها شجرة ترك وعلى كل هذه متأخرة عن تلك... وتفيد كثيراً لتصحيح الأعلام ومقابلتها... وما يحكى من ان المؤلف مات قبل أن يتم التركية فغير صحيح لأن هذه النسخة برهنت على أنه كتبها بعد التركية كما يستفاد من نص الفارسية... وأما ابنه فقد أضاف إليها وقائع كانت قد حدثت أيام والده وعلى يده... شرع بتأليفها سنة ١٠٧٤ وتمت سنة ١٠٧٦ هجرية.

توفي بعد قليل فصار (بركه خان) سلطاناً على القفجاق ومن ثم صارت تسمى (صحراء بركة) وذلك لأنه أول مسلم من ملوك المغول. وكانت إسلاميته عن اعتقاد قوي ولذا أعلنها وقاتل من بقي على كفره من قومه وغيرهم. ومن ثم تكونت حكومة المغول المسلمة في القفجاق. ثم توفي بمرض القولنج عام ٦٦٤هـ (وفي الشجرة أنه حكم ٢٥ سنة مع أنه نظراً لجلوسه ووفاته لم يحكم أكثر من عشر سنوات) فخلفه منكو[١] تيمور خان وعلى يد تيمور توقاي (في خلاصة الأخبار ورد توقان أو طوغان) هاجم آباقا خان بجيش عظيم حتى وصل ايران فتصالح مع آباقا خان ومن ثم دام الصلح بين الحكومتين ثم إن آباقا خان توفي عام ٦٨٠هـ فخلفه أحمد خان (وهو ابن هلاكو السابع توقودار أو تكودار وقد اسلم وسمى نفسه السلطان أحمد) ولما استشهد هذا على يد ارغون وخلفه هذا في حكومته سار منكو تيمور الآنف الذكر على ارغون بجيش عظيم يبلغ الثمانين ألفاً تحت قيادة طوغان وتورك تاي من أكابر قواده؛ وأن أرغون قابله بفيلق تحت قيادة اميره طوغاجار[٢] وتأهب هو لإمداد قائده وعقب أثره فتصادم الفريقان في قاراباغ وهناك اصابت الهزيمة جيش منكو تيمور فكان لهذه المغلوبية وقع كبير في نفس منكو تيمور فأدت إلى وفاته لشدة ما أصابه من الألم. فخلفه تودا منكو بن توقاي بن باتو خان وهذا خلفه توقتاغو[٣] بن منكو تيمور خان ثم أوزبك خان بن طوغرول

---

(١) ويلقب كلك بفتح الأول والثاني.

(٢) وجاء بلفظ الأمير طغاجار كما في تاريخ مفصل ايران ص ٢٣٠ وفي وصاف وابن الفوطي أو تغاجار ياغوجي على ما ورد في اسلامده تاريخ ومؤرخلر ص ٢٣٧.

(٣) وقد ورد بلفظ توقتاي. جاء ان تودامنكو خلفه (توقتاغو). وهذا ذكره الذهبي بلفظ (طغطاي) وبيّن أنه توفي سنة ٧١٢ وله ثلاثون سنة، وكان ملك القفجاق وجلس بعده أزبك (اوزبك) خان وهو شاب مسلم، موصوف بالشجاعة، ومملكته واسعة ولكنها قليلة المدائن (دول الإسلام ج ٢ ص ١٦٩) وفي المجلد الثاني من هذا الكتاب مباحث عنهم في أيام تيمور والسلطان أحمد.

خان بن منكو تيمور بن باتو خان بن جوجي خان بن جنگيزخان وهكذا تولوا مما لا يسع المقام استقصاء أخبارهم.

ثم إن السلطان ارغون اختص الأمير بوقا وسماه (چينكسانك)[1] ومعناه أمير الأمراء وجعل إليه تدبير ممالكه.

ولاية اروق على العراق
في ١٠ جمادى الأولى

ولاية العراق: (ادارتها)

ثم إن السلطان ولى أخاه (أروق) العراق وديار بكر فعين علي بدر الدين خاص حاجب صاحب ديوان بغداد ورتب سعد الدين مظفر ابن المستوفي القزويني مشرفاً عليه...

فسار إليها ومعه الأمير تمسكاي شحنة، ومجد الدين ابن الأثير مشارك في الحكم. فأرسلوا بعض مماليك مجد الدين ابن الأثير وجماعة من المغول إلى بغداد فوصلوها في ١٠ جمادى الأولى وأعلموا الأمير تتارقيا بصورة الحال وقبضوا على الخواجة هارون صاحب الديوان وشمس الدين زرديان نائبه وعز الدين جلال المشارك في كتابة السلة ونظام الدين عبدالله ابن قاضي البندنيجين وطلبوا مجد الدين إسماعيل ابن الياس نائب الخواجة هارون في خاصته فلم يجدوه فأخذوا هؤلاء ووكلوا بهم ودوشخوا وطوق الخواجة هارون وحملوا جميعهم إلى

---

(١) ورد في فرهنك وصاف جنكسانك وفي لغة الجغتاي جاء بالجيم الفارسية والياء بعد الجيم وتعنى ما جاء في صلب الكتاب والحذيو ونائب الدولة ووكيل السلطنة أو كما في وصاف الوزير والأمير. وعلى كل صحيحها جينكسانك. واللفظة صينية شاعت بين المغول... يلفظ «جينك سانك». وما جاء في الفوطي من أنه «جنكستان» فهذا غير صحيح وناشيء من صعوبة التلفظ.

العصمتية المجاورة لمشهد عبيدالله وحبسوا هناك.

ثم اخرج نظام الدين ابن قاضي البندنيجين من الغد في (دوشاخة) وقد سود وجهه وأركب على بهيم وشهر في سوق بغداد والعوام يطرقون بين يديه استهزاء به.

ثم أعيد إلى موضعه وقبض على شرف الدين محمد بن بصلا وكيل الديوان ودوشخ أيضاً وطولب بمال كثير. وكان زوج أخت النظام المذكور (نظام الدين عبدالله) وكل ما كان يفعله النظام من الحيف والظلم كان بإشارته لأنه كان داهية خبيثاً ذا شر غير محمود السيرة في تصرفاته.

ووصل تقدم من مجد الدين ابن الأثير إلى مهذب الدولة نصر بن الماشعيري اليهودي بأن ينوب عنه في الديوان فصار هو المشار إليه وتولى الأمور فقال يوماً للأمير تتارقيا الشحنة وقد أحضر النظام وابن بصلا بين يديه: هذا وابن بصلا مع النظام مثل الوزغة مع الأفعى. قال له ما معنى هذا قال: إن الوزغة تسقي الأفعى السم طول الليل فإذا كان النهار ألقت الأفعى ذلك السم على الناس فضحك تتارقيا وأمر بضربهما فضربا ضرباً كثيراً وأدى ابن بصلا ألف دينار في عدة دفعات وعزل من الوكالة ورتب عوضه نجم الدين حيدر بن الأيسر. وأما النظام فإنه أدى مالاً كثيراً وعوقب معاقبة عظيمة وقصفت رقبته بدوشاخة فمات.

وأما الخواجة هارون فإنه لم يزل موكلاً به إلى أن وصل الأمير (أروق) إلى العراق فحمل إليه وهو بطريق خراسان والطوق في حلقه فأمر بإزالته وسلم إليه ما اخذ منه من الدواب وغيرها وعاد إلى داره على اختياره وظهر أصحابه الذين اختفوا ومجد الدين إسماعيل بن الياس وكيله...

شمس الدين صاحب الديوان:

أما شمس الدين صاحب ديوان الممالك فإنه لما بلغه جلوس السلطان أرغون على التخت فارق السلطان أحمد والتحق بأتابك يوسف[1] شاه بلرستان واستتر عنده. ثم عرف أنه لا ينجيه ذلك ولا يعصمه فحضر بين يدي السلطان وتنصل مما فرط منه واعتذر بما أمكنه وضمن القيام بأمر الدولة وعمارة الممالك فهم باستبقائه ورق له فأشير عليه بقتله فأمر بتسليمه إلى من يحفظه واستيفاء الأموال منه فضرب وعوقب فقال:

ـ ضرب مثلي غير لائق ومهما طلب مني من الأموال قمت به.

فعرضوا ذلك على السلطان فأمر بالتخفيف عنه فأخذ في جمع الأموال والقرض من التجار وغيرهم فأشار اعداؤه بقتله علماً بما في تأخر ذلك من الضرر فأمر بقتله فلما احضر ليقتل سأل المهلة ساعة ليوصي فأمهل فكتب بخطه وصية بالفارسية قال في آخرها:

ـ فإن وجد الناظر فيها خللاً فلا غرو أني سطرتها وأنا عريان والسيف مشهور! فلما فرغ من ذلك قتل في محل يقال له (أهر) بجوار قره طاغ من توابع اذربيجان وذلك يوم الثلاثاء ١٥ شعبان سنة ٦٨٣هـ وحملت جثته إلى تبريز ودفن إلى جانب أخيه علاء الدين في مقبرة يقال لها (چرنداب) معروفة هناك.

ترجمة شمس الدين صاحب الديوان:

قد مرت ترجمة أخيه علاء الدين صاحب الديوان وهذا من أكبر وزراء المغول، وأعظم رجالها، وقد لعب دوراً مهماً، ونال مكانة لم

---

(١) هو اتابك لرستان الصغير ـ پشتكوه ـ وقد افردنا لهذه المملكة رسالة بينا فيها امارتها وقبائلها. . . ويعرفون اليوم ـ بالفيلية ـ وقبائلهم عديدة.

ينلها أحد قبله في هذه الحكومة وأصابته أخطار ومصائب كثيرة لم يبال بها، وأكبرها هذه التي أدت إلى قتله، وكانت مقدرات ايران في قبضته وهو رئيس ديوانها... وبه نال الفرس مكانتهم وحصلوا على نفوذهم...

قال ابن العبري:

«كانت هذه آخرة مثل ذلك الرجل العظيم الهيوب الحكيم الذي كانت الدولة بأسرها معلقة بخنصره، وكان عنده العقل والخبرة، وكان كاملاً بجميع السياسات والتدابير والتواضع الحسن، ويقولون عنه إنه ما سبقه أحد بالسلام. بل هو كان يبتدىء من تقدم إليه» اهـ[1].

وقد ترجمه جماعة منهم الكتبي في فوات الوفيات[2] ذكره مع أخيه علاء الدين بترجمة واحدة عند ذكر عطا ملك علاء الدين الجويني وقد سبق النقل عنه وأورد ما قاله شمس الدين محمد الجويني المذكور في أخيه عطا ملك، ولا محل للإطالة بترجمته فإنها تحتاج إلى مؤلف خاص بها... وأهم ما فيها أن إدارة المغول منغصة بل هي بلاء أكبر لولاه وقد رأف بالناس، وله أعمال بر، ومناصرة للعلماء ومشاركة لهم، ولا تذكر حكومة هلاكو وأخلافه إلا واسمه معروف وذكره شائع...

---

(١) مختصر الدول ص ٥٢٢ وبشمس الدين ختم العبري تاريخه وهو من الكتب المفيدة والنافعة في موضوعها... وقد رأيت نسخة مخطوطة منه في مكتبة آل باش أعيان في البصرة ليس فيها تاريخ إلا أنها قديمة وتصلح للمقابلة.

(٢) فوات الوفيات ح ١٢ ص ٥. وفي الطبعة الأولى: ابن خلكان في وفيات الاعيان، وصححت كل ما جاء فيه. وبعده:
وفي نظام التواريخ قد بين في ترجمته انه من صناديد إيران، كان صاحب ديوان الممالك، كما أن أباه وجدّه من رجال خراسان المشاهير، ومن أهل الحل والعقد في تلك الانحاء، وعليهم المعول. فهم ركن ركين سلاطين ايران. لا يجابه بإنكار، وحمايته لأهل الفضل بلغت الغاية (نظام التواريخ ص ٩٤ ـ ٩٥).

وبعد قتله أمر السلطان بقتل أولاده يحيى، وفرج الله، ومسعود، وأتابك ولم يبق منهم إلا القليل فقضى عليهم وماتت أسرتهم... وقد تألم (وصاف) لما نالهم تألماً كبيراً ونقل ما وجد مكتوباً في مقابرهم.. وعد ذلك من أكبر المصائب على ايران بفقدان أعاظم رجالها... والحق أن المترجم وأخاه خدموا ايران والعلم وبروا بالعلماء وناصروهم ومكنوا ما يجب لإحياء العلم... ونظم سعدي الشيرازي الشعر الكثير في هذين الأخوين... وكان قد اتهم المترجم بأنه سمّ أباقا خان والصحيح أنه كان من مناصري السلطان أحمد فناصبه ارغون خان العداء... وعلى كل لا تزال سلطة هؤلاء قوية، وفيهم من يستعينون به حفظاً للملك والسلطنة من التغلب... وفي دستور الوزراء بين أنه من أولاد إمام الحرمين حجة الإسلام عبد الملك الجويني بصورة القطع دون الترجيح وبسط القول عن ترجمته بتفصيل زائد... وأثنى على خدماته للإسلامية وتقويتها أيام المغول... كما أنه ساعد لانتشار العلوم وتقوية أربابها ومعاونتهم... الخ[1].

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

الحكومة في هذا العهد:

ولما تم لأرغون السلطان وقضى على مناوئيه ممن كان قد ركن إلى السلطان أحمد... جعل ابنه غازان في خراسان وولاه الثغر. ومن هذه نرى أن السلطنة لا حكم لها. وإنما الحكم للمتنفذين والمسيطرين من الأمراء دون الملوك والسلاطين. فهم في الحقيقة أرباب السلطة ولا يخرج السلطان عن ايعازهم فهم الآلة الميكانيكية للأوامر وهي صادرة من أصحابها الأمراء. فإن النزاع إنما كان بين الأمراء بعضهم مع بعض

(١) نسخة خطية ص ٢٥٥ من دستور الوزراء تأليف غياث الدين بن همام الدين الملقب بخواندمير صاحب تاريخ حبيب السير وهذا من جملة ما عولنا عليه كمرجع لهذا العصر ولما يليه من الأدوار الأخرى... توفي المؤلف سنة ٩٤٢هـ.

وأن امراء ارغون كانوا قد قتلوا ولم يبق معه عضد يشد ازره ولكن امراء السلطان أحمد كانوا في مشادة فيما بينهم مما دعا إلى هذا التبدل. وأحدث تغيراً في كل الإدارات للملحقات المهمة ولم يقف الأمر عند ذلك بل أدى إلى التنكيل بالامراء السابقين ولم يكن ناشئاً عن اتفاق أو افتراق يؤدي إلى اختيار السلطان ما يراه مناسباً فلا اختيار له ولا رأي بل هو مغلوب على أمره، والنزاع واقع دائماً بين الأمراء وإنما كان فيهم القتل والمحو إلى أن أدت هذه الأحوال إلى هلاك الشرق واضمحلال أكابر رجاله وانقراضهم وتسلط زعانفته وشياطينه وقضوا على حسن الإدارة والنظام وتولى الطغام، الأشرار والجهال والفجار...!!!

وقد شاهدنا هذه الحالة بعينها في حكومة الترك العثمانيين أيام اضمحلالهم وانحلال حكمهم وما وليها من الإدارات الحكومية عندهم وعند غيرهم ممن قام مقام المغول. ومبدأهم الاقصاء، والقتل، والتبعيد وتسليم الإدارة بيد الجهال والحمقى والمغفلين والأشرار الفساق... وسيتضح الوضع أكثر فيما يلي من الحوادث...

حوادث في بغداد:

١ ـ **ظهور نائب المهدي**: في شهر رمضان من هذه السنة ظهر في سواد الحلة رجل يعرف بأبي صالح ادعى أنه (نائب صاحب الزمان) وقد ارسل ليعلم الناس أنه قد قرب ظهوره واستغوى الناس بذلك فكثر جمعه وانضم إليه خلق كثير من الجهال فقصد بلاد واسط ونزل في موضع يسمى (بلد الدجلة) من أعمالها وأخذ من أموال الناس شيئاً كثيراً وسار إلى قرية قريبة من واسط تعرف (بالارحا) وأرسل صدر واسط فخر الدين ابن الطراح بأن يخرج إليه فقال لرسوله: قل له يرحل عن موضعه ويحفظ نفسه ومتى تأخر انفذت العسكر لقتاله فرحل وقصد الحلة فأرسل إلى صدرها... ابن محاسن يستدعيه إليه فأخرج ولده في جماعة من العسكر

فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل ابن محاسن وجماعة من أصحابه وانهزم الباقون فكاتب والده الحكام ببغداد يعرفهم ذلك... فركب (شحنة العراق)[1] وسار إليه.

وأما أبو صالح فإنه قصد قبة الشيخ ابن البقلي بناحية النجمية من أعمال قوسان فقتل كل من بها من الفقراء والصالحين ونهب أموال أهل الناحية فوصل شحنة العراق بعساكره إليه وأحاط به وبأصحابه ووضع السيف فيهم فلم ينج منهم إلا نفر يسير وحمل رأس أبي صالح وأصحابه إلى بغداد وعلق بها.

٢ ـ ذيول هذه الحادثة وداعية آخر:

ولما رحل أبو صالح من واسط ظهر في قرية من قراها تعرف (بقرية الشيخ) رجل اسمه شامي ادعى ما ادعاه أبو صالح وأمر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر فمال الناس إليه وتاب خلق كثير على يده واعترف قوم بالقتل وغيره وسأل أن يقتص منه. واعترف آخرون أنهم سرقوا مال فلان وفلان يوم كذا. فكثر جمعه فأرسل فخر الدين ابن الطراح صدر واسط إليه ينهاه عن فعله ويتهدده بالقتل...

فلما اتصل به ما جرى لأبي صالح هرب والتجأ إلى العرب وتفرق جمعه.

٣ ـ ابن كمونة وكتاب الأبحاث عن الملل الثلاث:

في هذه السنة أيضاً اشتهر ببغداد عز الدولة (ابن كمونة) اليهودي صنف كتاباً سماه (الأبحاث عن الملل الثلاث) تعرض فيه بذكر النبوّات وقال ما نعوذ بالله من ذكره فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره

---

(١) الآن نسمع شحنة العراق دون شحنة بغداد.

وقتله فركب الأمير (تمسكاي) شحنة العراق ومجد الدين ابن الأثير وجماعة الحكام إلى (المدرسة المستنصرية) واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه الحال وطلبوا ابن كمونة. فاختفى واتفق ذلك اليوم يوم جمعة فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعه العوام فعاد إلى المستنصرية فخرج ابن الأثير ليسكن العوام فأسمعوه اقبح الكلام ونسبوه إلى التعصب لابن كمونة والذب عنه فأمر الشحنة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد إلى ظاهر السور لإحراق ابن كمونة فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر[1]...

وأما ابن كمونة فإنه وضع في صندوق مجلد وحمل إلى الحلة. وكان ولده كاتباً بها فأقام اياماً وتوفي هناك.

- وجاء في كشف الظنون عند الكلام على (شرح الاشارات) أنه لعز الدولة سعد بن منصور المعروف بابن كمونة المتوفى سنة ٦٧٦هـ. والوفاة فيها نظر وسمي الشرح المذكور «شرح الأصول والجمل من مهمات العلم والعمل» قدمه لشمس الدين صاحب ديوان الممالك... وفي مكتبة الأوقاف العامة في خزانة المرحوم نعمان الآلوسي (كتاب شرح الاشارة) خط في مجلد واحد، شرح به اشارات الرئيس. أوله: أحمد الله على حسن حسن توفيقه الخ. والنسخة برقم ٣٠٧٦.

هذا وسيأتي الكلام على كتاب (الابحاث عن الملل الثلاث) وأنه يسمى (كتاب تنقيح الابحاث عن الملل الثلاث) والرد عليه في ترجمة أحمد ابن الساعاتي..

وقد ذكر شاعرنا الأستاذ جميل صدقي افندي الزهاوي أن لديه كتاباً في الحكمة لابن كمونة المذكور سماه (الجديد في الحكمة).

---

(١) ابن الفوطي.

٤ ـ شغب على صدر الوقوف:

وفي هذه السنة اجتمع الفقهاء بالمستنصرية على جمال الدين الدستجردي صدر الوقوف ونالوا منه واسمعوه قبيح الكلام فحماه منهم الشيخ ظهير الدين البخاري المدرس وخلصه من أيديهم فاتصل ذلك بالحكام فعزلوه ورتبوا رضي الدين ابن سعيد فلم ينهض بأمور الوقف فأعيد جمال الدين الدستجردي ووصل بعد ذلك فخر الدين أحمد ابن الخواجة نصير الدين الطوسي وقد أعيد أمر الوقوف بالممالك جميعها إليه وحذفت (حصة الديوان) من الوقوف ووفرت على أربابها فعين مجد الدين إسماعيل بن الياس صدراً بالوقوف عوضاً عن جمال الدين الدستجردي فعين عز الدين محمد بن شمام نائباً عنه فيها.

٥ ـ تولية القضاء نيابة:

وفي هذه السنة قلد قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني جمال الدين عبدالله ابن العاقولي القضاء نيابة عنه وجعله مقدماً على كل النواب منفرداً (بالشبال)[1] وأضاف إليه (الحسبة) عوضاً عن القاضي بدر الدين الرقي وأقر على القضاء (بالجانب الغربي).

٦ ـ صدر الأعمال الواسطية:

وفيها رتب نور الدين أحمد بن الصياد التاجر صدر الأعمال الواسطية عوضاً عن فخر الدين مظفر ابن الطراح فأنفذ خادماً له اسمه (إقبال) لينوب عنه فأصعد فخر الدين إلى بغداد وتحدث في ضمان أعمال واسط فعقد ضمانها عليه فانحدر إليها وكانت مدة ولاية ابن الصياد شهراً واحداً.

٧ ـ غرق وجراد في بغداد وانحائها:

وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة غرق في الجانب الغربي من بغداد

---

(١) ورد في ابن الفوطي بضم الشين ولم نقف على المراد منه.

عدة نواحٍ ووصل الماء إلى قباب (دير الثعالب) والجنثة ومعروف الكرخي وتهدمت حيطان البساتين والادؤر الرقيقة وهلكت الأشجار وظهر بعد ذلك (جراد دباب) اتلف أشياء كثيرة من الزروع والغلات والكروم وغير ذلك.

أمير العرب:

مضى في حوادث سنة ٦٨٠هـ الكلام عن أمير العرب عيسى بن مهنا رئيس آل فضل. وفي هذه السنة توفي في ربيع الأول وخلفه ابنه الأمير حسام الدين مهنا صاحب تدمر وهؤلاء لم تنقطع علاقتهم من العراق وستظهر فيما يلي بوضوح أكثر... وآل فضل بن ربيعة هؤلاء أمراء طيء وهم بنو عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل وفضل هذا ينتهي إلى فضل بن ربيعة. وهم عدة بطون اعظمهم شأناً وأرفعهم قدراً (آل عيسى). وأميرهم أعلى رتبة عند الملوك وغيرهم من سائر أمراء العرب. ومنازلهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرطبة آخذين على شقي الفرات وأطراف العراق حتى أن حدهم قبلة بشرق الوشم آخذين يساراً إلى البصرة... و(آل علي) منهم نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنا وبقي هذا جار الفرات في تلابيب التتار ولهذا يضاعف إكرامهم ويوفر لهم الإقطاعات وصاروا الآن بيتين: بيت مهنا بن عيسى وبيت فضل بن عيسى وتقسمت بقية بني عيسى قسمين مع كل أهل بيت منهما قسم و (آل ملحم) ابن مهنا من بقية أمراء طيىء الأول وهم أهل السابقة من إمارة عرب الشام وأصحاب الذروة الشامخة فيهم... وأما جماعاتهم فمن أشتات العرب على اختلاف الشعوب والقبائل مستخدمون معهم أو منضمون إليهم[1]... وقد ورد ذكر عمود نسبهم بصورة أخرى تختلف عن هذه قليلاً...

---

(١) مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي ص ١٣٨ وشذرات الذهب ج٥ ص ٣٨٣.

وفيات:

١ ـ توفي شهاب الدين علي بن عبدالله وكيل الديوان. وكان سبب موته أنه أحيل به فكبس داره فارتقى إلى سطحها فسقط من الكبسة فمات وعمره ٧٤ سنة وكان من أكابر المتصرفين خدم في عدة خدمات في زمن الخلفاء وما زال محترماً مقدماً ذا رأي سديد وتدبير جيد.

٢ ـ توفي الشيخ زكي الدين عبدالله بن حبيب الكاتب كتب على طريقة (ابن البواب)[١]. وكان عالماً فاضلاً رتب شيخ الصوفية برباط الأصحاب سنة ٥٧ وأضيف إليه مشيخة رباط مجد الدين ابن الأثير سنة ٧٢ وكان عمره ٧٦ سنة.

٣ ـ توفي نور الدين علي بن تغلب الساعاتي:

كان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية. كان مولده سنة ٦٠١هـ. وهو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد، وكان مشتهراً بالهيئة والنجوم وعمل الساعات[٢]...

٤ ـ توفي مجد الدين حسين بن الدوامي:

وكان مولده في شعبان سنة ٦٢٠هـ وهو من البيت الاثيل المشهور خدم والده وجده الخلفاء. وكانوا مقربين عندهم وكان تاج الدين والده (حاجب الباب) يحضر دائماً عند الخليفة في الخلوات. ولما ملك

---

(١) هو أبو الحسن علي بن هلال الكاتب المشهور وأبوه كان بواباً ويقال له الستري لأنه ملازم ستر الباب لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه وخطه أيضاً في نهاية الحسن وقد توفي سنة ٤٢٣هـ. ابن خلكان ص ٣٤٥ ج١.

(٢) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج١٩ والفوائد البهية ص ٢٦ وجاء في الأكثر عن اسم أبيه لفظ «تغلب» وفي كشف الظنون والفوائد البهية «ثعلب» وقد وصف الفوطي هذه الساعات.

السلطان هلاكو خان بغداد حضر عنده وأمره أن يتولى تدبير (الأعمال الفراتية) فلم تطل أيامه وتوفي قبل عود السلطان إلى بلاد الجبل. فأمر أن يتولاها ولده مجد الدين فبقي على ذلك مدة ونقل إلى (أشراف الحلة) وغير ذلك من الخدم الجليلة. وكان أديباً فاضلاً عفيفاً يقول شعراً جيداً.

٥ ـ توفي مجد الدين عبدالله بن بلدجي الموصلي مدرس (مشهد أبي حنيفة) وعمره ثلاث وثمانون سنة. ودفن بالمشهد المذكور. وكان فاضلاً مبرزاً في العلوم الدينية.

سماه[1] في الفوائد البهية عبدالله بن محمود بن مودود بن محمود أبو الفضل مجد الدين الموصلي. ولد بالموصل سنة ٥٩٩هـ وحصل عند أبيه أبي الثناء محمود المتوفى سنة ٦٣٣هـ مبادىء العلوم ورحل إلى دمشق فأخذ عن جمال الدين الحصيري وتولى القضاء بالكوفة، ثم عزل ودخل بغداد ورتب الدرس بمشهد أبي حنيفة ولم يزل يفتي ويدرس إلى أن مات يوم السبت ١٩ المحرم سنة ٦٨٣هـ. وكان من أفراد الدهر في الفروع والأصول... صاحب (المختار) المتن الفقهي المعروف من المتون الأربعة المعتبرة عند الحنفية وهي المختار والكنز والوقاية ومجمع البحرين ومنهم من يعتمد على الوقاية والكنز ومختصر القدوري. وله (شرحه) المسمى بـ(الاختيار) من الكتب المعتبرة. وعندي مخطوط قديم من المختار ونصف من الاختيار قديم أيضاً.

وله ثلاثة إخوة هم:

١ ـ عبد الدائم. مر ذكره في هذا الملحق.

٢ ـ عبد العزيز.

---

(١) استدراك عن الملحق.

٣ ـ عبد الكريم.

وهذان الأخيران اشتغلا بالعلوم وكانا فقيهين مدرسين بالموصل. ولم يعين تاريخ وفاتهما[(١)]..

وقد جاءت ترجمة مجد الدين عبدالله المذكور في منتخب المختار قال:

«عبدالله بن محمود بن مودود بن محمود بن بلدُجي (بضم الأول والثالث) الموصلي أبو الفضل وقال الدمياطي أبو محمد بن أبي الثناء الحنفي الملقب مجد الدين ابن الإمام شهاب الدين المفتي سمع بالمدرسة الصارمية في الموصل من عمر بن محمد بن طبرزد ومن مسمار ابن عمر بن العويس التيار ومن والده محمود بن أبي العز الواسطي وأبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة، ومن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمدالسهروردي وأبي النجا عبدالله بن عمر اللتي ونصر بن عبد الرزاق الجبلي وعثمان بن إبراهيم... وأجاز له جماعة... قال الفرضي كان شيخاً فقيهاً إماماً عالماً فاضلاً له مصنفات في الفقه عدة وفي الخلاف ومعرفة الرجال ورجع إلى بغداد في سنة ٦٦٧هـ ولم يزل يفتي ويدرس وسمع الحديث إلى حين وفاته...

ومن مصنفاته المختار في الفتوى، والاختيار لتعليل المختار، والمشتملة على مسائل المختصر... ومولده في يوم الجمعة سلخ شوال سنة ٥٩٩هـ بالموصل وتوفي ببغداد في بكرة السبت ١٩ المحرم. قال ابن الفوطي يوم السبت العشرين منه سنة ٦٨٣هـ وصلى عليه من يومه بجامع القصر وبالمستنصرية وخارج باب سوق السلطان وبمشهد الإمام أبي حنيفة. ودفن بالمشهد المذكور إلى جانب القبر. وكان يوماً مشهوداً» اهـ.

---

(١) الفوائد البهية ص ١٠٦.

٦ ـ ابن الصباغ:

قال في منتخب المختار: «المبارك بن المبارك بن عمر الأواني أبو منصور المنعوت بالشمس طبيب المستنصرية المعروف بابن الصباغ، كان عالماً بالطب، ماهراً في صناعته، له فيه تصانيف، وكان ناهز المائة ونيف عليها. قاله ابن الفوطي، وكان ممتعاً بسمعه وبصره. توفي سنة ٦٨٣هـ.

ـ توفي شمس الدين الصباغ:

الطبيب المشهور. وعمره ١٠٦ سنين وكان بارعاً في علم الطب.

٧ ـ شرف الدين الشيرازي:

إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم البكري. أبو إسحاق الزنجاني ثم الشيرازي الملقب شرف الدين الشافعي. قدم بغداد حاجاً، وصنف كتاباً على طريقة جامع الأصول لابن الأثير، وحدث بمراغة وتبريز بكتاب الانوار اللمعة في الجمع بين الصحاح السبعة تأليف تاج الدين الساوي. سمع منه الصاحب شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجويني وأولاده، توفي بشيراز سنة ٦٨٣هـ[1].

حوادث سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٥م)

١ ـ مشرف العراق:

في المحرم من هذه السنة وصل الأمير (تاج الدين علي جكيبان) إلى بغداد وقد عين مشرفاً بالعراق بدل سعد الدين مظفر ابن المستوفي القزويني. وعين المذكور كاتب سلة بغداد.

---

(١) المنتخب المختار.

٢ ـ كسر الدراهم: (نقود جديدة)

وفي هذه السنة ابطلت الدراهم. وتعطلت أمور العالم لذلك وبطلت معايشهم وضرب دراهم غيرها وقرر سعرها ثمانية مثاقيل بدينار. واختلفت قيمة الدراهم الأولى. فكان منها عشرة مثاقيل ومنها اثنا عشر مثقالاً بدينار فذهب من الناس شيء كثير.

ثم ضرب في بقية السنة دراهم مثل الدراهم الآبقائية وتقدم ان يتعامل الناس بها عدداً كما تعاملوا بالآبقائية.

٣ ـ الغلاء:

ثم غلت الأسعار فبلغ الكرّ[١] من الحنطة مائة وثمانين ديناراً، وكر الشعير مائة دينار، وبيع الخبز ثلاثة ارطال بدرهم، ووصل من الموصل دقيق وخبز مرقق بيع بالحجر وأخذت ثمنه ولم يسمع قبل هذا أنه بيع في الحجر خبز ولا جلب إلى بغداد إلا بعد الواقعة فإن أهل الحلة أمنهم السلطات على نفوسهم وأموالهم كما ذكرنا فكانوا يحملون الغلة والخبز والتمر والسمك وغير ذلك، وباع القوم الضعفاء أولادهم وألقت امرأة نفسها في دجلة قيل إنها كانت على الجسر تطلب فلم يعطها أحد شيئاً فآثرت إتلاف نفسها، وأكل الناس ورق الجزر والسلجم والبصل ونبات الأرض كعروق القصب والبردي والحلفاء وغيره وانقضت السنة والناس على ذلك ولقوا شدة عظيمة من الغلاء وكسر الدراهم.

٤ ـ غارة عسكر الشام على الموصل وأنحائها:

أغارت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل وإربل وقتلوا ونهبوا وسبوا وأخذوا أموال التجار من قيسارية الموصل وقتلوا

---

(١) الكر بالضم مكيال لأهل العراق يساوي اثني عشر وسقاً وكل وسق ستون صاعاً والصاع ثمانية ارطال أو أربعة امنان... «تاج العروس».

كثيراً من النصارى في إربل. ونهبت الاكراد بلد البوازيج منهم وباصيدى وقتلوا من النصارى ونهبوا الأموال وهرب شحنة البوازيج منهم وقصد بغداد.

وفي تاريخ الموصل أنها جرت في السنة التالية وأن والي الموصل الذي كان أعاده ارغون وهو مسعود البرقوطي خرج عليهم في ٢٢ ربيع الأول سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٦م) فلم يتمكن منهم وهرب وانتهبت الموصل. ثم عاد مسعود البرقوطي إلى الموصل[١]...

٥ ـ تدريس:

أعيد التدريس في البشيرية إلى جمال الدين عبدالله بن العاقولي وعزل عنه صدر الدين محمد ابن شيخ الإسلام ورتب مدرساً بمدرسة الأصحاب.

وفيات:

١ ـ توفي موفق الدين أبو الفتح ابن أبي فراس الهنايسي أخو قاضي القضاة وكان رجلاً صالحاً. خطب بجامع الخليفة إلى أن أضرّ فاستناب ولده مكانه.

٢ ـ توفي تقي الدين علي بن عبد العزيز المغربي الأصل البغدادي المنشأ، وكان شاباً اديباً فاضلاً شاعراً؛ وله ديوان مشهور.

٣ ـ توفي نجم الدين محمد بن هلال المنجم: وكان حاذقاً في علم النجوم فقيهاً شافعياً.

٤ ـ أبو طالب نور الدين العبدلياني:

عبد الرحمن بن عمر بن أبي القاسم بن علي بن عثمان البصري أبو طالب العبدلياني الحنبلي الملقب نور الدين الضرير سمع من أبي بكر

---

(١) الفوطي وتاريخ الموصل ص ٢٤٢.

محمد بن سعيد بن الخازن، ومن محمد بن علي بن أبي السهل.. قال الإمام سراج الدين عمر بن علي القزويني ليس له سماع قديم فيما علمت بل كان سمع بعد الواقعة وقيل إنه سمع على جماعة من أهل البصرة اهـ... وكان عالماً فاضلاً درس بالمدرسة البشيرية سنة ٦٦٢هـ ونقل إلى تدريس المستنصرية بعد وفاة جلال الدين بن عكبر.

وله تصانيف مفيدة منها جامع العلوم في تفسير كتاب الله الحي القيوم، والحاوي في الفقه والكافي شرح الخرقي، والواضح في شرح الخرقي، والشافي في المذهب، ومشكل كتاب الشهاب. وله طريقة في علم الخلاف تحتوي على عشرين مسألة.

مولده يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ٦٢٤هـ بناحية عبدليا من نواحي البصرة... وتوفي ليلة السبت غرة شوال سنة ٦٨٤هـ ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل بباب حرب. كذا في منتخب المختار.

حوادث سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٦م)

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تبدلات إدارية كبرى في العراق:

في المحرم فوض الأمير اروق أمر (العراق) إلى عز الدين الإربلي ومجد الدين إسماعيل بن الياس وخلع عليهما وعزل مجد الدين محمد ابن الأثير والأمير تاج الدين علي جكيبان المشرف وسعد الدين القزويني الكاتب وسلموا إلى عز الدين ومجد الدين وأمر بمحاسبتهم ومطالبتهم بما تعهدوا به من المال فطولبوا وضويقوا ثم حملوا إلى الأردوا فأمر بقتلهم فقتلوا وحملت جثة ابن الأثير إلى بغداد ودفن في تربة له في مدرسته[1] وحملت جثة الأمير علي جكيبان إلى بغداد أيضاً ودفن في

---

(١) مر من الحوادث ما يبصر بترجمته. وقد نعته وصاف بنعوت الفضل والكمال وأثنى عليه كثيراً...

تربة له مجاورة داره وجثة سعد الدين حملت إلى بلده[1] ووصل الملك ناصر الدين قتلغ شاه مملوك الصاحب علاء الدين بعد ذلك وقد رتب مشرفاً بالعراق وعزل فخر الدين مظفر بن الطراح من الأعمال الواسطية ورتب بها نور الدين ابن الصياد ثم رتب فخر الدين صدر الأعمال الحلية.

توجيه قضاء الحلة:

وفي هذه السنة استناب قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني في القضاء ببلاد الحلة العدل الفقيه تاج الدين محمد ابن محفوظ بن وشاح الحلي.

مدرس في المستنصرية:

رتب نجم الدين محمد بن العز البصري الشافعي مدرساً بالمستنصرية.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الاسعار في بغداد:

وفي هذه السنة أيضاً كانت الأسعار على ما كانت عليه والضعفاء في ويل عظيم من تعذر القوت. وكثرت الأمراض ببغداد والموت. ولطف الله بخلقه فتراخت الأسعار في جمادى الأولى ورخصت الأشياء في آخر السنة وزادت الفرات زيادة عظيمة غرقت أعمال الكوفة والحلة ونهر ملك[2] ونهر عيسى والأنبار وهيت. وذهب من الأموال شيء كثير.

---

(١) وسعد الدين هذا على ما جاء في كلشن خلفاء كان نائباً عن والي بغداد ونواحيها الأمير ارغون فقتله الأمير أروق «ورقة ٤٤٦ م ـ ٤٢».

(٢) نهر ملك نهر قديم مندرس الآن ولا تزال آثاره مشهودة وهو أحد حدود اراضي ختيمية بين الزنبرانية والسيافية. ويقال إن هذا النهر كان قد حفره سليمان عليه السلام، ومنهم من يقول هو من عمل منو جهر البشدادي، وبعضهم ينقل أنه من صنع =

وفيات:

١ ـ توفيت رابعة ابنة أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم بالله زوجة الخواجة هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد بن الجويني ببغداد ودفنت في تربة والدتها التي بمشهد عبيدالله. وقد مر ذكر أولادها.

٢ ـ توفي الخواجة شرف الدين هارون الجويني. ورد الخبر بعد ذلك أن السلطان أمر بقتل الخواجة هارون في حدود الروم. قيل كان قتله بعد وفاة زوجته رابعة المذكورة بسبعة أيام.

وقد نقلنا فيما سبق حادثة تزوجه برابعة وبيان أولاده منها، وولايته على بغداد... وكان مهذباً، كاملاً درس في عنفوان شبابه العلوم وحصل الفضائل والكمالات النفسية ويعد من المتبحرين في ضروب الفنون، وتعلم الموسيقى من استاذه صفي الدين عبد المؤمن[١] ولأستاذه الموما إليه رسالة في الموسيقى سماها باسمه «الرسالة الشرفية»[٢]...

٣ ـ توفي نجم الدين حيدر بن الايسر. وكان من أكابر المتصرفين ببغداد خدم في آخر وقته وكيل الديوان ببغداد. وكان حسن السيرة مشكوراً في تصرفاته بلغ من العمر ٧٥ سنة.

٤ ـ جمال الدين ابن الدباب البابصري. محمد بن محمد بن علي ابن أبي الفرج بن أبي المعالي البغدادي البابصري أبو الفضل بن أبي الفرج بن أبي الحسن الحنبلي الواعظ جمال الدين المعروف بابن الدباب ويقال بن الزراد أيضاً. سمع من جماعة... وسمع منه أبو عبدالله محمد بن عبد الرحيم وكمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي وأبو العلاء محمود وهذا الأخير ذكره في معجمه وقال: وكان من جملة المعدلين

= الإسكندر قال في نزهة القلوب والصحيح أنه من عمل شابور بن أشك بن دارا وهو شابور الكبير، أخرجه من الفرات وعمل له نحو ثلاثمائة قرية... «ص ٤٦».

(١) ستأتي ترجمته في حوادث سنة ٦٩٣هـ.

(٢) دستور الوزراء مخطوطة ص ٢٥٨. =

ببغداد وكان جده عرف بالدباب لأنه كان يمشي رويداً والدبيب المشي الرويد. وكان والده من أهل باب البصرة وهي مدينة المنصور. بغربي بغداد وبظاهرها جامع المنصور. وكان شيخاً عالماً، زاهداً، عابداً، عارفاً ثقة، عدلاً، مكثراً، مسنداً، صحيح السماع، من بيت الحديث والزهد. . . ولد بباب البصرة في ٢٣، أو ٢٤ من صفر سنة ٦٠٣هـ وتوفي ليلة الخميس آخر يوم من سنة ٦٨٥هـ[1].

٥ ـ العفيف ابن الزجاج. عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس بن راضي العلثي البغدادي أبو محمد بن أبي عبدالله الحنبلي المنعوت بالعفيف المحدث المعروف بابن الزجاج عم عبد الحميد بن أحمد المقدم ذكره من أهل المأمونية شرقي بغداد وكان شيخاً، عالماً، فقيهاً. محدثاً، مكثراً، مفيداً، زاهداً، عابداً، ابن بيت الحديث، متبعاً السنة، شديداً على المبتدعة، ملازماً لقراءة القرآن والعبادة. . .

كان مولده بالمأمونية في سنة ٦١٢هـ وتوفي في طريق الحج سنة ٦٨٥هـ؛[2].

٦ ـ شرف الدين ابن الخطيب. هو علي بن عبدالله بن هبة الله بن المنصور بالله المنصوري، أبو الحسين بن أبي محمد وأبي المنصور بن أبي القاسم المعدل الملقب شرف الدين ابن الخطيب فخر الدين أخو الجلال محمد. سمع من أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة، ومن اسماعيل بن يحيى المقري وسمع منه ابن الفوطي. وكان من اعيان المعدلين وخطيباً بجامع السلطان أيام الخلفاء. مولده في المحرم سنة ٦٢٤هـ وتوفي سنة ٦٨٥هـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) منتخب المختار.

(٢) منتخب المختار.

حوادث سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م)

والي العراق قتلغ شاه

ذيول التبدلات في حكومة العراق:

في السنة الماضية كان الأمير أروق قتل جماعة من الحكام (بالعراق). وفي هذه السنة جعل عوضهم الملك (ناصر الدين) قتلغ شاه ابن سنجر مملوك علاء الدين صاحب الديوان فسأل إبعاد سعد الدولة ابن الصفي الحكيم اليهودي عنه وأن يكف يده عن الحكم معه فأجيب إلى ذلك فأقام سعد الدولة في الأردو على قاعدة الأطباء هناك فاتفق له القرب من السلطان ارغون والخلوة وحصل له ما لم يخطر بباله فكشف له أمور العراق وعرفه جميع الأحوال ثم أخذ في الطعن على الأمير بوقا وأخيه أروق وبين له وجوه ارتفاقهما من الممالك فتغير قلبه عليهما.

ولما وصل قتلغ شاه إلى بغداد قسط على الناس أموالاً على سبيل القرض وثقل عليهم في استيفائها فنفرت الناس منه فبينما هو على ذلك وردت الأخبار بوصول الأمير (أردوقيا) وسعد الدولة لتصفح أحوال العراق. ثم إنهما وصلا واجتمعا بالأمير أروق فكان أول ما اعتمداه إسقاط ما قرر على الناس من القرض. ثم أصلحا حال العراق واسترفعا حسابه وجمعا المال من وجهه وتوجهوا جميعاً إلى السلطان فأنهى إليه سعد الدولة ما فعل أروق وقتلغ شاه بالرعية وما صار إليهما من الأموال فأمر باستخراج ذلك من قتلغ شاه فعاد سعد الدولة إلى بغداد واستصحبه معه. فكان وصول الأمير اردوقيا في المحرم هو وسعد الدولة ابن الصفي اليهودي إلى بغداد وحضرا عند الأمير أروق وعرضا عليه ما معهما من الفرامين فأمر أن ينادى في بغداد أن يحضر إلى الديوان كل من معه فرمان وبايزة[1]. فلما حضروا أخذوا ذلك منهم وعزل ناصر

(١) يريد هنا بالفرمان البرليغ وقد مضى القول عنه وعن البايزة...

الدين قتلغ شاه عن الحكم ببغداد وأعيد أمر الإشراف بالعراق إلى سعد الدولة. . .

وتقدم بإعادة ما أخذ من الرعية في السنة الحالية من القرض. ثم طولب (ولاة الأعمال) و(الضمناء) بما عليهم من البقايا وضويقوا على ذلك فأدوا أموالاً كثيرة وضرب عز الدين عبد العزيز الإربلي ناظر الكوفة فباع أملاكه فلم يقم بما عليه. وكان مريضاً فمات من تواتر الضرب والعقاب.

وضرب الزين الحظائري عميد بغداد ودوشخ فأدى بعض ما قرر عليه وأخذ مجد الدين إسماعيل بن الياس ودوشخ ووكل في داره فأدى مالاً كثيراً وباع أملاكه وأسبابه وقام بما تخلف عليه من ضمان الحلة فلما تكاملت الأموال في الخزانة توجه الأمير اردوقيا بها إلى السلطان واستصحب سعد الدولة معه فعين شرف الدين محمد بن أحمد السمناني (صاحب ديوان العراق) ورتب سعد الدولة ابن الصفي الحكيم مشرفاً عليه فوصلا بغداد وصحبتهما ناصر الدين قتلغ شاه مطالب بما عليه من الأموال. ورتب فخر الدين مظفر بن الطراح صدراً في الحلة عوضاً من مجد الدين إسماعيل بن الياس. وسيأتي الكلام على باقي الإدارات في السنة التالية ولنرجع إلى بقية حوادث هذه السنة ٦٨٦هـ.

وقائع أخرى:

وفي هذه السنة طولب نجم الدين أحمد كاتب الجريد بالحساب ودوشخ على بقايا وجبت عليه. فلما عرف من نفسه العجز عما يطلب منه وخشي من العقاب قتل نفسه وكان شاباً حسن الصورة.

وفيها أيضاً عقد ضمان الأعمال الحلية على مجد الدين إسماعيل ابن الياس إضافة إلى نيابة الديوان والحكم في بغداد. وكان ذلك سبباً لذهاب أمواله وأملاكه.

غارة الأعراب:

وفي هذه السنة دخلت العرب يوم الجمعة إلى الجامع (بالمحوّل)[1] فأخذوا ثياب كل من كان فيه. ثم قصدوا (ناحية الحارثية)[2] وكبسوها ليلاً وأخذوا ما قدروا عليه وقتلوا جماعة من اهلها. فلم يزل شحنة العراق يفحص عنهم حتى ظفر بأكثرهم وضرب أعناقهم وبنى رؤوسهم في قبة عند الجسر وجعل وجوههم ظاهرة ليعتبر بهم كل مفسد. وهنا لم يسم القبيلة المهاجمة.

وقوع برد في نيسان:

ووقع في نيسان برد كثير كبار اتلف الزروع في أعمال بغداد. قال الشيخ ظهير الدين الكازروني في تاريخه: حكى لي (قاضي طريق خراسان) أن جماعة شهدوا عنده أنهم رأوا في (ناحية الخوزية) من أعمال (براز الروز)[3] برداً كباراً فيه بردة عظيمة كالرجل النائم... والمبالغة ظاهرة...

في هذه السنة كثر اهتمام العوام بقتل السباع وجرى بينهم فتن كثيرة وحروب بين أهل المحال فأنكر الديوان ذلك وتقدم بمنع حرب السباع لإطفاء الفتنة ومنعوا عن الخروج بعد ذلك لقتل السباع.

الحج:

في هذه السنة حج الناس وعادوا طيبين وأخبروا بأمن الطريق ورخص الأشياء في مكة والمدينة...



(١) بلدة صغيرة تبعد ساعتين عن بغداد في الجانب الغربي منها وهي على نهر عيسى وبساتينها متصلة ببساتين بغداد وكانت فيها عمارات جميلة أيام العباسيين... كذا في نزهة القلوب لحمد الله المستوفي ص ٤٣.

(٢) الآن مقاطعة زراعية وليس فيها قرية.

(٣) هي بلد روز المعروفة.

حوادث سنة ٦٨٧هـ (١٢٨٨م)

إتمام التبدلات الإدارية:

في هذه السنة تمت التبدلات والوقائع الملحقة بها مما يتعلق بالإدارة بالوجه المار . . .

تركات المسلمين والتوريث:

في صفر هذه السنة وصل بغداد جماعة من اليهود من أهل تفليس وقد رتبوا ولاة على تركات المسلمين. فأجروا الأمر على أن لا يورثوا ذوي الأرحام. فأنكر الأمير أروق ذلك وأمر أن يعمل بمذهب (الإمام الشافعي) (رض) كما كان يعمل قديماً. فاتفق وفاة بعض العوام وقد خلف ابن عم له فأنكر النواب نسبه وختموا على تركته. فاستغاث واستنصر بالعوام فاجتمع معه خلق كثير ووقعت فتنة أوجبت خوف النواب من القتل فاختفوا وتحصنوا في بيوتهم فنهب العوام دكاكين اليهود من المخلطين وغيرهم فكفهم الديوان عن ذلك فخرج النواب من بغداد متوجهين إلى بلادهم فصادفهم الأكراد في الجبل فقتلوهم.

تزوج:

في هذه السنة تزوج مبارك شاه ابن الشيخ نظام الدين محمود شيخ المشايخ بابنة فخر الدين ابن الخواجة نصير الدين الطوسي على صداق عشرة آلاف دينار وحضر العقد قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني.

مدرسة النظامية:

ورتب نجم الدين محمد بن أبي العزيز مدرساً بالنظامية حيث توفي مدرسها نور الدين عبد الغني المعروف بأبي البيان الحلبي إضافة إلى القضاء وخلع سعد الدولة عليه. فلما ألقى الدرس قال: هذه بضاعتنا ردت إلينا.

وقوف العراق:

وفيها كفت يد صدر الدين وإخوته أولاد الخواجة نصير الدين الطوسي عن النظر في وقوف العراق. وأعيد الأمر فيها إلى حكام بغداد. ثم عاد الأمر إليهم سنة ٦٨٨هـ.

الحج:

حج في هذه السنة من العراق خلق كثير وأخبروا بتعذر الأقوات وعدم الأشياء هناك.

١ ـ وفاة برهان الدين النسفي:

هو الشيخ برهان الدين محمد بن محمد بن محمد النسفي الحنفي المنطقي صاحب التصانيف. قال ابن الفوطي: هو شيخنا المحقق، المدقق العلاّمة الحكيم، له التصانيف المشهورة، كان في الخلاف والفلسفة أوحد، متع بحواسه، وكان زاهداً وقد لخص تفسير الإمام فخر الدين، قدم بغداد حاجاً سنة ٦٧٥ واشتغل عليه هارون بن الصاحب، مولده تقريباً سنة ٦٠٠ وتوفي ببغداد سنة ٦٨٧هـ. كذا في الوافي بالوفيات (ج١ ص ٢٨٢) والملحوظ هنا أن النقل كان عن ابن الفوطي وفي الأصل المنسوب إلى ابن الفوطي لم يتعرض لهذا الحادث، والظاهر أنه منقول عن كتب أخرى له... والنسفي المذكور يسمى تفسيره (الواضح) كما في كشف الظنون في مادة (مفاتيح الغيب) تفسير الرازي وترجمته في الجواهر المضية، والفوائد البهية...

٢ ـ نور الدين المالكي:

عثمان بن إبراهيم بن يعقوب بن عبد الملك الآمدي المالكي أبو عبدالله بن أبي إسحق الملقب نور الدين استنابه القاضي بدر الدين محمد بن علي الرقي الحنفي في الحكم والقضاء بالجانب الغربي ودرس بالعصمتية مجاور مشهد عبدالله (كذا) وكان ورعاً،

متديناً، توفي في الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٦٨٧هـ.

٣ ـ عثمان بن مسعود الواسطي:

عثمان بن مسعود الواسطي أبو عمرو المالكي الملقب نور الدين. قال ابن الفوطي سمع من شيخنا سراج الدين الشارمساحي وهو مفيد الطائفة المالكية بالمدرسة المستنصرية توفي في ذي القعدة سنة ٦٨٧هـ ودفن بمقبرة معروف[١].

٤ ـ كمال الدين ابن المخرمي:

محمد بن المبارك بن يحيى بن المبارك بن علي بن المبارك بن علي بن الحسين بن بندار البغدادي، أبو نصر بن أبي سعد بن أبي الفضل بن أبي سعد الملقب كمال الدين ابن الصاحب فخر الدين المعروف بابن المخرّمي. سمع من أبي محمد الحسن بن علي بن الأمير السيد الدرة، وأبي حفص عمر بن محمدالسهروردي، وعبد اللطيف بن محمد بن القبيطي... وسمع منه أبو الفضل عبد الرزاق ابن الفوطي واجاز لشيخنا احمد بن محمد الكازروني. ولد في بغداد سنة ٦٠٩هـ وتوفي في ٢٥ من شهر رمضان سنة ٦٨٨هـ ودفن بجنب غرفة معروف الكرخي[٢].

حوادث سنة ٦٨٨هـ (١٢٨٩م)

التمغات وعميد بغداد:

في هذه السنة تقدم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق بإعادة الزين عميد بغداد إلى التمغات بعد أن استوفى ما عليه من بقايا الضمان بالضرب والعذاب.

---

(١) منتخب المختار.

(٢) منتخب المختار.

تبدلات إدارية في العراق أيضاً:

في هذه السنة عزم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق على التوجه إلى الأردو. فقصد سعد الدولة المشرف عليه مشهد موسى بن جعفرعليه السلام وزار ضريحه الشريف وأخذ المصحف متفائلاً به فخرج له: يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المنّ والسلوى فاستبشر بذلك وأطلق للعلويين والقوام مائة دينار. فلما وصلوا إلى حضرة السلطان عزل الملك شرف الدين ورتب سعد الدولة صاحب ديوان الممالك وأمر السلطان بقتل بغانوين (بوقا) فقتل هو وأولاده وأصحابه وكان الأمير أروق أخوه في ديار بكر فأنفذ إليه من قبض عليه ثم قتله. وكان ذلك لتغير نياتهما في طاعته.

ثم إن سعد الدولة رتب في العراق أخاه فخر الدولة ومهذب الدولة نصر ابن الماشعيري ورتب معهما جمال الدين علي الدستجرداني كاتباً فوصلوا إلى بغداد وقرروا قواعد أعمالها.

ثم وصل تقدم سعد الدولة بالقبض على الزين الحظائري ضامن التمغات ومجد الدين إسماعيل بن الياس واستيفاء ما عليهما من الأموال في ثلاثة أيام ثم قتلهما بعد ذلك فقبض عليهما ووكل بهما وعوقبا بالضرب وغيره وأخذ كل مالهما من مال وملك. ثم قتل الزين ظاهر سوق بغداد في العشرين من جمادى الآخرة وقتل مجد الدين يوم الأربعاء في الثاني والعشرين منه تحت دار الشاطيا، وسلمت جثته إلى أولاده. وكان قتله آخر النهار وهو صائم فطلب ماء فلما أتي به نظر إلى الشمس وقد قرب غروبها فلم يشربه. وقال للسياف اضرب ضربة واحدة فقال له نعم.

كان رحمه الله تعالى من محاسن الزمن عالماً فاضلاً أديباً جواداً سخياً كريماً يكتب خطاً جيداً ويقول الشعر...

الوالي قتلغ شاه

قتل قتلغ شاه:

ثم قتل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي في تبريز وحملت جثته إلى بغداد فدفنت في رباط كان قد عمره مجاور قبر سلمان الفارسي (رض) وجعل فيه جماعة من الفقراء ووقف عليهم عدة نواح بواسط وغيرها. وكان يحب الفقراء ويواصلهم. وبنى في البصرة لما كان والياً فيها رباطاً وحماماً ووقف الحمام وغيره عليه. وبنى في المأمن الذي عمله الصاحب علاء الدين في أعمال واسط مدرسة.

قتل منصور بن علاء الدين الجويني:

ثم قتل منصور بن علاء الدين صاحب الديوان ببغداد في رجب ودفن في تربة والدته...

عزل ونصب:

وفي هذه السنة عزل نور الدين الصياد من واسط ورتب عوضه الملك نور الدين عبد الرحمن بن تاشان.

قتل والي الموصل:

إن الوالي مسعود البرقوطي كان قد ألقي القبض عليه وأمسك عليه مع الأمير أروق وذلك أن السلطان أرسل جنداً مع الأمير بيتمش فقتلهما مع أصحابهما وقبض على تاج الدين بن مختص وأوسعه ضرباً وغرمه خمسين ألف دينار.

ثم أثار بيتمش اضطهاداً على النصارى الذين تظاهروا بالتصحب لمسعود وقتل منهم كثيراً في الموصل وإربل وما جاورها من القرى.

ثم ولي الموصل وسعى في توطيد الأمن إلا أنه في هذه السنة هوجمت سنجار وما والاها من عصابات سورية فعاثوا في القرى ثم إن

أمير الموصل أدركهم عند الخابور واسترد منهم بعض المنهوبات[1].

وبعد هذا ولي الموصل أمين الدولة أخو سعد الدولة وبقي حاكماً بها إلى أيام نكبة اليهود بعد قتلة سعد الدولة إلا أنه لم يبين تاريخ حكومته في الموصل بالضبط.

وفيات:

١ ـ توفي عز الدين علي بن عفيجة ودفن تحت قدمي سلمان الفارسي وكان من أكابر المتصرفين ببغداد.

٢ ـ توفي بهاء الدين عبد الوهاب ابن قاضي دقوق ودفن في مدرسة بناها على شاطىء دجلة بباب الأزج. وكان ذا مال وجاه من أكبر التناة بالعراق.

٣ ـ توفي صفي الدولة سليمان ابن الجمل النصراني كاتب السلة ببغداد.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

حوادث أخرى:

في هذه السنة غلت الأسعار ببغداد وحج من بغداد خلق كثير.

حوادث سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠م)

شغب في بغداد على سعد الدولة: (اليهود)

فيها سطر ببغداد محضر كتب فيه أعيان الناس يتضمن الطعن على سعد الدولة يتضمن آيات من القرآن وأخباراً نبوية أن اليهود طائفة أذلهم الله تعالى، ومن حاول إعزازهم أذله الله عز وجل فعرف سعد الدولة

---

(١) تاريخ الموصل ص ٢٤٣.

بذلك، فلما وصل المنفذ به أخذه منه وعرضه على السلطان أرغون فحكمه في كل من كتب فيه فتأنى في مؤاخذتهم واستعمل الحزم وحاذر عاقبة العجلة لكنه تقدم بصلب جمال الدين ابن الحلاوي ضامن تمغات بغداد فصلب بباب النوبي وثيابه عليه وسلم إلى أهله بقية النهار.

عزل:

وفيها عزل نجم الدين بن أبي العز البصري ونجم الدين عبد الله القوساني وعفيف الدين ربيع الكوفي من القضاء ببغداد.

الحج: (ونهب العرب):

وحج من العراق في هذه السنة خلق كثير وعادوا من بعض الطريق وقد نهبهم العرب.

بقايا أولاد شمس الدين الجويني

في هذه السنة سأل السلطان عمن تخلف من أولاد شمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان فأخبر بهم فأمر بقتلهم. وكان في تبريز منهم مسعود وفرج الله فقتلا ودفنا في تربة أبيهما، أما مسعود فإنه كان قد أعرس منذ ليال، وأما فرج الله فإنه كان صبياً في المكتب فلما أخرج ليقتل توهم أنهم يريدون تأديبه لئلا ينقطع عن المكتب فجعل يقول بالفارسية والله ما بقيت أنقطع عن المكتب فرقت له الناس، وكان أخوهما نوروز في الروم فسارت الايلجية إليه فقتل هناك.

حوادث سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م)

وقائع عراقية ـ والي بغداد:

في هذه السنة انحدر مهذب الدولة ابن الماشعيري إلى واسط وقبض على ملكها نور الدين عبد الرحمن تاشان وطوقه بالحديد ونفذه

إلى بغداد على أن يقتل بها ويحمل رأسه إليه.

وسبب ذلك أنه تحدث على السكر أن سعد الدولة قد قتل فلما وصل بغداد وكل به في دار النيابة ثلاثة أيام. فلما كان اليوم الثالث وصلت الايلچية من أردو (بايدو) ودخلوا بغداد ليلاً وحضروا عند جمال الدين الدستجرداني كاتب العراق وعرفوه أن السلطان أرغون توفي وأن الأمراء قتلوا سعد الدولة[1] قبل وفاة السلطان وأنه قد فوض أمر العراق إليه وأمر بالقبض على فخر الدولة أخي سعد الدولة فاتفق مع الايلچية وبعض الأمراء وشحنة بغداد وقبضوا على فخر الدولة في ربيع الآخر وأحضروا الملك نور الدين عبد الرحمن وأخرجوه من السجن وتقدموا إليه بالانحدار إلى واسط والقبض على مهذب الدولة وحمله إلى بغداد. فانحدر بقية الليل وقبض عليه وطوقه وأنفذه إلى بغداد.

ولما قبض على فخر الدولة نهب (الكلحية)[2] وعوام بغداد داره وأدؤر اليهود كافة وأخذوا أموالهم ودام ذلك ثلاثة أيام. فركب جمال الدين في جماعة من الجنود والكلحية ومنعوا العوام عن ذلك وحبسوا جماعة منهم وقتلوا نفرين فسكنت الفتنة.

وقد فصل صاحب (تاريخ وصاف) ما جرى على اليهود من الوقائع والانتقام منهم على ما قام به سعد الدولة وأعوانه مما لا محل للإطناب في البحث عنه...

ولما وصل مهذب الدولة إلى بغداد حبس في دار النيابة أياماً فسأل من جمال الدين أن ينقل إلى حجر البر فنقل وأحضر بعد أيام إلى الديوان وسئل عن الأموال فقال:

---

(١) جاء في تاريخ وصاف أنه قتل في سلخ صفر سنة ٦٩٠ هـ «ص ٣٤٥ ج ٢».

(٢) لم يعرف ما يراد بهذا اللفظ ولعله اسم قبيلة من قبائل تركستان والنسبة إليها كلجية بالجيم... والنسخة الأصلية من الفوطي غير منقوطة.

ـ أما مال الديوان ففي الخزانة. وأما ما يخصني فأنت تعلم أني لم أجمع مالاً. . . !

فأمر بضربه فضرب ثم أقعد وسئل فلم يعترف بشيء غير الظاهر فأمروا بقتله فضرب بالسكاكين والسيوف وكان بالاتفاق في الديوان نجار قد جاء متفرجاً ومعه فاس فضربه عدة ضربات ثم قطع إرباً إرباً وتناهبه العوام فتعمم نفاط بمصرانه وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها ثم أحرق بباب جامع الخليفة ما عدا رأسه فسلخ وحشي تبناً وطيف به في جانبي بغداد وحمل إلى واسط فعلق على جسرها.

وقتل من اليهود شاب يعرف بابن فلالة وقطعت أعضاؤه. . . وطافوا به سحباً في دروب بغداد ثم أحرق بباب جامع الخليفة أيضاً.

فلما سكنت الفتنة وخرج اليهود على عادتهم في معايشهم أشاع طائفة من العوام أن الحكام قد فسحوا في نهبهم فسارع الأشرار والسفل والشطار في ذلك ونهبوا دورهم ودكاكينهم فركب جمال الدين في جمع من الكلحية وكفهم عن ذلك ولم يبق بلد من بلاد العراق إلا وجرى فيه على اليهود من النهب مثل ما جرى في بغداد حتى أسلم منهم جماعة ثم عادوا بعد ذلك. ثم طولب فخر الدولة وجماعة من أعيان اليهود بالأموال وضويقوا وعوقبوا عليها فادعوا أن أموالهم نهبت من دورهم وأرسل بايدو إلى الموصل من قبض على أمين الدولة أخي سعد الدولة وكان حاكماً بها واعتمد معه مثل ما اعتمد مع أخيه فخر الدولة. حكى أن فخر الدولة مظفر بن الطراح حرض جمال الدين الدستجرداني على قتل مهذب الدولة وقال إن ترك لا يؤمن وخوفه من عاقبة الحال حتى أنه أوعز إليه بأن (عجل بقتله قبل أن يقتلك).

سعد الدولة واليهود:

إن سعد الدولة هذا توصل إلى السلطان من طريق الطب وشرح له

أحوال بغداد، وبعد أن اقتنع منه مكنه من العراق فحصل له أموال طائلة... وعده من الناصحين له والمخلصين لمصالحه فصارت بيده خزائن المغول ونال كل سلطة وصار قوله الفصل فعين إخوته ولاة في بغداد والموصل.. وتسلط اليهود في المملكة المغولية.. حتى إن الشعراء والأدباء قد بالغوا في مدحه وقدموا له القصائد مملوءة بالثناء، وفي خلال سنتين بلغ ما مدح به من الشعر مجلداً وأن أحد مقربيه جمعها له قال وصاف وفي بغداد نسخة منه. وقد اشترك في مدحه كثيرون من عرب وعجم... وقد قيل فيه أبيات وقصائد متفرقة لم تدخل في المجموعة ومما قيل فيه:

لا زلت يا مولى الزمان وأهله
في الناس رب مواهب ومنائح
سعد السعود لكل داع مخلص
ولكل من يشناك سعد الذابح

وقد أضر بالمسلمين وبنفقات جوامعهم وأوقافهم فتألم الكل منه... ومما قيل من التألم منه ومن توقع زواله:

يهود هذا الزمان قد بلغوا
مرتبة لا ينالها فلك
الملك فيهم والمال عندهم
ومنهم المستشار والملك
يا معشر الناس قد نصحت لكم
تهودوا قد تهود الفلك
فانتظروا صيحة العذاب لهم
فعن قليل تراهم هلكوا

وقد جرى على اليهود من المصاب عند قتله والوقيعة بهم ما لا

يحصيه قلم، أو يسعه كتاب[١]...

وفاة السلطان أرغون خان وسلطنة كيخاتو خان

وفاة وجلوس:

كان قد توفي السلطان أرغون في ٦ ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ فأرسل الأمراء إلى كيخاتو خان[٢] وكان بالروم يعرفونه وفاة أخيه فسار إليهم وجلس على التخت يوم الأحد ٢٣ رجب ٦٩٠هـ وكان حدث خلاف بين الأمراء قبل القطع في اختيار كيخاتو خان[٣].

ترجمة السلطان أرغون:

كان قد جلس على سرير الملك في ٧ جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ بالوجه المشروح[٤]...

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفي الفوطي: «كان ملك السلطان أرغون نحو ثماني سنوات وكان عادلاً محمود السيرة رؤوفاً بالرعية» وفي ابن خلدون أنه كان قد عدل عن دين الإسلام. وأحب دين البراهمة من عبادة الأصنام وانتحال السحر والرياضة، ووفد عليه بعض سحرة الهند فركب له دواء لحفظ صحته

---

(١) وصاف ج ٢ ص ٢٣٨ و٢٦٠ وقد ساق هذا الشعر في معرض الكلام على اليهود لأحد شعراء بغداد وإنما ذكرناه للدلالة على التذمر... ولوصاف نفسه قصيدة عارض بها تلك القصيدة بالوزن والقافية ذم بها اليهود وهي طويلة نكتفي بالإشارة إليها فهي تصور مصرعهم...

(٢) ورد تصحيف في اسمه، منهم من قال «كيغاتو» ومنهم غير ذلك والصحيح كيخاتو خان.

(٣) تاريخ وصاف ج ٢ ص ٢٣٨.

(٤) تاريخ وصاف ص ١٣٧ م ـ ٤٤.

ودوامها فأصابه منه صرع فمات...

وفي الشذرات: تملك بعد عمه الملك أحمد وكان شهماً مقداماً، كافر النفس شديد البأس، سفاكاً للدماء عظيم الجبروت. هلك في هذا العام فيقال إنه سمّ فاتهمت المغل (المغول) وزيره سعد اليهودي بقتله فمالوا على اليهود قتلاً ونهباً وسبياً...

وفي دائرة المعارف الإسلامية: «استوزر أرغون بوكاي (بوقا) الذي يدين له بالعرس إلى عام ١٢٨٩م (٦٨٧هـ) وفي هذا العام صرف هو وجلال الدين السمنان ثم قتلا. وفي غضون الأعوام التالية كانت إدارة البلاد في يد الوزير سعد الدولة... وفي أثناء مرض أرغون... قتل... وكان أرغون كأسلافه متسامحاً كما كان شعوره طيباً نحو المسيحيين، وواصل أرغون المفاوضات التي بدأها آباقا مع الدولة الأوروبية... للاشتراك في محاربة مصر...» اهـ[1].

وقد ترجمه آخرون كثيرون وهو في الحقيقة كانت إدارته بيد الأمراء فهو مسيّر لا مخيَّر وليس له من الأمر شيء، وأن قتله أو سمه أسهل الأمور وقد مر من وقائعه في العراق ما يبصر بصحة ترجمته يضاف إلى ذلك أنه قتل الوزير شمس الدين الجويني وأولاده وغياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم... وليس فيها ما يشعر بالمدح والإطراء، أو يبين عن عدل وروية بل كما قلت كان ألعوبة بيد الأمراء، تابعاً لمقاصدهم ومنقاداً لتدابيرهم وهم أنفسهم يمثلون الحكم من خير أو شر ولولا علي ناق وقيام الأمراء عليه لما وصل إلى الحكم[2]... ومن ثم سارت أمور

(١) ص ٦٢٦ وبوكاي ورد في وصاف وغيره «بوقا»، وفي الفوطي «بغا».

(٢) جاء في وصاف أنه «الايناق»، وفي دائرة المعارف الإسلامية «آل يناق» وهو غير صحيح وفي الفوطي «على ناق» مخفف من «علي ايناق» ومعنى «ايناق» مقرب السلطان وخاصته أو نديمه الادنى كما جاء في فرهنك وصاف وفي ص ٢٤٥ من نفس تاريخ وصاف ج ٢ ولغة جغتاي ص ٦٢.

المغول على هذه الطريقة تتدهور، واستولى عليهم أمراؤهم وتحكموا فيهم... وأوضاعها تابعة لروحية المتغلبين وسلوكهم...

ورود علي بن علاء الدين الجويني:

وفي هذه السنة وصل مظفر الدين علي بن علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب الديوان إلى بغداد حيث اتصل به قتل سعد الدولة وكان قد هرب لما قتل أخوه منصور والتجأ إلى بعض مشايخ العرب بالسيب. ثم توجه إلى تبريز وتزوج ببكى ابنة أرغون آغا التي كانت زوجة عمه شمس الدين. ثم جاء إلى بغداد وهي صحبته وقد استخلصت له بعض أملاك أبيه وصار بسببها ذا جاه ثم قتل بعد ذلك.

حوادث أخرى:

في هذه السنة أحبست الغيوث حتى انقضاء بعض شباط فاجتمع الناس عند قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني ثم خرجوا إلى مقبرة معروف (ر) يوم الخميس ٢٧ صفر واجتمعوا في باب المدرسة البشيرية ونصب هناك كرسي خطب عليه العدل شمس الدين ابن الهنايسي خطيب جامع الخليفة ثم تضرع الناس وسألوا الله عز وجل أن يعمهم برحمته وأكثروا من البكاء والاستغفار وعادوا. ثم خرجوا يوم الجمعة إلى ظاهر سور بغداد يتقدمهم شيخ المشايخ نظام الدين محمود راجلاً مستكيناً وكذلك قاضي القضاة واجتمعوا وراء جامع السلطان وخطب الخطيب المذكور، ثم تلاه الشيخ شهاب الدين عبد المحمود ابن السهروردي فأرخت السماء عزاليها وتواترت الغيوم فدخلوا بغداد وقد توحلت الطرق ودام نزول الغيث ثلاثة أيام ثم سكن وزادت دجلة بعد ذلك وانتفع العالم بما عمهم من لطف الله ورحمته.

وفاة الألفي:

في هذه السنة توفي الملك المنصور قلاوون الألفي بالقاهرة وعمره (٨٠) سنة ودفن في مدرسة بناها سماها المنصورية... وعلاقته مع أصل حكومة المغول إلا أن الغوائل والاتهامات لأمراء العراق كانت تسمع باهتمام... وتصدق في الغالب دون حاجة إلى برهان...

وفيات

١ ـ الصفي ابن المالحاني: محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن القاسم بن إبراهيم المرزبان البغدادي المقري، أبو عبد الله بن أبي محمد الشافعي الزاز (غير منقوطة) المنعوت بالصفي المعروف بابن المالحاني. سمع من أبي الحسن محمد بن أحمد القطيعي، ومن أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة، وسمع من إبراهيم بن محمود بن الخير. وأجاز له إبراهيم بن إسماعيل وداود بن معمر بن الفاخر، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن أبي ياسر القطيعي المواقيتي، وأبو الفتح أحمد بن علي بن الحسين الغزنوي... وحدث، سمع منه الإمام أبو العلاء الفرضي وذكره في معجمه وقال: من أهل بغداد كان شيخاً ثقة جليلاً حسناً اهـ... وقال ابن الفوطي: سمع عليه بالأنبار وكان صديق والدي كثير الترداد إليّ. مولده في شهر رمضان سنة ٦١٦هـ ببغداد.. وتوفي يوم الأربعاء ٢٦ من صفر سنة ٦٩٠هـ. ودفن بالشونيزية. أجاز لأبي محمد عبد العزيز بن القادر البغدادي[1].

٢ ـ شرف الدين العباسي: هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي البدر ابن الأنجب القرشي الهاشمي العباسي شرف الدين بن أبي عبد الله البغدادي الحنبلي المعدل. سمع من جماعة. كان شيخاً مقرياً، ثقة

---

(١) منتخب المختار.

جليلاً عالماً، عدلاً، صحيح السماع. سمع منه عبد الأحد بن سعد الله ابن نجيح بالمظفرية شرقي بغداد. مولده في رمضان سنة ٦١٥هـ وتوفي بالبيمارستان العضدي يوم الاثنين ١٠ رجب سنة ٦٩٠هـ.

٣ ـ الشمس بن سعد بن مظفر البغدادي: محمد بن سعد بن المظفر البغدادي أبو عبد الله وأبو الخير ويكنى أبا سعد المنعوت بالشمس. سمع من الأعز بن العليق، ومن أبي الفضل محمد بن علي بن أبي السهل المقري ومن أبي بكر محمد بن سعيد بن الخازن، ومن المؤتمن يحيى بن أبي السعود نصر ابن القميرة. وحدث، وسمع منه أبو العلاء الفرضي وذكره في معجمه.. وقال: من أهل بغداد كان شيخاً، زاهداً، عارفاً، عابداً. حسن السمت من بيت التصوف، وكان شيخ رباط الأخلاطية غربي بغداد اهـ... مولده في حدود سنة ٦٢٩هـ. توفي ليلة السبت ٥ شوال سنة ٦٩٠هـ ودفن في الشونيزية إلى جانب والده[١].

حوادث سنة ٦٩١هـ (١٢٩٢م)

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في إدارة العراق: (ولاية العراق)

في هذه السنة أمر السلطان كيخاتو خان بإنفاذ أميرين هما ساطي ويكتمر إلى العراق لتصفح الأعمال وعمل الحساب. فقدما بغداد فقام جمال الدين الدستجرداني بين ايديهما فأقاما شهوراً واعتمدا ما أمرا به ثم عادا فمات ساطي وولده ونساؤه جميعاً في أيام قلائل. وجمع جمال الدين مال العراق ثم وجهه وحصل سلاحاً كثيراً وتوجه بذلك إلى حضرة السلطان فأنعم عليه وأقره على (ولاية العراق) ورتب معه رفيقين هما أثير الدين التستري ابن أخت مجد الدين محمد ابن الأثير وتاج الدين علي تاشان وسيرهم جميعاً مع أمير اسمه (نيطاق) فكانوا بالعراق إلى آخر السنة.

---

(١) منتخب المختار.

نائب جمال الدين: (نائب الوالي)

ولما توجه جمال الدين استخلف على بغداد سعد الدين أسد ابن الأمير علي جكيبان فناب عنه إلى حين عودته[١].

١ ـ شرف الدين الشهرستاني:

أحمد بن علي الموصلي أبو علي الملقب شرف الدين المعروف بالشهرستاني معيد النظامية. قال ابن الفوطي سمع معنا على مجد الدين أبي الفضل عبدالله بن بلدجي جامع الأصول بروايته عن مصنفه مجد الدين ابن الأثير. وكان مواظباً على سماع الأحاديث ومجالس الذكر، متودداً جميل الاخلاق اهـ. . وكان عالماً، فاضلاً توفي في شوال سنة ٦٩١هـ[٢].

حوادث سنة ٦٩٢هـ (١٢٩٣م)



١ ـ في دار السلطنة:

ولى السلطان كيخاتو صدر الدين أحمد بن عبد الرزاق الخالدي الزنجاني ديوان الممالك وفوض إليه تدبير ملكه[٣]، ولقب (صدرجهان) كما أن أخاه قطب الدين اختير لمنصب قاضي القضاة ونعت بـ (قطب جهان) وفوض إليه أمر النظر في الأوقاف وبيت المال، وأبواب البر والصدقات وسائر المصالح الدينية والمطالب الشرعية[٤]. . .

---

(١) وهذا ما يسميه الترك العثمانيون بقائمقام وذلك عند غياب الولاة ومفارقتهم المدينة لأمور مهمة. . . وهكذا الوزير. . .

(٢) منتخب المختار.

(٣) وهذا ما يعرف عندنا بالصدر الأعظم أو الوزير لعدم تعدد الوزراء.

(٤) تاريخ وصاف ص ٢٦٦ ج ٢.

٢ ـ أحد الباطنية: في هذه السنة وثب باطني على نقاجو أمير المسلحة بالعراق على رأس الجسر العضدي ببغداد وضربه بخنجر عدة ضربات قتله بها وشد هارباً فمد له رجل اصفهاني رجلاً على الجسر فسقط فقبض، فجعل يقول «فداء الملك الأشرف! فداء الملك الأشرف!» فسلم إلى ابن نقاجو فمثل به وقطع أطرافه وهو حي. . .

حوادث سنة ٦٩٣هـ (١٢٩٤م)

١ ـ ولاية العراق:

أمر السلطان كيخاتو خان شمس الدين محمد التركستاني المعروف بالسكورجي بالمسير إلى العراق والياً عليه مزيلاً عن الرعية ما جدد عليهم من الأثقال فلما دخل بغداد أظهر العدل والإحسان وحسن النظر في أحوال الناس واجراهم على أجمل القواعد ونظر في أمر الوقوف وأجرى أربابها على شروط الواقفين وأدر عليهم الأخباز والمشاهرات ووعد الناس بأشياء يخاطب فيها السلطان ويعتمدها معهم فلم تطل أيامه وقتل على ما نذكره.

٢ ـ بايدو وواسط:

اتصل بالسلطان أن في بلاد واسط وسوادها جماعة من الأعراب الباغية المفسدين فأمر بايدو بالمسير إلى هناك وقتلهم ونهبهم فسار من سياه كوه إلى بغداد وانحدر إلى واسط حتى وصل إلى آخر أعمالها ولم يتعرض بأحد ولا ثقل على الرعية فلما عاد شرع في نهب القرايا وأخذ الأموال والجواميس والبقر وأسر الذراري وسبى النساء كل ذلك من الرعية. . .

وأما الفئة الباغية فإنها اعتصمت بالبطائح فلم يقدر عليها وصادف عسكره سفن التجار الواصلين من البحر فنهبوا بعض ما فيها من القماش

وخرجت الأعراب من البطائح فنهبوا الباقي وأحرقوا بعض السفن فأصبح التجار عراة حفاة لا يقدرون على شيء.

ثم انفذ بايدو جماعة من العسكر إلى عين التمر والكبيسات فنهبوا الرعية وسبوا وأسروا وعملوا كل منكر وعادوا إلى بايدو وقد وصل إلى بغداد فتكمل معهم زيادة على ثلاثين ألف أسير. ثم رحل من بغداد راجعاً إلى سياه كوه.

توجه والي بغداد إلى السلطان:

ثم توجه شمس الدين محمد السكورجي إلى السلطان وأخبره بما فعل بايدو بالرعية فأنكر عليه ذلك وأمر بحبسه فحبس في خركاه (نوع خيمة) ثلاثة أيام ثم كلم فيه فأطلقه واستخلص من العسكر بعض الأسرى وسلموا إلى شمس الدين محمد السكورجي فكساهم وعاد إلى بغداد وهم صحبته فأطلقهم فتوجهوا إلى أهليهم.

التعامل بالأوراق النقدية: (الجاو)

وفي هذه السنة وضع صدر الدين صاحب ديوان الممالك بتبريز (الجاو) وهو كاغد بشكل مستطيل عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وفي أعلاه كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأمر الناس أن يتعاملوا به ودعوا للتعامل به وبعض الشعراء حبب للناس هذا وجعله فاتحة خير وسعادة... واتخذوا لصنعه دار ضرب وعينوا لها الموظفين[1]... وكل ما فعلته الحكومة من الدعاية له لم يجد نفعاً، ولم يروا ما يقوم مقام الذهب الأحمر ولا الفضة البيضاء وكان من عشرة دنانير إلى دون ذلك حتى ينتهي إلى درهم ونصف وربع فتعامل به أهل

---

(١) تاريخ وصاف ص ٢٧٢ ج ٣.

تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر فاضطربت أحوالهم اضطراباً اضربهم وبغيرهم حتى تعذرت الأقوات وسائر الأشياء وأنقطعت المواد من كل نوع. فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت (الجاو) ويعطي الخباز والقصاب وغيرهما ويأخذ حاجته خوفاً من أعوان السلطان.

وفي لغة الجغتاي جاء بلفظ (چاو) بالچيم الفارسية ويراد به النقود القرطاسية المعروفة عندنا بالأوراق النقدية وتتداول بمقام النقود الذهبية والفضية والفلوس وهي شائعة عند المغول مثل الباليش كما أن تنگة من نقودهم إلا أن تنگة من النقود الفضية أي الدراهم أو ما هو من نوعها وقد مرت في هذا الكتاب بلفظ (دناكش) ولم يألف الناس التداول بالأوراق إذ ذاك لا في العراق ولا في الممالك المجاورة له فكان من الصعب الأمر بالتداول بها وتنفيذ هذا الأمر ولا تزال المصاعب مشهودة في كل تغير من هذا النوع. وقد بين مؤرخون كثيرون مثل وصاف وجامع التواريخ ما أصاب الناس من الضيق والتضييق على التعامل بها... ونسب إلى الوزير اختراعه وهو مضطر على قبوله وتنفيذ أمر الحكومة ولم يكن من عمله...

وفي أيام المغول كان يستعمل في الصين (البالش أو الباليش) وقد مرت الإشارة عنه إلا أن قيمته تختلف عن الجاو. والبالش بقيمة عشرة دنانير إذا كان ورقاً؛ وبقيمة خمسمائة مثقال، أو مئتي بالش ورقي ويساوي ألفي دينار وأما البالش الفضي فإنه يساوي عشرين من البالش الورقي وقيمته مائتا دينار... وقد تداول الچاو أيام بايدو خان وأيام غازان في أوائل سلطنته... كذا قيل[١] وفيما يأتي ما يخالف ذلك فقد ألغي الچاو في سلطنة كيخاتو...

---

(١) المسكوكات القديمة الإسلامية: محمد مبارك ص ٤٠.

الجاو في بغداد:

ثم حمل منه عدة أحمال إلى بغداد صحبة الأمير لكزي ابن ارغون آقا فلما بلغ ذلك أهلها استعدوا بالأقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى في تبريز فلما أنهى ذلك إلى السلطان كيخاتو أمر بإبطاله فأبطل قبل وصول لكزي إلى بغداد وكفى الله العالم شره.

النقود في هذا العهد:

من حين انقراض الخلافة إلى مدة ليست بالقليلة تداولت نقودها، ولا تزال دفائنها تظهر بين آن وآخر، وهي موجودة بكثرة في المتاحف والخزائن... أما المغول فقد مر بنا القول عن بعض نقودهم، وأن الآبقائية كانت متداولة ومعروفة، وكذا الباليش المتعامل به أيام جنگيز والسلطان محمد وجلال الدين منكوبرتي[1] من الخوارزمشاهية وقد تكلمنا عن الدناكش... واليوم لم يعرف إلا بعض النقود الفضية والنحاسية لجنگيزخان وكيوك، ومونكو (مونككا)، أو ما هو مشترك بين هذا وبين هلاكو، أو ما هو باسم هلاكو خاصة مما هو موجود في بعض المتاحف إلا أننا لم نعثر على نقود من ضرب هلاكو في بغداد وإنما هناك ما ضرب في الموصل. وفي أيام آباقا خان ضربت نقود في الموصل سنة ٦٨٣ و٦٧٨هـ، وفي البصرة وأما في تبريز فالمضروب كثير وفي أيام السلطان أحمد كان الضرب في تبريز، وفي أيام كيخاتو كان الضرب في تبريز أيضاً.

والنقود في هذا العصر لا تخلو من التأثر بالنقود العباسية وأنها قريبة منها أو مماثلة... وفي كلها الطابع الإسلامي بارز حتى لغير

---

(١) في لغة المغول «منكو» بمعنى الأبدي الدائم وهو الله تعالى «وبرتي» هي ويردي التركية بمعنى اعطى والكلمة بمجموعها تعني عطاء الله أو عطاء الدائم...

المسلمين من ملوكهم، وفيها كلمة الشهادة، وأيام حكومة المسلمين منهم أضيف إليها اسماء الخلفاء الراشدين[1].

تبدلات في الولاية والإدارة:

وفي هذه السنة وصل بغداد الملك إمام الدين يحيى القزويني البكري وفخر الدين الرازي العلوي. وقد فوض إليهما (أمر العراق) فأقاما إلى آخر السنة ثم توجها إلى السلطان واستخلفا جمال الدين الدستجرداني على بغداد.

قاضي القضاة:

وفيها وصل إلى بغداد زين الدين محمد الخالدي على أنه قاضي القضاة متولي الوقوف والوكالة والتركة والمقاطعات والجوالي. فلم يمض شمس الدين محمد السكورجي له من ذلك غير القضاء والحسبة فحكم إلى آخر السنة وعاد إلى الأردو واستخلف أحد أصحابه على منصبه. وهو أخو صدر جهان قطب جهان...

الملك الأشرف:

في هذه السنة قتل الملك الأشرف ابن الألفي فخلفه الشجاعي وتلقب بالملك القاهر وبعد قليل قتل وسلطن أخو الملك الأشرف وكان صبياً ثم أعلن كتبغا سلطنته...

وفيات:

١ ـ توفي شرف الدين علي بن أميران كاتب الإنشاء ببغداد. وكان عالماً فاضلاً يكتب خطاً حسناً.

٢ ـ توفي النقيب غياث الدين عبد الكريم ابن طاوس في مشهد

---

(١) مسكوكات إسلامية تقويمي: أحمد ضيا ص ٨٢ ـ ٨٦ ومسكوكات ايلخانية ص ١٢ ـ ٤١.

موسى بن جعفر وحمل إلى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

هو غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن موسى المعروف بابن طاوس الفقيه النسابة النحوي العروضي. كان قد ولد في شعبان سنة ٦٤٨هـ وتوفي بالكاظمية في شوال سنة ٦٩٣هـ. قال في كنز الأديب: «كان جليلاً ورعاً». وقال ابن داود: «الفقيه، النسابة، النحوي، العروضي، الزاهد، العابد، أبو المظفر.. وكان أوحد زمانه، حائري المولد، حلي المنشأة، بغدادي التحصيل، كاظمي الخاتمة. ولد سنة ٦٤٨هـ وتوفي سنة ٦٩٣هـ في شوال.

وله ولد اسمه أبو الفضل محمد ولد في سلخ المحرم سنة ٦٧٠هـ وله ولد آخر يدعى رضي الدين أبا القاسم.

وقد أطنب صاحب روضات الجنات في ترجمته. وله كتاب الشمل المنظوم وكتاب فرحة الغري وغير ذلك.

٣ ـ توفي بهاء الدين علي بن أبي الفتح بن الفخر عيسى الإربلي ببغداد. وكان كاتباً بارعاً، له شعر وترسل، وكان رئيساً كتب لمتولي إربل ابن الصلايا، ثم خدم ببغداد في ديوان الإنشاء أيام علاء الدين صاحب الديوان ثم إنه فتر سوقه في دولة اليهود، ثم تراجع بعدهم ولم ينكب إلى أن مات، وكان صاحب تجمل وحشمة ومكارم أخلاق وفيه تشيع وكان ابوه والياً بإربل، ومن مصنفاته الأدبية المقامات الأربعة ورسالة الطيف المشهورة وغير ذلك. كذا في فوات الوفيات وجاء فيه أنه مات سنة ٦٩٢هـ وذكر جملة صالحة من شعره[١]...

صحيح اسمه أبو الحسن بهاء الدين علي بن فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الإربلي وقد ذكره صاحب تاريخ مفصل ايران وصاحب

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٨٣.

روضات الجنات. ومن اشهر كتبه كتاب كشف الغمة في معرفة الائمة وهو معتبر في تاريخ الائمة الاثني عشر. وفيه صرح بفكره ولم يداج في عقيدته وجاهر بذلك. والكتاب يعتمد على كتب كثيرة ينقل منها نصوصها عيناً ولا يخلو من فوائد تاريخية. وفي آخر المجلد الأول ذكر أنه اتمه في ٣ شعبان سنة ٦٧٨هـ ببغداد وفيه اجازة من مؤلفه سنة ٦٩١هـ لمجد الدين الفضل بن يحيى بن علي بن المظفر الطيبي الكاتب بواسط وهذا ذكر من أجازهم به وهم جماعة من مشاهير العصر. ولا محل الآن للتفصيل عنهم وفي آخر المجلد الثاني قال: كمل الكتاب وتم بحمد اللّٰه وعونه في ١١ رمضان سنة ٦٨٧هـ وأن الطيبي المذكور قرأه على مصنفه. طبع في ايران على الحجر في رجب سنة ١٢٩٤هـ.

وفي تاريخ ابن أبي عذيبة ترجمة مفصلة له. قال وخلف تركة عظيمة محقها ابنه أبو الفتح ومات صعلوكاً باربل[1].

٤ ـ توفي صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي وعمره نحو ٨٠ سنة كان كثير الفضائل ويعرف علماً كثيراً منه العربية ونظم الشعر وعلم الإنشاء كان فيه أمة وعلم التاريخ وعلم الخلاف وعلم الموسيقى ولم يكن في زمانه من يكتب المنسوب مثله وفاق فيه الأوائل والأواخر وبه تقدم عند الخليفة وكانت آدابه كثيرة وحرمته وافرة وأخلاقه حسنة وقد حكى ترجمة نفسه للعز الإربلي الطبيب بصورة مفصلة نقلها عنه في فوات الوفيات[2]. ومهارته في الموسيقى مشهورة كتب الرسالة الشرفية فيه وهذه الرسالة «الشرفية» أولهما: أحمد الله على آلائه... الخ منها نسخة في دار الكتب المصرية قسم الفنون الجميلة، وأخرى برقم ٥٩٨ منقولة بالتصوير الشمسي من كتبة طوپقپو رقم ٢١٣٠ في ١١٢

---

(١) تاريخ ابن أبي عذيبة ج ٥ ص ٤٠٩ وتاريخ مفصل إيران ص ٥٠٥.

(٢) ج ٢ ص ٢٣.

لوحة، ونسخة برقم ٣٤٨ بالتصوير الشمسي أيضاً (راجع نشرة الموسيقى والغناء لدار الكتب المصرية ص ١١.

وقال صاحب كشف الظنون إن صاحبها من رجال هذا الفن ومن له اليد الطولى، وكذا الخواجة عبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي، فيه كتب عديدة كشف الظنون ج ٢ ص ٥٩. وللصفي من المصنفات «الاوار» ذكره في الضوء اللامع (الضوء اللامع ج ٤ ص ٦). والأدوار في الموسيقى منه نسخة في مكتبة نور عثمانية رقم ٣٦٥٣ وأخرى في دار الكتب المصرية قسم الفنون الجميلة ٣٤٩ بخط عبد الكريمابن السهروردي كتبت سنة ٧٢٧هـ بآخرها رسالة في الموسيقى. وكذا (شرح دائرة الأصل الأول ـ الراست) نقلاً عن صفي الدين عبد المؤمن.. وفيها أنه توفي في صفر سنة ٦٩٣ هـ (راجع نشرة الموسيقى والغناء لدار الكتب المصرية ص ١١.

وقال ابن الطقطقي عنه: «كان قد صار في آخر أيام المستعصم مقرباً عنده، ومن خواصه، وكان قد استجد (الخليفة) في آخر أيامه خزانة كتب؛ ونقل إليها من نفائس الكتب وسلم مفاتيحها إلى عبد المؤمن فصار عبد المؤمن يجلس بباب الخزانة ينسخ له ما يريد، وإذا خطر للخليفة الجلوس في خزانة الكتب جاء إليها وعدل عن الخزانة الأولى التي كانت مسلمة إلى الشيخ صدر الدين علي ابن النيار... الخ» اهـ[1].

٥ ـ توفي شمس الدولة بن مجلد النصراني كاتب السلة.

٦ ـ توفي أبو منصور الطبيب النصراني المعروف بكتيفا وكان حاذقاً في علم الطب محمود العلاج...

(١) الفخري ص ٢٩٨.

حوادث سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٥م)

قتل السلطان كيخاتو

قتل كيخاتو خان:

في هذه السنة تغيرت نيات الأمراء في طاعة السلطان كيخاتو وراسلوا بايدو وكان في (دقوق) يعرفونه أنهم اتفقوا على طاعته وتمليكه فأعاد الجواب بقبول ذلك ووعدهم بالإجابة إلى ملتمساتهم فقبضوا على السلطان كيخاتو وقتلوه.

ترجمة السلطان كيخاتو:

قتل السلطان كيخاتو بن آباقا خان في ربيع الآخر وفي رواية في ٦ جمادى الاولى من هذه السنة وكان عمره آنئذ نحو ثلاثين سنة وقد لفظ أبو الفداء اسمه (كيختو) مراراً وفي الفوطي (كيغاتو) وشائعها (كيخاتو) وهو الصحيح. ولي السلطنة بعد أخيه وجعل وزيره الخواجة صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني في ذي الحجة سنة ٦٩١هـ ووصف صاحب تاريخ كزيده السلطان بأنه صاحب أهواء نفسية، لا يبالي بالمحرمات ويتعاطى الفجور بأنواعه من زنا ولواطة... قال أبو الفداء وسبب قتله أنه أفحش في الفسق في ابناء المغول فشكوا ذلك إلى ابن عمه بايدو فاتفق معهم على قتله فعلم وهرب فتبعوه وعقبوه بسلاسلار من أعمال موغان وقتلوه بها.

والظاهر أن السبب الذي أورده أبو الفداء ـ كما في تاريخ كزيده ـ من تعاطي المحرمات كان أحد دواعي قتله ولم يكن الغرض التشنيع عليه ليظهروه متهتكاً. فالأمراء أرادوا القضاء عليه لما مرّ من الأعمال... فخرجوا عن طاعته وأساساً اتخذ ذلك وسيلة إذ من أمد خرج الحكم من أيدي ملوك المغول وصار لأمرائهم بحيث تحكموا فيهم فلا يقطعون أمراً دونهم...

ومن وقائعه غير ما مر من حوادث العراق أنه إثر وفاة السلطان ارغون قد خرج عن الطاعة الاتابك افراسياب الفضلوي اتابك اللر واستولى على أصفهان فبعث كيخاتو خان عليه جيشاً فنكل به وبقي افراسياب حياً إلى أيام السلطان غازان. وهذا قتله ونصب أخاه الأتابك نصرة الدين أحمد على مملكة اللر. وقضى على غوائل أخرى إلا أنه اشتهر بالإسراف والبذل في سبيل الأهواء لدرجة لا تطاق، ومن آثار ذلك أن أصدر الجاو وشدد في لزوم التعامل به إلى أن حصلت نفرة عامة واضطربت الحالة الاقتصادية والسياسية معاً... فاتفق الأمراء على قتله فقتلوه بالوجه المشروح...

وقد ذكر أبو الفداء والفوطي وجامع التواريخ وتاريخ كزيده حياته في السلطنة والحكم مما لا مجال للإطالة فيه فهو خارج عن حدود نطاق تاريخنا...



سلطنة بايدو خان

سلطنة بايدو:

بعد أن قتل كيخاتو خان أرسل الأمراء وراء بايدو خان[1] ابن طرغاي خان[2] بن هلاكو خان يعرفونه ذلك فوافاهم وولي السلطنة في جمادى الأولى[3] من هذه السنة. ولم يستقر في الملك حتى ظهر (غازان) لحربه ومقارعته كما سيجيء:

---

(۱) جاء في ابن خلدون وأبي الفداء بلفظ بيدو والصحيح بايدو وهو الذي ينطق به الترك.

(۲) ورد في شجرة الترك أن بايدو بن قاراغاي «ص ۱۷۰» وفي موطن آخر منه أنه ابن طاراغاي «ص ۱۷۱» وفي تاريخ كزيده أنه طرغاي كما أنه جاء في كلشن طرقاي والشائع المذكور في متن الكتاب.

(۳) تاريخ وصاف ج ۳ ص ۲۸۳.

ولاية الدستجرداني العراق

تولية العراق: (أحوال بغداد)

ثم إن السلطان بايدو خان أرسل الأمير چارغتاي إلى بغداد وأمره بالقبض على محمد السكورجي وحمله إليه وولى جمال الدين الدستجرداني[1] العراق فوصل بغداد يوم السبت ١٨ ربيع الأول وقبض على محمد السكورجي وأبيه وأخيه وعمه وجميع أهل بيته وأصحابه ونهب أموالهم وكل ما في دورهم وحمل محمداً إلى بايدو وهو في نواحي (البت)[2] فأمر بقتله فقتل وقطعت اعضاؤه وحمل رأسه إلى بغداد ويداه وعلق الجميع على الجسر.

وكان جمال الدين الدستجرداني معتقلاً لإيضاح بقايا العراق مع أصحاب محمد السكورجي فأحضره الأمير جارغتاي إليه وولاه أمر العراق فركب وسكن الناس وكانوا قد اضطربوا وانزعجوا لما قبض على محمد السكورجي ثم جلس في الديوان وطلب فخر الدين مظفر بن الطراح صدر الحلة وكان موكلاً به مع أصحاب محمد السكورجي على بقايا الحلة فولاه قوسان وواسط والبصرة عوضاً عن نور الدين عبد الرحمن بن تاشان. وولى الأمير دولة شاه بن سنجر الصاحبي الحلة، ورتب شمس الدين محمد زرديان مشرفاً بواسط، ورتب عز الدين محمد بن شمام ناظراً لنهري عيسى وملك، وعين النواب في سائر الأعمال...

ثم أخذ في جمع الأموال الديوانية وكلف أرباب الأموال من أهل

---

(١) ورد في تاريخ كزيده دستكرداني بالكاف الفارسية وفي غيره دشت جرداني وقد ذكرها صاحب مراصد الاطلاع بالسين وبين أنها قرى عديدة مسماة بهذا الاسم.

(٢) البت والروذان فرعان من نهر العظيم ولا يزالان معروفين واسمهما قبل أن يندثر السد العظيم وإلى الآن مشهور إلا أن الروذان منهما يلفظ عند السكان هناك «الروضان» بالضاد. وقد مر ذكرهما في الفوطي مراراً.

بغداد والتجار والتتار وغيرهم شيئاً على وجه المساعدة وحمل ذلك إلى بايدو أولاً فأولاً ثم توجه إلى بايدو وعين في العراق نور الدين عبد الرحمن بن تاشان، وشرف الدين بديع. فلما وصل إلى بايدو والأموال صحبته ولاه (ديوان الممالك) وفوض إليه تدبير الملك.

قتلة السلطان بايدو:

لما بلغ غازان بن ارغون خان ما جرى على السلطان كيخاتو وكان في خراسان عظم ذلك عليه وأقبل بعساكره ومعه الأمير نوروز وقصد بايدو وهو بأذربيجان. فلما قرب منه أرسل إليه نوروز ينكر عليه قتل عمه. فاعتذر بالأمراء وركب عليهم الحجة في ذلك وطلب من نوروز أن يصلح الحال بينهما فعاد إلى غازان وعرفه ذلك فترددت الرسل بينهما حتى تم الصلح إلا أن نوروز لما أقام عند بايدو أخذ باستمالة المغول فمال أكثر الأمراء إلى غازان. ولما استوثق نوروز من المغول في الباطن كتب إلى غازان بخراسان وأمره بالحركة فتحرك غازان وبلغ بايدو ذلك فتحدث مع نوروز في الأمر فقال نوروز لبايدو أرسلني إلى غازان وبلغ بايدو ذلك فتحدث مع نوروز في الأمر فقال نوروز لبايدو أرسلني إلى غازان لأفرق جمعه وأرسله إليك مربوطاً فاستحلف بايدو نوروز على ذلك وأرسله فسار نوروز إلى غازان وأعلمه بمن معه من المغول وعمد نوروز إلى قدر فوضعها في جولق وربطه وأرسل بذلك إلى بايدو وقال وفيت بيميني حيث ربطت غازان وبعثته إليك وقازان اسم القدر بالتتري فلما بلغ بايدو ذلك جمع عساكره وسار إلى جهة غازان والتقى الجمعان بنواحي همدان فخامر اصحاب بايدو عليه وصاروا مع غازان فولى بايدو هارباً بنفر من أصحابه فأدركوه وحملوه إلى غازان فأمر بتسليمه إلى اصحاب كيخاتو فسلم إليهم فقتلوه. وكان ذلك في شوال. وكان عمره نحو أربعين سنة وملكه سبعة أشهر. وعلى رواية تاريخ كزيده ثمانية أشهر

وقتل في أواخر ذي القعدة، وفي تاريخ مفصل ايران أنه قتل في ٢٣ ذي القعدة وفي أبي الفداء أنه قتل في ذي الحجة. والتواريخ متقاربة ولعل مبناها وصول الخبر وتاريخه... وسبب القيام عليه امراؤه فإنه لم يتمكن منهم بسبب خرقه وعدم تمكنه من القبض على زمام الإدارة وقضائه على أصحاب النزعات...

جلوس السلطان غازان:

ثم جلس السلطان غازان بن ارغون على التخت في سلخ ذي الحجة[١] ودخل تبريز وصلى في جامعها... وولى أخاه خدابنده خراسان على قاعدته لما كان هناك، وجعل نائبه الأمير نوروز بن ارغون آغا وولى الأمير طغاجار الروم فسار إليها[٢].

قال في الدرر الكامنة: وحسن له نائبه نوروز فأسلم سنة ٦٩٤هـ ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس وفشا بذلك الإسلام في التتار[٣]... وكان إسلامه على يد صدر الدين إبراهيم بن سعد اللّه[٤] بن حمويه الجويني وعمره يومئذ بضع وعشرون سنة وكان يوم إسلامه يوماً عظيماً، دخل الحمام فاغتسل وجمع مجلساً وشهد شهادة الحق في الملأ العام فكان لمن حضر ضجة عظيمة وذلك في شعبان سنة ٦٩٤هـ ولقنه

(١) كذا في تاريخ كزيده.

(٢) الفوطي وتاريخ كزيده ص ٥٩١ وأبو الفداء ج ٤ ص ٢٣.

(٣) تعليق عن الملحق: جاء التفصيل عن ذلك في تاريخ (تلفيق الأخبار) في مواطن منه، وفي كتاب (السيادة العربية ص ٨ ـ هامش) عن السرتوماس ارنولد. وذكرنا: أن غازان اسلم في شعبان سنة ٦٩٤هـ. وفي روضات الجنات عن تاريخ إسلامه في ٤ شعبان هذه السنة ولم نجد من طبعها غيره (روضات الجنات ص ٥٠).

(٤) في الشذرات هو صدر الدين إبراهيم ابن الشيخ سعد الدين روى عن اصحاب المؤيد الطوسي وأخبر أن ملك التتار غازان اسلم على يده بواسطة نائبه نوروز وكان يوماً مشهوداً ج ٥ ص ٤٢٨.

نوروز شيئاً من القرآن وعلمه الصلاة وصام رمضان تلك السنة... ولما أسلم قيل له إن دين الإسلام يحرم نكاح نساء الآباء وكان قد استضاف نساء أبيه إلى نسائه وكان احبهن إليه بلغان خاتون وهي أكبر نساء أبيه فهم أن يرتد عن الإسلام فقال له بعض خواصه إن أباك كان كافراً ولم تكن بلغان معه في عقد صحيح إنما كان مسافحاً بها فاعقد أنت عليها فإنها تحل لك ففعل ولولا ذلك لارتد عن الإسلام واستحسن ذلك من الذي افتاه به لهذه المصلحة...»[1].

وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته (تحفة النظار): أن التتر يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته... وقازان وقازغان هو القدر قيل سمي بذلك لأنه لما ولد دخلت الجارية ومعها القدر ويلفظ في الغالب (غازان) وهو المعروف عند الترك في مؤلفاتهم ونطقهم... وإلى التسمية أو اللفظ أبهم نوروز في حلفه وأوهم أنه يريد السلطان كما تقدم...

أهل الذمة:

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ومن حين جلس السلطان غازان أصدر يرليغاً في دعوة المغول إلى قبول الإسلامية، وأن يحكموا بالعدل بين الناس، وأن تقوض دور الأصنام والكنائس ومعابد المجوس وتحول البيع إلى مساجد... وأمر بإلزام أهل الذمة الغيار فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم فداموا على ذلك شهوراً ثم أزيل بمجرد تسلط العوام عليهم وطمع الجهال فيهم.

ادارة العراق: (قاضي القضاة)

وتقدم السلطان بأخذ دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من

---

(١) ج ٣ ص ٢١٣.

النصارى فإنها كانت بأيديهم من حيث ملكت بغداد وأزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك وكان قد جعله النصارى مدفناً لأكابرهم فأزيلت القبور منه وصار مجلساً للوعظ. جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد بن عكبر وكان يجتمع عنده خلق كثير.

ثم ولي الأمير بوغولدار (شحنة بغداد) ورتب شرف الدين السمناني صاحب الديوان بها ورتب جمال الدين عبد الجبار البصري قاضي قضاة بغداد نقلاً من قضاء البصرة وعزل عز الدين أحمد ابن الزنجاني عن قضاء القضاة حيث كف بصره...

قتلة فخر الدين مظفر ابن الطراح:

ثم إن جمال الدين الدستجرداني تقدم إلى نور الدين عبد الرحمن نائبه ببغداد فأخذ فخر الدين مظفر ابن الطراح صدر واسط والبصرة وقتله فانحدر إلى واسط وقبض عليه وعلى اصحابه ثم دوشخ وطوق وأسمع كل قبيح وأخذ خطه بأنه وصل إليه شيء كثير من الأموال وأشهد عليه بذلك القاضي والعدول ثم حمله إلى بغداد ووكل به أياماً. ثم ضرب وعوقب وقتل وحمل رأسه إلى واسط وعلق على الجسر بعد أن طيف به في شوارعها وسوقها.

وكان جواداً سخياً كريماً ذا ناموس عظيم وسياسة يخافه الأعراب وسائر الرعايا. خدم في أعمال العراق، ناب في صباه عن نجم الدين ابن المعين في الحلة. ثم ولي ناظر طريق خراسان وناب عن الملك فخر الدين منوجهر ابن ملك همذان في واسط. فلما سافر إلى بلاده استقل بالحكم فيها وأضيف إليه قوسان والبصرة. ثم عزل ورتب صدراً في الحلة والكوفة والسيب. ثم نقل إلى صدرية واسط وبقي مدة ثم عزل ورتب صدراً بالحلة والكوفة والسيب ثم نقل إلى صدرية واسط وبقي مدة

ثم عزل ورتب صدراً بالحلة والسيب ثم عزل وأعيد إلى واسط مرة أخرى ثم عزل وأعيد إلى الحلة والسيب. ثم نقل في هذه السنة إلى صدرية واسط وقوسان والبصرة وآلت حاله إلى القتل. ودفنت جثته في مشهد موسى بن جعفرعليه السلام وكان قد تجاوز في العمر ستين سنة. وكان يقول الشعر الجيد. وله أشعار كثيرة مدح بها الصاحب علاء الدين ابن الجويني وأخاه شمس الدين. وآخر ما قاله وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل أن يقتل بأيام وجدت بخطه:

القول فيما مضى من عمرنا هذر
فدعه واصبر لما يأتي به القدر
واستشعر الصبر إن تأتيك نائبة
فالصبر أجمل ما حلي به البشر

إلى أن يقول:

وكل حادثة في الدهر هينة
إذا غدا سالماً في طيها العمر
قل للعتاة من الغايات ويحكم
طيبوا فقد فُقد الرهبالة الذمر
وقل لبيض السيوف المرهفات لدى
الاغماد قري فقد أودى به القدر
مضى المظفر ليث الغاب عن كثب
فليهن اعداءه من بعده الظفر

وفيات:

١ ـ توفي نور الدين عبد الرحمن بعد قتل مظفر ابن الطراح بمدة شهرين وكان يسلك نور الدين في أيام حكمه قاعدة بهاء الدين بن شمس الدين الجويني صاحب ديوان الممالك في التمثيل وشناعة القتل وأحدث

القنارة بواسط كما أحدثها بهاء الدين في اصفهان وكانت قد نسيت من عهد البساسيري.

٢ ـ توفي سعدي الشيرازي الشاعر المشهور بالفارسية. وكلستانه وبوستانه وكلياته معروفة. وله قصيدة في واقعة بغداد على يد هلاكو قالها باللغة العربية يتألم بها للمصاب ومطلع قصيدته في واقعة بغداد:

حبست بجفني المدامع أن تجري
فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها
تمنيت لو كانت تمر على قبري

وله المكانة الأدبية في أنحاء العراق بآثاره المذكورة فالاهتمام بها كبير جداً وقد ترجم الكلستان للتركية مراراً، وللعربية أيضاً... ولا تزال بقية في العراق تدرس كلستانه وكلياته...

٣ ـ توفي شمس آل الكبشي بشيراز.

٤ ـ توفي الفاروثي: الإمام عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ابن عمر الواسطي الشافعي المقري الصوفي شيخ العراق ولد بواسط في ذي القعدة سنة ٦١٤هـ ومات بواسط في أول ذي الحجة سنة ٦٩٤ وتفصيل ترجمته في الشذرات[١]. وفاروث قرية على دجلة.

٥ ـ الشيخ الإمام مظفر الدين أحمد بن نور الدين علي بن تغلب ابن أبي الضياء البغدادي البعلبكي الأصل المعروف بابن الساعاتي، سكن بغداد ونشأ بها، وأبوه هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد[٢]. وكان مظفر الدين إماماً عظيماً، فاضلاً، وله

---

(١) ج ٥ ص ٤٢٥.

(٢) مرت ترجمة أبيه.

تصانيف منها (مجمع البحرين) في الفقه، أسسه على قواعد لم يسبق إليها، وشرحه في مجلدين كبيرين، اختصر وقد اختصر العيني هذا الشرح وسماه المستجمع في شرح المجمع وزاد فيه مذهب الإمام أحمد، وفي كشف الظنون إيضاح عن تاريخ تأليف المجمع وأنه فرغ منه في ٨ رجب لسنة ٦٩٠هـ. والنسخة التي بخط مؤلفه رآها كاتب چلبي في مكتبة فاتح في استانبول. والكتاب من معتبرات كتب الحنفية... وله ابن أخت هو تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب المعروف بالساعاتي أيضاً المتوفى سنة ٦٦٤هـ وهو من شيوخ الإجازة، وللمترجم المظفر بنت فقيهة اسمها فاطمة[1]... وعلى كل نال المترجم شهرة عظيمة في الفقه الحنفي ولا يزال كتابه يعد من الكتب المعتبرة والمعول عليها عند الحنفية...

ومن مؤلفاته كتاب البديع في الأصول. جمع فيه بين أصول البزدوي وأحكام الآمدي قائلاً في خطبته إنه لخصه من كتاب الأحكام، وخصه بالجواهر النفيسة من أصول فخر الإسلام، وجعله حاوياً للقواعد الكلية والأصولية، مشحوناً بالشواهد الجزئية الفروعية[2]..

وله (كتاب الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود) ويعني بفيلسوف اليهود ابن كمونة اليهودي صاحب كتاب (تنقيح الابحاث عن الملل الثلاث). والنسبة إلى بعلبك بعلي. قال ابن رافع: وكتب المنسوب. أجاز لشيخنا أبي حيان النحوي قاله ابن رافع في تاريخه... (منتخب المختار).

هذا وقد ورد في صحيفة ٣٦٩ أنه كتاب الأبحاث عن الملل الثلاث (لا تنقيح الابحاث).. فاقتضى التنبيه.

---

(١) عقد الجمان ج ١٩ والجواهر المضيئة ج ١ ص ٨٠ والفوائد البهية وتاج التراجم.

(٢) روضات الجنات ص ٩ ٨ والفوائد البهية ص ٢٦ ـ ٢٧.

٦ ـ ابن البزوري: أبو بكر محفوظ بن معتوق البغدادي التاجر، روى عن ابن القسطي، ووقف كتبه على تربته بسفح قاسيون وكان نبيلاً، سرياً جمع تاريخاً ذيل به على المنتظم وتوفي في صفر عن ٦٣ سنة وهو أبو الواعظ نجم الدين[١].

فظاعة في عقوبة:

وقعت حادثة رجل أعجمي يعرف بتاج الدين الدامغاني قد قتل في درب حبيب أنه اتهم به جماعة وحبسوا فحصل الحماة بقية النهار على قاتله فاعترف بالقتل. ولذا ضرب في يديه مسامير إلى لوح وراء ظهره وطيف به بجانبي بغداد. ثم سمر بباب السور وعمل عليه بقية الشمس ليطول عذابه فبقي أياماً ثم قتل بعد ذلك على خشبته وهو قوي الجنان فترى الفظاعة في العقوبة والشدة في المغالاة في تنفيذها.

حوادث سنة ٦٩٥هـ (١٢٩٦م)

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نائب بغداد:

في هذه السنة رتب جمال الدين الدستجرداني أخاه عماد الدين نائباً عنه ببغداد حيث توفي نور الدين عبد الرحمن ابن تاشان. وكان قليل المعرفة بأحوال العراق فأعتمد على عز الدين محمد بن شمام في ذلك فكان هو الحاكم وعماد الدين صورة.

صاحب ديوان الممالك:

وعزل شرف الدين السمناني صاحب ديوان الممالك ورتب عوضه جمال الدين الدستجرداني فلم تطل أيامه وقتل في سنة ٦٩٦هـ.

---

(١) الشذرات ج ٥ ص ٤٢٥.

تصفح أعمال العراق:

وفي رجب من هذه السنة سير السلطان غازان إلى بغداد أميراً اسمه توختاي لتصفح أعمال العراق وسير معه سعد الدين أسد بن علي مشرفاً على العراق فقدما بغداد وقبضا على شرف الدين بديع وكان مشرفاً به فهرب من الموكلين عليه بعد شهر ولحق بنوروز بخراسان.

وأما توختاي وسعد الدين فإنهما جمعا جباية وافرة من السلاح وبرزا بها إلى الكوشك بظاهر باب الحلبة في شوال منها.

ففي بعض تلك الأيام ركب سعد الدولة عامد توختاي يريد داره ببغداد وذلك وقت العتمة في نفر يسير من أصحابه غير مستظهر بسلاح ولا عدة، فلما جاز باب الظفرية تواثب عليه رجالة ملثمون من رجالة الحلة وضربوه بالسيوف والخناجر فجرحوه في رأسه ويده اليسرى وكادوا يقتلونه فهرب أصحابه عدا غلام توختاي فجعل يضرب قطاة بغلته ويحثها وجعل سعد الدين يدافع عن نفسه بالمقرعة فنجا ولم يكد، وكانت نجاته من العجب الذي هو فرج بعد شدة، وكان ذلك بوضع جمال الدين الدستجرداني وكان المدبر لهذه القضية حسن بن مجهر، وهو من بطانته.

وفيات:

١ ـ توفي أثير الدين البشيري مشرف العراق وهو ابن عم مجد الدين محمد ابن الأثير.

٢ ـ توفي قاضي القضاة جمال الدين عبد الجبار البصري بالبصرة انحدر إليها فمرض ومات، وولي بعده ولده عماد الدين قضاء القضاة ببغداد.



حوادث سنة ٦٩٦هـ (١٢٩٧م)

السلطان غازان والعراق:

في المحرم سار السلطان غازان يريد العراق. فلما وصل همذان بلغه أن نوروز قد تغيرت طاعته في نيته وفسدت سريرته وبالتعبير الأصح أن صدر الدين الخالدي المعروف بصدر جهان قد اتهمه ووشاه لدى السلطان وبين أن جمال الدين الدستجرداني صاحب الديوان عين له يخبره بالأحوال. فأمر بقتل الدستجرداني فقتل توسطاً ورتب صدر الدين الخالدي عوضه، وكانت مدة ولايته ديوانية الممالك لم تتجاوز الشهرين[١].

ثم توجه إلى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والإحسان ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من رعي الزروع ولا غير ذلك. وكانت الرعية تسير بينهم ومعهم الأشياء المجلوبة للبيع فلا يأخذ أحد منهم شيئاً إلا ابتياعاً باللطف واللين، ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته...

فلما دخل بغداد لم ينزل في دار إلا بالأجرة وما أنزع أحد من منزله.

دخوله المدرسة المستنصرية:

ثم دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ وكان المدرسون والفقهاء قد جلسوا على عادتهم والربعات الشريفة في أيديهم فلما عاينوه قاموا وخدموه. فأمر رشيد الدين يقول لهم أنتم مشغولون بقراءة كتاب الله عز وجل كيف

---

(١) تاريخ كزيده ص ٥٩٣ وابن الفوطي.

جاز لكم تركه والاشتغال بغيره فقال أحد المدرسين: السلطان ظل اللّه في أرضه وطاعته وتعظيمه والانقياد له واجب في الشرع. فدخل (خزانة الكتب) ولمحها. ثم عاد إلى الدار المذكورة فبات بها هذا ما ذكره الفوطي.

وفي الدرر الكامنة: ولما دخل غازان بغداد... حضر المستنصرية واجتمع الناس لتلقيه وحضر الشيخ زين الدين العابر وهو علي بن أحمد ابن يوسف بن الخضر الآمدي الحنبلي فأمر غازان من معه أن يدخلوا المدرسة واحداً واحداً كل منهم يوهم الشيخ زين الدين أنه غازان امتحاناً له (وكان أضر) فجعل الناس كلما وصل أمير يزهزهون له ويعظمونه ويأتون به إلى زين الدين ليسلم عليه فيرد عليه السلام ولا يتحرك حتى جاء غازان فلما سلم عليه وصافحه نهض له قائماً وقبل يده وأعظم ملتقاه وبالغ في الدعاء له بالمغلي ثم بالتركي ثم بالفارسي ثم بالرومي ثم بالعربي ورفع صوته فأعجب غازان به وخلع عليه في الحال وأمر له بمال ورتب له في كل شهر ثلاثمائة وحظي عنده وعند من يليه ولم يزل على حاله حتى مات ببغداد سنة بضع عشرة وسبعمائة. وكان مقرئاً ببغداد وغيرها وصنف التبصير في التعبير وتعاليق في الفقه وتعانى تعبير المنامات وكان هو يرى المنامات الصائبة وكان يتاجر في الكتب وأضر فلم يكن يخفى عليه منها شيء وكان لا يفارق الاشغال والاشتغال وللناس عليه قبول... أخذ عن عبد الصمد بن أبي الجيش المقري ببغداد وعن غيره ويعرف بزين الدين العابر[1].

وقد أورد ابن الطقطقي هذه الوقعة وبين أنها كانت سنة ٦٩٨هـ قال:

لما ورد السلطان إلى بغداد في هذه السنة دخل المستنصرية لمشاهدتها والتفرج فيها وكان قبل وروده إليها قد زينت، وجلس

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١.

المدرسون على سددهم، والفقهاء بين أيديهم أجزاء القرآن وهم يقرأون فيها فاتفق أن الركاب السلطاني بدأ بالاجتياز على طائفة الشافعية ومدرسها الشيخ جمال الدين عبدالله ابن العاقولي وهو رئيس الشافعية ببغداد، فلما نظروا إليه قاموا قياماً فقال للمدرس المذكور كيف جاز أن تقوموا وتتركوا كلام الله فأجاب المدرس بجواب لم يقع بموقع الاستصواب في الحضرة السلطانية...» اهـ[1].

ثم إنه قال يمكن أن يقال في الجواب إننا أمرنا فيه بتعظيم سلاطيننا ولم يختلف عما أورده الفوطي وهذا شأن صاحب الفخري دائماً في الاعجاب بنفسه والدعوى والنقل المغلوط والتحامل من طرف خفي فقد غلط في التاريخ ولم يؤد النقل...

الخراج:

ثم نزل من الغد في شبارة وقصد المحول وأقام بدار الخليفة أياماً فتألم الناس من إلزامهم بالخراج ذهباً أحمر.. وكان جمال الدين الدستجرداني قد استوفاه في السنة الماضية كذلك. وقال قد كانوا في زمن الخلفاء يؤدونه ذهباً فأضر ذلك بالناس فأمر السلطان بإجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد فتوفر عليهم شيء كثير من التفاوت فزادت أدعيتهم.

السلطان في الحلة: (وزيارة المشاهد)

ثم توجه إلى الحلة وقصد مشهد علي عليه السلام فزار ضريحه الشريف وأمر للعلويين بشيء كثير. ثم قصد مشهد الحسين عليه السلام وفعل مثل ذلك وعاد إلى أعمال الحلة وقوسان متصيداً وزار قبر سلمان الفارسي(رض)

---

(١) الفخري ص ٢٩ وفيه تفصيل.

وأمر للفقراء المقيمين هناك بمال وتوجه إلى بغداد وأقام إلى أيام الربيع.

خروجه من بغداد وما جرى - (قتلة نوروز):

ثم سار إلى بلاد الجبل وقد تأكد عنده ما بلغه من حال نوروز. وقد جاء في الدرر الكامنة: أول ما وقع له القتال كان مع نوروز بن أرغون الذي كان حسن له الإسلام فإن نوروز خرج عليه فحاربه ثم لجأ نوروز إلى قلعة خراسان فأخذ منها وقتل ثم عاد غازان إلى الأكراد الذين اعانوا نوروز فأوقع بهم فقتل في المعركة خمسون ألف نفس وبيعت البقرة السمينة في هذه الوقعة بخمسة دراهم والرأس من الغنم بدرهم والصبي الحسن الصورة المراهق والبالغ باثني عشر درهماً... وذلك أنه لما وصل خانقين أمر بقتل إخوة نوروز وأهله وأصحابه وكل ما يتعلق به من نائب وغيره فقتلوا وكان من جملتهم كمال الدين كوجك وكان ببغداد فأحضر وقتل وأمر بإلزام أهل الذمة (الغيار) فألزموا بذلك في بغداد مدة شهرين ثم أزيل. ثم أمر الأمير قتلغ شاه بالمسير إلى خراسان والقبض على نوروز وقتله فسار وأوقع ببيوته وقتل كثيراً من أهله حتى أدركه بنواحي هراة فاعتصم بها وقاتل أهل البلد عنه أياماً فأرسل الأمير قتلغ شاه إليهم يتهددهم ويخوفهم عاقبة الأمر فتخاذلوا عنه فقبض عليه وأخرج راجلاً وسلم إلى قتلغ شاه فقتله في ذي الحجة بترتيب من صدر جهان وحيلة منه... وذلك أنه اختلق كتاباً يشعر بمخابرة مع سلطان مصر... وكل هذا كان لنيل الإمارة... مما يدل على أخلاق القوم آنئذ ودرجة تفسخهم حباً في الرياسة ونيل الكراسي... وأنفذ رأسه إلى السلطان فطيف به في تلك البلاد ونفذ إلى بغداد وكان هذا بمنزلة الاعلان في أمثال هذه ترهيباً للناس وتخويفاً لهم. وكانت الوشايات على أمراء المغول ورجالهم تترى إلى أن قضوا على أكثرهم وعدمت المملكة حسن الإدارة[1]...

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٣ وتاريخ كزيده ص ٥٩٣ وابن الفوطي.

حوادث بغداد

قتل علي بن علاء الدين الجويني:

ثم أمر بقتل مظفر الدين علي بن علاء الجويني صاحب الديوان فنفذ إلى بغداد من قبض عليه واعتقله أياماً ثم قتل ودفن في دار المسناة التي بأعلى بغداد وعملت الدار رباطاً. ثم نقل منها ودفن عند والدته في الرباط المجاور للعصمتية.

قتل عز الدين محمد بن شمام:

وقبض على عز الدين محمد بن شمام نائب جمال الدين الدستجرداني ببغداد وطولب بأموال صارت إليه من الديوان ثم قتل.

ضمان العراق:

وفي هذه السنة عقد (ضمان العراق) على الشيخ جمال الدين إبراهيم ابن السواملي. والملك إمام الدين يحيى البكري القزويني.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قضاء القضاء:

رتب قاضي القضاة ببغداد زين الدين محمد الخالدي على القاعدة التي تقدم ذكرها في سنة ٦٩٣ فوصل إلى بغداد وجرى بينه وبين قاضي القضاة عماد الدين البصري من المنافسة على المنصب والحكم أشياء لا يليق ذكرها. فاستظهر زين الدين عليه بمساعدة أخيه صدر الدين (صدر جهان) صاحب ديوان الممالك.

وطولب عماد الدين بحقوق ديوانية كان قد سومح بها أبوه في البصرة وغيرها وسلم إلى من يستوفي ذلك منه فأدى بعضه ببغداد ثم أحدر إلى البصرة لاستيفاء الباقي فهرب واعتصم بالبطائح. فلما قتل صدر الدين (صدر جهان) سنة ٩٧ ظهر من البطيحة وتوجه إلى الاردو فأعيد إلى القضاء على ما نذكره.

أبو محمد عفيف الدين الحنبلي:

عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزّان المقري البصري المدني، أبو محمد بن أبي عبدالله المحدث عفيف الدين الحنبلي نزيل المدينة. سمع من أبي الحسن المبارك بن محمد بن مزيد بن هلال الخواص بالمستنصرية، ومن أبي العباس أحمد بن عمر بن عبد الكريم الباذبيني، ومن أبي الحسن علي بن عبد اللطيف ابن يحيى... ومن فضل الله بن عبد الرزاق الجيلي، ومن المؤتمن يحيى بن أبي السعود ابن قميره، وحدث. كان إماماً فاضلاً، فقيهاً، زاهداً، عابداً، عارفاً بفنون العلم والأدب، توفي في ٢٣ صفر سنة ٦٩٦هـ.

حوادث سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٧م)

ذيول (الجاو) - (حوادث العراق):

في هذه السنة أمر السلطان غازان بقتل صدر الدين (صدر جهان) أحمد بن عبد الرزاق الخالدي (صاحب ديوان الممالك) لما ظهر من سوء حركاته وكان غير محمود السيرة ظالماً أظهر (الچاو) وقسر الناس على المعاملة به فأضر بهم وبطلت معايشهم وتعطلت أمورهم إلى أن لطف الله تعالى وألهم السلطان إبطاله ثم ضاعف الخراج كما فعل جمال الدين الدستجرداني وألزم الناس بالقيجور[1] وزاد في قرارات التمغات وبالغ في المصادرات والتثقيلات فلما قتل أمر بقتل أخيه قطب

(١) ورد في الفوطي بالياء قيجور وفي لغة جغتاي «قفجور» ويعني الضريبة والباج أو الخراج أو المقرر السنوي وجاء في كاترمير وغيره من الغربيين أن اللفظة مغولية وأصلها مرعى المواشي، والضريبة التي تؤخذ عليها إما عيناً على رؤوس الدواب أو بدلاً بدراهم وهي المعروفة عندنا بـ «شاة مرتع» وضبطها الغربيون «قبجور» بضم القاف وبالباء الموحدة، والذي ضبطه الفوطي أقرب للمغولية... «كاترمير ج ١ ص ٢٥٦».

الدين (قطب جهان) فقتل وطلب أخوه زين الدين الذي كان (قاضي القضاة) ببغداد فهرب ولحق بصاحب جيلان فسأل من السلطان العفو عنه فأجاب سؤاله فسأل أن يعاد إلى (القضاء بالعراق) فأخذ وحبس بتبريز فهرب من الحبس فأدرك وأعيد إليه ثم قتل. كذا في ابن الفوطي. وجاء في تاريخ كزيده أن السلطان غازان اطلع على تزويرات صدر الدين (صدر جهان) فحاذر منه وقتله في ٢١ رجب سنة ٦٩٧ وفوض الوزارة للخواجة رشيد الدين ولمحمد ساوجي الملقب (وزيرنكو) ابن الخواجه سعد الدين[1].

شحنة بغداد:

وفيها عزل الأمير (ناولدار) شحنة بغداد وسبب ذلك أن نائبه رستم أساء السيرة وتعدى الحد في الشنقصة وأنواع التأويلات على الناس واعتمل ما أوجب قتله وعزل ناولدار ورتب عوضه (الأمير اذينا) فمهد العراق بحسن سيرته وعظم سطوته وشدة وزعته لا تأخذه في المفسدين لومة لائم فالناس في أيامه آمنون على نفوسهم وأموالهم في البلاد والنواحي والطرق...

وفيات:

١ ـ في يوم عرفة حضر الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن الزياتين في الجامع وصلى العصر وقد اجتمع الناس للتعريف فمات فجأة فحمله أصحابه إلى زاويته. وكان على قاعدة جميلة من الزهد والانقطاع والانعكاف على عبادة اللّه تعالى.

٢ ـ مؤرخ عراقي (الكازروني): توفي الشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني ببغداد. وكان عالماً فاضلاً خدم الديوان في الاشغال

---

(١) تاريخ كزيده ص ٥٩٣.

الجليلة. وجمع تاريخاً. وعمل كتاباً في الاختيارات سلك فيه طريقة ابن حراز في الاختيارات التي عملها لشرف الدين اقبال الشرابي وكتب خطاً جيداً وتجاوز في العمر ٨٠ سنة وكثيراً ما ينقل عنه صاحب التاريخ المنسوب للفوطي. وكذا الذهبي في مواطن كثيرة... وأكثر المتأخرين عالة عليه... ومن المؤسف أن لم نقف له على أثر، ولا عثرنا على ترجمة ضافية له في الكتب المتداولة والمعروفة... وفي طبقات السبكي قال عنه:

«مولده سنة ٦١١هـ وسمع الحديث من الأمير أبي محمد الحسن بن علي بن المرتضى وأبي عبدالله بن سعد الواسطي وغيرهما، وكان حيسوباً، فرضياً، مؤرخاً شاعراً، وله كتاب النبراس المضيء في الفقه، وكتاب المنظومة الأسدية في اللغة، وكتاب روضة الأديب في التاريخ، وله شعر حسن. توفي في حدود السبعمائة.» اهـ[١]، وأمثال هذا المؤرخ ممن له أصبع في الادارة، أو علاقة بالحكومة... يستفاد منه صحة النقل فيما يتعلق بالحكومة من جهة، والبصيرة بسير الشؤون والإدارة من أخرى...

وقال في الدرر الكامنة عنه هو ظهير الدين البغدادي الشافعي ولد سنة ٦١١ وسمع من الحسن ابن السيد والدبيثي وغيرهما وتمهر في الفنون وصنف التصانيف منها روضة الأديب في سبعة عشر سفراً في التاريخ والنبراس المضيء في الفقه و(كنز الحساب) في الحساب مجلداً، والسيرة النبوية، والملاحة في الفلاحة[٢].

٣ ـ شيخ المستنصرية: توفي الكمال القويرة مسند العراق أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد البغدادي الحنبلي المقري

(١) الطبقات ج ٦ ص ٢٤٢.
(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١١٩.

البزار المكثر شيخ المستنصرية. قرأ القراءات على الفخر الموصلي وسمع من أحمد بن صرما وجماعة وأجاز له ابن طبرزد وعبد الوهاب بن سكينة وانتهي إليه علو الاسناد في القراءات والحديث وتوفي في ذي الحجة وله ثمان وتسعون سنة ووقع في الهرم رحمه اللّٰه تعالى[١].

٤ ـ الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر وهو أبو عبداللّٰه ابن الظهير الإربلي الحنفي الأديب ولد بإربل في ٢ صفر لسنة ٦٠٢هـ وسمع ببغداد في الكهولة من أبي بكر بن الخازن والكاشغري وغيرهما... وكان من كبار الحنفية، وهو من أعيان شيوخ الأدب وفحول المتأخرين في الشعر. وله ديوان شعر في مجلدين. وكانت وفاته سنة ٦٩٧هـ[٢].

حوادث سنة ٦٩٨هـ (١٢٩٨م)

مسير السلطان غازان إلى العراق:

في هذه السنة سار السلطان غازان إلى العراق وجعل طريقه على

---

(١) الشذرات حوادث هذه السنة. وعن الملحق: وجدنا في هذه الترجمة تصحيفات. فآثرنا نقلها من منتخب المختار، وهذا نص ما جاء هناك:

«عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد بن عبداللّٰه البغدادي الحنبلي أبو الفرج المقري البزار المنعوت بالكمال المكبر بجامع القصر هو ووالده والداعي بالجامع المذكور المعروف بابن وريدة والمعروف بابن الفورهية. سمع من أبي العباس أحمد بن يوسف بن صرما... وأجاز له أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد وأبو محمد عبد العزيز بن سكينة، وأبو العباس أحمد بن أبي بكر أحمد أبي السعادات البندنيجي. وسليمان وعلي ابنا محمد بن الموصلي... وسمع منه عبداللّٰه محمد ابن عبد الرحمن بن سلامة، وأبو العباس أحمد بن محمد الكازروني وغيرهما، وقرأ القراءات... على فخر الدين محمد بن أبي الفرج بن معالي بن بركة الموصلي.. مولده ببغداد في حدود سنة ٩٩، أو ٥٩٨هـ وتوفي ببغداد يوم الأربعاء ٢٥ من ذي القعدة أو ذي الحجة سنة ٦٩٧هـ» اهـ.

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٩.

(جوخى) وسير بعض العسكر إلى بطائح واسط فحصروا الأعراب وأكثروا القتل فيهم والنهب والسبي وغنموا أموالهم وعين جماعة لملازمة أعمال واسط ومنع من تخلف من العرب عن الفساد.

ثم توجه إلى الحلة وقصد زيارة المشاهد الشريفة وأمر للعلويين والمقيمين بها بمال كثير. ثم أمر بحفر نهر بأعلى الحلة فحفر وسمي (النهر الغازاني) تولى ذلك شمس الدين صواب الخادم السكورجي وغرس الدولة...

غازان مجيئه إلى بغداد ـ ضرب النقود:

ثم سار إلى بغداد وأمر بالإحسان إلى الرعية وزاد في العدل والرأفة بهم وأمر أن يصفى الذهب والفضة من الغش ويبالغ في ذلك وتضرب الدراهم متساوية الوزن ليتعامل بها الناس عدداً يكون وزن الدرهم نصف مثقال وعملت دراهم وزن الدرهم ثلاثة مثاقيل ومثقال يخرج بنسبة ذلك ويكون كل مثقال من الذهب بأربعة وعشرين درهماً.

وضرب من الذهب أشياء مختلفة الوزن خمسة مثاقيل وثلاثة مثاقيل ومثقالان ومثقال ونصف مثقال وربع مثقال وأمر أن يعمل ذلك في جميع الممالك فعمل وانتفع الناس به...

ومما ضرب في بغداد والبصرة موجود في المتاحف وبعضها قبل هذا التاريخ أي سنة ٦٩٦ و٦٩٧هـ وما يلي من السنين وعلى النقود المذكورة كلمة الشهادة واسم السلطان محمود غازان ومحل الضرب[1]...

ملحوظة:

التبس على صاحب الفخري الأمر فظن أن دخول السلطان المستنصرية في هذه السنة مع أنها كانت سنة ٦٩٦هـ. فخلط في السنين

---

(١) مسكوكات إسلامية تقويمي ص ٨٧ و٨٨ ومسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي ص ٤٣ وما بعدها.

وشوش في النقل وأبدى رأيه بالرجوع إلى صحة ما شوشه...

عودته:

ثم عاد في زمن الربيع إلى بلاد الجبل...

ولاية العراق ـ تبدلات إدارية

١ ـ ضمان العراق:

في هذه السنة عقد (ضمان العراق) على الملك إمام الدين يحيى القزويني البكري واستقل بالحكم فيه وكفت يد الشيخ جمال الدين إبراهيم السواملي.

٢ ـ قضاء القضاة:

وفيها أعيد جمال الدين البصري إلى قضاء القضاة ببغداد. وقد تقدم ذكر ما جرى له واعتصامه ببطائح واسط فلما قتل صاحب الديوان صدر الدين (صدر جهان) ظهر وقصد الأردو وعرض حاله على الوزراء فأعادوه على القضاء فوصل بغداد في صفر.

وفيات:

١ ـ توفي في بغداد جمال الدين ياقوت المستعصمي الكاتب كان أديباً عالماً فاضلاً شاعراً بلغ من الخط غاية كما بلغها (ابن البواب)[1] كان قد اشتراه الخليفة المستعصم صغيراً وربي بدار الخلافة واعتنى بتعليمه الخط صفي الدين[2] عبد المؤمن ثم كتب على الشيخ (ابن حبيب) وكتب عليه ابناء الأكابر ببغداد. وحظي عند (علاء الدين الجويني) صاحب الديوان وكتب عليه أولاده وابن أخيه شرف الدين هارون.

---

(١) مر ذكر ابن البواب في تعليقة سابقة.

(٢) ترجمة صفي الدين عبد المؤمن في وفيات سنة ٦٩٣هـ.

وقال عنه صاحب الشذرات: «الكاتب الأديب، البغدادي، آخر من انتهت إليه رياسة الخط المنسوب، كان يكتب على طريقة ابن البواب...» اهـ[1] وقد عثرت على قرآن بخطه فحصلت على نماذج مصورة منه وألواح خطية ولم يعدم خطه... وإليه ينتهي خطاطون مشاهير في اجاراتهم ممن جاء بعده وغالب الخطاطين من الترك العثمانيين يصلون إليه في اجازاتهم خصوصاً ابن الشيخ ومن أخذ عنه...

وله الأشعار المستحسنة الرائقة التي جمعت من الأوصاف ما تفرق في جميع الأشعار وذلك قوله:

بدا بوجه مخجل
شمس النهار المشرقة
في أذنه لؤلؤة
كأنها والحلقة
قد أخذا من وردة
بالياسمين ملحقة

وله تهنئة بعيد:

همك إسعاف وإسعاد
فدمت تزدان وتزداد
ما العيد في عصرك مستظرفاً
جميع أيامك أعياد

وله:

اتعتقدون أن الملك يبقى
وأن العيش في الدنيا يدوم

---

(١) ج ٥ ص ٤٤٣.

ولا يجري الزوال لكم ببال
كأن الموت ليس له هجوم

فهبكم نلتم ما نال كسرى
وقيصر والتبابعة القروم

ومتعتم بذلك عمر نوح
وحفتكم بأسعدها النجوم

أليس مصير ذاك إلى زوال
لعمر أبي لقد هفت الحلوم

وله:

أراك فأغضي الطرف عنك مخافة
عليك وعندي منك داء مخامر

يزيد على مر الجديدين جدة
وليس بباال يوم تبلى السرائر

وقد أورد له صاحب الشذرات بعض الأبيات غير ما ذكر.

وترجمه في المنتخب من المختار بما نصه:

«ياقوت بن عبدالله الرومي المستعصمي أبو الدر الملقب كمال الدين الكاتب كان بارعاً في علم وأدب وملح الشعر والخط كتب عليه خلق من أولاد الأكابر..

ومن شعره:

صدقتم فيّ الوشاة وقد مضى
في حبكم عمري وفي تكذيبها

وزعمتم أني مللت حديثكم
من ذا يملّ من الحياة وطيبها

ومن شعره:

وعـــدت أن تـــزور لـــيـــلاً فـــألـــوت
وأتـــت فـــي الـــنـــهـــار تـــســـحـــب ذيـــلا
قـلـت هـلا صـدقـت فـي الـوعـد قـالـت
كـيـف صـدقـت أن تـرى الـشـمـس لـيـلا» اهـ.

وفي غيره:

رعـى الـلّـه أيـامـاً تـقـضـت بـقـربـكـم
قـصـاراً وحـيـاهـا الـحـيـا وسـقـاهـا
فـمـا قـلـت إيـه بـعـدهـا لـمـسـامـر
مـن الـنـاس إلا قـال قـلـبـي آهـا

٢ ـ توفي صدر الدين أبو عبدالله أحمد بن محمد بن الأنجب ابن الكسار الواسطي الأصل البغدادي المحدث الحافظ الحنبلي ولد سنة ٦٢٦هـ وسمع ببغداد من ابن قميرة وغيره وبواسط من الشريف الداعي الرشيدي وعني بالحديث وكانت له معرفة حسنة به[(١)] . . .

حوادث سنة ٦٩٩هـ (١٢٩٩م)

السلطان غازان والشام:

في هذه السنة سار السلطان غازان إلى بلاد الشام حيث بلغه ما فعلوا بأهل ماردين في السنة الماضية من النهر وكان قنجاق أحد أمراء الشام، اتصل بالسلطان فحسن له ذلك وعرفه ضعفهم عن لقائه فلما قرب من حلب راسل واليها ودعاه إلى طاعته فأجاب وسأل أن يمهل إلى أن يملك الشام فتركه وسار إلى حمص. فلما قاربها لقيته الجيوش المصرية

---

(١) الشذرات ج ٥ ص ٤٤١.

فاقتتلوا ساعة فلم يلبث المصريون أن انهزموا راجعين فغنم عسكر السلطان سوادهم وسار السلطان إلى دمشق فنزل بظاهرها وتصدق بحقن دماء أهلها وأمنهم على أموالهم فلم يعرض أحد من العسكر للرعية بنهب ولا غيره واحتوى على ما في القلعة من الأموال والذخائر. . .

ورتب في دمشق (الأمير قنجاق) المذكور وجعل عنده الأمير مولاي في عشرين ألفاً من الفرسان وعاد السلطان إلى الموصل يريد مقر ملكه. فلما عرف قنجاق أنه بعد عن الشام أرسل إلى مولاي يقول له: إني أكلت من نعمة القاآن وشملني إحسانه وإنعامه ورحمته ولا يجوز لي الغدر بأصحابه. وقد وصلت عساكر سلطان مصر وأعرف أن لا طاقة لك بهم. والرأي أن ترحل إلى العراق فرحل ولم يلبث فخلت البلاد لقنجاق فكاتب الأمراء بمصر يعرفهم ذلك فسيروا إليه جيشاً خوفاً من عود مولاي أو غيره.

فلما بلغ السلطان غازان ما اعتمده قنجاق تجهز للمسير إلى الشام في سنة ٧٠٠هـ.

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامى

وفيات:

١ ـ توفي عز الدين دولة شاه الصاحبي العلائي بلرستان وكان مستتراً هناك بسبب بقايا تخلفت عليه من ضمان الحلة. فلما توفي حمل إلى تربة أخيه الملك ناصر الدين قتلغ شاه بمشهد سلمان الفارسي (رض).

٢ ـ شرف الدين أبو أحمد داود بن عبدالله بن كوشيار الحنبلي، الفقيه المناظر، كان بغدادياً، فقيهاً، مناظراً بارعاً، عارفاً بالفقه، صنف في أصول الفقه كتاباً سماه (الحاوي)، وفي أصول الدين كتاباً سماه (تحرير الدلائل)[١].

---

(١) الشذرات ج ٥ ص ٤٤٧.

حوادث سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠م)

حرب السلطان مع أهل الشام:

في المحرم سار السلطان غازان إلى بلاد الشام في جيوش تملأ الفضاء لا تحصى كثرة فرقهم في طرق شتى وسار هو إلى الموصل وعبر الفرات. فلقيت مقدمته طائفة من عسكر الشام فقاتلوهم فانهزم الشاميون وغنم المغول سوادهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا...

فاتفق تواتر الغيوث وشدة البرد ودام ذلك حتى امتنعوا من الحركة وتلفت خيولهم وقلت الميرة عليهم فجعل السلطان على الجيش الأمير قتلغ شاه وتوجه إلى سنجار فأقام قتلغ شاه إلى رجب فلم يخرج إليه أحد من عسكر الشام ومصر فانتهى ذلك إلى السلطان فأذن له في العودة ورحل السلطان من سنجار عائداً إلى بلاده.

التاريخ المبارك الغازاني:

في هذه السنة أمر السلطان غازان الخواجة رشيد الدين بكتابة التاريخ المسمى أخيراً بـ (التاريخ المبارك الغازاني) والذي صار مؤخراً المجلد الأول من جامع التواريخ[1]. وكان قد استعان المؤلف الخواجة رشيد الدين بالعالم الصيني المدعو «بولاد ـ چينگسنك» وبعالمين آخرين متبحرين في الطب والفلك والتاريخ وهما (ليتاجي)، و(يكسون) من علماء الخطا فاستفاد منهما كثيراً للوقوف على المنابع الصينية وكانا في عاصمة الايلخانيين... وكانت قد تمكنت العلاقة بين ايران والصين منذ حلول هلاكو هذه الديار كما مر في التعليق على ترجمة النصير الطوسي[2]...

---

(١) مر وصفه في المراجع بعنوان نسخة استانبول ص ١٦ ج ١.

(٢) اسلامده تاريخ ومؤرخلر.

ولاية بغداد

وفاة والي بغداد:

توفي الملك امام الدين يحيى البكري القزويني صاحب ديوان بغداد في الحلة وحمل إلى بغداد ودفن في تربة عملها في مدرسة بدرب فراشا وأقيم ابنه افتخار الدين في العراق مقامه.

تاريخ الفوطي:

وقفت حوادث التاريخ المنسوب للفوطي هنا. وعليه اعتمدنا في الغالب عن هذا العصر مع مراعاة النصوص الأخرى للمؤرخين الآخرين مما مر النقل عنه بقدر الحاجة وما سمحت به الوقائع وفي الغالب لاحظنا نص عبارته نظراً لعلاقته الخاصة بقطرنا...

وفيات:

١ ـ توفي مفيد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن سلمان الحربي الضرير، الفقيه الحنبلي، معيد الحنابلة بالمستنصرية، سمع من الشيخ مجد الدين ابن تيمية وغيره وكان من أكابر الشيوخ وأعيانها عالماً بالفقه، والعربية، والحديث، قرأ عليه الفقه جماعة، وسمع منه الدقوقي وغيره[١].

---

(١) الشذرات ج ٥ ص ٤٥٧. ترجمه المؤلف ثانية في حوادث سنة ٧٠١ فقال: عبد الرحمن بن سلمان بن عبد العزيز الحراني البغدادي. مفيد الدين الضرير، أبو محمد سمع من المجد ابن تيمية وفضل بن الجيلي وغيرهما وتفقه وتقدم إلى ان صار عين الحنابلة ببغداد في زمانه ومهر في الفقه والعربية والحديث. قرأ عليه ابن الدقوقي وجماعة. مات في أول القرن (الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٢٩) وقد عقب المؤلف على هذه الترجمة: هذه الترجمة جاءت مكررة في صحيفة ٤٠٦ ومكانها هناك فيجب ان توحد مع تلك وكان ذكرها بسبب اختلاف تاريخ الوفاة الناجم من تعدد النصوص، فاخترنا أن تكون هنا نظراً للقطع في تاريخ وفاته في منتخب المختار.

٢ ـ شمس الدين الفرضي: محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء بن علي بن أبي العلاء البخاري الكلاباذي أبو العلاء الحنفي الصوفي الملقب شمس الدين المحدث المعروف بالفرضي. تفقه ببخارا وسمع بها الحديث في سنة بضع وسبعين... ثم قدم العراق في سنة بضع وسبعين فسمع بها من أبي الفضل محمد بن محمد بن الدباب، ومحمد ابن يعقوب ابن أبي الدنية ومحمد بن عمر بن المُريخ، وأبي الفضل عبدالله بن محمود بن يلدجي وغيرهم، وبالموصل من الشيخ موفق الدين احمد بن يوسف بن الحسن الكواشي المفسر ثم صار إلى ماردين فدخل مصر.. وكتب بخطه الحسن كثيراً... وكان إماماً، فقيهاً، وأديباً ورعاً، متبحراً، كثير المعارف، حسن المعاشرة، كثير الإفادة وبلغ في الفرائض الغاية... وله ضوء السراج (شرح السراجية في الفرائض).

توفي في أوائل شهر ربيع الأول سنة ٧٠٠هـ عن ٥٦ سنة.



حوادث سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م)

التاريخ الايلخاني:

في هذه السنة وضع التاريخ الايلخاني وصار يعمل في الممالك التي تحت حكم السلطان غازان محمود... وهو مؤسس هذا التاريخ وكان قد وضعه في ١٢ رجب لسنة ٧٠١هـ. وبه طبق التاريخ الهجري القمري على الشمسي وحاول أن يجمع بينهما إلا أنه لم يدم العمل به طويلاً وإنما أهمل بعد أمد قليل... وكان قبل هذا قد حاول العباسيون اعتبار السنة الشمسية أيام الخليفة المطيع لله... وقد اطنب وصاف في ذكر تطور هذه القضية[١]...

---

(١) تقويم التواريخ وتاريخ كزيده ص ٥٩٦ وتاريخ وصاف ج ٤ ص ٤٠٤.

توحيد الموازين والمكاييل:

في هذه السنة صدر الأمر إلى كافة الممالك المغولية بلزوم توحيد الموازين والمكاييل وذلك لما دعته الحالة من التذبذب والاختلاف وما جرت إليه من الاضرار بالأهلين والتعديات عليهم... وقد اتخذ ما يجب مراعاته لتنفيذ الأمر المذكور[1]...

تاريخ الفخري ـ والي الموصل:

في هذه السنة كتب صفي الدين محمد بن علي ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي تاريخه المسمى بـ (تاريخ الفخري) وجاء في آخره: «فرغ من تأليفه واستنساخه مؤلفه في مدة أولها جمادى الآخرة من سنة ٧٠١ وآخرها خامس شوال من السنة المذكورة بالموصل الحدباء...» اهـ[2].

أتم حوادثه باحتلال بغداد على يد هلاكو حتى وفاة الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي إلا أنه خلال سطوره تعرض للوقائع بعد هذا التاريخ بكثير تكلم فيه عن حكومة الخلفاء والأمويين والعباسيين إلى آخر أيامهم... وفي أثنائها، وفي مقدمته قارن بين الوقائع، وفضل حكومة المغول على سائر الحكومات غير حكومة الخلفاء الراشدين خشية القيام عليه، وكان قد كتبه بشكل ليقدمه لملك المغول، أو لوزيره ثم عدل عن ذلك فحور في شكله، وأبرزه بوضعه الحاضر... والدعوى بأنه ألفه في هذه المدة الوجيزة ظاهرة البطلان... وقال في مطاوي مقدمته:

«التزمت فيه أمرين[3]: أن لا أميل فيه إلا مع الحق، وأن لا انطق

---

(١) تاريخ وصاف ج ٣ ص ٣٨٨.
(٢) تاريخ الفخري ص ٣٠٣.
(٣) تاريخ الفخري ص ٣٠٣.

فيه إلا بالعدل، وأن أعزل سلطان الهوى، وأخرج عن حكم المنشأ والمربى، وأفرض نفسي غريباً منها وأجنبياً بينهم، أن اعبر عن المعاني بعبارات واضحة تقرب من الافهام لينتفع بها كل احد. . .» اهـ.

قدمه لوالي الموصل آنئذ وهو فخر الدين عيسى بن إبراهيم وقد أثنى عليه وغالى في مدحه وبيان أوصافه، وكان عزمه أن يذهب إلى تبريز. . . فعدل وأهدى كتابه إليه وجعله باسمه واشتهر الكتاب باسم (تاريخ الفخري) إضافة إلى اسم الوالي وأصل اسمه (منية الفضلاء في تواريخ الخلفاء والوزراء) كما أشار إلى ذلك هندوشاه النخجواني وهذا كان ترجمه إلى الفارسية سنة ٧٢٤هـ باسم (تجارب السلف) وأضاف إليه اضافات وقدمه إلى الاتابك نصرة الدين أحمد اللري. . .

وهذا الوالي لم يعرف عنه أكثر مما جاء في الفخري بل لولاه لما عرف واحد منهما ومبدأ ولايته، ومدة بقائه مجهولان. . .

ونرى ابن الطقطقي ينوه بالمغول، ويمدحهم مدحاً زائداً، ويدعو لهم بالدوام والتوفيق، ويبين رجحان حكومتهم وفضلها على غيرها من سائر الحكومات. . . وليس لدينا ما يميط اللثام عن حياته الشخصية، ووقائعه الذاتية، ولكن تاريخه خير مرآة لمعرفة روحيته، وهو جليل في موضوعه. . . ولولا أن كتاب عمدة الطالب يفتضح ما كان بينه وبين علاء الدين الجويني من العداء لما مر في حادث قتلة والده لظننا أن ما قاله عنه صحيح وما أورده لا يعدو شاكلة الصدق وأن ما اشترطه على نفسه قد تابعه والتزمه. . . فعرفنا تحامله، كما أننا أشرنا إلى نفسيته في قلب بعض الحقائق ونقوله عن السلطان غازان حينما شاهد المستنصرية. . . وهكذا يقال عن تحامله على حكومات الإسلام إرضاء للمغول أو تشفية لغرض في نفسه بحيث صار لا يرى سوى مساوىء الحكومات الإسلامية، أو لم ينقل إلا ما أشاعه المغرضون، وأعداء

النظام، وأرباب الخصومات... كأن هذه وأمثالها هي التاريخ دون غيره... فاتخذها بعض أعداء الإسلام وسيلة لإظهار المعايب خاصة، ونوهوا بذكره، وبالغوا في الثناء العاطر عليه لأنه أعد لهم ما كانوا يأملون، فوافق مذاقهم... من الطعن في الحكومات الإسلامية والتنديد بها وترجيح حكومة المغول عليها...!!

ولا يفوتنا أن رجال الادارة، ووزراء الحكومة نسمع عنهم أشياء، ويندد بهم كثيرون من المتضررين بحق أو بغير حق، وأرباب الحزبية أو العداء الشخصي دون مراعاة للواقع... فمؤرخنا لم يراع هذه الظروف ولا بالى بها فدون كل ما سمع من طعن، وأغفل غيره، أو لم يلاحظ حقيقة الوضع بنظرة صادقة فخالف ما التزمه وجارى أهواءه دون تحاش من باطل، أو اتباعاً لرغبات الآخرين... قال:

«وأما الدول الإسلامية فلا نسبة لها إلى هذه الدولة حتى تذكر معها» اهـ[1].

وعلى كل لا تنكر قدرته ولا يبخس تلاعبه في البيان لاستهواء القارىء وجذبه لناحيته... مما يدل على وفور مادة، وتتبع قويّ... ولا يضره الغمز المتوجه عليه فلا يخفى عند المقارنة... ولا تمكن هو من ستر مدحه وغلوّه في ترويج سياسة المغول، وقد كتب لهذه الغاية وتلك المصلحة... ولا يكتم ذمه للجويني مع تحقق الغضاضة...

والمؤلف وإن كان قد قسا في حكمه على الجويني فقد أخذ الكثير من آرائه ونصوصه وجعلها مادته التي عوّل عليها وكتب عنها واتخذ الوقت المناسب للنشر أيام نكبة آل الجويني، وهو يعرف الفارسية، وأسلوب كتابه يضارع أسلوب الجويني وقد حذا حذوه بصورة عامة... واستفاد من

---

(١) تاريخ الفخري ص ٢٥.

الآداب العربية وغزارة معينها والاستقاء من ذلك الأدب الجم...

ومما استشهد به من الشعر الفارسي ويدل على المعرفة في هذه اللغة قوله:

شاها زمي گران چه برخوا هد خواست
وزمستى هر زمان چه برخوا هد خواست
شه مست وجهان خراب ودشمن بس وپيش
پيداست كه ازين ميان چه براخواهد خواست[1]

وقد نقل صاحب معجم المطبوعات عن لويس شيخو أنه توفي سنة ٧٠٩هـ ولا سند يعضده وعمر المؤلف تقريبي نظراً أن والده توفي سنة ٦٧٢هـ ومن المحتمل أن عمره كان نحو العشرين فيكون عمره آنئذ نحو خمسين سنة حينما ألف كتابه...

طبع هذا التاريخ آهلوارد ثم درانبورغ في بلاد الغرب، وبعد ذلك جرى طبعه في مصر بمطبعة الموسوعات سنة ١٣١٧هـ.

١ ـ وفاة يحيى بن محمد بن علي: بن زيد بن هبة اللّه الحنفي رشيد الدين أبي طالب الشاعر البغدادي.

ومن شعره:

إن كنت من أهل الصبابة والهوى
فاسمع ولا تبخل بنفسك في الجوى
من لا يذل لمن يحب فحظه
من حبه إما الصدود أو النوى

---

(١) يريد: أيها الملك ما عاقبة معاقرة الصهباء وما نتيجة الإدمان على الشرب... فإذا كنت دائماً ثملاً، والمملكة في حالة البوار، والعدو مكتنف جوانبنا من الأمام والخلف فالظواهر تشعر بما ستؤدي إليه الحالة وما يتوقع...!!

مات سنة ٧٠١هـ[١].

٢ ـ أحمد بن يوسف بن أبي البدر البغدادي: هو مجد الدين ابن الصيقل التاجر السفار كان من كبار التجار. دخل الهند مراراً والمعبر (المغبر) والصين وأقام أكثر من عشرين سنة وكان يحكي عن العجائب التي شاهدها. مات بحلب في مستهل صفر ٧٠١هـ[٢].

حوادث سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م)

في هذه السنة توجه السلطان غازان بعسكره إلى الشام، رأى من ملك مصر ما يغضب له لما سمع من الكلمات الخشنة والأمور التي هي خلاف مرغوبه. جاء البحث عن الرسل في أبي الفداء في حوادث سنة ٧٠٠هـ قال: «وصلت رسل غازان ملك التتر وكان مضمون رسالتهم التهديد والوعيد فأعيد جوابه على مقتضى ذلك»[٣]. ولكنه اكتفى بإرسال بعض المشاهير من قواده مع قوة جيش وذهب هو إلى انحاء تبريز. . .

أما الجيش الذي ارسله فقد سمع أخيراً أنه انكسر وفر هارباً وقد فصل أبو الفداء هذه الوقعة وأطنب فيها في حوادث سنة ٧٠٢هـ[٤] فغضب السلطان لذلك واغتم ولما علم بقرب الأجل وأنه نوى الرحيل إلى الدار الآخرة جعل ولاية العهد إلى أخيه الجايتو خان وهو خدابنده محمد خان بن ارغون خان.

وقد ذكر صاحب الشذرات عن هذه الوقعة ما نصه:

«فيها ـ سنة ٧٠٢هـ ـ طرق غازان التتري الشام فالتقاه يزك[٥]

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٢٨.

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٣٩.

(٣) ج ٤ ص ٤٧.

(٤) ج ٤ ص ٥٠.

(٥) يزك بفتح الأول والثاني بمعنى جيش هنا ولها معان أخرى «فرهنك وصاف ص ٧٠٧.

الإسلام وفيهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية[١]، التقوا على مرج الصفر[٢] فقتل من التتار خلق عظيم وأسر منهم جماعة ولكن استشهد من المسلمين جماعة» اهـ. وهكذا نرى (كتاب دول الإسلام) للذهبي قد أطنب في تفصيل الوقعة كغيره[٣]... اهـ وتسمى هذه الوقعة بوقعة (شقحب)[٤].

---

(١) ابن تيمية هذا من أكابر علماء المسلمين وطريقته السير على مذهب السلف وبهذا تابع نوابغ الفقهاء كابن حزم ومشى على نهج «داود الظاهري» وابنه محمد الظاهري أو أن اجتهاده وافق اجتهادهم... وكان لهذا المذهب في العراق مكانة رفيعة وأتباع كثيرون... ويرى هؤلاء أن صلاح الإسلامية بالرجوع إلى السلف الصالح في مراعاة طريقتهم بالمضي على مقتضى نصوص الكتاب والأحاديث الصحيحة... ولم يكن في هؤلاء جمود كما يتوهم البعض وإنما اختيارهم أن هذا الدين قويم ولا ينال مكانته الماضية إلا بالرجوع إلى ما كان عليه الأولون من القائمين به. ﴿ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى...﴾ وفي ذلك أخذ بالشريعة بمراجعة أصولها... وقد أبان كثير من العلماء بأن مذهب السلف اسلم... وكان يؤاخذ ابن تيمية في مسائل ظاهر نصوصها يدعم قوله ويؤيده... وأكبر مناصري فكرته في عصرنا الشيخ محمد عبده وأتباعه، وابن سعود وقومه، وعراقيون كثيرون... وسبيل المؤمنين هي اتباع ما أمر الله به واجتناب نواهيه ومحرماته ليس إلا...

(٢) في الشذرات مرج الصفة وفي أبي الفداء مرج الصفر وهو الصحيح وفي معجم البلدان مثله وقال أبو الفداء عن غازان كان قد اشتد همه بسبب هزيمة عسكره وكسرتهم على مرج الصفر فلحقته حمى حادة ومات مكموداً، ا هـ «ص ٥٢ ج ٤».

(٣) هو المختصر لشمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٦هـ كتبه بعد تاريخه الكبير ثم ذيله السخاوي وسماه الذيل التام بدول الإسلام طبع سنة ١٣٣٧هـ في حيدر آباد دكن.

(٤) ص ٤ ج٦ من الشذرات وص ١٣٥ منه وأبو الفداء حوادث هذه السنة والدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٣.

الضرائب:

كانت الضرائب في بغداد جارية من أمد بعيد على طريقة استيفاء الخراج، أو على سبيل الضمان، أو أصل الأمانة وهكذا يقال في التمغة وسائر المقاطعات وأن كل واحد من هؤلاء كان يقوم بما عهد إليه مستقلاً وفي ٢٢ رجب من هذه السنة ألغيت الضمانات لتحقق ما تولد منها من أضرار على الملتزمين من جهة وعلى الأهلين من أخرى[١].

وفيات:

١ ـ نجم الدين معتوق ابن البزوري: هو معتوق بن محفوظ بن معتوق بن أبي بكر البغدادي الواعظ ولد سنة ٦١٥ وتعاطى الوعظ فبرع فيه وكان ينظم الشعر في الحال[٢].

حوادث سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م)

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفاة السلطان غازان:

في هذه السنة يوم الأحد ١١ شوال توفي السلطان غازان خان بأجله الموعود فانتقل إلى دار البقاء. مات ولم يكتهل... وكانوا قد اشاعوا موته مراراً فلم يصح ثم تحقق فقال الوداعي:

قد مات غازان بلا مرية
ولم يمت في المدد الماضية
وكانت الأخبار ما أفصحت
عنه فكانت هذه القاضية[٣]

---

(١) وصاف ج ٤ ص ٤٠٤.
(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٢.
(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٤.

ترجمته:

هو ابن ارغون خان ومن المؤرخين من يسميه (محمود غازان) وهكذا ذكر في نقوده المضروبة... وبعضهم يدعوه (غزن) وقال في الدرر الكامنة غازان واسمه محمود وتقول العامة قازان بالقاف عوض الغين[1]... وقد مر النقل عن ابن بطوطة في سبب تسميته.. بلغ من العمر ٣٣ عاماً[2] ومدة حكمه عشر سنين. وفي تاريخ كزيده (ص ٥٩٥) أنه توفي بتاريخ ١٠ شوال سنة ٧٠٣ بحدود قزوين فنقل إلى تربته بتبريز وأظهر قبره ولم يكن المغول يظهرون قبورهم... وبلغ من العمر ٣٠ سنة، سم في منديل يمسح به بعد الجماع (الشذرات).

ولما شرفه اللّه بالإسلامية صارت له من العظمة والسطوة ما لا يوصف وأحبه المسلمون ورأوا منه كل خير مما فاق به مآثر القدماء وأنسى ذكر السلاطين العادلين[3]. وسماه صاحب تاريخ كزيده (سلطان الإسلام).

وفي شجرة الترك ما نصه:

«هو أول من أسلم من ذرية تولي خان، وقد بذل جهوداً كبرى لنشر الدين الإسلامي وبسعيه واهتمامه أسلم كل المغول الذين في ايران...» ا هـ[4] فكان تأثيره على المغول في نشر الإسلامية كبيراً جداً...

وفي الدرر الكامنة: «وكان هلاكو ومن بعده يعدون أنفسهم نواباً لملك السراي فلما استقرت قدم غازان تسمى بالقا آن وقطع ما كان

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣١٢.
(٢) غياثي وكلشن.
(٣) الغياثي.
(٤) شجرة الترك ص ١٧٠.

يحمل إليهم وأفرد نفسه بالذكر والخطبة وضرب السكة وطرد نائبهم من بلاد الروم (العراق) وقال أنا أخذت البلاد بسيفي لا بغيري».

وقال الذهبي عنه: «كان شاباً عاقلاً شجاعاً، مهيباً، مليح الشكل... وفي غيره كان اشقر، ربعة، خفيف العارضين، غليظ الرقبة، كبير الوجه، يعف عن الدماء...»[1].

أما حروبه مع سورية فإنها كانت طاحنة ويلام من جرائها لاراقته دماء المسلمين. ومخابراته السياسية وطلبه الصلح والدخول في المفاوضة لا يبرر ذلك. ومخذوليته كانت أكبر سبب في توقف المقارعات بين الطرفين...

ولا ننسى قضاءه على وزراء كثيرين بقصد استعادة السلطة لملوكهم من أيدي الأمراء فلم ينجح...

وجاء في الدرر الكامنة عنه: «ولما ملك أخذ نفسه بطريق جده الأعلى جنگيزخان وصرف همته إلى اقامة العساكر وسد الثغور وعمارة البلاد والكف عن سفك الدماء... وكان يتكلم بالفارسية مع خواصه ويفهم أكثر ما يقال باللسان العربي...»[2].

ومن آثاره (في العراق وغيره):

١ ـ نهر أخرجه من الفرات ما بين دجلة (الظاهر الحلة) وبغداد وعمل عليه كثيراً من العمارة وسمي النهر الغازاني.

٢ ـ نهر من الفرات أجراه إلى مشهد الشيخ أبي الوفاء[3].

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٣.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٣.

(٣) وردت ترجمته في بهجة الأسرار وفي معرب ـ جامع الأنوار ـ للبندنيجي ص ٤٨٤ مخطوطة وفيها أنه سكن قرية قلمينيا ومات بها وهي من قرى العراق.

٣ ـ قرر في كل مدينة كبيرة مثل بغداد والحلة وتبريز وأصفهان وشيراز والموصل مكاناً سماه (دار السيادة) وجعل وقفه يصل إلى الفقراء والمساكين من العلويين وتصرف غلته كلها في وظائفهم.

وعلى كل كانت خيراته عميمة وعماراته في العراق والخارج كثيرة واتخذ له مدفناً في ظاهر تبريز وهو ما تعجز العبارة عن بيانه وجعل فيه من ابواب البر ما لا يوصف من مدرسة وخانقاه ودار الحديث ودار القرآن ومستشفى ومكتب للأيتام وله عمارات أخرى منها (رباط سبيل) في حدود همذان وجعل له من الأوقاف للمارة، ومنها مدينة اوجان، ومنها سور مدينة تبريز وبساتينها وجملة عمارتها ولكنه لم يتمها وكلها تدل على علوّ الهمة[١].

ومن أهم إصلاحاته أن لا يصدر يرليغ، أو بايزه إلا بنظام خاص، وأصدر يرليغاً في إصلاح المرافعات وانتخاب القضاة والاعتناء بأمر العدل وتثبيت ما يجب أن تسير عليه المحاكم، ومراعاة مرور الزمان في القضايا، وفي ملكية العقارات... وتوحيد الموازين والمكاييل، وقرر العقوبات على من يظهر في حالة السكر في المحال العامة... وهكذا منع من التعديات على التجار والمارة باسم (تسيير) أو أجرة (محافظة طرق) وما ماثل... إلى آخر ما هنالك من المآثر الجميلة والنافعة... ولا محل للتفصيل الآن والإطالة في أمرها ومن اراد التبسط فليرجع إلى جامع التواريخ وحبيب السير وغيرهما من الكتب وذلك لأنها تخص حكومتهم العامة.

وأهم ما قام به من الاصلاحات النافعة (إلغاء الضمان) للبلاد والألوية... وذلك لظهور الاضرار الناجمة من جراء قسر الناس والتعديات عليهم لإيفاء ما التزمه الضمان. أو التهاون في ذلك والتعرض

---

(١) تاريخ الغياثي.

للمسؤولية وغالب ما يعاقب الموظفون لهذا السبب، أو للسبب الأول... فلا يسلم من هذين إلا القليل من الملتزمين... ولا تزال آثار هذه البدعة باقية وتعرف أيضاً بـ (الالتزام) وهو ضمان الميري بأنواعه...[1] فلم يتمكن من تسيير الناس على الأمانة بأن تقوم الحكومة رأساً بالجباية دون توديعها إلى ضمان...

ومن حسنات أيامه الوزير الخواجة رشيد الدين فقد عهد إليه بتدوين تاريخ للمغول فاستعان بالوثائق الرسمية، وشيوخ المغول وكبار رجالهم ممن له علم بأخبارهم وقبائلهم ومواطنهم... فكتب تاريخه المسمى (بالتاريخ الغازاني) نسبة للسلطان[2] فخلف أكبر أثر في تاريخ المغول ولولا أنه قد مسخت ألفاظه المغولية وتناولتها يد النساخ بالتبديل والتحريف... لكان خير أثر. ونرى صاحب شجرة الترك يعتذر لذلك وينسب الغلط إلى العجز عن تلفظ الكلمات المغولية، أو عسر النطق بها... ومهما يكن فالأثر لم يفقد جدته: ولم تقل قيمته ونسخته

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

(١) تاريخ وصاف ص ٣٨٢: ٣٩١.

(٢) كان غرض السلطان من تدوين (التاريخ المبارك الغازاني) أن يتخذه أساساً وأصلاً لتدوين شهنامه في مناقب الترك القدماء والمغول وسائر أحوالهم يتحدى بها الفردوسي ومن ثم أودع نظمها إلى شمس الدين القاشاني فنظمها باسم (شمس شهنامه) لكن هذه لم تنل رواجاً، أو مكانة تضارع ما حصلته شهنامه الفردوسي فبقيت مهملة متروكة.

إن القاشاني نظم المجلد الأول المذكور من جامع التواريخ ومثل فكرة الخواجة رشيد الدين فبلغت ابياته نحو عشرة آلاف بيت فأهملت كما أهملت أمثالها كالظفر نامه لليزدي... ومكانتها العلمية والتاريخية دون روضة الصفا وتاريخ گزيده. وفيها نعت القاشاني جامع التواريخ بأبيات فارسية لا نرى ضرورة في ايرادها. وفي كشف الظنون أن شمس الدين محمداً الكاشي المذكور توفي في حدود سنة ٧٣٠هـ قال: وله تاريخ غازان نظم فارسي وهو هذا...

ومن هذا التاريخ وأضرابه تتعين علاقة تواريخ المغول ببعضها... ولا تفرق إلا في ايضاح وشرح قسم من المباحث أو اختصارها.

الفارسية مبذولة. وأما العربية فإن الوحيدة منها موجودة ومن فلتات الدهر أن بقيت إلى اليوم... فقد رأينا منها نسخة في مكتبة أيا صوفيا في استانبول وقد مر وصفها وفي المكتبة المصرية نسخة منقولة في التصوير ولم يعين محل وجود اصلها كما يستفاد من مطالعة دفتر المكتبة، والظاهر أنها منقولة منها.

ثم ابرزه المؤلف في عهد(اولجايتو خان) المعروف (بخدابنده) أو (خربنده) وسيأتي باقي الكلام عليه في حينه...

السلطان الجايتو محمد خدابنده

سلطنته:

لما توفي السلطان غازان في ١١ شوال سنة ٧٠٣هـ بحدود قزوين أوصى لأخيه بولاية العهد وكان أخوه الجايتو بخراسان وفي الشذرات أنه كان في سنجار وابنه بسطام بن غازان عنده فأراد جماعة الأمراء أن يولوا بسطاماً فكتبوا إليه خفية ليصل إليهم ولما جاء القاصد إلى الاردو قصد خدابنده وسلم إليه الكتاب فوقف عليه ومن ثم نفذ في الحال من قضى أمر بسطام ورفعه من البين فلم يجسر بعد ذلك أحد على مخالفته وظهر تمكنه وأجريت له المراسم المطلوبة ووافى حاضرة الإسلام أو جان بموكبه العظيم وذلك يوم الاثنين ٢ ذي الحجة من هذه السنة فاحتفل به وحضروا إليه لعرض الإخلاص له والطاعة... فابتدأ أمره بالدخول في الدين الإسلامي وسمى نفسه محمداً خدابنده ولقب بغياث الدين وأقر قتلغ شاه على نيابته...

وفي ابن خلدون وفي كتب أخرى كثيرة جاء بلفظ (خربنده)، ونائبه قطلو شاه ولكن في تاريخ كزيده وكلشن خلفاء ورد (خدابنده) كما دعي نائبه قتلغ شاه. وفي ابن بطوطة جاء أن اللفظين شائعان وأن خدابنده معناه عبدالله، وأما خربنده فإن المغول كانوا قد اعتادوا أن يسموا

المولود باسم أول داخل للبيت فصادف دخول زمال (حمار) يقال له بالفارسية (خر) أي عبد الحمار[1].

والتدقيقات الأخيرة أماطت اللثام عن حقيقة اسمه وتبين أن خدابنده من استعمال الايرانيين، أما غيرهم من الترك كأبي المحاسن تغري بردي في تاريخه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة فقد عبر عنه بخربندا وهكذا قال الذهبي وهو في الأصل من كلمات الترك وهذا اللفظ بمعنى الثالث في لغة المغول وهو عين (خوربندا). وهكذا نرى الصينيين يدعون الجايتو (هو ـ أول ـ يان) مما يدل على أن اللفظ مأخوذ من المغولية بهذا المعني ويراد به الثالث... مما يؤيد أن العجم حرفوا اللفظ واستعمله على الأصل مؤرخون كثيرون وأيد ذلك ما جاء في التعليق على مادة محمد خدابنده في الدرر الكامنة[2]...

ومن ثم شرع في تدبير الأمور وتنظيمها، والتزم التيقظ والتحرس لحسن الإدارة إذ كانت الأمور في اضطراب والإدارة في تشتت وانحلال والحكومة متداعية البنيان إلا أنها بهمة هذا السلطان الجديد قد اكتسبت كل هدوء وراحة وانتظام لم يسبق أن نالته فيما قبل فأزيلت المشاكل والصعاب وأخمدت الثورات واستقرت شؤون المملكة ومن جملة ما قام به أن أمر بإبقاء ما كان على ما كان أيام أخيه من الموظفين والأمراء... وأن يمضي على طريقة أخيه ونهجه[3].

---

(١) ص ١٣٦: في تذكرة الشعراء لدولتشاه السمرقندي أن السبب في تسميته هو أنه لما ملك غازان هرب المترجم من وجهه وكان يشتغل كمكارٍ على الحمير فقيل له (خربنده)، وبعضهم يقول إنه ولد جميلاً فوضع له أبوه وأمه اسماً قبيحاً لئلا تصيبه العين، تذكرة الشعراء ص ١٤٢ طبعة الهند سنة ١٩٢٤م ومؤلفها دولتشاه ابن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي وكان اتم تأليفها سنة ٨٩٢هـ.

(٢) اسلامدة تاريخ ومأخلر ص ٢٨٨ والدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧٨ والذهبي ص ١٦٢ ج ٢.

(٣) جامع التواريخ.

وقائع أخرى:

في هذه السنة حدث وباء عام في البهائم[1].

رسول إلى التتار:

في هذه السنة جاء من مصر رسول اسمه عماد الدين بن مجد الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين وكان من مشيخة الإسماعيلية ومشهوراً بالعقل والديانة ورشح مرة للوزارة. جهز في هذه السنة (٧٠٣) رسولاً فأحسن السفارة ورجع في جمادى الأولى. ومما اتفق له أنه لما وصل وجد غازان قد مات على ما قيل مسموماً واستقر بعده أخوه خربندا فلما اجتمعا خلع عليه وأعطاه قدح خمر فأخذه بيده ولم يشربه فسئل عن ذلك فقيل له إنه فقيه وما يقدر أن يشرب هذا فأخذه منه وناوله رغيفاً فأخذه وجذمه وأكله فأعجبه ذلك وكتب جوابه وأرسل معه رسولاً فطلب الصلح سنة ٧٠٥ ليعمر البلاد هذا وقد اطنب صاحب الدرر في ترجمته وقال كان عنده عقل وافر وديانة[2] . . .

حوادث سنة ٧٠٤هـ (١٣٠٤م)

ولادة:

ومن حوادث هذه السنة ولد للسلطان محمد خدابنده ابن سمي علاء الدين أبا سعيد بهادر وذلك ليلة الأربعاء ثامن ذي القعدة[3] وهو الذي ولي السلطنة بعد أبيه.

---

(١) تقويم التواريخ.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٦٢.

(٣) تقويم التواريخ.

وفيات:

١ ـ توفي علم الدين العراقي المفسر[1].

٢ ـ توفي محدث بغداد ومفيدها أبو بكر أحمد بن علي بن عبدالله ابن أبي البدر القلانسي البغدادي الحنبلي ولد في جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ وعني بالحديث سمع الكثير وتفقه وكتب الكثير بالخط الجيد المتقن وخرج لغير واحد من الشيوخ وحدث بالقليل وسمع من جماعة وأجاز لجماعة منهم الحافظ الذهبي وتوفي في رجب ببغداد ودفن في باب حرب[2].

٣ ـ نجم الدين المقري: عبدالله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن هبة الله الواسطي. أبو محمد الملقب نجم الدين المقري التاجر. قرأ بالروايات على العماد أحمد بن المحروق وابن غزال وأخيه.. نظم في العشرة كتاباً نفيساً سماه الغاية... ولد سنة ٦٧١هـ وتوفي سنة ٧٠٤هـ ببغداد.

حوادث سنة ٧٠٥هـ (١٣٠٥م)

وقائع مشهورة:

١ ـ في هذه السنة بتاريخ ٢٠ شوال أمر السلطان بقتل السيد تاج الدين سرخي نائب الأمير هورقو داق ونيابة عن الأمير سونج اتابك فخالفه ومن ثم أمر بقتله في التاريخ المذكور.

٢ ـ في هذه السنة انهزم السلطان خدابنده سلطان المغول في حرب گيلان[3] وفي ابن خلدون أن حربه كان مع الأكراد هناك... ولعل هذه

---

(١) تاريخ كزيده ص ٥٩٦.

(٢) ر: الشذرات ج ٦ ص ١٠ والدرر الكامنة ج ١ ص ٢١٦.

(٣) تقويم التواريخ.

الوقعة غير ما حدث سنة ٧١٠هـ وأما في تاريخ كزيده فإنه بين أن هذه الوقعة جرت في ذي الحجة سنة ٧٠٦هـ وأن السلطان عزم على الوقيعة بأهالي گيلان فحاربهم وسخر القطر[١] وفي هذه الحرب قتل القائد قتلغ شاه وكان أميرالوس فقتل في هذه الحرب ووضعت ضريبة على الأهلين كمية وافرة من الحرير وبعد أن قتل قتلغ شاه فوضت إمارة خراسان إلى بسلودل... أما السلطان فقد ولى مكان قتلغ شاه الأمير چوبان[٢].

وجاء في دول الإسلام للذهبي أن هذه الواقعة كانت قد حدثت سنة ٧٠٧هـ وأن قتلغ شاه أصابه سهم فقتل. وورد فيه بلفظ (خطلو شاه) كان قتله سلطان جيلان شمس الدين دوباج رماه بسهم، وكان قتلغ شاه هذا مقدم التتار في ملحمة شقحب[٣].

وفاة عيسى بن داود البغدادي:

الحنفي، سيف الدين المنطقي ولد في حدود ٦٣٠هـ أخذ عن البدر الطويل والفخر بن البديع وبرع في المنطق... وأملى على الموجز للخونجي شرحاً، وعلى الإرشاد كذلك وارتحل إلى القاهرة... مات في جمادي الأولى سنة ٧٠٥ وله سبعون سنة ونقل عنه أنه قال: كان لي وقت بناء المستنصرية سبع أو ثمان سنين[٤].

❀ ❀ ❀

(١) ص ٥٩٦.

(٢) ابن خلدون.

(٣) دول الإسلام ج ٢ ص ١٦٤ وص ١٧٠.

(٤) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٤.

حوادث سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٦م)

السواملي:

١ ـ مات رئيس التجار الصدر جمال الدين إبراهيم بن محمد ابن السواملي[١] العراقي كان يثقب اللؤلؤ فصمد ألفي درهم ثم اتجر وسار إلى الصين فتمول وعظم وضمن العراق من القآن ورفق بالرعية وصار له أولاد مثل الملوك ثم صودر وأخذ منه أموال ضخمة ومات فجأة بشيراز عن ست وسبعون سنة[٢].

وقد مرّ الكلام عليه في هذا الكتاب.

مدرس المستنصرية:

٢ ـ العلاّمة نصير الدين أبو بكر عبدالله بن عمر بن أبي الرضا الفاروثي الشافعي. قال البرزالي في تاريخه قدم علينا دمشق وكان يعرف الفقه والاصلين والعربية والأدب وكان جيد المناظرة. ولد بفاروث وهي قرية من عمل شيراز وسكن بغداد ومات بها ودرس بالمستنصرية وغيرها من المدارس الكبار[٣].

رئيس العراق:

٣ ـ ظهير الدين محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن عبد السيد ابن محاسن الصرصري الحنبلي ظهير الدين. كان رئيس العراق في دولة ابغا ومن بعده، وافر الجلالة، محترم الجناب. ولد سنة ٦٥٢ وكان ذا مروءة وجود وكرم وجاه وله مطالعة في العلم ومشاركة. كان يتردد إليه حكام البلد فيتحفهم ويتفضل وكان يفطر في رمضان كل ليلة مائة فقير

---

(١) السوامل كالطاسات.

(٢) الشذرات ج ٦ ص ١٣ والدرر الكامنة ج ١ ص ٥٩.

(٣) الشذرات ج ٦ ص ١٤ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٨١.

وفقيرة وكانت له نحو عشرين ضيعة لا يؤدي عنها شيئاً وكان على بابه نحو عشرة خدام. وبلغ من رياسته أنه تزوج زبيدة بنت هارون ابن الوزير الجويني فأصدقها اثني عشر ألف مثقال ذهباً واتفق أنه كان وعد غلاماً له بزواج بنت جارية له ثم بدا له فزوجها لغيره فبادر المذكور وقتل الزوج فبلغ ذلك ظهير الدين فخرج فضربه القاتل بسكين في خاصرته فعاش بعدها ليلة واحدة ومات عن توبة وإنابة في شوال سنة ٧٠٦هـ[1].

السيدة زبيدة:

وتعرف (بالست زبيدة) وهذه بنت هارون الجويني من زوجته رابعة بنت أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم. والتربة المعروفة باسم ست زبيدة نقطع بأنها لها، إذ لم نر من نال مكانة مثل هذه في عصرها ولا مثل أبيها وأمها وزوجها... فلا غرابة أن تكون لها هذه التربة... وقد مرّ بيان صداقها...

وما ذكره الأستاذ المرحوم السيد محمود شكري أفندي الآلوسي من التشكيك في نسبة هذه التربة إلى زبيدة العباسية كان في محله[2]... والذي دعا الناس إلى الاشتباه أولاً العلاقة الموجودة فهذه عباسية من جهة أمها، وثانياً الاشتراك في الاسم فإن هذه زبيدة وتلك زبيدة، وثالثاً الصلة الصهرية... يضاف إلى ذلك أن إخوتها سموا بالأمين والمأمون... وأبوها هارون...

وقد ذكرنا جدتها لأمها شاهلتي زوجة علاء الدين الجويني، وأمها رابعة وزواجها بهارون الجويني وإخوتها... ولا أظن أنه بقي خفاء بعد ما أوردنا من النصوص المارة عن زواج هارون الجويني بالعباسية، وعن أولاده منها، وعن زواج بنته زبيدة هذه...

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٢٠.

(٢) تاريخ مساجد بغداد وآثارها للآلوسي ص ١٣٥.

وقلة النصوص وإن كانت حالت دون معرفة أمور أخرى عن المترجمة ولكني أرى الغامض قد انجلى نوعاً...

حوادث سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٧م)

شعار الشيعة:

في هذه السنة أظهر السلطان خدابنده شعار الشيعة وذلك بسعي ابن مطهر... وكان إلى هذا التاريخ يراعي عامة الخلفاء الراشدين ويعظمهم ويضرب النقود بأسمائهم[١]...

ولما ركن إلى مذهب الشيعة حذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش اسماء الائمة الاثني عشر على نقوده وذلك اعتباراً من هذه السنة كما يستفاد من النقود المضروبة والموجودة في المتاحف وبين هذه ما ضرب في بغداد... وفي ابن بطوطة:

«كان ملك العراق السلطان خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمى جمال الدين[٢] بن المطهر فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت بإسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرر لديه أن أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول اللهﷺ وأن علياً ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ومثل له ذلك بما هو مألوف عنده... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وأذربيجان وأصفهان وكرمان وخراسان وبعث الرسل إلى البلاد فكان أول بلاد وصل إليها ذلك بغداد وشيراز وأصفهان فأما أهل بغداد فامتنع أهل باب الازج منهم (محلة باب الشيخ) وهم أهل السنة وأكثرهم

---

(١) تقويم التواريخ.

(٢) هو جمال الدين يوسف بن الحسن ابن المطهر ويعرف ـ بالعلامة ـ.

على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وقالوا لا سمع ولا طاعة وأتوا المسجد الجامع يوم الجمعة في السلاح، وبه رسول السلطان فلما صعد الخطيب المنبر قالوا له وهم نحو اثني عشر ألفاً في سلاحهم وهم حماة بغداد والمشار إليهم فيها فحلفوا له أنه إن غير الخطبة المعتادة أو زاد فيها أو نقص منها فإنهم قاتلوه وقاتلو رسول الملك ومستسلمون بعد ذلك لما شاء اللّٰه.

وكان السلطان أمر بأن تسقط اسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا اسم علي ومن تبعه كعمار رضي اللّٰه عنهم فخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة.

وفعل أهل شيراز واصفهان كفعل أهل بغداد فرجعت الرسل إلى الملك فأخبروه بما جرى في ذلك فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث فكان أول من أتي به منهم القاضي مجد الدين قاضي شيراز والسلطان إذ ذاك في موضع يعرف بقراباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل القاضي أمر أن يرمى به إلى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لأكل بني آدم فإذا أتي بمن يسلط عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة مطلقاً غير مقيد ثم بعثت تلك الكلاب عليه فيفر أمامها ولا مفر له فتدركه فتمزقه وتأكل لحمه. فلما ارسلت الكلاب على القاضي مجد الدين ووصلت إليه بصبصت إليه وحركت اذنابها بين يديه ولم تهجم عليه بشيء فبلغ ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين فأكب على رجلي القاضي يقبلهما وأخذ بيده وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب وهي أعظم كرامات السلطان عندهم وإذا خلع ثيابه كذلك على أحد كانت شرفاً له ولبنيه وأعقابه يتوارثونه ما دامت تلك الثياب أو شيء منها وأعظمها في ذلك السراويل. ولما خلع السلطان ثيابه على القاضي مجد الدين أخذ بيده وأدخله إلى داره وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب الرفض وكتب إلى بلاده



تربة السيدة زبيدة

أن يقرّ الناس على مذهب أهل السنة والجماعة...» اهـ.

وقد جاء في الدرر الكامنة عن هذه الحادثة «كان حسن الإسلام لكن لعبت بعقله الإمامية فترفض وأسقط من الخطبة في بلاده ذكر الائمة إلا علياً... وكان فيما يقال قد رجع عن الرفض وأظهر شعار أهل السنة فقال بعضهم في ذلك:

رأيت لخربندا اللعين دراهما
يشابهها في خفة الوزن عقله
عليها اسم خير المرسلين وصحبه
لقد رابني هذا التسنن كله[1]

وقد نقل بعض المؤرخين أن السلطان كان اسمه خدابنده فصار يسميه أهل السنة (خربنده) تحقيراً له من حين قبل مذهب التشيع... وقد نقلنا ما يخالف ذلك في سبب تسميته ولا يعوّل على أمثال هذه الإشاعات استفادة من قرب اللفظ[2]....

وفي عقد الجمان أنه أظهر الرفض في بلاده سنة ٧٠٩هـ وأمر الخطباء أن لا يذكروا في خطبهم إلا عليّ بن أبي طالب(رض) وولديه وأهل البيت...

وفي تاريخ كزيده يعزو سبب عدوله عن مذهب أهل السنة إلى غير ابن المطهر فقد ذكر أنه السيد تاج الدين على ما سيأتي.

وفي تقويم التواريخ في حوادث عام ٧١٦هـ أن خدابنده توفي وولي بعده ابنه أبو سعيد وهذا أبطل شعار الشيعة وهذا هو المعول عليه نظراً للنقود المضروبة في أيامه واستمرارها إلى حين وفاته... وغاية ما يفسر من النصوص أنه ترك الناس وما يدينون وراعى عقائدهم وخطبهم ولم

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧٨.

(٢) مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي ص ٨٣.

يقسرهم على أمر مما يؤثر على معتادهم المذهبي... وفي بغداد ما يأتي من الحوادث أنه كان يراعي جانبهم بسبب بعض ما وقع من السياسة الداخلية[1]...

ومهما كان الأمر فلا نرى مجالاً للبحث في النضال بين الشيعة والسنة ولا في تاريخ هذه الناحية أي درجة نطاق هذا المذهب وانتشاره في الاقطار وأثره أو تأثيره... خصوصاً أننا نعلم **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** وأن السياسة هي التي نفرت بين الإخوان وباعدت ما بينهم واستخدمت علماء كل فريق وتقويته على الآخر حباً في الاستفادة للحصول على نيل مكانة... فكان اولئك العلماء آلة شحناء وواسطة بغضاء بين الإخوان في الدين ترويجاً لمطالب السياسة ومرغوباتها...

وفيات:

١ ـ توفي رشيد الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عمر بن أبي القاسم البغدادي الحنبلي المقري المحدث الصوفي الكاتب. ولد ليلة الثلاثاء ١٣ ذي القعدة سنة ٦٢٣هـ وسمع الكثير من ابن روزبه والسهروردي وابن الخازن وابن اللتي وغيرهم وعني بالحديث وسمع الكتب الكبار والأجزاء كان عالماً صالحاً من محاسن البغداديين وأعيانهم ذا لطف وسهولة وحسن أخلاق من اجلاء العدول ولبس خرقة التصوف من السهروردي وحدث بالكثير وسمع منه خلق كثير من أهل بغداد والرحالين وانتهى إليه علو الاسناد. وتوفي في جمادى الآخرة ببغداد ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

وزاد في الدرر الكامنة أنه باشر مشيخة المستنصرية بعد الكمال ابن القويرة وذكر أنه توفي في رجب[2].

---

(١) تحفة النظار ص ١٢٣.

(٢) «ج ٤ ص ١٥٠».

٢ ـ يعقوب الشهرزوري: هو بهاء الدين. كان أراد القدوم إلى مصر في أيام الصالح أيوب فلما خرج المظفر قطز إلى قتال التتار شهد معه (وقعة عين جالوت) ومعه جمع كثير من الشهرزورية وأبلوا بلاء حسناً ثم قبض عليه المنصور وحبسه ثم أفرج عنه الاشرف خليل وأمّره وكان من الأكابر، له مكارم وأتباع. مات في أواخر سنة ٧٠٧هـ[١].

٣ ـ نجم الدين أحمد بن غزال ابن مظفر بن يوسف بن قيس الواسطي المقري المجود. ولد في رمضان سنة ٦٢٧ وتعانى القراءات إلى أن مهر فيها واشتهر بها فصار شيخ الاقراء بواسط وكان قد سمع كثيراً من ابن شقيرة وغيره. مات في شهر رجب سنة ٧٠٧هـ بواسط[٢].

٤ ـ خطلو شاه (قتلغ شاه) أو قطلو شاه المغلي: كان مقدم العسكر في أيام غازان وفعل بدمشق الافاعيل ثم كان مقدمهم في وقعة شقحب فعاد مكسوراً ثم جهزه غازان إلى كيلان ففتكوا به وقتلوه في أول سنة ٧٠٧هـ. وقد مرّ الكلام عليه[٣].

٥ ـ داود بن أبي نصر بن أبي الحسن البغدادي:

سمع من محمد ابن الحصري وابن شاتيل وحدث. مات في ١٦ شعبان سنة ٧٠٧هـ[٤].

٦ ـ صالح بن عبدالله البطائحي: هو شيخ المنيع بالشام. كان لبيدرا حال نيابته عن الديار المصرية فيه اعتقاد. وكان أصله من بلاد العراق. ولما دخل التتار دمشق في وقعة غازان عرفه جماعة منهم فأكرموه ونزل عنده قطلو وأحد أكابر أمرائهم وكانت له شهرة بين طائفته

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٣٦.

(٢) ر: الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٣٤.

(٣) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٥ وج ٢ ص ٢٥٤.

(٤) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٩٩.

ومات ٢ جمادى الآخرة سنة ٧٠٧هـ[١].

٧ - أبو سعد عبدالله بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي. ولد سنة ٦٥٠ تقريباً وسمع الحديث من عم والده فضل الله بن عبد الرزاق ومات في ٧ شوال سنة ٧٠٧هـ[٢].

حوادث سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م)

في هذه السنة التجأ إلى السلطان الجايتو (محمد خدابنده) كل من شمس الدين آق سنقر صاحب حماة وجمال الدين الأفرم صاحب حلب وبعض أمراء الشام وأظهروا له الطاعة فرحب بهم الجايتو وأكرمهم وأعزّهم ومنح لكل واحد منهم مدينة في ايران ليحكم فيها[٣]...

ولم نجد أثراً لهذا الخبر في أبي الفداء أو غيره في حين أننا نرى بعد هذا التاريخ وقائع وأوضاع لجمال الدين اقوش الأفرم في أبي الفداء ولم يتعرض لهذه الناحية بل نراه نائباً في الكرك في هذه السنة سنة (٧٠٨هـ)[٤]. إلا أن الوقعة التالية تعين حقيقة الأوضاع آنئذ...

وقعة أحمد بن عميرة: (أمير الموصل)

إن أحمد بن عميرة هو من آل فضل وكان بينه وبين ابن عمه مهنا ابن عيسى نزاع. وقد زوج هذا اخته من ثابت بعد أن كان اعطاها لعميرة.... فكانت نتيجة الخلاف بينهما أن التجأ أحمد بعد وفاة والده في الحبس إلى التتار وكان أمير الموصل آنئذ ايليا حميش: وهذا الأمير بعد وقعة أحمد وانكساره عزل وكان نازلاً على الموصل ويحكم في تلك

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٣.

(٣) تاريخ كزيده.

(٤) ج ٤ ص ٥٦ أبا الفداء.

البلاد نيابة عن خربندا. ولما عزله ولى اميراً آخر يقال له (سوتاي) وكان من أمكر المغل وأخبثهم وأفرسهم. وهذا واقع سورية والحروب في هذا الحين متوالية بين الطرفين وكان أحمد مجروحاً فشفي وصار معه... جرت حروب دموية قد غلب في آخرتها...

هذا ما ورد في عقد الجمان وقد فصل القول فيه عن أحمد والتجائه إلى خربنده والوقائع الجارية هناك... والملحوظ أن السياسة العشائرية لعبت دورها في هذا الوقت، وهذه وإن كانت في الحقيقة لا تعد الحروب فيها مع العراق مباشرة ولكنه لا يخلو من علاقة، والتفاهم غالباً إنما يكون مع أمراء العراق... وفي هذه الأيام نرى الاهتمام بالعشائر بالغاً حده ومن مراجعة وقائعهم نعلم دخائل السياسة مع المجاورين ودرجة مجاريها...

وفيات:

١ ـ توفي شيخ المستنصرية: المعمر عماد الدين أبو البركات اسماعيل ابن الشيخ الزاهد أبي الحسن علي بن البطال (الطبال) الازجي شيخ المستنصرية سمع من عمر بن كرم وابن القطيعي، وابن روزبة وجماعة وحدث بالكثير ولم يخلف بالعراق مثله وتفرد ومات ببغداد[1].

٢ ـ ابن شامة السواري: الحافظ مفيد مصر شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن شامة بن كوكب الطائي السواري الحكمي ـ وحكم بالفتح قرية من قرى السوار ـ الحنبلي الحافظ الزاهد. ولد في رجب سنة ٦٦٢هـ وسمع من احمد بن أبي الخير وابن أبي عمر وغيرهم ورحل سنة ٨٣ إلى مصر وسمع بها من العز الحراني وابن خطيب المزة وغيرهما، وبالإسكندرية من ابن طرخان وجماعة وببغداد من ابن الطبال وخلق

(١) عقد الجمان ج ٢١ والشذرات.

ويأصبهان والبصرة وحلب وواسط عني بهذا الفن وحصل الأصول وكتب العالي والنازل.

قال الحافظ عبد الكريم الحلبي: كان إماماً عالماً فاضلاً حسن القراءة فصيحاً، ضابطاً، متقناً قرأ الكثير وسمع من صغره إلى حين وفاته.

قال البرزالي: خالط الفقراء وصارت له أوراد كثيرة وتلاوة واستوطن ديار مصر وتزوج وصارت له بها حظوة وشهرة بالحديث والقراءة وكان معمور الأوقات بالطاعات.

قال الذهبي في معجمه: أحد الرحالين والحفاظ والمكثرين ودخل اصبهان طمعاً أن يجد بها رواة فلم يلق شيوخاً ولا طلبة فرجع وكان ثقة صحيح النقل عارفاً بالأسماء من أهل الدين والعبادة.

قال ابن رجب: سمع منه البرزالي والذهبي وعبد الكريم الحلبي وذكروه في معاجمهم.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

توفي يوم الثلاثاء ١٤ ذي القعدة ودفن بالقرافة بالقرب من الشافعي[١].

٣ ـ توفيت ييلدوزش خاتون زوجة الجايتو في جمادى الأولى. وجاء في تاريخ گزيده أنها ايلدوزش خاتون[٢].

٤ ـ عبد الغفار البندنيجي البغدادي:

هو ابن عبدالله بن محمد بن أبي الغنائم بن فضل البندنيجي البغدادي سمع من ابن أبي النجا اللتي. وسمع منه أبو العلاء النجاري

---

(١) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٨.

(٢) تاريخ كزيده ص ٥٩٦.

وحدث. مات في جمادى الأولى سنة ٧٠٨[١].

٥ ـ علي بن أبي عفان بن الحسين الخطيبي البغدادي:

هو محيي الدين أبو عثمان المعروف بابن شيخ النجل ولد سنة ٦٢٨ (٦٢٧) وسمع من الكاشغري وغيره. ومات في جمادى الآخرة سنة ٧٠٨هـ[٢].

٦ ـ محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبد الرزاق القزويني ثم البغدادي. حدث ببغداد ومات في شعبان سنة ٧٠٨[٣].

حوادث سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩م)

بناء مدينة سلطانية:

١ ـ في هذه السنة أمر السلطان خدابنده ببناء مدينة سلطانية[٤].

تزوج السلطان:

٢ ـ وفيها تزوج السلطان خدابنده ملك التتار ببنت الملك المنصور نجم الدين غازي ابن المظفر قره ارسلان الارتقي صاحب ماردين المتوفى سنة ٧١٢هـ وهو ابن قره ارسلان الارتقي.

عودة احمد بن علي بن عميرة الأمير من آل فضل:

كان ممن سار إلى بلاد الططر (التتار) وآذى الناس ثم رجع عن

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٨٦ وجاء في عقد الجمان أنه الشيخ ظهير الدين بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي الفضل. سمع الحديث وأقام ببغداد مدة طويلة. «ج ١٩».

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٨٤.

(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠٩.

(٤) الدر المكنون.

ذلك وتاب ودخل الشام بالأمان في صفر سنة ٧٠٩هـ[1].

وفيات:

١ ـ توفي أبو العباس أحمد بن طالب الحمامي البغدادي الزانكي المجاور من زمان بمكة بحيث صار مسندها أخذ عنه ابن مسلم القاضي وشمس الدين بن الصلاح مدرس القيمرية وأجاز لأبي عبدالله الذهبي وتوفي بمكة في جمادى الآخرة عن بضع وثمانين سنة.

٢ ـ إبراهيم بن أبي الحسن بن صدقة بن إبراهيم البغدادي المخرمي ولد سنة ٢٤ وسمع أبا نصر بن عساكر وابن اللتي وابن المقير وغيرهم. أجاز له أبو الوفاء ابن مندة والناصح ابن الحنبلي وجعفر وآخرون وتفرد وروى الكثير وكان حسن الأخلاق يؤم بمسجد ويقرىء الصغار وأخذ عنه المزي والبرزالي وابن المحب والسبكي وآخرون. مات في شهر رمضان[2].

٣ ـ أحمد بن أبي طالب بن محمد البغدادي:

هو أبو العباس أحمد البغدادي الحمامي نزيل مكة سمع من قرابته الأنجب الحمامي وحدث عنه وكان الدباهي يثني على دينه ومروءته مات بمكة وقد قارب التسعين.

٤ ـ آذينه التتري (شحنة بغداد): (اذينا).

كان شحنة بغداد من قبل التتار، عادلاً، صارماً. ولي بغداد فمهدها من المفسدين وقمع من بها من المعتدين وخفف ظلماً كثيراً، وحمدت سيرته إلى أن مات في اوائل سنة ٧٠٩هـ بناحية الكوفة وكان ديناً حسن الإسلام، يمشي إلى صلاة الجمعة[3].

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٢١٨.

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٤.

(٣) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٤٧.

٥ ـ ايرنجن التتري: النوين خال أبي سعيد كان اتفق مع أبي سعيد على إمساك چوبان وقتله فتحيل عليه هو وقرمش ودقماق وجماعة ففطن لهم فهرب فطلبوه وحرجوه فلجأ إلى قلعة مرند ثم توجه إلى أبي سعيد فدخل عليه ومعه كفنه فقال قتلت رجالي ونهبت أموالي فإن كنت تريد قتلي فها أنا بين يديك فتبرأ أبو سعيد من ذلك فاستخدم رجالاً وأوقع بايرنجن ومن معه فانكسر ثم أسر هو وقرمشي ودقماق فعقد لهم مجلس فقالوا ما فعلنا شيئاً إلا بإذن القاآن فأنكر أبو سعيد فقال ايرنجن هذا خطك معي فضربه بسيخ (سهم) في فمه فقتله وطيف برأسه وتمكن جوبان وأباد أضداده وذلك سنة ٧٠٩هـ وقتل دقماق وقرمشي[1].

حوادث سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م)

الكيلانيون:

في هذه السنة ذكر الغياثي أن جماعة في أرض كيلان تمردوا وقال ابن خلدون هم الأكراد فجهز عليهم نائبه قتلغ شاه فحاربهم في جبال كيلان فهزموه وقتلوه وولي مكانه الأمير جوبان وقد مرّ ذلك في الحوادث الماضية والظاهر أنه بعد قتله قتلغ شاه انتصر عليهم في هذه السنة تأليفاً بين النصوص المختلفة في تواريخها...

بين الوزيرين:

في هذه السنة حدث بين الوزيرين الخواجة رشيد الدين والخواجة سعد الدين مخالفة فانقلبت الصداقة إلى بغضاء فكان الخواجة رشيد الدين يستفيد من كل فرصة ليبغض السلطان على الخواجة سعد الدين إلى أن غير طبع السلطان عليه وجعله ينفر منه وبلغ تشنيعه عليه امراً كبيراً حتى أنه لم يقف عند هذا الحد وإنما لقن السلطان أن جماعته وأعوانه أيضاً على

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٣١.

شاكلته وعلى وفاق معه واتفاق... وساعده على ذلك علي شاه...

وفي عاشر شوال[1] قتل هو ومن معه في بغداد من نوابه أمثال الأمير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين الطبري والخواجة زين الدين الماستري والخواجة شهاب الدين مباركشاه السباوي وداود شاه فاستشهدوا في المحول من بغداد جميعاً وذلك بفرمان من السلطان بعد أن أجريت محاكمتهم. وصارت الوزارة بعده للخواجة تاج الدين علي شاه التبريزي وهو الوزير الذي انضم إلى الوزيرين واتفق مع الخواجة رشيد الدين على خصمه... وفوضت إليه الوزارة على أن لا يخرج عن أمر الخواجة رشيد الدين ولا يتجاوز مرسومه...

وأن علي شاه كان قد عرف مواطن الضعف في الخواجة سعد الدين وذلك أن أعوانه كان قد أعماهم الطمع فساقوا الوزير في الهاوية ولم يقف الأمر عند هؤلاء من رجال السوء فإن الخواجة سعد الدين كانت له زوجة يقال إنها في الأصل يهودية وقد ملكت لبه فلم يستطع مخالفتها، وكانت تطلب منه أموراً هي من جملة أسباب نكبته... وقد أثنى على سلوكه وحسن سيرته أبو القاسم عبدالله بن محمد القاشاني في تاريخه المعروف بـ (تاريخ الجايتو) وبين مواطن ضعفه في الناحيتين المذكورتين وقد نعتت زوجته بأنها شيطان في صورة إنسان وأنها رمته في ورطة... أما الموظفون عنده فقد عرف حالتهم علي شاه وكشف مخبآت... فأوجب سقوط الخواجة سعد الدين سقوطاً هائلاً[2]...

---

(١) في تاريخ الجايتو أن ذلك وقع يوم السبت ١٠ شوال سنة ٧١١هـ والصحيح ما ذكرناه نقلاً عن تاريخ كزيده فإنه عين التاريخ في بيت شعر فارسي «اسلامدة تاريخ ومؤرخلر».

(٢) وفي تاريخ الجايتو ما يشم منه رائحة التحامل والحزبية إلا أن وضوحه ودقة نظره وحسن التفاته للحقائق من أقرب طريق مما يفيد كثيراً. اتمه في أيام أبي سعيد ومنه نسخة كتبت بالفارسية في مكتبة أياصوفيا وهو خير وثيقة لهذا العصر.

ولكن الأمور لم تجر وفق المطلوب وإنما اضطربت الحالة وساءت بسبب التقيد الزائد، والاحتياط الكبير فكانت داعية التخوف البليغ أدت إلى الخلل العظيم وصار الوزير الجديد يعارض في كل أمر ولا يلتفت إلى أوامر الخواجة رشيد الدين هذا وأن زوجة الخواجة سعد الدين كانت قد اتفقت مع نجيب الدولة من أطباء البلاط وهذا أيضاً كان ممن اعتنق الإسلامية وهو في الأصل من اليهود فلعب في أيام الجايتو وأبي سعيد هو وأمثاله من اليهود الذين قبلوا الإسلامية لمصلحة ادواراً هائلة وكانت تقع على أيديهم وقائع فجيعة كادوا بها يقضون على جميع الوزراء بل قضوا ودمروا الحكومة...

وعلى كل حال أوضح هذه النواحي القاشاني وفصل ما جرى...

غلاة الشيعة ـ مشهد ذي الكفل[1]:

وفي ثالث ذي الحجة من هذه السنة قتل السيد تاج الدين اللوحي[2] وهو من متقدمي رجال الشيعة ورؤسائهم وكان من أهل الغلو العظيم في الرفض فهذا كان قد حرض السلطان الجايتو على هذا المذهب. وقتل ابن السيد تاج الدين وجماعة آخرين بسبب اتفاقهم مع الخواجة سعد الدين فقضى عليهم جميعاً... وأن السيد عماد الدين علاء الملك السمناني قد سمل بسبب ميله إلى جانبهم...

وفي هذه الوقعة والخلاف بين الوزراء ما يؤيد وجهة نظر كلٌ فضاع التدبير في تدارك الخلل وجاء في ابن بطوطة كما في النص

---

(١) جاء في كتاب جامع الأنوار: تربته فيما بين الحلة والكوفة يزورها المسلمون وأهل الكتاب وهي مشهورة معروفة... وفي كتب التفسير مباحث عديدة عن سبب تسميته وعن عبادته والقصص المحفوظة عنه وهكذا نجد الكثير مسطوراً في تاريخ الأنبياء... وفي تاريخ حمد الله المستوفي المسمى «بنزهة القلوب».

(٢) في تاريخ كزيده جاء بلفظ «آوجي»، وفي عقد الجمان الآوي.

المنقول ما يؤيد الحالة والوضع وأساساً إن الأوضاع السياسية والحالة الراهنة مضطربة فلا أمل في إصلاحها والتنافس بين الوزراء قائم[1]...

وفي عمدة الطالب ما نصه:

«من بني زيد ابن الداعي السيد الجليل الشهيد تاج الدين أبو الفضل محمد بن مجد الدين الحسين بن علي بن زيد المذكور. كان أول أمره واعظاً واعتقده السلطان الجايتو محمد وولاه نقابة نقباء الممالك بأسرها العراق والري وخراسان وفارس وسائر ممالكه وعانده الوزير رشيد الدين الطبيب. وأصل ذلك أن مشهد ذي الكفل(ع) بقرية بئر ملاحة على الشط بين الحلة والكوفة واليهود يزورونه ويترددون إليه ويحملون إليه النذور فمنع السيد تاج الدين اليهود من قربه ونصب من صبيحته منبراً وأقام فيه جمعة وجماعة فحقد ذلك الرشيد مع ما كان في خاطره منه بجاهه العظيم واختصاصه بالسلطان، وكان السيد تاج الدين (ابنه) هو المتولي لنقابة العراق وكان فيه ظلم وتغلب فأحقد سادات العراق بأفعاله فتوصل الرشيد... واستمال جماعة... وأوقعوا في خاطر السلطان.. فقتلوهم عتواً وتمرداً موافقة لأمر الرشيد... وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٧١١هـ وأظهر عوام بغداد والحنابلة التشفي...» اهـ[2].

وفيات:

خطيب جامع المنصور وشيخ المستنصرية:

١ ـ توفي نجم الدين أبو بكر عبدالله بن أبي السعادات بن منصور ابن أبي السعادات بن محمد الأنباري ثم البابصري المقرىء خطيب

---

(١) تاريخ كزيده وتاريخ الجايتو.

(٢) عمدة الطالب ص ٨٠ وما يليها وهناك تفصيلات.

جامع المنصور وشيخ المستنصرية بعد ابن الطبال (وفي عقد الجمان ابن البطال) سمع ابن بهروز والأنجب الحمامي وأحمد بن المارستاني. ومات ببغداد في رمضان عن اثنتين وثمانين سنة[(١)].

٢ ـ ست الملوك فاطمة بنت علي بن أبي البدر روت كتابي الدارمي وعبد بن حميد عن ابن بهروز الطبيب وتوفيت ببغداد في ربيع الأول قاله في العبر[(٢)].

٣ ـ محمد بن عمر الحراني ثم البغدادي:

هو الملقن بالجامع الأموي كان عارفاً بالتجويد حسن الأداء مات في شهر رجب سنة ٧١٠هـ[(٣)].

٤ ـ أحمد بن موسى الموصلي:

حنبلي مقرىء نزل دمشق وكان عارفاً بالقراءات أخذ عن عبد الصمد ابن أبي الجيش وغيره. وكان فصيحاً عارفاً توفي سنة ٧١٠هـ وقد قارب الستين[(٤)].

٥ ـ محمد بن دانيال بن يوسف المراغي الموصلي:

هو الحكيم شمس الدين الكحال الفاضل الأديب تعانى الآداب ففاق في النظم وسلك طريق ابن حجاج ومزجها بطريقة متأخري المصريين يأتي بأشياء مخترعة وصنف طيف الخيال الشاهد له بالمهارة في الفن وله أرجوزة سماها عقود النظام في من ولي مصر من الحكام وكان كثير النوادر والرواية... (أورد له جملة من الشعر). مات في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧١٠هـ[(٥)].

---

(١) الشذرات ج ٦ ص ٢٣.
(٢) الدرر الكامنة ج ٦ ص ٢٦٠.
(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٠٦.
(٤) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٢٤.
(٥) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٣٦.

ونعته في عقد الجمان بالحكيم الأديب الخليع، صاحب النكت الغريبة والنوادر العجيبة... كان كثير المجون والخلاعة، وكان أعجوبة في النوادر والأجوبة... ولد بالموصل سنة ٦٤٧هـ ومن شعره:

قد عقلنا والعقل أي وثاق
وصبرنا والصبر مرّ المذاق
كل من كان فاضلاً كان مثلي
فاضلاً عند قسمة الأرزاق

حوادث سنة ٧١١هـ (١٣١١م)

مدينة سلطانية:

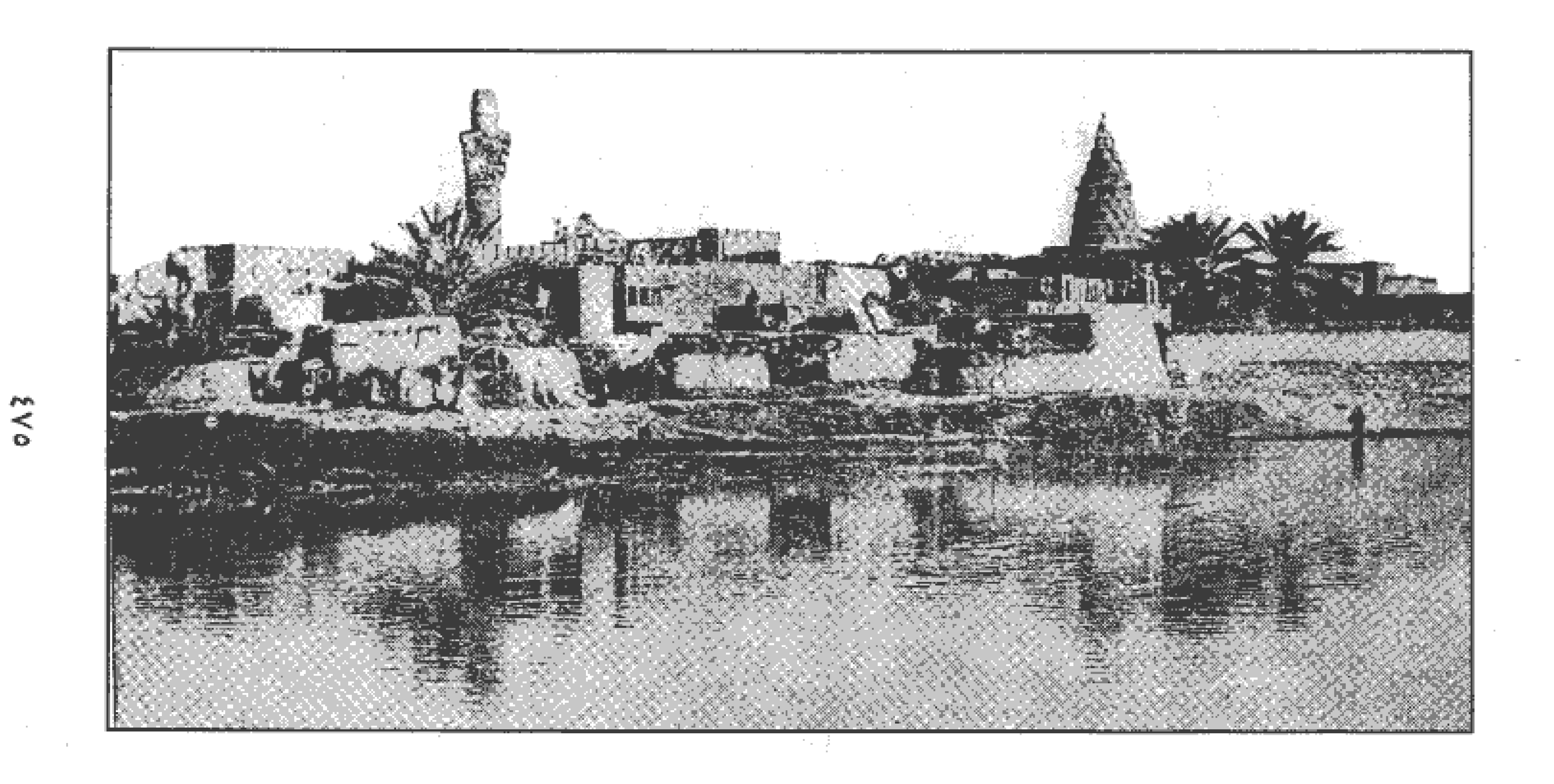
في هذه السنة كملت عمارة مدينة سلطانية[1] وهي بين قزوين وهمذان فنزلها السلطان خدابنده واتخذ بها بيتاً لطيفاً بني بلبن الذهب والفضة وأنشىء بإزائها بستان فيه أشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص وأجري فيه اللبن والعسل انهاراً وأسكن فيه الغلمان والجواري تشبيهاً له بالجنة وأفحش السلطان في التعرض لحرمات قومه[2].

وجاء في عقد الجمان أن السلطان كان قد طلب من تبريز وبغداد صناعاً ومهندسين لعمارتها. والسلطانية هذه هي (قنغرلان) وجعلها عاصمة ملكه...

قراسنقر والأفرم:

جاء في عقد الجمان أن في هذه السنة توجه الأمير قراسنقر المنصوري إلى خربندا ملك التتار وكان نائب حلب، توجه إلى الحجاز

(١) الدر المكنون.
(٢) تاريخ الغياثي وتقويم التواريخ.



مشهد ذي الكفل

ومن هناك مال إلى العراق... فتمكنت حكومة المغول من استهوائه واستهواء غيره مثل الأفرم، والعشائر بجلب رؤسائهم... وقد اطنب في ذلك مما لا نرى الآن محلاً للإطالة فيه وإنما نلاحظ الأوضاع العشائرية في مبحث خاص... وعلى كل كانت الحالة تدعو للارتياب وكل واحد من المتجاورين لم يقصر في تدبير ويحاول ربح قضيته[1]...

تاريخ وصاف: (تجزية الامصار وتزجية الاعصار)

في هذه السنة في شعبان أتم عبدالله بن فضل الله الشيرازي كتابه المعروف بتاريخ (وصاف) وقد مرّ القول عنه[2].

وفيات:

١ ـ وفاة محمد بن علي الساوجي العجمي وجماعة:

إن محمد العجمي كان من الكبار بالعراق وأنشأ ببغداد جامعاً غرم عليه ألف ألف، غضب عليه خربندا فأمر بقتله وقتل الوزير مبارك شاه ويحيى بن إبراهيم ابن صاحب سنجار فقتلوا جميعاً في شوال سنة ٧١١هـ بسبب أن الشريف تاج الدين رفع عليهم عند خربندا أنهم توطؤوا على قتله[3]... وقد مرّ خبر ذلك.

٢ ـ سعد الدين مسعود الحارثي:

هو ابن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثي العراقي. ولد سنة ٦٥٢هـ وعني بالحديث فسمع من الرضى ابن البرهان والنجيب وعبدالله بن علاق وطبقتهم، وبدمشق من أحمد بن أبي الخير والجمال ابن الصيرفي

---

(١) عقد الجمان ج ٢١.

(٢) وصفه صاحب كلشن خلفا ورقة ٤٧.

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٠١.

وابن أبي عمرو، سمع الكثير واتسعت معارفه في الفن وكان ولي مشيخة الحديث النورية بدمشق ثم تركها ورجع إلى مصر. وكان أبوه تاجراً فنشأ هو في رياسة وبزة فاخرة وحرمة وافرة. قال الذهبي وكان رئيساً فصيح الايراد، عذب العبارة، قوي المعرفة بالمتون والأسانيد، صيِّناً ودرس بالصالحية وجامع ابن طولون ثم ولي القضاء في ربيع الآخر سنة ٧٠٩هـ بعد موت عبد الغني بن يحيى الحراني من قبل المظفر بيبرس فاستمر إلى أن مات وكان متيقظاً، محتاطاً وقدم الفضلاء من كل طائفة. وكان ابن دقيق ينفر منه لقوله بالجهة، ويقال إنه الذي تعمد إعدام مسودة كتاب الإمام لابن دقيق العيد بعد أن كان أكمله فلم يبق منه إلا ما كان يبيض في حياة مصنفه... مات في ١٤ ذي الحجة سنة ٧١١هـ(١).

٣ ـ شيخ الخرامية أحمد بن إبراهيم الواسطي ثم الدمشقي الصوفي: ولد سنة ٦٥٧ وتفقه على مذهب الشافعي وتعبد وانقطع وكان يرتزق من النسخ وخطه حسن جداً. وله اختصار دلائل النبوة وتسلك به جماعة وكان يحط على الاتحادية. قال الذهبي تفقه وكتب المنسوب وتزهد وتجرد وتعبد وصنف في السلوك وشرح منازل السائرين. وكان منقبضاً عن الناس حافظاً لوقته لا يحب الخوانك تسلك به جماعة وكان ذا ورع وإخلاص. وله نظم حسن. مات في شهر ربيع الآخر سنة ٧١١هـ(٢).

٤ ـ مبارك شاه الوزير:

هو وزير خربندا قتل في شوال سنة ٧١١هـ وقد مر الكلام عنه في ترجمة محمد بن علي الساوجي(٣).

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٤٨.
(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٩١.
(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٧٦.

٥ ـ ابن الدباهي البغدادي:

هو محمد بن أحمد بن أبي نصر الدباهي البغدادي الحنبلي كان تاجراً ثم ترك وتزهد ولقي المشايخ وتكلم على الناس وقدم دمشق فلازم ابن تيمية قال الذهبي كان ذا صدق وتأله وديانة جاور مدة ولقي المشايخ وله مواعظ نافعة وكان ممن يقول الحق وإن كان مراً وفيه صفات حميدة مات في شهر ربيع الأول سنة ٧١١هـ[١].

حوادث سنة ٧١٢هـ (١٣١٢م)

السلطان الجايتو وسورية:

في شوال سنة ٧١٢هـ عزم السلطان على الذهاب إلى الشام[٢] وإفتتح قلعة الرطبة بعد معركة حصلت هناك ورأف بالصلح معهم وفي هذه الأثناء صال على خراسان كبك وميسور من أمراء الجغتاي وبعد أن أحدثوا أضراراً كبرى عادوا... وأن السلطان الجايتو لما سمع بذلك سير الأمير علي القوشجي بجيش عظيم عليهم لينتقم ومن ثم عبر الفيلق نهر جيحون وخرب انحاء ترمذ وما وراء النهر فأخذ الحيف وعاد إلى السلطان وحينئذ نصب السلطان ابنه أميراً على خراسان وجعل الأمير سونج معه كأتابك له كما أنه أنفذ بصحبته أمير أمراء خراسان... أما أهل ما وراء النهر فإنهم قد أحدثوا اختلافاً بين ميسور وكپك فمال الأمير ميسور إلى السلطان وأبدى له الطاعة ومن ثم لطفه السلطان وكتب له كتاباً يناصره فيه أما الأمير كپك فقد تأهب لحرب الأمير ميسور وقد

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧٦.

(٢) وكان سبب ذلك أن قره سنقر المنصوري وعز الدين الزردكاش وبلبان الدمشقي والأفرم أقاموا بالبرية في ذمام مهنا بن عيسى ملك العرب... ثم عبروا الفرات إلى خربنده ملك التتر فاحترمهم وأقبل عليهم.. «ص ٢٦١ ابن الوردي ج ٢».

أمدّ الايرانيون الموما إليه فكانت النتيجة أن انهزم كپك[١]...

وذكر أبو الفداء عن وقعة الرطبة ما يلي:

«وكان خربندا نازل الرطبة بجموع المغل (المغول) في آخر شعبان من هذه السنة (سنة ٧١٢هـ)... واستمر خربندا محاصراً للرطبة وأقام عليها المجانيق وأخذ فيها النقوب ومعه قراسنقر والأفرم ومن معهما وكانا قد اطمعا خربندا أنه ربما يسلم إليه النائب بالرطبة وهو بدر الدين بن اركش الكردي لأن الأفرم هو الذي كان قد سعى للمذكور في النيابة بالرطبة فطمع الأفرم بسبب تقدم إحسانه إلى المذكور أن يسلم إليه الرطبة وحفظ المذكور دينه وما في عنقه من الأيمان للسلطان وقام بحفظ القلعة أحسن قيام وصبر على الحصار وقاتل أشد قتال.

ولما طال مقام خربندا على الرطبة بجموعه وقع في عسكره الغلاء والفناء وتعذرت عليه الأقوات وكثر منه المقفزون إلى الطاعة الشريفة وضجروا من الحصار ولم ينالوا شيئاً ولا وجد خربندا لما أطمعه به قراسنقر والأفرم صحة فرحل خربندا عن الرطبة راجعاً على عقبه في ٢٦ رمضان من هذه السنة... وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها...» اهـ[٢].

وفي ابن الوردي: «... حاصروها ثلاثة وعشرين يوماً ورموها بالمجانيق وأخذوا في النقوب ثم أشار رشيد الدولة على خربنده بالعفو عن أهلها وأشار عليهم بالنزول إلى خدمة الملك فنزل قاضيها وجماعة وأهدوا لخربندا خمسة أفراس وعشرة اباليج سكر فحلفهم على الطاعة له ورحل عنهم...» اهـ[٣].

---

(١) تاريخ كزيده.

(٢) تاريخ أبي الفداء.

(٣) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦١.

وفي عقد الجمان تفصيل عن هذه الوقعة وعن وصول خربندا إليها ورحيله ثم نزوله الموصل... وعند ذلك جاءته التقدمات والوفود من كل صوب ثم رحل إلى تبريز. وهناك جاءه رسول من ملك الترك (ولدي) وطلب منه الحمل لانقطاعه لمدة ثلاث سنوات فجمع خربندا المجلس ثم انتظر چوبان فأجابه ليس سوى الحرب وضرب الرسول ضرباً مبرحاً...

ومن ملخص الأسباب الصحيحة أن القوم تركوا الحصار لأن المغول في ما وراء النهر عانوا في خراسان وما والاها فلا معنى لبقائهم على حصار الرطبة. وأن الصلح وقع لهذا السبب وانسحب الجيش للأمر الأهم... كما أنه التجأ الأفرم وقراسنقر إلى خدابنده بعد التاريخ الذي بيناه وقد حكى ابن بطوطة ذلك بصورة مفصلة قال:

«كان قراسنقر من كبار الأمراء وممن حضر قتل الملك الأشرف أخي الملك الناصر وشارك فيه. ولما تمهد الملك للملك الناصر وقرّ به القرار واشتدت أواخي سلطانه جعل يتتبع قتلة أخيه فيقتلهم واحداً واحداً إظهاراً للأخذ بثأر أخيه وخوفاً أن يتجاسروا عليه بما تجاسروا على أخيه وكان قراسنقر أمير الأمراء بحلب فكتب الملك الناصر إلى جميع الأمراء أن ينفروا بعساكرهم وجعل لهم ميعاداً يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم عليها حتى يقبضوا عليه. فلما فعلوا ذلك خاف قراسنقر على نفسه. وكان له ثمانمائة مملوك فركب فيهم وخرج على العسكر صباحاً فاخترقهم وأعجزهم سبقاً وكانوا في عشرين ألفاً وقصد منزل (أمير العرب) مهنا بن عيسى وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنا في قنص له فقصد بيته ونزل عن فرسه وألقى العمامة في عنق نفسه ونادى الجوار يا أمير العرب وكانت هناك أم الفضل زوج مهنا وبنت عمه فقالت له قد أجرناك وأجرنا من معك فقال إنما اطلب أولادي ومالي فقالت له لك ما تحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك وأتى مهنا فأحسن

نزله وحكمه في ماله فقال إنما أحب أهلي ومالي الذي تركته بحلب فدعا مهنا بإخوته وبني عمه فشاورهم في أمره فمنهم من أجابه إلى ما اراد ومنهم من قال له كيف نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم مهنا: أما أنا فأفعل لهذا الرجل ما يريده وأذهب معه إلى سلطان العراق. وفي أثناء ذلك ورد عليهم الخبر بأن أولاد قراسنقر سيروا على البريد إلى مصر فقال مهنا لقراسنقر أما أولادك فلا حيلة فيهم وأما مالك فنجتهد في خلاصه فركب فيمن أطاعه من أهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين ألفاً وقصدوا حلب فأحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها واستخلصوا منها نحو مال قراسنقر ومن بقي من أهله ولم يتعدوا إلى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم أمير حمص الأفرم ووصلوا إلى الملك محمد خدابنده سلطان العراق وهو بموضع مصيفه المسمى (قراباغ) وهو ما بين السلطانية وتبريز فأكرم نزلهم وأعطى مهنا عراق العرب وأعطى قراسنقر مدينة مراغة من عراق العجم وتسمى (دمشق الصغيرة) وأعطى الأفرم همذان وأقام عنده مدة مات فيها الأفرم. وعاد مهنا إلى الملك الناصر بعد مواثيق وعهود أخذها منه وبقي قراسنقر على حاله. وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية[1] مرة بعد مرة ومنهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ومنهم من يرمي بنفسه عليه وهو راكب فيضربه وقتل بسببه من الفداوية جماعة وكان لا يفارق الدرع أبداً ولا ينام إلا في بيت العود والحديد. فلما مات السلطان محمد وولي ابنه أبو

---

(١) هؤلاء من طائفة الإسماعيلية يقيمون في حصون عديدة في سورية منها حصن الكهف وحصن مصياف وحصن العليقة وحصن المينقة وحصن القدموس ولا يدخل على هؤلاء أحد من غيرهم وهم سهام الملك لناصريهم يصيب من يعدو عنه من أعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات وإذا أراد السلطان أن يبعث أحدهم إلى اغتيال عدو له اعطاه ديته فإن سلم بعد تأتى ما يراد منه فهي له وإن أصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا إلى قتله... اهـ ابن بطوطة ج ١ ص ٤٣.

سعيد وقع ما سنذكره من أمر الچوبان كبير أمرائه وفرار ولده الدمرطاش إلى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واتفقا على أن يبعث أبو سعيد إلى الملك الناصر برأس قراسنقر ويبعث إليه الملك الناصر برأس الدمرطاش فبعث الملك الناصر برأس الدمرطاش إلى أبي سعيد فلما وصله أمر بحمل قراسنقر إليه. فلما عرف قراسنقر بذلك أخذ خاتماً كان له مجوفاً في داخله سمّ ناقع فنزع فصه وامتص ذلك السم فمات لحينه فعرف أبو سعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث له برأسه.» اهـ[1].

أمير العرب مهنا بن عيسى:

إن هذا الأمير وهو مهنا بن عيسى[2] لما اعتمد المساعدة من قراسنقر ولغير ذلك من الأمور التي استوحشها من سورية كاتب السلطان خربنده ثم أخذ منه إقطاعاً بالعراق مدينة الحلة وغيرها واستمر إقطاعه من السلطان بالشام وهو مدينة سرمين وغيرها على حاله وعامله بالتجاوز ولم يؤاخذه بما بدا منه وحلف على ذلك مراراً فلم يرجع عما هو عليه وجعل مهنا ولده سليمان منقطعاً إلى خدمة خربندة ومتردداً إليه واستمر ابنه موسى في صداقة السلطان ومتردداً إلى الخدمة واستمر على ذلك

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٤٤.

(٢) ساق ابن خلدون نسب عيسى المذكور بأنه عيسى بن مهنا بن مانع بن جذيلة بن فضل بن بدر بن ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن جصة بن بدر بن سميع فيقفون عند هذا فلا يتجاوزونه في العد... ونفى انتساب هؤلاء إلى آل برمك كما يتوهم العوام ويدور على ألسنتهم ومن هؤلاء آل فضل ينتسبون إلى فضل وآل علي إلى علي المذكورين ويشاهد طريق اتصالهم... وجذيلة المذكور في عمود النسب ورد في الدرر الكامنة بلفظ حديثة كما في الشذرات وكرر صاحب الدرر الكامنة هذه اللفظة مراراً «الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥١ وج ٥ ص ٤٣٦ ابن خلدون وج ٦ ص ٤٦».

بأخذ الإقطاعين بالشام والعراق وتصل إليه الرسل من الفريقين وخلعهما وإنعامهما وهو مقيم بالبرية يتنقل إلى شط الفرات من منازله لا يصل إلى إحدى الفئتين. وهذا أمر لم يعهد مثله ولا جرى نظيره فإن كلاً من الطائفتين لو اطلعوا على أنه يكتب إلى الطائفة الأخرى سطراً قتلوه لساعته ولا يمهلونه ساعة ووافق مهنا في ذلك سعادة خارقة[1].

وقد ذكر ابن بطوطة عن أمراء العرب في طريق الحج بين العراق ومكة المكرمة أنه كان أمير الحج يخشى العربان فلما قرب منهم صار على أهبة من الحرب وصادفوا في هذه الأثناء فياضاً وحياراً ابني الأمير مهنا بن عيسى المذكور ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة فظهر منهما المحافظة على الحاج والرحال والحوطة لهم وأتى العرب بالجمال وانضم فاشترى منهم الناس ما قدروا عليه... قال ثم رحلنا ونزلنا بالموضع المعروف بالأجفر[2]...

وفي ابن الوردي أن مهنا المذكور توفي[3] سنة ٧٣٥ وكان قد أناف على الثمانين فأقيم له مأتم ولبس عليه السواد وله معروف من ذلك مارستان جيد بسرمين ولقد أحسن برجوعه إلى طاعة السلطان قبل وفاته. وكانت وفاته بالقرب من سلمية اهـ. وهو من آل فضل أمراء قبيلة طيىء[4] وفي صبح الأعشى أنهم تشعبوا شعباً كثيرة منهم آل عيسى وآل فرج وآل سميط وآل مسلم وآل علي. ومن المشهورين من أولاد مهنا غير من ذكرنا نعير بن حيار بن مهنا المتوفى سنة ٨٠٨هـ وله ابن اسمه عجل بن نعير توفي سنة ٨١٦هـ[5].

---

(١) تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٧٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ١٠٣.

(٣) في الشذرات توفي في ذي القعدة من هذه السنة ومثله في ابن خلدون.

(٤) الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون حوادث سنة ٧٣٥ ومثله في ابن خلدون ج ٥ ص ٦.

(٥) أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ج ٢ ص ٥٢٧.

وكان لهذه الإمارة شأن كبير وصيت ذائع وسلطة واسعة في جزيرة العرب. وستأتي بقية حوادثهم في حينها من ناحية علاقتها بالعراق.

ومن هذا تتعين درجة قدرة هؤلاء الأمراء ونفوذهم على العشائر نفوذاً كبيراً ولا يستغرب أن يداريهم الملوك المجاورون في العراق وسورية ويماشونهم في رغباتهم...

وفي أيام المغول الأولى نظراً لقدرة الحكومة وقوتها لم يذكر للعشائر شأن أو لم تعرف لهم مكانتهم وفي عهدها الأخير ضعفت فصارت تلجأ إلى السياسة العشائرية أو أنها لم تشعر بسطوتها آنئذ وطريق الاستفادة منها... ومن ثم عادت العشائر لميدان السياسة وصار يحسب لها وزنها...

وفاة هدية البغدادية:

هدية بنت علي بن عسكر البغدادية: اللبان أبوها، والهراس جدها الصالحية ولدت سنة ٦٢٦هـ وروت عن الزبيدي حضوراً وعن ابن اللتي كثيراً وعن جعفر الهمذاني وغيرهم وكانت صالحة، كثيرة الصلاة تحولت إلى القدس إلى أن ماتت هناك في جمادى الأولى سنة ٧١٢هـ[١].

صاحب ماردين:

في هذه السنة في ربيع الآخر مات صاحب ماردين الملك المنصور غازي ابن المظفر قره ارسلان الأرتقي في عشر السبعين ودولته نحو عشرين سنة وملك بعده ابنه العادل علي فعاش بعده سبعة عشر يوماً ومات فملك أخوه الملك الصالح[٢].

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٠٤.

(٢) ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦١ والشذرات ص ٣١.

حوادث سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م)

في الصيد:

في هذه السنة تصيد السلطان خربندا، وكان الصيد باليد وكان قد صاد صيداً لم يسبقه أحد إليه... وكان خربندا من الفرسان المعدودين، والأبطال المشهورين... بقي أياماً في الصيد بصحراء واسعة[١]...

الطاعون:

في هذه السنة حدث الطاعون بالعراق خاصة. كذا قاله صاحب الدرّ المكنون في المآثر الماضية من القرون.

محمد بن أحمد بن شبل الحريري البغدادي:

مالكيّ. ولد سنة ٦٤٧هـ وأسره التتار صغيراً فنشأ ببغداد وتفقه لمالك وكان كثير الاشتغال والأشغال وأفتى ودرس وعرض عليه نيابة الحكم فامتنع وقال: الشهادة أسلم. ومات في شعبان سنة ٧١٣هـ[٢].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفيات:

١ ـ إسماعيل بن عثمان بن المعلم.

٢ ـ شمس الدين دوباج سلطان كيلان. مات بقباقب من ناحية تدمر ونقل فدفن بقاسيون وعملت له تربة حسنة وعاش ٥٤ سنة مات في طريقه للحج. وهذا هو الذي رمى قتلغ شاه في حرب كيلان بسهم فقتله وانهزم التتر وهلك قتلغ شاه على الكفر وهو مقدم التتر في ملحمة شقحب[٣].

---

(١) عقد الجمان ج ٢١.

(٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣١٩

(٣) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦٣ والدر المكنون وكتاب دول الإسلام ج ٢ ص ١٧٠.

٣ ـ توفي محتشم العراق القدوة شهاب الدين عبد المحمود بن عبد الرحمن بن أبي جعفر محمد بن الشيخ شهاب الدين السهروردي وخلف نعمة جزيلة وكان عالماً واعظاً حدث عن جده. وسيمر بنا الكلام عن ولده في حوادث سنة ٧٣٧هـ[١].

٤ ـ محمد بن محمود بن حسن الموصلي: هو المعمر الصالح الزاهد. كان يقال إنه عاش ١٦٠ سنة. مات بمصر سنة ٧١٤هـ[٢].

٥ ـ شمس الدين الجويني محمد ابن الكويك: تاجر مشهور، له معروف وبر، وهو عم والد أبي جعفر وأبي اليمن المحدثين ولدى عبد اللطيف بن أحمد بن محمود مات في ٢٨ ذي القعدة سنة ٧١٤[٣].

٦ ـ عبدالله بن علي بن محمد بن محمود الكازروني ثم البغدادي الشافعي الأديب جلال الدين بن ظهير الدين كان جده محمد أصولياً وجد أبيه محمود شيخاً قدوة وولد الجلال سنة ٥١ وتفقه واشتغل وكان لغوياً أديباً بارع الخط يكتب الكوفي ويذهّب وسمع أباه وعبد الصمد بن أبي الجيش، وكان إلى حسن تذهيبه المنتهى، وكان متصوفاً خيراً حلو المحاضرة، وكف بصره في الآخر توفي بخانقاه الطاحون في رمضان سنة ٧١٤[٤].

وقال في عقد الجمان، «البغدادي الكاتب، مات بدمشق ودفن بمقابر الصوفية، وكان له دكان بالجسر باللبادين ويذهّب المصاحف والهياكل، وعنده أدب وأضرّ في آخر عمره ورتب صوفياً بخانقاه الطاحون وكان أبوه من عدول بغداد وأكابرها . . .

---

(١) الشذرات ج ٦ ص ٣٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٣.
(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٥١.
(٣) كذا ص ٢٥٢.
(٤) كذا ج ٢ ص ٢٨٠.

ومن شعره:

قــال لــي صــاحــبـي وقــد بــان شــيـبـي
بــعـــذاري وبـــان مـــنـــي شـــبـــابـــي
هــصــر الــشـيـب مــنـك غــصــنــاً نــضــيــرا
مــسـتـسـرّاً يــانــعــاً فــلــذ بــالــخــضــاب
قــلــت أن الــشــبــاب مــع صــدقــه خــان
فــمــاذا يــرجــى مــن الــكــذاب» اهـ[1]

حوادث سنة ٧١٥هـ (١٣١٥م)

الملك الصالح:

في هذه السنة سار الملك الصالح واسمه صالح ابن الملك المنصور غازي ابن الملك المظفر قرا ارسلان صاحب ماردين إلى خدمة خربنده ملك التتر بالتقادم على عادة والده فأحسن إليه خربنده. ثم عاد الملك الصالح المذكور إلى ماردين في جمادى الآخرة من هذه السنة[2].

جمال الدين آقوش:

وفي هذه السنة أفرج السلطان عن جمال الدين أقوش الذي كان نائباً بالكرك ثم صار نائباً بدمشق وأحسن إليه وأعلى منزلته[3].

وجاء في الدرر الكامنة أنه تقلب في مناصب عديدة في سورية ثم عمل الناصر على إمساكه ففر إلى ابن عيسى ثم إلى خربنده ملك التتار فأنعم عليه بأمرة همذان فأقام بها وترددت إليه الفداوية مرات فلم يقدروا

---

(١) عقد الجمان ج ٢١.

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٧٩.

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٧٩.

عليه إلى أن مات وقد أصابه الفالج بعد سنة ٧٢٠ وكان فارساً بطلاً عاقلاً جواداً يحب الصيد وكان خليقاً للملك لما فيه من المهابة والحماية وكان خيراً عديم الشر والأذى يكره الظلم وكان يعاشر أهل العلم[١]...

قراسنقر:

وفيها: وصل قراسنقر إلى بغداد في رمضان هذه السنة وتقدم مرسوم إلى التتر الذين ببغداد وديار بكر وتلك الأطراف بالركوب مع قراسنقر إذا قصد الاغارة على بلاد الشام وكان خربنده مقيماً بجهة موغان وأقام قراسنقر وقدم عليه بها فداوي وسلم قراسنقر.

وفي مستهل المحرم سنة ٧١٦ توجه قراسنقر من بغداد إلى جهة خربنده.

غارة أمير العرب:

وفي أواخر ذي القعدة أغار سليمان بن مهنا بن عيسى بجماعة من التتر والعرب على التركمان[٢] والعرب النازلين قرب تدمر ونهبهم وأخذ لهم اغناماً كثيرة ووصل في اغارته إلى قرب البيضاء بين القريتين وتدمر وعاد بما غنمه إلى الشرق وكثيراً ما كان يستعان بهؤلاء العشائر للتشويش وتوليد الاضطراب في الجهة المقابلة أو المعادية لهم...

آل مرا:

إلى هذه السنة يسكنون سورية وإن رئيسهم نجاد بن أحمد بن

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٩٨.

(٢) قبائل التركمان كثيرة ويجمعهم العرب على تراكمة وأما أبو الفداء فإنه جمعهم على تراكمين... وتكلمنا عن عشائر التركمان في تاريخ عشائر العراق عند ذكر ـ قبيلة البيات ـ.

حجي بن زيد ابن شبل امير آل مرا قد توفي وكانت وفاته في آخر هذه السنة. واستقر بعده في امرة آل مرا ثابت بن عساف بن أحمد بن حجي المذكور وبقي ثابت المذكور وتوبة بن سليمان بن أحمد يتنازعان في الأمرة[1].

ولهؤلاء تنسب الوقعة المعروفة (بذبحة المرا) وهم فرقة من طيىء والإمارة كانت فيهم فانتزعها آل فضل من طيىء أيضاً[2].

وفيات:

١ ـ كمال الدين موسى قاضي الموصل:

في هذه السنة في جمادى الأولى توفي موسى بن محمد بن موسى ابن يونس الإربلي القاضي كمال الدين (جمال الدين) ابن الرضى بن يونس تفقه ببلاده وولي قضاء الموصل وهو من بيت كبير وكان فاضلاً علامة. وحضر رسولاً إلى الناصر من عند غازان ومعه جماعة في معنى الصلح فقرىء الكتاب وخطب خطبة بليغة وهو قائم بحضرة الناصر فأكرم وأعيد جوابه وجهز صحبته حماد الدين علي بن السكري خطيب الجامع الحاكمي[3]...

٢ ـ الحسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني:

الاسترابادي ركن الدين عالم الموصل كان من كبار تلامذة النصير الطوسي وكان مبجلاً عندالتتار، وجيهاً متواضعاً حليماً... تخرج به جماعة من الفضلاء وله شرح المختصر والمقدمتين جميع ذلك لابن

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٨٠.

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٧٠.

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨١ وعقد الجمان ج ٢٢ وزاد وتولى قضاء الموصل بعده ولده ولم يسمّه...

الحاجب وشرح الحاوي شرحين. مات سنة ٧١٥هـ وكان من ابناء السبعين[١].

٣ ـ سنجر البغدادي:

هو مجد الدين الطبيب البغدادي غلام ابن الصباغ. كان ماهراً في صناعة الطب وولي المستنصرية ببغداد وغير ذلك ومات في أوائل شعبان سنة ٧١٥هـ[٢].

٤ ـ عبدالله بن إبراهيم بن سالم البغدادي، ثم المصري.

سمع على الشمس بن العماد الحنبلي وحدث. مات في ١٢ صفر سنة ٧١٥هـ[٣].

٥ ـ الإمام الشيخ أصيل الدين الحسن ابن الإمام نصير الدين محمد بن محمد بن محمدالطوسي البغدادي: عالي الهمة، كبير القدر في دولة غازان. وصل مع غازان إلى الشام ورجع معه إلى بلاده، ولما تولى خربندا ووزر تاج الدين علي شاه قرب أصيل الدين إليه حتى ارضاه فولاه نيابة السلطنة ببغداد، ثم عزل وصودر. وكان كريماً، رئيساً، منجماً، عارفاً، وكان له فهم ونظر في الأشعار، وصنف كتباً كثيرة، وكان فيه خير وشر، وظلم وجور. مات ببغداد[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) كتاب دول الإسلام ج ٢ ص ١٧١ وانتهت حوادثه في سنة ٧١٥هـ ويليه الذيل المذكور. والدرر الكامنة ج ٢ ص ١٧ وعقد الجمان ج ٢٢ وفيه تفصيل عن ترجمته وجاء في ابن الوردي وفي الدر المكنون أنه توفي في السنة التالية. ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٧٣.

(٣) الدرر ج ٢ ص ٢٣٩.

(٤) عقد الجمان ج ٢٢.

حوادث سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م)

عزل الوزير تاج الدين علي شاه:

لما قضي على الوزير سعد الدين نال الوزارة تاج الدين علي شاه وقد اشترط أن لا يخرج عن رأي الوزير الخواجة رشيد الدين... وكان المأمول أن يتم الصفاء بين هذين الوزيرين فقد خلا الجو لهما ونجا كلاهما من أكبر عدو، مزاحم لهما... إلا أن الحوادث الماضية بعد قتلة سعد الدين برهنت على أن تاج الدين علي شاه لم يكن قد تخلص من سلفه إلا لأمر الوقيعة بالآخر وليخلو له الأمر ويستقل بالإدارة... فالحرص يبلغ بالمرء أكثر من هذا ولم تقف الآمال عند حد محدود فصار يعادي متفقه بالأمس وينصب له الحيل والخدع للوقيعة، ويتوسل بأنواع الوسائل للوصول إلى غرضه...

وكذا زوجة المقتول سعد الدين لم تقف عند المصاب وإنما كانت تتحين الفرص وتترقب حصول الخلل لتثأر من الوزير الخواجة رشيد الدين كما أشير إلى ذلك فيما مرّ واستخدمت كل ما في وسعها بجد ونشاط ويقال هي في الأصل يهودية وامرأة فتانة فلم تدع طريقاً إلا ولجته. وكان جل معولها أن ترى ما يحدث بين الوزراء من برودة أو نفرة، أو تصادم في المطالب واختلاف في الأهواء... وكانت تستعين بامرىء آخر كان يهودياً فأسلم وهو أحد أطباء البلاط نجيب الدولة... فكانوا جميعاً يسعون في أن يشعلوا الجذوة ويزيدوا في الفتنة... وأساساً نرى تاريخ المغول مملوءاً من حوادث الخدع وغالبها ينسب إلى اليهود وتسويلاتهم وألاعبهم في هذه الحكومة باطناً وظاهراً سواء في أيام الجايتو أو في زمن ابنه أبي سعيد فقد كان نفوذهم واسع النطاق جداً...

ويقال إن الخواجة رشيد الدين كان قد استخدمهم لصالحه في بادىء الأمر ونكل بخصومه الأولين وقضى بهم لوازمه فكانوا القاضية

عليه لحد أن بعضهم نظراً لاستخدامه لهؤلاء اليهود واعتماده عليهم في أموره... عده منهم واعتبره يهودي الأصل... وهكذا وجدنا في ابن بطوطة ما يؤيد هذه الفكرة وأخذ بتيارها وكان آنئذ اعداؤه القابضين على زمام الأمور (اصحاب الكلمة) فقد قال إنه من مهاجرة اليهود[1].

وعلى كل حال إن تاج الدين نصب نفسه لمخالفة الخواجة رشيد الدين ومعارضته وعلى ما جاء في حبيب السير أنه لم يبق له سلطة رغم ما بذل الخواجة له من المساعي والمناصرة... فلما رأى الوزير رشيد الدين أن قد عادت الوسائل لا تنجع وأن الأمور قد اضطربت وانحل ما بينهما... شكاه للسلطان ومن ثم صدر الأمر بعزله وذلك في سنة ٧١٥هـ فعزل إلا أنه لم تدم مدة عزله فأعيد بعد قليل إلى الوزارة وأيضاً عاد الخلاف بل زاد فأراد السلطان أن يؤلف بينهما وفرق الوظائف بين الاثنين وعين لكلٍّ ما يجب أن يقوم به فجعل الوزارة مشتركة فكانت الإدارة للخواجة والمالية للآخر... فاستعاد نفوذه رغم قوة خصومه أمثال طوقماق والوزير رشيد الدين... وهذه أيضاً كانت من أكبر الغوائل التي مرت على الخواجة وكم كان يتمنى لو قبل استعفاؤه وعاش منزوياً ومجرداً عن كل ما ملك...!

وعلى كلٍّ لم ينته الخلاف بعودته ولا زال تاج الدين علي شاه مخالفاً الوزير رشيد الدين ولا يلتفت إلى أقواله وإنما يعمل الأعمال من تلقاء نفسه... ودام ذلك ما بينهما إلى أيام وفاة الجايتو خان (محمد خدابنده).

وفيات:

١ ـ محمود الأصم: ابن محمد بن محمد بن عبد المؤمن المدايني

---

(١) تحفة النظار ج ١ ص ١٣٧.

البغدادي ثم الصالحي سبط الشيخ أبي عمرو. سمع على أحمد بن المفرج (فرج) والبلخي والمرسي وغيرهم وأجاز له أحمد بن يعقوب المرستاني وإبراهيم بن عثمان الكاشغري وابن القبيطي وغيرهم. مات في ٢٦ شعبان سنة ٧١٦هـ[١].

امراء العرب في سورية:

في ٢٢ ربيع الأول من هذه السنة وصل إلى حماة من ديار مصر الأمير بهاء الدين ارسلان الدواداري وأوقع الوصية على أخبار آل عيسى. ثم استقرت الوصية على خبر مهنا ومحمد ابني عيسى وأحمد وفياض ابني مهنا المذكور... وسار إلى مهنا واجتمع به على مربعة وهي منزلة تكون يوماً تقريباً من السخنة يوم الاثنين سلخ ربيع الأول من السنة المذكورة وتحدث معه في انقطاعه عن التتر ولم ينتظم حاله فعاد الأمير بهاء الدين المذكور إلى دمشق ثم عاد إلى موسى بن مهنا بالقرب من سلمية ثم عاد إلى دمشق وتوجه هو وفضل بن عيسى إلى الأبواب الشريفة واستقر فضل اميراً موضع أخيه مهنا ووصل إلى بيوته بتل اعدا في اوائل جمادى الأولى من هذه السنة[٢].

ومن هذه الحادثة تعرف درجة الاهتمام بالعرب والخوف من أن يميلوا مع التتر. وقد أدرك سلاطين التتر هذه الجهة وسبقوا بها أمراء سورية في تقريب هؤلاء العشائر خوف أن تتولد أمور تؤدي إلى ما لا يحمد...

شريف مكة في العراق:

وفي هذه السنة قصد حميضة بن أبي نمي خربندا مستنصراً في

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٨.

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٨١.

إعادته إلى ملك مكة ودفع أخيه رميثة فجرد خربندا مع حميضة والدرفندي[1] وهو النائب على البصرة وجرد معه جماعة من التتر وعرب خفاجة[2]...

وقد جاء عن عرب خفاجة هؤلاء في ابن بطوطة أنهم كانت بيدهم سلطة الكوفة والأنحاء المجاورة لها هناك... (ص ج ١ منها) ولا تزال مواطنهم حتى الآن قريبة من تلك الأنحاء أي القسم الكبير منهم في لواء المنتفق.

وكان والدهما الشريف أبو نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي ابن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن الحسن بن عليّ (رضي اللّٰه عنهم) قد توفي سنة ٧٠١هـ واختلفت أولاده وتنازعت السلطة وهم رميثة وحميضة وأبو الغيث وعطيفة وكان النزاع على إمارة مكة قائماً وتدخلات الحكومة المصرية مستمرة وأول علاقة للعراق بهم من ناحية التدخل في الإمارة الوقعة السابقة[3]... وكان والدهم توفي وهو من ابناء السبعين. قال الذهبي كان اسمر ضخماً شجاعاً سايساً مهيباً ولي ٤٠ سنة قال لي الدباهي لولا أنه زيدي لصلح للخلافة لحسن صفاته[4]...

وفي عقد الجمان:

«كان حميضة قد التجأ إلى خربندا وطلب منه جيشاً يغزو به مكة وساعده جماعة من الروافض وكان قد عين مقدماً اسمه الدلقندي وعين معه أربعة آلاف فارس، وعولوا أنهم إذا ملكوا مكة يروحون إلى المدينة

---

(١) سيأتي الكلام عن الدرفندي فقد جاء «الدلقندي».

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٨٣.

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٤٩.

(٤) الشذرات ص ٢ ج ٦.

ويتعرضون إلى نبش قبر أبي بكر وعمر(رض) وشاع ذلك، واغتم أهل السنة، وأن الأمير محمداً بن عيسى أخا مهنا جمع عسكراً من العربان وقصد المقدم المذكور وكبسه فكسر عسكره ونهبهم وشتت شملهم وذلك في ذي الحجة وأخذ القوس والمعاول التي كانوا هيأوها لنبش الشيخين» اهـ.

وزاد أن الفاطمية أيام الحاكم حاولوا نقل نعش الرسولﷺ فلم يفلحوا كذا روي عن تاريخ بغداد في ترجمة أبي القاسم عبد الحليم بن محمد المغربي الزاهد[1]...

وفاة السلطان محمد خدابنده (الجايتو) في غرة شوال سنة ٧١٦هـ

وفاة السلطان:

جاء في أبي الفداء أنه توفي في السابع والعشرين من رمضان وفي تاريخ كزيدة في غرة شوال سنة ٧١٦هـ وأنه توفي بمرض الهيضة في آخر رمضان كما في الشذرات. وقد اتهم الخواجة رشيد الدين وزيره بقتله لكونه أعطاه على هيضته مسهلاً فتقيأ فخارت قواه[2]...

ترجمته:

أصل اسمه الجايتو وقد مرّ من الوقائع السابقة ما يبصر بترجمته... جلس في ١٥ ذي الحجة سنة ٧٠٣هـ وكان يخشى من ابن عمه الأفرنك أمير هورقوراق (هورقودان)...[3] ومن حين استقراره في

(١) عقد الجمان ج ٢٢.

(٢) الشذرات ج ٦ ص ٤٥ في ترجمة رشيد الدين فضل الله الوزير.

(٣) ورد اللفظان في تاريخ محمود كيتي المخطوط وعندي نسخة منه قديمة وعليها المعول في أكثر الألفاظ نظراً لقدمها وإن كانت مخرومة الأول والآخر...

السلطنة سعى لإذاعة الإسلامية في المغول فصاروا يدخلون أفواجاً وجعل لليهود والنصارى غياراً (خالف لباسهم). . .

وأما حروبه الداخلية والخارجية فقد أشير إليها وعلاقته مع مصر قد أوضحت كما أن عماراته قد مضى الكلام عليها. . .

وأهم ما في الأمر أن نائبه كان الأمير چوبان وذلك بعد قتلة قتلغ شاه. وأما وزيره فهو الخواجة رشيد الدين وأشرك معه الخواجة سعد الدين. وهذا قتل فصار مكانه تاج الدين علي شاه وقد داخلت هؤلاء الوزراء منافسات وأصاب كلًّا الحرص للقضاء على الآخر واستفادة من هذا الخلاف لعب اليهود أو من كان يهودياً أدواراً هامة فصار كلٌّ يستخدمهم للوقيعة بصاحبه ومن هؤلاء الذين كانوا يهوداً زوجة الخواجة سعد الدين فلم تدخر وسعاً للاستفادة من الخلاف والانتقام لزوجها من الخواجة رشيد الدين. . . وأما هذا فقد استعان بهم بكثرة. . . وهكذا يقال عن طبيب البلاط نجيب الدولة الذي ركنت إليه زوجة الخواجة سعد الدين. . . ومن ثم عزل تاج الدين علي شاه عام ٧١٥هـ ولم تطل مدة نكبته فأعيد وقد أمر السلطان عزل تاج الدين علي شاه عام ٧١٥هـ ولم تطل مدة نكبته فأعيد وقد أمر السلطان في تفريق المهام بين الوزيرين وأن لا يقطع علي شاه امراً دون مشاورة الخواجة رشيد الدين ومع هذا لم يحصل اتفاق ودام خلافهم إلى أن توفي السلطان. . .

ودفن في دار الملك[١] في المحل المعد له وهو (أبواب البر) وكان بناه لهذا السبب[٢].

والعراق في هذه الأيام استفاد من استقرار الإدارة وجريان الأمور

---

(١) وهي السلطانية وكانت تسمى أرضها قديماً بقعة «قنغرلان» «أبو الفداء ج ٤ ص ٨٣».

(٢) تاريخ كزيده واسلامده تاريخ ومؤرخلر».

على وتيرة واحدة أي أنه عرف ما يؤخذ منه في كل سنة وما عليه من الضرائب فصار يؤديها... ولا تضره التبدلات الإدارية...

وجاء في الدرر الكامنة عنه أنه ولد سنة نيف وسبعين وكان جميل الوجه إلا أنه أعور وكان حسن الإسلام لكن لعبت بعقله الإمامية فترفض... وحاصر الرطبة سنة ٧١٢هـ...[١].

وفي ابن الوردي:

«وفيها ـ سنة ٧١٦هـ ـ وصلت الأخبار بموت خربنده واسمه خدابنده محمد بن ارغون... ملك العراق وخراسان وعراق العجم والروم وأذربيجان والبلاد الإيرانية وديار بكر وجاوز الثلاثين من العمر وكان مغرى باللهو والكرم والعمارة أقام سنة في أول ملكه سنياً ثم ترفض إلى أن مات وجرت فتن في بلاده بسبب ذلك ودفن في مدينته التي انشأها السلطانية الغياثية.» اهـ[٢].

وقد ترجمه صاحب عقد الجمان بترجمة مفصلة قال:

«في هذه السنة ـ ٧١٦هـ ـ توفي خربندا ولقبه السلطان غياث الدين... ولما أسلم تسمى بمحمد ولهذا سمى أولاده بأسماء المشايخ[٣]. واسمه الأصلي الذي هو بلغة المغل فهو (ابجيتو) أو (انجيتو). وكان أول حكومته أظهر الإسلام، واقتدى بالكتاب والسنة، وكان يحب أهل الدين والصلاح، وضرب على الدراهم والدنانير اسماء الصحابة الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي(رض) وبقي كذلك مدة

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧٩.

(٢) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦٤.

(٣) أحد أولاده اسمه أبو يزيد وقد توفي سنة ٧٠٩هـ، والآخر اسمه بسطام كذا جاء في عقد الجمان ج ٢١.

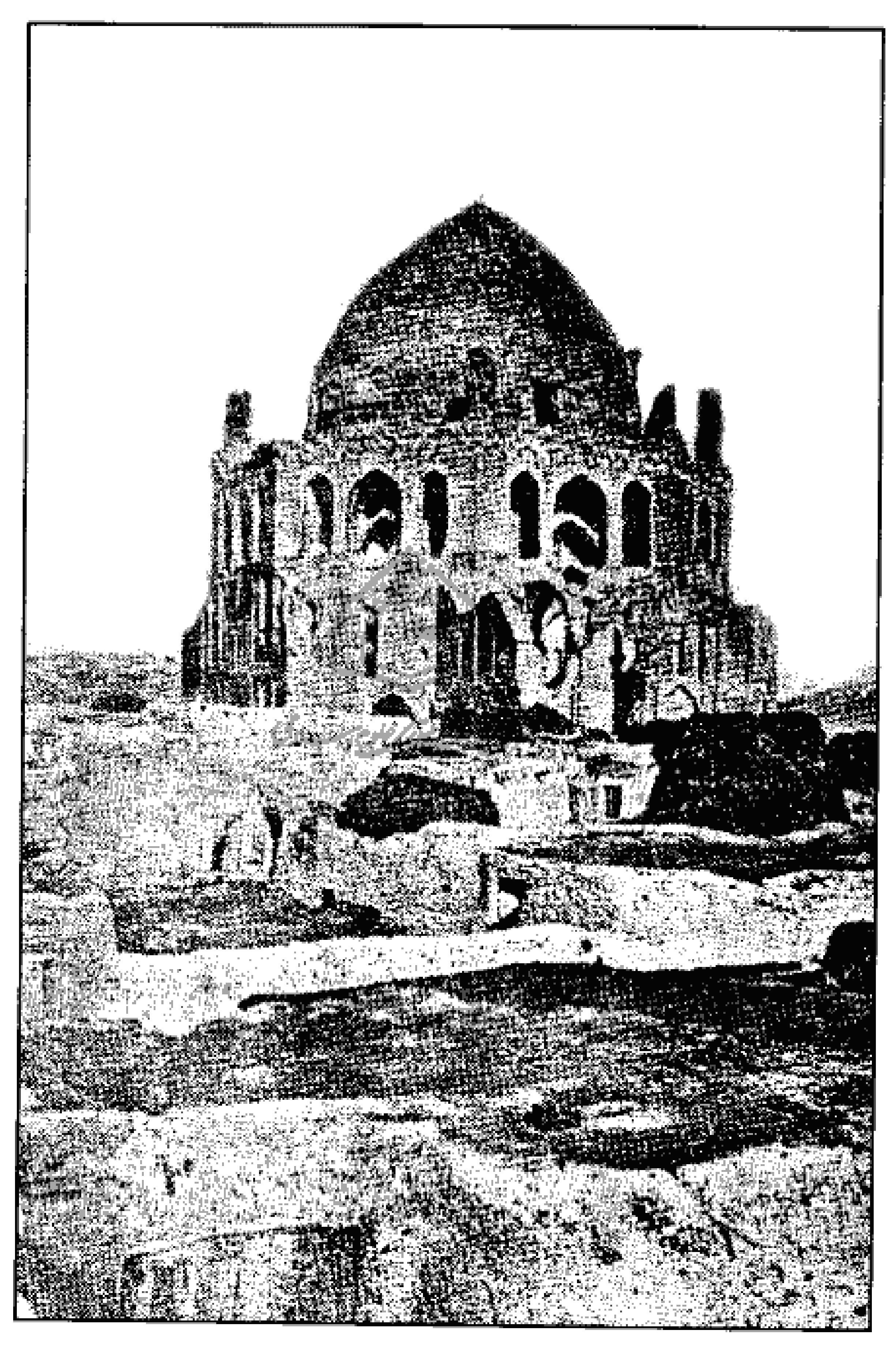
طويلة، ثم اجتمع به السيد تاج الدين الأوي[١] فحرفه عن مذهب أهل السنة وصيّره رافضياً، وسيَّر إلى سائر ممالكه يأمرهم أن لا يذكروا في خطبهم إلا اسم عليّ وولديه(رض)، فوقع بسبب ذلك في مملكته حروب وفتن ملك فيها طوائف كثيرة وثارت أحقاد قديمة، وضرب على الدنانير والدراهم اسماء الائمة الاثني عشر، وبقي على مذهب الروافض مدة تسع سنين. فلما كانت سنة وفاته رجع إلى مذهب أهل السنة وكتب إلى سائر ممالكه بذلك. قال النويري: وكان خربندا قبل موته بسبعة أيام قد أمر بإشهار النداء أن لا يذكر أبو بكر وعمر(رض) وعزم على تجريد ثلاثة آلاف فارس إلى المدينة النبوية لينقل أبو بكر وعمر(رض) من مدفنهما فعجل الله بهلاكه. والصحيح ما قاله غير النويري.

وكان خربندا كثير العبث بالغلمان الحسان وبالطرب، وبلغ من شدة ميله إلى الصور الحسان أنه كان أي من رآها من محارمه وأعجبته تزوجها، وأي من سمع بها أخذها من زوجها، وأي من سمع به من أولاد الناس أخذه، يفعل ذلك في سائر بلاده طوعاً، أو كرهاً، ويتمتع، وكان يحب أفعال المصارعين، والملاكمين، ويلعب بالقرد، أو الدب، ومن يتمسخر، وكان كريماً جداً يصنع له كل يوم اربعمائة بندقية من الذهب يرمي بها على الناس بقوس البندق فأي من أصاب منها شيئاً انتفع به.

وذكر حسن الإربلي أن خربندا بنى في دار المملكة بالمدينة السلطانية بيتاً لطيفاً وسماه الجنة[٢]، اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة

(١) وفي وصاف جاء بهذا اللفظ وهو المشهور والمعروف.

(٢) في وصاف سماه «الفردوس»، وجاء فيه أن السلطان استدعى من بغداد أربعة آلاف من الصناع أرباب الصنايع البديعة، والأعمال الدقيقة فذهبوا بأهليهم واستخدمهم للتعمير ـ ج ٤ ص ٥٤١ ـ.



مرقد الجايتو

وطول هذا البيت خمسة أذرع بذراع النجار وعرضه أيضاً كذلك، والارتفاع عشرة، وطول اللبنة شبر، وعرضها اصبعان، وأجرى في وسطه أربعة أنهار، نهر من لبن. ونهر من عسل، ونهر من خمر، ونهر من ماء، وجعل فيه خمسة أشجار، طول كل شجرة ثلاثة أذرع، مصنوعة هي وثمارها، أصلها من ذهب وثمارها من نفيس الجواهر واللؤلؤ الكبار، وجعل في هذا القصر من البنات الحسان، المختارات من سائر مملكة المغل اثنتين وأربعين بنتاً، وأضاف إليهن من الغلمان الفائقين في الجمال اثنين وأربعين غلاماً، وكان يلبسهم القماش الرفيع الخاص ويأمرهم فيلعبون بين يديه بالنرد والشطرنج، وتارة يتصارعون، وتارة يرمون بالنشاب، وتارة يسبحون، وتارة يتهارشون، ويقبل بعضهم بعضاً، وتارة يغنون بين يديه بأنواع الملاهي، ويرقصون رقصاً عجيباً، فمن أعجبه منهم في شيء من هذه الحالات جذبه إليه، وقضى منه وطره.

مات في ٢٠ رمضان هذه السنة (٧١٦هـ) بمدينة السلطانية في أرض قنغرلان بالقرب من قزوين، وقيل إنه مات مسموماً، وإن الذي اغتاله شخص من أمرائه يسمى دقماق وإن الباعث له على ذلك أنه بلغه أن خربندا تعشق امرأته وتولع بها، وغير بذلك بعض خداشينه فاتفق مع امرأته على اغتياله بسمّ وبه كان مماته، وعرف بذلك الكبرك.

ولما جلس ابنه أبو سعيد بعده أعلموه بما كان منهما فقتلهما، وكانت مدة ملكه ١٤ سنة ولما مات كان عمره (٣٢) سنة تقريباً، وقيل إن خربندا حين مات راسل جوبان الملك ازبك ملك البلاد الشمالية يحسّن له التوجه إليه ليتسلم الملك فأبى.» اهـ[1].

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢.

وفيات:

الطوفي البغدادي: وفي هذه السنة توفي نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري ثم البغدادي الحنبلي الأصولي المتفنن ولد سنة بضع وسبعين وستمائة بقرية طوفا من أعمال صرصر ثم دخل بغداد سنة ٦٩١هـ وقرأ العلوم وسمع الحديث وسافر إلى دمشق سنة ٧٠٤ ولقي ابن تيمية والمزي والبرزالي. ثم سافر إلى مصر سنة ٧٠٥هـ وأقام بالقاهرة مدة وصنف تصانيف كثيرة منها الاكسير في قواعد التفسير. والرياض النواظر في الأشباه والنظائر، وبغية الواصل إلى معرفة الفواصل وشرح مقامات الحريري في مجلدات وغير ذلك وكان شيعياً وصنف كتاباً سماه الفراط الواصب، على أرواح النواصب، وله من قصيدة في الإمام علي(رض):

كم بين من شك في خلافته
وبين من قيل إنه الله[1]

حوادث سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م)

السلطان أبو سعيد بهادر خان

سلطنة أبي سعيد:

لما مات السلطان الجايتو(محمد خدابنده) ولي بعده ابنه أبو سعيد بهادر خان وهو إن عشرين سنين[2] واستولى على الإدارة الأمير جوبان ابن الملك تناون وكان السلطان ملكاً فاضلاً كريماً ولما ملك كان شاباً أجمل خلق اللّه صورة لا نبات بعارضيه...[3] ومدة صباه لم يحصل له

---

(١) الشذرات ج ٦ ص ٤٠ والدرر الكامنة ج ٢ ص ١٥٤.

(٢) وفي تاريخ كزيده أنه كان ابن اثنتي عشرة سنة.

(٣) ابن بطوطة.

من السلطان إلا الاسم والسكة والخطبة... فكان الآمر الناهي الأمير جوبان وأولاده ونوابه... وكان حين وفاة والده جاء من خراسان إلى السلطانية هو والأمير سونج وبحكم وصية والده أجلس على سرير الملك في صفر سنة ٧١٧هـ.

دعي إلى السلطانية وكان هذا التردد في تأخير إعلان سلطنته ناشئاً من الاختلاف على تعهد الوصاية عليه والنزاع في النيابة عنه بين الأمير سونج وبين الأمير چوبان. فتأخر جلوسه لذلك. ثم إنهم اتفقوا وأخرجوا استقطالو عنهم وجهزوه إلى خراسان وكان قد تحرك على خراسان التتر الذين بخوارزم وما وراء النهر وقيل إن ملكهم باشو[1].

وجاء في عقد الجمان نقلاً عن بيبرس في تاريخه: «لما توفي خربندا أرسل الأمراء والأكابر إلى ولده الاكبر المسمى بأبي سعيد فأحضروه وأجلسوه على تخت مملكة أبيه في ١٣ ربيع الأول سنة ٧١٧هـ وهو مشتغل بالكتاب والسنة فإن والده عدل عن آراء الكفار وترك اسماء التتار واسمى أولاده بأسماء الصالحين... اهـ»[2].

وفي الحقيقة لم ينل السلطنة إلا بعد قضائه على الأمير چوبان وأولاده ومن ثم ولي زمام الأمور وصار يدبر شؤون المملكة مباشرة كما سيأتي مفصلاً في الوقائع التالية...

شريف مكة والبصرة:

جاء في عقد الجمان عن هذه الوقعة ما مر بيانه في حوادث سنة ٧١٦هـ وجاء في أبي الفداء عنها وعن ذيولها ما نصه:

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٨٤ وتاريخ كزيده.

(٢) عقد الجمان ج ٢٢.

«كان السلطان خدابنده قد جهز حميضة وجهز معه الدرفندي (الدلقندي) نائب السلطنة بالبصرة وجهز معه عسكراً وخزانة ليسير الدرفندي بالعسكر مع حميضة ليملكه مكة المكرمة بدل أخيه رميثة فسار الدرفندي وحميضة ومن معهما من عسكر التتر والعرب حتى جاوزوا البصرة فبلغهم موت السلطان خدابنده فتفرقت تلك الجموع ولم يبق مع الدرفندي غير ثلثمائة من التتر وأربعمائة من عقيل عرب البصرة. وكان استولى على البصرة ابن السوابكي فأرسل استوحى محمد بن عيسى على الدرفندي فجمع محمد بن عيسى عربه من خفاجة وعرب إخوته وأولاد إخوته وسار إلى الدرفندي فأحرز له بالقرب من البصرة واتقع معه في العشر الأخير من ذي الحجة من ستة ٧١٦هـ فانهزم الدرفندي في بضع وثلاثين نفساً من ألزامه وانهزم حميضة برقبته وأخذ حريم حميضة وما كان معه من الأموال وكذلك الخيام والأثقال والجمال وكان ذلك شيئاً عظيماً وفيها هرب التركمان (التراكمة) والكنجاوية إلى حكومة سورية وفارقوا التتر فسارت التتر في طلبهم فأنجد الكنجاويين عسكر البيرة واتقعوا مع التتر فانهزم التتر هزيمة قبيحة وأسر منهم نحو خمسين من المغول وقتل منهم جماعة ووصل الكنجاوية إلى سورية سالمين بذواتهم وحريمهم[1]...» اهـ.

التتار ـ الشام:

في أواخر شعبان هذه السنة قطع جماعة من التتار الفرات إلى جهة الشام وفي ٦ رمضان وصل منهم طاطي ومعه جماعة إلى دمشق ومنها ذهبوا إلى مصر[2].

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٨٤.

(٢) عقد الجمان ج ٢٢.

محمد بن عيسى:

وفي هذه السنة أيضاً التجأ محمد أخو مهنا بن عيسى مخبراً باستمرار أخيه على الطاعة، وأنه لم يقم ببلاد الشرق فرد السلطان (سلطان سورية) عليه أمرته...[1].

وهذه لا تخلو من علاقة بما مر... ونرى الأمور مضطربة بين سورية والعراق فلم تستقر ولذا نجد الاشاعات بالغة حدها...

روضة أولي الالباب في تواريخ الأكابر والأنساب (تاريخ مغولي)

في هذه السنة (سنة ٧١٧ ـ ١٣١٧م) في ٢٥ شوال منها قدم فخر الدين أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد التباكتي كتابه هذا للسلطان أبي سعيد. ويعرف بـ (تاريخ التباكتي) وهو خلاصة تاريخ الخواجة رشيد الدين إلا أنه يحتوي مطالب مهمة ونافعة عن الخطا (الصين) والهند واليهود والقياصرة... وهو تسعة أبواب، ترجمت بعض أقسامه إلى اللاتينية... وأهم ما فيه يخص عصر المغول وصل به إلى أيام السلطان أبي سعيد. ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبة عاثر افندي باستانبول مرقمة ٢٥٤ وأخرى في اياصوفية برقم ٣٠٢٦ وقد رأيتها وتحتوي تسعة أقسام:

«١» في الأنبياء. «٢» في ملوك الفرس ومعاصريهم، «٣» في نسب الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين إلى آخر بني العباس. «٤» في السلاطين أيام بني العباس. «٥» في اليهود وملوك بني اسرائيل. «٦» في تاريخ النصارى والافرنج. «٧» في تاريخ الهنود. «٨» في تاريخ جنگيز ونسبه وخروجه واستيلائه على الممالك الايرانية وشعب أولاده إلى يومه الذي

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢.

كتب فيه هذا التاريخ.. وفي خلال سطوره يحكي الاستيلاء على بغداد وهكذا يمضي إلى وقائع العراق وغيره وفي آخره يتكلم على سلطنة أبي سعيد وذهابه إلى السلطانية وفي الخاتمة يذكر مناقبه. والنسخة التي شاهدتها مؤرخة ٢٧ ربيع الآخر سنة ٧٤٦هـ... وسنذكر ترجمة المؤلف في حوادث سنة ٧٣٠هـ[١]...

وفيات:

١ ـ ابن قاضي الموصل: في هذه السنة ـ وقال ابن شهبة في التي قبلها ـ توفي يوسف ابن محمد بن موسى بن يونس بن منعة كمال الدين أبو المعالي بن بهاء الدين بن كمال الدين بن رضي الدين بن قاضي الموصل. انتهت إليه رياسة إقليمه وشرح الحاوي وقدم رسولاً من غازان على الملك الناصر فأكرمه وظهر له من الحشمة والمهابة ما يليق ببيته وأصالته مات بالسلطانية[٢].

٢ ـ الشيخ مجد الدين موسى الإربلي: هو ابن أحمد بن محمد بن علي المنذري ولد في شعبان سنة ٦٤٥هـ وتفقه وتعانى الأدب والنظم. مات سنة ٧١٧هـ[٣].

٣ ـ عبد الرحمن بن إبراهيم بن قنينو: بدر الدين الإربلي الأديب أبو محمد كان مشهوراً بالبلاغة وحسن النظم مدح الملوك وتعانى التجارة مات سنة ٧١٧ وله سبعون سنة وهو القائل:

وغـريـرة هـيـفـاء بـاهـرة الـسـنـا
طـوع الـعـنـاق سـقـيـمـة الأجـفـان

---

(١) تاريخ مفصل إيران ص ٥٢ وإسلامده تاريخ ومؤرخلر ص ٣١٤.

(٢) الشذرات ج ٦ ص ٤٤ و ـ الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٧٦ ـ.

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٧٣.

غنت وماس قوامها فكأنها
الورقاء تسجع في غصون البان[1]

وله كتاب خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك لابن الساعي. طبع هذا الكتاب في بيروت ومر النقل عنه في ترجمة الخليفة المستعصم...[2] وفيما مضى كان قد ذكر أنه قنيتو ولكنه في عقد الجمان ورد بلفظ قنينو...

حوادث سنة ٧١٨هـ (١٣١٨م)

فضل بن عيسى أمير العرب ـ البصرة:

في أوائل هذه السنة سار فضل بن عيسى إلى السلطان أبي سعيد وإلى الأمير چوبان إلى بغداد واجتمع بهما وأحضر لهما تقدمة من الخيول العربية فأقبل الأمير چوبان عليه وأعطى فضلاً المذكور البصرة واستمرت له اقطاعاته التي كانت له بالشام بيده مع البصرة وأقام فضل عندهما مدة واجتمع بقراسنقر هناك ثم عاد إلى بيوته وبعد مسير فضل عنهما سار السلطان أبو سعيد والأمير چوبان عن بغداد إلى السلطانية (قنغرلان). وهكذا يفعل السلطان يجيء في الغالب إلى العراق شتاء ليقضي أيام البرد في بغداد ويذهب إلى السلطانية صيفاً...

قتلة الوزير الخواجة رشيد الدين وابنه عز الدين:

هذا الوزير كان عضد الحكومة الأيمن وتدابيره صائبة وآراؤه سديدة إلا أن المزاحمات والمنازعات على الوزارة والحرص الزائد عليها مما أودى بالوزير الخواجة سعد الدين وجعل موقفه حرجاً لمن

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٢١.

(٢) مر سابقاً في هذا الكتاب وراجع ترجمة ابن الساعي.

ولي بعده وهو تاج الدين علي شاه وصار يتوسل بالوسائل اللازمة للقضاء على مناوئيه لحد أنه بعد أن قضى على الخواجة سعد الدين رأى أن تاج الدين علي شاه من أكبر المعارضين له فنصب نفسه لمقاومته واتخذ كل ما يجب من تدابير للقضاء عليه... فعزل تاج الدين علي شاه عام ٧١٥هـ إلا أنه لم يلبث كثيراً وإنما أعيد إلى موقعه بعد مدة وجيزة وذلك أنه نال مقاماً رفيعاً وصار بيده الحل والعقد ومن حسن الصدف المساعدة له أن توفي الجايتو خان الذي كاد يقضي على الخواجة رشيد الدين بل إنه أصدر فرمان القتل إلا أنه برجاء والتماس من نفس تاج الدين علي شاه عفا عنه السلطان... وقد سنحت للخواجة رشيد الدين الفرصة للتنكيل بعدوه استفادة من اتصاله بالأمير چوبان ومع هذا لم يشأ الوقيعة رغم أن أكابر الرجال ركنوا إليه مثل ضياء الملك والخواجة عز الدين القوهدي والخواجة علاء الدين الهندي واستعانوا به وحضوه على ذلك فقابلهم ببرودة وتؤدة ولعل طعنه في السن هو السبب في عدوله عن القضاء عليه فمال المذكورون إلى تاج الدين علي شاه وصاروا على الخواجة رشيد الدين وأساساً استمال القوم الأمير چوبان...

ذلك ما دعا أن يغيروا السلطان عليه وأغروه للوقيعة به فخسرت الحكومة أكبر مدبر ورجل قدير من رجالها فقتل وابنه الخواجة عز الدين في ١٧ جمادى الأولى سنة ٧١٨هـ فصفا الجو لتاج الدين علي شاه واستقل بالأمر خصوصاً بعد وقعة الأمير چوبان. اختلقوا عليه أنه سم السلطان الجايتو بمناسبة أنه طبيب... لحد أن السلطان أبا سعيد والأمير چوبان اعتقدوا صحة ذلك ومن ثم كثرت التقولات والإشاعات عليه من جانب خصومه وإذاعاتهم وحينئذ جلبوا طبيب السلطان في ذلك الوقت وهو جلال الدين[1] ابن الحزان الطبيب اليهودي طبيب خربندا

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٣٢.

فاستجوبه واستطلع رأيه فقال إن السلطان كان فيه قيء وإسهال وكان من رأي الأطباء وهو منهم ان يعطى له دواء قابض أما الخواجة رشيد الدين فكان من رأيه أن هذا نتيجة امتلاء المعدة، والمسهل يفيدها أكثر وعلى هذا وبسبب الانطلاق توفي السلطان.

وعلى هذا حكم بقتل الخواجة رشيد الدين وأرسل رأسه إلى تبريز وصاروا يطوفون به ويلعنونه ويقولون إن هذا رأس يهودي بدل كلام اللّه لعنه اللّه...

والحاصل قد اختلفت عليه هذه القضية وكان أصل مبدئها تاج الدين علي شاه... وكذا يقال عن دعوى أنه من أصل يهودي فهذا إنما كان من الخواجة سعد الدين ثم تاج الدين بسبب تشنيعاتهم عليه... وعن هؤلاء نقلها القاشاني في تاريخ الجايتو ومثله في الدرر الكامنة.

وعلى كل حال كان من أشهر الوزراء والأطباء والعلماء وخلد ذكرى عظيمة في تاريخه الذي لا تزال بقاياه موجودة وقد وصفناه أثناء الكلام على المراجع التاريخية... ومؤلفاته في الطب والعلوم الأخرى كثيرة أودع اسماءها في مقدمة كتابه جامع التواريخ... وله الخانقاه المعروف بالربع الرشيدي.

ودون أن نمضي وجب أن نقول أنه قد ذكر وفاته جماعة من المؤرخين قال في الشذرات:

«وفيها ـ سنة ٧١٧هـ ـ توفي الرشيد فضل اللّه بن أبي الخير الهمداني الطبيب كان ابوه يهودياً عطاراً فاشتغل هذا في المنطق والفلسفة وأسلم واتصل بغازان وعظم في دولة خربندا بحيث إنه صار في رتبة الملوك قام عليه الوزير علي شاه بأنه هو الذي قتل القاآن خربندا لكونه اعطاه على هيضته مسهلاً فتقيأ فخارت قواه فاعترف وبرطل چوبان بألف ألف دينار فما نفع بل قتل هو وابنه. وكان يوصف بلين ولطف وسخاء

ودهاء، فسر القرآن العظيم فشحنه بآراء الأوائل، عاش نيفاً وسبعين سنة وقيل بل كان جيّد الإسلام وهو والد الوزير المعظم محمد بن الرشيد وكان وزير التتار ومدبر دولتهم.» اهـ[1].

وجاء في الدرر الكامنة[2]:

«فضل اللّه بن أبي الخير بن غالي الهمذاني الوزير رشيد الدولة، أبو الفضل، كان أبوه عطاراً يهودياً فأسلم هو واتصل بغازان فخدمه وتقدم عنده بالطب إلى أن استوزره. وكان يناصح المسلمين ويذب عنهم ويسعى في حقن دمائهم، وله في تبريز آثار عظيمة من البر وكان شديداً على من يعاديه أو ينتقصه، وكان متواضعاً، سخياً، كثير البذل للعلماء والصلحاء، وله تفسير على القرآن فسره على طريقة الفلاسفة فنسب إلى الالحاد، وقد احترقت تواليفه بعد قتله، وكان نسب إلى أنه تسبب في قتل خربندا ملك التتار فطلبه جوبان إلى السلطان على البريد فقال له أنت قتلت القاآن فقال معاذ اللّه أنا كنت رجلاً عطاراً، ضعيفاً بين الناس فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرفاً في الممالك ثم احضر الجلال الطبيب ابن الحزان اليهودي طبيب خربندا فسألوه عن موت خربندا فقال اصابته هيضة قوية انسهل بسببها ثلثمائة مجلس وتقيأ قيئاً كثيراً فطلبني بحضور الرشيد والأطباء فاتفقنا على أن نعطيه أدوية قابضة مخشنة فقال الرشيد هو إلى الآن يحتاج إلى الاستفراغ فسقيناه برأيه مسهلاً فانسهل به سبعين مجلساً فسقطت قوته فمات. وصدقه الرشيد على ذلك فقال الجوبان للرشيد فأنت قتلته وأمر بقتله فقتل وفصلوا أعضاءه وبعثوا إلى كل بلد بعضو وأحرقوا بقية جسده وحمل رأسه إلى تبريز ونودي عليه هذا رأس اليهودي الملحد. ويقال إنه وجد له ألف ألف مثقال وكان

---

(١) ج ٦ ص ٤٥.

(٢) ج ٣ ص ٢٣٣.

موته بعد موت خربندا. . . وقال البرزالي في ترجمته كان حسن البراعة، وطبيباً صادقاً، واستوزره خربندا وغازان وتعسف بعلمه وحكمه في الممالك وبنى عدة من الخوانك والمدارس وكان له من الأموال من كل جنس ونوع الكثير سوى مآكله فبصفات معروفة عاش نحواً ٨٠ سنة. قال الذهبي كان له رأي ودهاء ومروءة. وكان الشيخ تاج الدين الأفضلي يذمه ويرميه بدين الأوائل وقدر عليه فصفح عنه وبالجملة كانت له مكارم وشفقة وبذل وتودد لأهل الخير. . .

وفي ابن الوردي: قتل رشيد الدولة طبيب خربندا اتهمه جوبان بأنه غش خربندا في المداواة وقطع رأسه وسيره إلى تبريز وأحرقت جثته واستأصلوا أملاكه وأمواله وجواهره واختلف في طويته فقال الشيخ تاج الدين الأفضل التبريزي قتل الرشيد أعظم من قتل مائة ألف من النصارى وقال قاضي الرطبة رأيت منه شفقة على أهل الرطبة وسعياً في حقن دمائهم يعني أيام حصارها وإنما كان يتبع أعداءه صالحين كانوا أو فسقة»[١] اهـ.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفي عقد الجمان جاء عنه:

«أبو الفضل رشيد الدولة، فضل اللّه بن أبي الخير بن غالي الهمذاني الطبيب، كان أصله يهودياً من يهود همذان، ثم أسلم وهو شاب ابن ثلاثين سنة، وخدم بالطب ابغا ملك التتار، فلما صار الملك إلى ارغون بن ابغا لازمه رشيد الدولة، وما زال يخدم ملكاً من ملوك التتار حتى جاء خربندا فكان عنده في أعلى المنازل، وخيره أن يكون وزيراً فأبى واختار أن تكون وظيفته تخيير الوزراء فاستخدم سعد الدين الساوجي عنده ثم سعى به حتى قتله، ورتب له على تعيين الوزراء كل

(١) من حوادث سنة ٧١٨هـ ج ٢ ص ٢٩٨.

سنة مائة تومان (والتومان عشرة آلاف دينار، كل دينار ستة دراهم)، ثم إن خربندا ضعف فأسهله رشيد الدولة اسهالاً مفرطاً فمات، وتولى بعده ابنه أبو سعيد فضرب عنق رشيد الدولة بعد مدة سنة وثمانية أشهر من موت أبيه وذلك في شهر جمادى الأولى وهو في عشر الثمانين، وضبطت ضياعه فكانت أربعة آلاف ضيعة مفرقة في ملك التتار، وأما أملاكه فكان عددها في ستة عشر ألف موضع ما بين دكان ودار وبستان، وخلف ما يزيد على خمسين ألف كتاب.

قال الشيخ شمس الدين الاصفهاني: وله من التصانيف (كتاب شرح فصول ابقراط)، و(كتاب شرح مقامة العارفين)، و(كتاب في الفلاحة)، و(كتاب تاريخ جمع فيه أخبار الدولة التتارية) وذكر فيه فروع انسابهم وأجناس قبائلهم، وجعله مشجراً، ومن ولي الملك منهم من أيام نوح(ع) إلى أيام خربندا، و(كتاب تاريخ آخر) ذكر فيه اخبار الأمم من الصين والخطا والترك والفرنج والقبط واليونان والروم والفرس والعرب إلى غير ذلك وسماه (كتاب الرسائل الرشيدية)، و(كتاب التعليقات الطبية)، و(كتاب مفتاح التفاسير)، و(كتاب المباحث السلطانية)، و(كتاب شرح المحصل في ثلاث مجلدات)، و(كتاب سماه التوضيحات) يتضمن رسائل متفرقة، كل رسالة في معنى من المعاني، وأخذ عليه خطوط العلماء بأنه لم يصنف كتاب أجود منه وقدمه إلى خربندا، وقرر بين يديه أن ارسطاطاليس لم يكن في زمانه أعلم منه، وكان مشيراً ووزيراً عند الاسكندر وصنف باسمه كتاباً فأعطاه جائزته ألف ألف دينار وجعل له في كل سنة مائة ألف دينار واتفق الناس كلهم بأنك أعظم من الاسكندر، وأن كتابي أجود من كتاب ارسطاطاليس فقال الملك خربندا: ـ أنا أعمل معك بأكثر من الذي عمل الاسكندر مع ارسطاطاليس.

فرسم أن يعطى من المال النقد ألف ألف دينار وخمسمائة ألف

دينار وقال له إن شئت أن تأخذ هذا المال أو تأخذ بقيمته أملاكاً نفيسة من املاكي فقال آخذ أملاكاً فعينوا له أملاكاً تغل في كل سنة مائة وخمسين ألف دينار. وله كتاب تفسير يشتمل على تفاسير (قل يا أيها الكافرون).

وقال الشيخ شمس الدين الاصفهاني: بلغني أن له سبعين مصنفاً ما بين صغير وكبير وسعادته مفرطة لكن اختصرنا.

وذكر صاحب عيون التواريخ أن ولده إبراهيم قتل قبله وعمره ١٦ سنة وحمل رأس رشيد الدولة إلى تبريز ونودي عليه هذا رأس اليهودي الذي بدل كلام اللّه تعالى... وقطعت اعضاؤه وحمل كل عضو إلى بلد وأحرقت جثته. وخلف عدة أولاد، وكانت رتبته فوق رتبة الوزارة قال: وكان عدوّ الإسلام وهو ملحد.

وقال ابن كثير: قد بلغ في أيام قازان في علو المرتبة ونفاذ الكلمة مبلغاً عظيماً وكذلك في أيام خربندا أخيه. ولما مات خربندا عزل عن مناصبه ووظائفه ودرأ عن نفسه بجملة كبيرة من المال، ثم اتهم بقتل خربندا فطلب على البريد وشهد عليه الأطباء أنه سقى الملك دواء مسهلاً عقيب هيضة مثلغة فزاده إسهالاً فقتله وصدقهم الرشيد على ذلك فقتل» اهـ[١].

والظاهر أن النقل المتضمن التحامل عليه من أهل الحزب المعارض له... مبناه الإذاعة والتشويش في السمعة...

وجاء في تقويم التواريخ لكاتب چلبي أنه قتل عام ٧١٧هـ. والفتن في هذه الأيام وما يليها مشتعلة بين أمراء المغول والنزاع على الوزارة قوي ولكلٍّ مناصرون ومناوئون...

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢.

وهكذا ترجمة كثيرون امثال صاحب دستور الوزراء وغيره. وممن ذكره دولتشاه السمرقندي في تذكرة الشعراء وأثنى عليه وبيّن أنه توفي سنة ٧١٩ عن عمر ٣٦ عاماً فدفن في قبة السلطانية وقال: إن مدينة السلطانية من بنائه[١].

نيول هذه الوقعة: (ابن الخوام)

إثر قتلة الوزير كان قد شهد على ابن الخوام وهو عبدالله بن محمد ابن عبد الرزاق الحربوي عماد الدين بن الخوام العراقي الحيسوب الطبيب بالكفر بسبب أنه قرظ تفسير الوزير رشيد الدولة فقال في تقريظه فهو انسان رباني بل رب انساني تكاد تخال عبادته بعد الله فثاروا عليه بعد قتل رشيد الدولة فبادر هو إلى الحاكم فأعطاه ذهباً فعقد له مجلساً واستسلمه وحكم بحقن دمه...

وكان ولد سنة ٤٣ وتمهر في المعقولات والحساب والطب ولازم النصير الطوسي وصنف في الطب والحساب وقرأ عليه جماعة وصنف تصانيف وله انشاء وبلاغة ودرس في مذهب الشافعي بدار الذهب وولي رياسة الطب ومشيخة الرباط ببغداد وأدب هارون ابن الوزير وأولاد عمه علاء الدين صاحب الديوان وكثرت أمواله وكان يصلح مزاجه بالمفرحات والمعاجين...[٢].

ولم تصل إلينا مؤلفاته الدينية لنقف على حقيقة ما قيل فيه... ولا تزال المجاهيل عنه كثيرة وليس من الإنصاف متابعة أهل الأغراض دون تروّ في الموضوع وتقدير لأهميته...

---

(١) تاريخ مفصل إيران ص ٥٢ وإسلامده تاريخ ومؤرخلر ص ٣١٤.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٩٥.

عشائر الإحساء والبصرة ـ أمير العرب:

في أواخر هذه السنة حالفت عقيل عرب الإحساء والقطيف على مهنا بن عيسى وطردوا أخاه فضلاً عن البصرة فجمع مهنا العرب وقصد عقيلاً والتقى الجمعان وافترقا على غير قتال ولا طيبة بعد أن أخذت عقيل أباعر كثيرة تزيد على عشرة آلاف من عرب مهنا المذكور وعاد كل من الجمعين إلى أماكنهما وكانت هذه البرية وغالب بلاد الإسلام مجدبة لقلة الأمطار وهلك العرب وضرب دواب تفوت الحصر[1].

غلاء وجلاء:

وفي هذه السنة كان بديار بكر والموصل وإربل وماردين والجزيرة وميافارقين وبغداد غلاء وجلاء حتى بيعت الأولاد وأكلت الميتة[2]...

وفيات:

١ ـ الشهاب المقري الجنايزي: في هذه السنة توفي الشهاب المقري الجنايزي أحمد بن أبي بكر بن حطة البغدادي صاحب الألحان والصوت الطيب وله نظم ونثر وفضائل وظرف ومنادمة ووعظ. توفي في ذي القعدة عن ٨٥ سنة[3].

٢ ـ يونس بن حمزة بن عباس الإربلي: هو أبو محمد القطان كان يقال إنه ولد سنة ٦٠٦ بإربل وطال عمره جداً ولم يوجد له سماع ولا إجازة على قدر سنة فقرؤوا عليه بالإجازة العامة عن دواوين محمد بن الفاخر. وكانت وفاته في نصف ذي القعدة سنة ٧١٨هـ[4].

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٨٧.

(٢) ابن الوردي ج ٢ ص ٣٦٦ والدر المكنون والشذرات.

(٣) الشذرات ج ٦ ص ٤٧.

(٤) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٨٦.

٣ ـ عبد الرحمن بن محمد بن أبي حامد التبريزي: تاج الدين الواعظ وكان يعرف بالأفضلي ولد سنة ٦٦١ وتعانى الوعظ. وكان ممن بالغ في الطعن على الرشيد وزير المغل وطعن في نحلته فما قدر الرشيد منه على شيء لجلالته في نفوس أهل تبريز. وكان التاج حسن الاعتقاد، وقوراً، مهيباً، قوالاً بالحق، ذا سكينة وإخلاص. مات راجعاً من الحج ببغداد في صفر سنة ٧١٩ وقال في الشذرات: مات في رمضان سنة ٧١٨هـ. وقد مر القول عن الخواجة رشيد الدين والطاعنين[١].

٤ ـ الحكيم العلاّمة علاء الدين علي بن تبان بن مختار البغدادي: يعرف بالخطاي مات بحماة، وكان فاضلاً في العلوم العقلية وطبيباً، سكن حماة، وقرأ عليه ملكها المؤيد إسماعيل بن علي كتاب التذكرة في الهيئة للطوسي، وخلف كتباً كثيرة وأثاثاً وغير ذلك أخذ بيت المال جميعها[٢].

٥ ـ ابن الخراط: هو الشيخ عفيف الدين أبو عبدالله محمد بن عبد المحسن بن عبد الغفار الواعظ الشهير بابن الخراط البغدادي الحنبلي كان فاضلاً متكلماً، فقيهاً كثير التعفف، يقنع باليسير، جمع بين الديانة والفضيلة وباشر مشيخة المستنصرية، ومات ببغداد عن ثمانين سنة[٣].

٦ ـ الدلقندي: قد مر ذكره قال عنه في عقد الجمان «الخارجي قتله جوبان نائب السلطان أبي سعيد في رمضان من هذه السنة لما بلغه أنه اتفق مع جماعة من الأمراء على قتله وقتل معه الوزير علي شاه وهو منسوب إلى مدينة سمنان من مدن خراسان[٤].

---

(١) الشذرات والدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٤٢.

(٢) عقد الجمان ج ٢٢.

(٣) عقد الجمان ج ٢٢.

(٤) عقد الجمان ج ٢٢.

حوادث سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م)

اختلاف أمراء التتر وفتن:

في رجب هذه السنة اختلف التتر وقتل منهم نحو ثلاثين الفاً وأكثر حتى كاد يزول ملكهم واستحالوا على مقدم جيوشهم الأمير چوبان نائب السلطنة وأبي سعيد وكرهوا نيابته[١]. وهكذا دامت الفتن واشتعلت نيرانها وكانت نتيجة انتصاره أن جعل الچوبان أولاده أمراء كل واحد في قطر... وكانت حروبه مع ايرتخين (ايرنجي أو يرنجي) وقورمش فقتل خلق كثير وألقي القبض على ايرتخين وقورمش، وسمرا وقتلا شر قتلة...

ومن ذلك اليوم لقب السلطان أبو سعيد ببهادر خان وكتب اسمه بذلك في الأحكام ومن ثم أخذ أمر الأمير چوبان في الترقي والازدياد اعتباراً من هذا التاريخ وما بعده[٢]...

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تفصيل الخبر:

إن الأمير چوبان كان قد عاد من مقاتلة يسوك بعد أن جرت بينهما مراسلات ومفاوضات وقرر له بلاداً من اقليم خراسان، وفي عودته أرسل يستدعي يرنجي[٣] من الموصل وكان هو مرتباً في الموصل وماردين وأعمالها، وكان في خاطر چوبان منه شيء فعلم يرنجي أنه إنما طلب ليوقع به فعلاً ويهلكه قتلاً فأظهر عناده، جمع جموعاً وسار إليه على غرة منه فكبسه بغتة فبادر چوبان بالهرب إلى أبي سعيد فأعلمه بما فعله يرنجي من العصيان والمحاربة فاتفقا على قتله فقتل هو وجماعة من

---

(١) ابن الوردي ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢) تاريخ الغياثي ص ١٦٦.

(٣) ورد بلفظ ايرتخين في غير عقد الجمان.

الذين كانوا مشاركين له في الآراء من الأمراء، ورتب سوتاي على عادته بديار بكر...

ثم إنه لم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما وقع الخلف بين چوبان وبين الأمراء، ولم يبق لأبي سعيد إلا الاسم فانحصر أبو سعيد من ذلك واستشار الأمراء في أمره واتفقوا على قتله فعمل قورمشي (قورمش) دعوة عظيمة ودعاه إليها ليقبض عليه إذا حضر فأجاب چوبان وتوجه فأخبر في أثناء توجهه أنها مكيدة، وأنهم يريدون القبض عليه ففارق مخيمه وركب وولده حسن إلى مدينة مرند وحضر قرمشي في عشرة آلاف من المغل فكبس المخيم فلم يجد چوبان فيه فنهبه وساق خلف چوبان فلم يدركه. ولما وصل چوبان إلى مدينة مرند وحضر قرمشي تلقاه الأمير ناصر الدين صاحبها وأمده بالخيل والسلاح والمال ووصل خبره إلى تبريز فخرج إليه الوزير علي شاه التبريزي وزير أبي سعيد والتقاه وأكرمه وفرح به أهل المدينة وأمدوه بالخيل والسلاح وتوجه إلى المدينة السلطانية وصحبته علي شاه فتقدم الوزير فاجتمع بأبي سعيد وتلطف في أمر چوبان وأحسن الثناء عليه وأغراه بقرمشي ومن اتفق معه فرضي عن چوبان وأذن له في حرب الأمراء وقتلهم إن ظفر بهم وأمده بعشرة آلاف من المغل وانضم إليه قراسنقر المنصوري في كثير، وكذلك وصل إليه ولده تمرتاش بجيش كثير فتوجه إلى قرمشي واقتتل معه فانهزم اصحاب قرمشي وعدة أمراء ممن كانوا معه وحضروا إلى المدينة السلطانية فقال لهم أبو سعيد لم فعلتم كذلك؟ فقال إن ما فعلناه بأمرك وكذبهم فأمر بقتلهم عن آخرهم. وأما قرمشي فإنه ألبس طرطوراً أحمر وحلقت لحيته وسمر وطيف به. ثم قتل بعد ذلك» اهـ[1].

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ ص ٧٧.

الحج في هذه السنة

في هذه السنة وصل الركب العراقي إلى الحجاز للحج وفيه جماعة من التتار فأخفوا أنفسهم خوفاً من القبض عليهم فأمر السلطان (سلطان مصر وكان قد حج في هذه السنة) بإحضارهم فأحضروا فأحسن إليهم وخلع عليهم الخلع السنية وأطلقهم وهو سبب الصلح بين الملك الناصر وبين الملك أبي سعيد» اهـ[1].

وفيات:

١ ـ الساعاتي: هو عبد الرحيم بن علي بن عبد الرحيم البغدادي الأستاذ في شد البياكيم ويعرف بالساعاتي. ولد سنة ٦٤١ تقريباً وقدم الشام بعد الخمسين وتفقه بمصر ثم قدم الشام وكان مليح الشكل حسن البشر خيراً عالماً يدري القراءات وينسخ القرآن على الرسم وكان يعتمد على شد البياكيم لتحريرها وأم بالرباط الناصري مدة ومات بالحمام فجأة في جمادى الأولى سنة ٧١٩[2].

وفي عقد الجمان: «الشيخ الصالح المقري زين الدين عبد الرحيم... سمع الحديث ولبس الخرقة، وكان شيخاً صالحاً، نسخ بخطه كثيراً، وكان يكتب المصاحف على المرسوم، ويعمل البياكيم والساعات في غاية الجودة والصحة، وكان الناس يقصدونه ويرغبون في عمله» اهـ[3].

٢ ـ البلدي: هو عبد العزيز بن عدي البلدي كان في بدايته صيرفياً في سوق الغزل ثم اشتغل وبرع وأتقن الطب والفرائض والجبر والمقابلة وحفظ الحاوي الصغير وتميز في المذهب وولي القضاء في ارزن

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ نقلاً عن ابن كثير ص ١٧٣.
(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩٥.
(٣) عقد الجمان ج ٢٢.

الروم. . . ثم قدم الموصل ودرس وناب في القضاء ونسب إليه رأي النصيرية فهرب مات سنة ٧١٩[١].

٣ ـ تاج الدين الافضلي: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حامد التبريزي الشافعي الملقب تاج الدين المعروف بالأفضلي. كان فاضلاً مولده في سنة ٦٦١هـ بتبريز. وتوفي في العشر الأول من صفر سنة ٧١٩ ببغداد[٢].

حوادث سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م)

آل عيسى وطردهم من سورية:

وفي هذه السنة قطعت اخبار آل عيسى (مرتباتهم) وطردوا من الشام بسبب سوء صنيعهم ورحلوا عن بلاد سلمية يوم الاثنين ٢ جمادى الأولى وصاروا إلى جهات عانه وحديثة على شاطىء الفرات. وعند رحيل المذكورين وصل الأمير سيف الدين (من امراء سورية) وسار بجمع عظيم من العساكر الشامية والعرب في أثر المذكورين حتى وصل إلى الرطبة ثم سار منها حتى وصل إلى عانه. ولما وصل المذكور إلى هناك هرب آل عيسى إلى وراء الكبيسات وعيسى المذكور هو عيسى بن مهنا بن مانع بن حذيفة[٣] بن عصية بن فضل بن ربيعة. وأقام السلطان (ملك سورية) موضع مهنا محمد بن أبي بكر بن علي بن حذيفة بن عصية المذكور ولما جرى ذلك عاد الأمير سيف الدين المذكور وأقام بالرطبة حتى نجزت مغلاتها وحمل إلى القلعة ثم سار منها ونزل على سلمية يوم الخميس منتصف رجب من السنة المذكورة واستمر مقيماً على سلمية حتى وصل إليه الأمر بالعودة فسار منها إلى الديار المصرية يوم الاثنين ٩

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٧٨.

(٢) منتخب المختار.

(٣) ورد كما مر بلفظ حديثة أو جديلة.

شهر رمضان من السنة المذكورة[١].

رسول السلطان أبي سعيد إلى سورية:

وفي هذه السنة ذهب إلى سورية المجد اسماعيل السلامي رسولاً من جهة السلطان أبي سعيد ملك التتر ومن جهة چوبان وعلي شاه بهدايا جليلة وتحف ومماليك وجواري مما يقارب قيمته خمسين توماناً[٢] (والتومان البدرة وهي عشرة آلاف درهم) فوصلها يوم الاثنين ٩ ذي الحجة ومنها سار إلى سلطان مصر[٣].

وجاء في عقد الجمان: «قدم رسول الملك أبي سعيد وچوبان نائبه قد ورد مع مملوك مجد الدين السلامي ومضمون رسالته أنه يطلب سنجق السلطان أن يكون صحبة ركبهم إذا خرج من العراق إلى الحجاز ومرسوم السلطان أن لا يتقدم على محملهم أحد غير محمل السلطان فأقبل السلطان عليه وأنعم بما سأله وسير سنجقاً أصفر بطلعة ذهب وكتب مرسوماً بما سأله وكتب أيضاً إلى أمير مكة شرفها اللّه بإكرامهم واحترامهم وعرف الرسول بأن رسول السلطان يأتي إلى الملك أبي سعيد عن قريب» اهـ.

أوضاع العشائر ـ إيضاح:

«ولما سافر رسول أبي سعيد حضر عقيبه كتاب من نائب حلب أن الفياض وسليمان وجماعة من أولاد مهنا قد كثر فسادهم وبغوا على المسافرين والتجار وأخافوهم وانقطعت الطرق وأن الأمير فضل أو عربه لم يمكن منعهم وربما بلغ مهنا أن أبا سعيد قد جهز ركباً عظيماً ونادى

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٩١.

(٢) ورد في أبي الفداء بلفظ «تماناً».

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٣.

في سائر بلاده من أراد الحج إلى بيت اللّه الحرام فليبادر واجتمع خلق عظيم من ديار بكر وسائر الأقاليم قاصدين الحج وأن مهنا لما بلغه ذلك ركب وأقام لهم على الطريق فوجد السلطان من ذلك أمراً عظيماً وتحقق أن مهنا متى وقع على ركب العراق أخذه فتقع العداوة بينه وبين الملك أبي سعيد ويفسد الحال المنتظم بينهما ويؤول الأمر إلى تعب عظيم ثم أرسل وراء سيف بن فضل بن عيسى وأمره ان يحضر سريعاً وكان يعلم أن مهنا يحب سيفاً بن أخيه محبة عظيمة وخشي أن يطلب من أولاد مهنا فياض أو سليمان ولا يجيبه فطلب سيفاً فلما حضر إليه قال له يا سيف قل لوالدك فضل أن يتحيل على مهنا بكل حيلة وتكون أنت تمشي بينهما إلى أن يرجع مهنا عن التعرض لركب العراق فإني قد أعطيت لهم عهوداً فوثقوا مني وأخشى أن يفسد عليّ مهنا جميع ما فعلته وأنا ما عملت أباك أميراً على العرب إلا أن يمنع مهنا وأولاده من التعرض إلى بلادي فلو عرفت أن أباك يتفق مع مهنا لما كنت أبعدت مهنا مني فاركب إليه وعرفه أنه متى لم يرجع مهنا عن ركب العراق فلا حاجة لي بأحد منكم وأكد عليه الوصية وفارقه إلى أن وصل إلى أبيه وعرفه ما قال له السلطان فقال له أبوه واللّه يا سيف هذه قضية صعبة وما يصلحها أحد غيرك أنت وأخوك قال وكيف قال تركب إلى مهنا وتسأله أن لا يفعل شيئاً مما قصده ولا تقل إنك سمعت شيئاً من السلطان فإذا رأيته وقد قوي عزمه على ما قصده من التعرض إلى الركب العراقي أقم عنده وأمسك ذيله وقل له إن أبي قد أمرني بالدخول عليك في هذه النوبة . . .

فلما وصل إليه رحب به وضمه إلى صدره وقال له ما جاء بك إلى هذا المكان يا ابن أخي فقال اشتقت إليك وعرفت أبي فقال اغد إلى عمك أنت وأخوك قال فتبسم وقال واللّه يا وغيد ما جئت إلا في أمر ارسلك أبوك إليه قال فقلت لا بد من ذلك ثم أقمت عنده ذلك اليوم والثاني والثالث ثم عرفته بجميع ما اتفق من السلطان ومن أبي وكيف ارسلني إليه

وقال ما لأبيك فإنه يأكل خبز مهنا وأنت تأكل خبز أولاده ولم لا تحفظون البلاد وتراعون حق السلطان في كل ما يقصده؟ فأنتم تأكلون الأخباز ومهنا يأكل كسب سيفه وكيف أرجع عن هذا الركب العراقي وفيه مكسب يقوت لمهنا سنة كاملة؟ وإذا أخذت بحقي فإني رجل ما أنا تحت طاعة سلطان مصر ولا سلطان العراق وإنما آكل من سيفي!.

قال فسكت عنه أياماً قليلة وقد حضر عنده من عرفه أن ركب العراق قد خرج ووصل إلى المكان الفلاني واهتم للركوب إليه. قال سيف: فقمت إليه ودخلت عليه ولم أزل اترفق له وأتذلل حتى أنعم عليّ بتركهم وبعد أيام وصل الركب وهم خلق كثير من أهل العراق وغيرهم ومعهم أموال جمة وسير مهنا إليهم وقال لهم: لنا خفر عليكم خمسة آلاف دينار وبذلك جرت العادة من العرب. فقالوا نحن ما نعلم شيئاً من هذا ولا رأينا ركباً من العراق سافر إلى مكة من غير هذه الأيام، ولولا أن علمنا أن البلاد بلاد واحدة، والاسلام واحد، وأن الصلح قد انتظم بين ملك مصر وملك بغداد والموصل ما خرجنا. وهذا سنجق الناصر معنا بهذا السبب فلم يشوش مهنا عليهم بل أكرمهم وسهل أمرهم وقال يا سيف قد قبلت دخولك علي لأجلك لا لاجل أبيك، ولا لأجل الملك الناصر فارجع إلى أهلك. قال وأعطاه فرساً ولأخيه فرساً ورجع إلى أبيه وعرفه بما جرى فقال له أبوه اركب واذهب إلى السلطان وعرفه بما وقع وأقم في مصر إلى أن يدخل موسى وإخوته أولاد مهنا إلى مصر فأنا أعلم أن السلطان ما يفسد ما بينه وبين مهنا ولا بد أن يعيد إليهم اخبازهم فذهب سيف إلى السلطان فرأى أولاد مهنا موسى وإخوته وهم أربعة قد سبقوه بيوم وهم عند السلطان مكرمون وقد عرفوه خبر ركب العراق وأن مهنا لم يتعرض بهم.

ثم لما اجتمع سيف بالسلطان وحكى له بما اتفق شكره على فعله ثم اجتمع كلهم يوماً عند السلطان وجرت بينهم مفاوضة فقال السلطان

لموسى بن مهنا يا موسى كيف يكون أبوك عاصياً عليّ ولا يدخل تحت طاعتي. فقال له موسى: والله يا مولانا السلطان لو اطاعك مهنا ما كنا عندك بهذه المنزلة والله إن عصيانه عليك جيد لنا، والله لو أطعنا ما اطقناك فاحمر وجه السلطان خجلاً منه. ثم قال لسيف: أبوك عاجز أن يخرج مهنا عن البلاد وأنا أضيف إليه عرب بني كلاب، وبني مهدي فقال موسى: يا خوند أقول الصحيح أو أسكت قال قل الصحيح قال: وحياة رأسك ورأس مهنا إن فضلاً لو جمع له مائة ألف بدوي لا يقدر أن يقاتل مهنا ولا كان يرمي أخاه ابداً ولا يسل احد منهما سيفاً في وجه أخيه، والله تعالى يحفظ مولانا السلطان لا يقل أحد إن فضلاً يرمي مهنا، أو مهنا يرمي فضلاً، وأي من ترضى منه كان في خدمتك إذا رأى مهنا أخاه يأكل خبزه ما يعظم عليه ذلك، وإذا رددت خبزه عليه كذلك ما يعظم على فضل: فالغريب ما يدخل بيننا. ولما سمع السلطان ذلك لم يرد عليه جواباً ثم قاموا من المجلس. ولما رأى الأمراء أن السلطان قد انحرف من هذا الكلام انحرافاً عظيماً قال له الأمير عز الدين الخطيري يا خوند هذا وقتك فإن أولاد مهنا أربعة قد حصلوا عندك فاقبض عليهم وجردني أنا والأمير سيف الدين الأبو بكري ومقدرين من الشام ونحن نقيم في بلاد الرطبة سنة كاملة ونأكل اقطاع العرب ولا ندع مهنا ولا غيره ينظر إلى البلاد ابداً ويدخلون تحت طاعتك فكان جواب السلطان له: يا أمير عز الدين احذر أن تذكر شيئاً من هذا فمثل مهنا وأولاده ما يفرط فيهم. ولما سمع الأمراء ذلك سكتوا ولم يردوا عليه جواباً وبعد أيام طلب السلطان موسى وإخوته وخلع عليهم وأكرمهم وأعطاهم أنعاماً كثيراً، واتفقوا معه على أنهم يرسلون إليه محمداً أخا مهنا ليضمن حضور أخيه إلى طاعته فخرجوا على ذلك وسافروا. . .» اهـ[1].

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ ص ٢١٦.

قاصد وهدايا ـ أوضاع العشائر:

«وفي هذه السنة جاء مصر قاصد قدم إليها من عند علي شاه وزير ملك التتار وصحبته تقادم وهي بخاتي وقماش وجوار ومماليك، وذكر أن سلطانهم قطع اخباز العربان من عنده وهم مهنا وأولاده وإخوته وأقاربه وكان لهم معظم العراق.

وكذا الخواجة مجد الدين إسماعيل السلامي التاجر المشهور حضر إلى القاهرة من المدينة السلطانية ومعه هدية سنية جليلة من جملتها خركاه مجوهرة وخيمة سقلاط ومماليك وجوار ترك ملاح وجمال بخاتي وقماش نفيس وغير ذلك فتكلم في الصلح بين السلطان الملك الناصر والسلطان أبي سعيد.

قال صاحب النزهة لما وصل مجد الدين خرج القاضي كريم الدين إلى قبة النصر تلقاه ولما حضر مجلس السلطان سأله عن أخبار أبي سعيد وجوبان وعن أحوال البلاد فقال الجميع داعون لمولانا السلطان وليس لهم مراد إلا رضىٰ السلطان وهم مجتهدون في الصلح. وكان مجد الدين سبق التقادم التي سيرها أبو سعيد.

ثم ورد الخبر من نائب حلب أن سليمان بن مهنا عارض الرجال الذين معهم التقادم وأخذ ما كان معهم، وأنه خرج عن الطاعة... وكان سبب خروجه أن السلطان كان طرد أباه مهنا عن البلاد وأخرج الإمرة عنه، وكان السلطان أرسل إليه شهاب الدين قراطاي بأن يخرج عن البلاد فقال له مهنا: أي شيء رسم لك السلطان رسم بقتالنا أو غيره قال ما رسم لي إلا بطردك أنت وأولادك عن بلاد السلطان فقال مهنا: أما رحيل عن بلادنا فلنا غيرها وإن طلبنا العوض وجدنا ولكن هو عوضنا ما يجد وإن كان قد ضاقت أرضه بنا فالفلاة واسعة ثم أنشد:

إن ضـاق نـزل يـا فـتـى بـديـاركـم
فـزمـامـهـا بـيـدي ومـا ضـاق الـفـضـا

ثم رحل منها إلى أن قارب أرض العراق وتفرق أولاده في نواحيها.

ولما بلغ سليمان حضور الرسل ركب وقصد استغنام الفرصة، ولما رآهم اصحاب أبي سعيد وجدوهم ومعهم كثير من العرب فتحققوا أن سليمان قاصد الفتنة فلم يواجهوهم بشر بل وقفوا وسيروا إليه قاصداً من جهتهم وقالوا: إنا رسل أبي سعيد إلى السلطان الملك الناصر وايش الغرض منا فقال ارجع إليهم وعرفهم أن البلاد التي للملك الناصر قد طردنا منها وخرجنا عن طاعته، وأعطى اخبازنا لغيرنا من العرب وما بقي لنا معاش ومكسب إلا قطع الطريق وإخافة السبيل والذي معكم نأخذه، وبعد ذلك إما ارجعوا إلى بلادكم وإما روحوا إلى الملك الناصر.

وكان في الرسل من يعرف سليمان وأباه عندما دخلوا إلى خربندا وصار له معهم صحبة ولما عرف أنه سليمان أخذ معه هدية حسنة وركب في جماعة من المغل إليه فرآه وسلم عليه وقدم له ما أحضره واعتذر إليه، وترفق له في السؤال فترك لهم سليمان أمرهم ورجع عنهم رعاية لذلك الرجل.

(الرسل عند سلطان مصر: (التقادم))

«ثم لما وصلوا إلى السلطان أكرمهم وسأل عن أبي سعيد ونائبه چوبان والوزير ثم أحضروا التقادم وكان فيها خوذة فولاذ منقوش عليها القرآن كاملاً وجميعه ذهب ولم ير احد هدية أفخر منها وثلاث قطر بخاتي وعشر جوار وستة مماليك وقليل من اللؤلؤ وقالوا للسلطان: إن أخاك الملك أبا سعيد يسلم عليك ويقول إن أباه خربندا كان يقول أنا والسلطان الملك الناصر شيء واحد، والمسلمون جيش واحد، ونسكن الفتن القديمة، ونقيم الملة الإسلامية...

ثم انزلهم السلطان دار الضيافة.

أمر الصلح:

«وكان أبو سعيد ذكر في كتابه شروطاً عديدة منها:

١ ـ أن يمنع حضور الفداوية في بلاده فلا يدخل أحد منهم.

٢ ـ أن من حضر من مصر إلينا فلا يطلب، وأن من حضر من عندنا إليكم فلا يعود إلا أن يكون برضاه.

٣ ـ أن لا يدخل في بلادنا غارة من عرب ولا تركمان.

٤ ـ أن تكون الطريق بيننا مفتوحة يدخل من عندنا إليكم التاجر وغيره فلا يعارض وكذلك إذا حضر منكم أحد.

٥ ـ أن يكون لنا سنجق سلطاني (علم) يحمل في الركب الذي يخرج من عندنا إلى مكة.

٦ ـ إن لا يطلب قراسنقر ولا يذكر لأنه نزيل عندنا فوجبت حرمته علينا.

٧ ـ أن يبعث السلطان إلينا رجلاً معروفاً بالجودة وممن يوثق به في الأمور ويكون معه نسخة يمين من السلطان ونحن أيضاً نحلف وجوبان كذلك يحلف فيستمر الصلح فيما بيننا ويصير الإقليمان إقليماً واحداً.

فلما وقف السلطان على ذلك شاور الأمراء وقرأ عليهم الكتاب فأشاروا عليه بأن يفعل ما في خاطره.

ثم إن الرسل أقاموا أياماً قليلة ثم جهزهم السلطان بأحسن جهاز وأنعم على الرسول شيئاً كثيراً سوى الخلع والحوايص، وجهز برسم أبي سعيد هدية وهي فوقاني اطلس بطراز. وزاير بأولي مزركش، وقباتيري،

وقرقلات، وبركستوانات وخود. وجهز لكل واحد من نوابه وخواصه هدية تصلح لهم.

وكتب الجواب بجميع ما سألوه... وأن العرب آل عيسى قد كثر فسادهم في البلاد وخرجوا عن طاعتي وقد أخرجتهم من بلادي، وأريد أنا أيضاً أن لا تمكنوهم من الدخول إلى بلادكم وتمنعوهم وأنا أخرج عسكراً من عندي، وأنتم أخرجوا عسكراً من عندكم فنشيل سائر العرب...» اهـ[1].

وفي هذا ما يبصر بالأوضاع السياسية بيننا وبين مصر وسورية، وحالة العشائر البدوية في ذلك الزمن وروحيتها نحو الحكومات المجاورة...

الفداوية من الإسماعيلية:

وفي هذه السنة عاث الفداوية من الإسماعيلية وحاولوا كثيراً قتل قراسنقر، وعلم أنهم لم يقفوا عنده، وأن أبا سعيد وجوبان وعلي شاه خافوا منهم... فسيروا الرسل إلى الملك الناصر يخبرونه بالأمر، وقد ارتبك بهم الحال وخافوا حتى أن أبا سعيد لم يخرج من الخركاه أياماً، ولاموا السلطان الملك الناصر بأنه يريد أن يتم الصلح ويبعث بالفداوية ليعيثوا...[2].

الركب العراقي ـ عودته من الحج:

مر القول عن ذهاب الركب العراقي إلى الحج ووصوله إلى هناك وكان معه خال السلطان أبي سعيد وغياث الدين صاحب هراة وهو أمير الركب وشحنة بغداد والشيخ صدر الدين ابن حمويه من خراسان وجمع

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ ص ٢٢١.

(٢) كذا ص ٢٢٣.

عظيم وتحمل زائد ومحملهم مذهب وفيه احجار جوهرية بديعة، وعمل جوبان نائب أبي سعيد والخواجة علي شاه الوزير صدقات كثيرة ومعروفاً من أنواع القربات حتى أنه كان في كل منزلة من منازل الركب العراقي يضرب لكل من أبي سعيد وجوبان والوزير حوض سبيل فيه سكر سويق وينادي هذا سبيل فلان. ثم إن الركب تعرض إليهم مهنا كما قدمنا ولم يأخذ منهم شيئاً، ثم خرج عليهم من عرب البحرين نحو ألف فارس ومشاة كثيرة وقطعوا عليهم الطريق، وكان أكابر هؤلاء قد حضروا إلى الملك الناصر... فأنعم عليهم أنعاماً كثيراً... ولما رآهم أكابر الركب العراقي الذين هم من اصحاب أبي سعيد وجوبان... وعرفوهم أن معهم كتاب السلطان الملك الناصر وسنجقه وهو منشور في محملهم وفي كتابه إلى سائر العرب بالإكرام والإحسان إلى الركب فلما وقفوا على الكتاب ورأوا السنجق قالوا (السمع والطاعة) للملك الناصر ثم فسحوا لهم الطريق. قال صاحب النزهة: ثم ساروا آمنين[1]...

وفيات

١ ـ ابن عصبة البغدادي:

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

في هذه السنة توفي القاضي جمال الدين أحمد المعروف بابن عصبة البغدادي الحنبلي. قال الطوفي حضرت درسه وكان بارعاً في الفقه والتفسير والفرائض. وأما معرفة القضاء والأحكام فكان أوحد عصره في ذلك[2].

٢ ـ حميضة بن أبي نمي:

هو الشريف عز الدين أمير مكة كان هو وأخوه رميثة وليا إمرة مكة... وجرت له وقائع في العراق وناصره السلطان خربندا قتل في جمادى الآخرة سنة ٧٢٠هـ[3].

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ ص ٢٢٣.
(٢) شذرات الذهب ج ٦ ص ٥٣.
(٣) التفصيل في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨١.

حوادث سنة ٧٢١هـ (١٣٢١م)

مهنا ابن عيسى أمير العرب:

وفي هذه السنة عبر مهنا بن عيسى الفرات وتوجه إلى السلطان أبي سعيد ملك التتر مستنصراً به على سورية وأخذ معه تقدمة برسم التتر سبعمائة بعير وسبعين فرساً وعدة من الفهود[١].

هدايا السلطان أبي سعيد:

وفي هذه السنة أهدى السلطان أبو سعيد إلى سلطان مصر صناديق ودقيقاً وجمالاً وتحفاً[٢].

وفي عقد الجمان أن الرسل وصلت في ٢٩ المحرم... وكانت الرسل أيضاً قد توالى توافدهم من أوزبك نظراً لتوتر العلاقات بينهم وبين السلطان أبي سعيد والكل منهم يخطب ود ملك مصر حذراً من وقوع حرب بينهما أو توقع حدوثها...

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

كتاب من بغداد:

قال ابن الوردي: «وفي هذه السنة في آخر جمادى الآخرة ورد كتاب من بغداد مؤرخ بالحادي والعشرين من جمادى الآخرة وفيه أنه جرى ببغداد شيء ما جرى من زمان الخليفة إلى الآن وذلك أنهم خربوا البازار من أوله إلى آخره وما يعلم ما عزموا عليه إلا الله تعالى ما تركوا بالبلد خاطئة إلا توبوها وزوجوها وأراقوا الشراب ومنعوا الناس من العصير ونودي أن من تخلف عنده شيء من الشراب حل ماله ودمه للسلطان فطلع بعد ذلك عند شخص جرة فقتلوه وعند آخر جرتان فقطعوا

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٩٧.

(٢) ابن الوردي ج ٢ ص ٢٧١.

رأسه وعلموا اليهود والنصارى بالعلائم وأسلم جماعة في كل يوم جمعة يسلم جمع. . .» اهـ[1].

وجاء في عقد الجمان: «ابطل أبو سعيد ابن خربندا مكس الغلة ورسم على الخمارين وألزمهم بإحضار الخمور في الظروف فاجتمع نحو عشرة آلاف ظرف فاهريقت وأحرقت الظروف، وفعل ذلك في جميع بلاده.» اهـ.

وفيات:

١ ـ وفاة محمد بن قيصر بن عبدالله البغدادي: أصله بغدادي ثم توطن ماردين. وهو نجم الدين النحوي. كان أبوه مملوكاً لبعض التجار واشتغل هو ففاق في النحو والتصريف والمعاني والقراءات والعروض وغير ذلك وصنف في جميع ذلك. وله قصيدة على وزن الشاطبية بغير رمز. ولحق ياقوت المستعصمي فكتب عليه وجوّد طريقته وعليه كتب أهل ماردين: وكان كثير الهجاء سيىء السيرة. مات في ذي القعدة سنة ٧٢١هـ[2].

٢ ـ ابن جار الله: هو محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن فضل الله الواسطي أبو عبدالله بن الطحان ويعرف بابن جار الله ولد سنة ٦٥٢ سمع من عمر الكرماني وغيره. مات في ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٢١[3].

٣ ـ محمد بن مقلد بن علي العاني: هو الدلال المقسمي ولد سنة ٦٥٣ مات بالقاهرة في ١٣ ذي الحجة سنة ٧٢١هـ.

٤ ـ أحمد بن حامد بن عصبة: توفي في هذه السنة أو التي قبلها.

---

(١) ابن الوردي ج ٢ ص ٢٧٢.
(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٤٨.
(٣) كذا ص ١٦٤ ج ٤. كذا ص ٢٦٢.

حوادث سنة ٧٢٢هـ (١٣٢٢م)

رسل أبي سعيد ـ شروط الصلح:

«بتاريخ العشر الأخير من ربيع الأول وصلت إلى الأبواب العالية رسل أبي سعيد ملك العراقيين وهم حسن بن شادي بن صنوجق ومملوك چوبان نائب أبي سعيد والقاضي نصير الدين محمد ابن القزويني الشافعي قاضي تبريز وصحبتهم ابن خاله السلطان أحمد وكان مجيئهم بسبب المصاهرة بين الملكين فأنعم السلطان عليهم وسفر معهم ايتمش المحمدي أحد مقدمي الألوف رسولاً بهدية سنية من الخيول الاصائل والحوايص المجوهرة وحمار الوحش مخطط بأبيض وأسود وصل من اليمن. وقال صاحب النزهة وكان رسل أبي سعيد المذكورين قرروا مع السلطان أن يستمر الصلح بينهم وبين المسلمين فإنهم قد لحقوا بالإسلام وتلفظوا بالشهادة وأقيمت عندهم الخطبة والصلوات وأن يكون بينهم يمين أن لا يدخل بلادهم فداوي، وأن يكون الحاج مستمراً، وأن كل من يحضر إلى بلادهم يرجع إلى مصر وكل من يحضر منا إليهم يرجع إلى بلادنا، وأن الرسول الذي يحضر من جهة السلطان يكون ممن يوثق بدينه وأمانته.

فلما سمع السلطان أجاب إلى ذلك وأمر القاضي كريم الدين أن يستعمل بالإسكندرية تفاصيل عليها اسم السلطان أبي سعيد ونائبه چوبان، وجهز له تحفاً كثيرة وعشر قوافل وعشر بركستوانات وخوذاً وسيوفاً وخيلاً عربية كاملة العدد وأشياء فاخرة وعين للسفر الأمير ايتمش المحمدي لأنه كان رجلاً جيداً صادق اللسان عاقلاً يعرف لسان التتار وكتب معه وذكر في الجواب عن جميع ما في كتاب أبي سعيد غير أنه خالف في قولهم أن كل من يحضر إلى بلادهم يرجع إليهم وذكر أيضاً أنه يخطب باسمه في بلادهم ويذكر اسمه قرين اسم أبي سعيد وأن يكون

له تاجر مقيم في الأردو برسم شراء مماليك وجوار وهو مجد الدين السلامي وأن من كان في بلادهم من الزام السلطان يرسلونه إليه ولا يمنعوا احداً من الدخول في بلاد السلطان وأن السلطان فسح لركب العراق في الحج وأوصى أمراء مكة بهم، وأن عرب آل مهنا لا يقربونهم، وذكر أنه يكون هو وإياه متفقين على إخراجهم من البلاد وإن كان لأبي سعيد أخت أو واحدة من عظم الخان برسم المصاهرة بينهم يكون ذلك لأنه آكد للصلح، ثم إن السلطان أنعم على ايتمش بألفي دينار وأمره بالسفر وكتب معه إلى نائب الشام ونائب حلب بإكرامه والقيام بخدمته.» اهـ[1].

الأمير فضل بن عيسى:

عاد إلى سورية من الحجاز صحبة الادر السلطانية داخلاً عليهم مستشفعاً بهم فرضي عنه سلطان مصر وأقره على أمرة العرب موضع محمد بن أبي بكر أمير آل عيسى وكان اقامه السلطان مقام مهنا سنة ٧٢٠هـ والأمير فضل هو أخو مهنا المذكور[2].

وفيات:

١ ـ وفاة عبدالله بن محمد بن عبد العظيم الواسطي: المقري نجم الدين. قرأ بواسط على الشيخ خريم، وعلى حسن الكوساني، وأحمد ومحمد امين غزال وغيرهم، ثم قدم دمشق فقطنها وجلس للإفادة ونظم قراءة يعقوب في كراسة. قال الذهبي جودها ومات في شوال سنة ٧٢٢هـ[3].

(١) عقد الجمان ج ٢٢.

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٩٤ وص ٩١.

(٣) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٩٥.

٢ ـ وفاة نصير الدين بن وجيه الدين التكريتي: هو عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي الربعي التغلبي التكريتي ثم الدمشقي ولد في شوال سنة ٥٧ وسمع من الرضى ابن البرهان (والبرهان) والنجيب وعبد الدائم فأكثر وأجاز له محمد بن عبد الهادي وعبدالله بن بركات الخشوعي وغيرهما... وهو من بيت كبير، وصدر محترم وكان أبوه تاجراً... مات في العشرين من رجب سنة ٧٢٢هـ[١].

٣ ـ وفاة الشيخ صدر الدين الجويني:

صدر الدين أبو المجامع: هو إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني وجاء في روضات الجنات صحيفة ٤٩ تفصيل عن المترجم وضبط لفظ حمويه وذكر له من المصنفات (فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين) فرغ منه في سنة ٧١٨. وشاهد صاحب الروضات تأليفه هذا وترجمه بالاستناد إليه وعرّف آل حمويه فكان بحثه مهماً. ولد سنة ٤٤ وسمع من عثمان بن الموفق صاحب المؤيد الطوسي وسمع على علي بن أنجب وعبد الصمد بن أبي الخير وابن أبي الدنية وأكثر عن جماعة بالعراق والشام والحجاز وله رحلة واسعة وكان ديناً وقوراً مليح الشكل جيد القراءة وعلى يده أسلم غازان. وتزوج بنت علاء الدين صاحب الديوان سنة ٧١ وكان الصداق خمسة آلاف دينار ذهباً. وقال عنه الذهبي حاطب ليل. ومات سنة ٧٢٢ في ٥ المحرم بالعراق وفي عقد الجمان أنه توفي سنة ٧٢٣هـ[٢].

❀ ❀ ❀

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٠٠ وعقد الجمان ج ٢٢ ص ٣٤٧.

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٦٨ وعقد الجمان ج ٢٢.

حوادث سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م)

رسل السلطان أبي سعيد:

في هذه السنة ذهبت رسل السلطان أبي سعيد ورسل نائبه الأمير جوبان وتوجهوا إلى سلطان مصر بالقاهرة ثم عادوا إلى بلادهم[١].

وفي عقد الجمان ما نصه:

«ورد رسل أبي سعيد بسبب الأيمان التي عليها الصلح الذي بينه وبين الملك الناصر ورسم السلطان للأمير ايتمش بالخروج إلى ملتقاه وصحبته المهمندار وأن يأخذ معه كل ما يحتاج إليه من سائر الأشياء فركب إليهم في جماعة وتلقاهم من الصالحية... وعند دخولهم أمر السلطان للأمراء بلبسهم على العادة المستمرة فدخلوا ورأوا موكباً عظيماً وحصل لهم من السلطان إقبال وقدموا تقدمة أبي سعيد فكانت شيئاً كثيراً من البخاتي والأكاديش والتفاصيل المثمنة، ومعهم كتاب يترفق فيه أبو سعيد ويعرف السلطان الذي قصده من الأمور لم يخرج عن شيء من ذلك وأن الذي طلبه من أمر الخطبة والرغبة في المصاهرة فإنه يقصد المهلة في ذلك إلى حين يقع الغرض ويعلم أنه يصلح لمثله وكتب في كتابه أيضاً أن يعرف نائب حلب ونائب الشام أن لا يمنعوا أحداً من دخول الفرات ولا الإقامة في مدينة يختارها وتكون مصر والشام وبلاد الشرق بلاداً واحدة، وكذلك نائبه جوبان والوزير أيضاً كتب وأرسل كل منهما هدية على قدره وأرسلوا أيضاً هدية للقاضي كريم الدين وكاتبه الوزير من جهته يعرفه أن جميع ما قصده مولانا قد فعله المملوك فإن أساس الصلح بين هذين الملكين كان كريم الدين بمصر والوزير الخواجة علي شاه، فإن الرسالات كانت متصلة بين الوزيرين والهدايا متوالية،

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٩٥.

وكان السفير في ذلك مجد الدين السلامي، وكان القاضي كريم الدين قد أذهل هذا الوزير بأنواع العطايا والهدايا التي كان يرسلها إليه بحيث استجلبه إلى أن حكم على جوبان وحكم جوبان على أبي سعيد وأكابر المغل وأراد اللّٰه أن يجمع شمل الإسلام على كلمة واحدة.

ولما قرب سفر الرسل أحضرهم وأحضر الأمراء وحلف اليمين التي عقد عليها الصلح وكتب بها نسخة على العادة وسير صحبتهم ما حسن وافتخر به من كل شيء، وخلع على كبير الرسل ثلاث خلع مكملة بحوايص ذهب وأعطاه ألفي دينار وأنعم على سائر من كان معه وأطلق له شراء الخيل العربيات وجميع ما يختاره وأمر أن لا يتعرض إليه أحد من النواب ولا الولاة وكذلك القاضي كريم الدين أرسل من جهته أشياء مناسبة وأشياء مفتخرة هدية لأبي سعيد وجوبان والوزير وكتب السلطان أيضاً إلى نائب الشام وإلى نائب حلب وسائر المملكة أن لا يمنع من يريد دخول الفرات ولا من يريد النزول بأراضيه، وأن يكون كل من يحضر آمناً على نفسه وماله وكذلك التجار والمسافرون وسائر أرباب الصنائع، وأن الشرق وبلاد مصر بلاد واحدة، والإسلام قد جمع بين الكل.

وكتب القاضي كريم الدين إلى مجد الدين السلامي وعرفه أن السلطان أقبل على الرسل إقبالاً عظيماً وسأله أن يحضر إلى مصر ليجتمع بالسلطان ويعود في أمر مهم يختص به. وكان طلب السلامي ليرسل معه فداوياً متنكراً ليغتال قراسنقر وقد اعتذر السلامي فلم يقبل عذره، وأوعز إليه أن يبقى مدة بصفة مملوك ثم يجري فعلته. فلم يوفق لغرضه فأعيد ومعه هدايا من السلطان ومن القاضي...

رسول مصر إلى السلطان أبي سعيد:

وفي هذه السنة وصل الأمير ايتمش المحمدي إلى تبريز فتلقاه الوزير وقد عرف منزلته من قراسنقر وجاء بحشمة وأبهة لا مزيد

عليهما... وقد تكلم العيني عن ذلك مفصلاً وبين أن مكالمته كانت بالمغولية، وأنه مغولي فأقيمت له الضيافات وامتنع من شرب الخمر... وقد قضى الأمور التي ذكرها السلطان في كتابه والشروط المبسوطة فيه... والتمس جوبان من الرسول عفو السلطان من إرسال فداوية متوالين إلى قراسنقر لاغتياله، وطلب العفو عن الغدر به... وبعدها صعد الخطيب يوم الجمعة فدعا للسلطانين وبين ما جرى عليه الصلح، وأن الإسلام ملة واحدة، فعاد إلى مصر مزوداً بالهدايا للسلطان[1].

حج بنت السلطان ابقا:

وفي هذه السنة ذهبت الملكة بنت ابقا واسمها قطلو وفي خدمتها عدة كثيرة من التتر إلى الحج ورسم السلطان ورتب لها في الطرقات الإقامات الوافرة[2]. سماها صاحب الدرر الكامنة يلقطو وهي عمة غازان. كانت جيدة الإسلام كثيرة المناصحة للمسلمين وكان يقال لزوجها عرب طيىء ولما قتل ركبت بنفسها فقتلت قاتله وخطبها الافرم وهو نائب دمشق فنهرت رسله وامتنعت بعد أن كان بذل لها حمص وبلادها مهراً. وحجت سنة ٧٢٣هـ في تحمل زائد فيقال تصدقت في الحرمين بثلاثين ألف دينار وكانت تركب بالجتر وتتصدق في طول الطريق ودخلت دمشق فتلقاها تنكز وبالغ في إكرامها ورجعت إلى بلادها إلى أن ماتت سنة ٧٢٣هـ[3]...

(١) عقدة الجمان ج ٢٢.

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٩٥.

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٤٣.

وفيات

١ ـ وفاة مؤرخ عراقي (ابن الفوطي):

ترجمه جماعة. توفي في ثالث المحرم هذه السنة وقد مر وصف الكتاب المنسوب إليه المسمى (بالحوادث الجامعة). قال صاحب الشذرات: مؤرخ الآفاق، العالم، المتكلم كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن عمر بن أبي المعالي محمد بن محمود بن أحمد بن محمد بن أبي المعالي الفضل بن العباس بن عبدالله بن معن بن زائدة الشيباني المروزي الأصل البغدادي الأخباري الكاتب المؤرخ الحنبلي ابن الصابوني ويعرف بابن الفوطي ـ (محركاً نسبة إلى بيع الفوط) ـ وكان الفوطي المنسوب إليه جده لأمه. ولد في ١٧ المحرم سنة ٦٤٢ بدار الخلافة من بغداد وسمع بها من ابن الجوزي ثم أسر في واقعة بغداد وخلصه النصير الطوسي الفيلسوف وزير الملاحدة فلازمه وأخذ عنه علوم الأوائل وبرع في الفلسفة وغيرها وأمده بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم واشتغل على غيره في اللغة والأدب حتى برع ومهر في التاريخ والشعر وأيام الناس وأقام بمراغة مدة ولي بها كتب الرصد بضع عشرة سنة وظفر بها بكتب نفيسة وحصل من التواريخ ما لا مزيد عليه وسمع بها من المبارك بن المستعصم بالله سنة ٦٦٦هـ ثم عاد إلى بغداد وبقي بها إلى أن مات.

وقال في عقد الجمان: «الشيخ الإمام الحافظ المحدث المؤرخ العلاّمة الأخباري الأديب... صاحب التصانيف... وله شعر كثير بالعربي والعجمي... أسر في واقعة بغداد وسار إلى النصير الطوسي وأشتغل عليه بعلوم الأوائل وبرع في الأدب والنظم والنثر ومهر في التاريخ، وكان قلمه سريعاً مع خط بديع... لهج بالتاريخ وأطلع على كتب نفيسه ثم تحول إلى بغداد وصار خازن كتب المستنصرية واكب على التصنيف رحمه الله.» اهـ[1].

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ ص ٤٢٢.

ومن مؤلفاته:

١ ـ تاريخه الكبير:

٢ ـ مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب. منه مجلد واحد في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٣ ـ كتاب درر الاصداف في غرر الأوصاف مرتب على وضع الوجود من المبدأ إلى المعاد في عشرين مجلداً.

٤ ـ كتاب المؤتلف والمختلف وهو المسمى تلقيح الأفهام.

٥ ـ كتاب التاريخ على الحوادث من آدم إلى خراب بغداد.

٦ ـ كتاب حوادث المائة السابعة وإلى أن مات.

٧ ـ كتاب الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة.

٨ ـ معجم شيوخه.

٩ ـ ذيل تاريخ ابن الساعي.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٠ ـ تلقيح الأفهام عن تنقيح الأوهام.

وله مؤلفات أخرى وترجمه الذهبي في تذكرة الحفاظ والكتبي في فوات الوفيات وجاء وصف بعض مؤلفاته في كشف الظنون... وله خط بديع جداً ويد بيضاء في النظم وترصيع التراجم وبصر بالمنطق والحكمة[1].

٢ ـ وفاة مدرس البشيرية:

في هذه السنة توفي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمود الجيلي نزيل بغداد المدرس للحنابلة بالبشيرية. كان إماماً، فقيهاً، عالماً، فاضلاً، له مصنف في الفقه لم يتمه سماه (الكفاية) ذكر فيه أن

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٥.

الإمام أحمد نص على أن من وصى بقضاء الصلاة المفروضة نفذت وصيته. توفي ببغداد يوم الثلاثاء ١٠ جمادى الأولى.

٣ ـ قاضي المغول:

وتوفي برهان الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد السمرقندي النوجاباذي الحنفي قاضي المغول (المغل) برهان الدين. ولد سنة ٦٤٣ وتفقه ببلاده وقدم بغداد مراراً... وكان صدراً معظماً كثير اللطائف، حسن المذاكرة اتفق أنه لما أكمل ثمانين سنة عمل وليمة حافلة فمات بعدها بجمعة في رمضان سنة ٧٢٣ سمع من محمد بن يوسف الزرندي والسراج القزويني[١]...

٤ ـ صفي الدين الأرموي العراقي:

هو صفي الدين محمود بن محمد الأرموي العراقي المتوفى سنة ٧٢٣هـ وهذا قد هذب (كتاب المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده وله ترتيب خاص من حروف الهجاء غير النسق المعروف بينه صاحب كشف الظنون في مادة المحكم...

حوادث سنة ٧٢٤هـ (١٣٢٤م)

مهنا بن عيسى أمير العرب:

في هذه السنة نزل الأمير مهنا بن عيسى بظاهر سلمية من بلاد حمص عند تل اعدا وكان له ما يزيد على عشر سنين لم ينزل بأهله هناك وكان الأمر والنهي إليه في العرب وخبز الأمرة لأخيه فضل بن عيسى[٢].

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠٦.

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٩٥.

وفي هذه السنة توفي محمد بن عيسى بن مهنا أمير العرب وكان عاقلاً نبيلاً فيه خير وهو أخو مهنا توفي بسلمية عن نيف وسبعين سنة ودفن عند أبيه[1]. . .

وجاء في الدرر الكامنة أن محمد بن عيسى هذا لما جهز خربندا مع حميضة عسكراً ليأخذ له مكة كبسهم محمد المذكور وقتل منهم كثيراً وأرسل إلى الناصر منهم أربعمائة أسير فأعجب الناصر ذلك وبالغ في الإحسان إليه[2].

رسل السلطان أبي سعيد في مصر:

في هذه السنة حضر مصر رسل السلطان أبي سعيد وهم طوغان بغا وخادمه الخر بدار ورسل من جهة چوبان ومعهم هدايا وتحف كثيرة من خيل وسروج محلاة بالذهب مرصعة بالجواهر وسيف ومنطقة وأربع قطر بخاتي محملة صناديق ملونة الجلود وبرانس الجمال بمحمل وجوخ وغير ذلك من أنواع الثياب النفيسة وقضيت اشغالهم وسفروا[3].

وفاة الوزير علي شاه:

وفي هذه السنة توفي الوزير علي شاه وقد مر الكلام عن وقائعه مع الخواجة رشيد الدين واتفاقهما للوقيعة بالخواجة سعد الدين ثم مخالفته للخواجة رشيد الدين إلى أن سعى بقتله ونال الوزارة بالاستقلال وكان قد شنع على الخواجة رشيد الدين فوجد آذاناً صاغية. . . قال أبو الفداء: «وكان قد بلغ منزلاً عظيماً من أبي سعيد وغيره. وأنشأ بتبريز الجامع الذي لم يعهد مثله ومات قبل إتمامه.

---

(1) الشذرات ج ٦ ص ٦٦.

(2) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٣١.

(3) عقد الجمان ج ٢٢.

وهو الذي نسج المودة بين الإسلام والتتر...» اهـ[1].

وهنا يسمي أبو الفداء السوريين والمصريين بالإسلام وملوك المغول بالتتر مع أنهم أسلموا... وهكذا في كل تعابيره المارة... ومثله من مؤرخي سورية ومصر كثيرون...

وفي الشذرات جاء عنه «فيها - سنة ٧٢٤هـ - توفي وزير الشرق علي شاه ابن أبي بكر التبريزي كان سنياً معظماً لصاحب مصر، محباً له. توفي بأرجان في جمادى الآخرة وقد شاخ.» اهـ[2] ولم يمت من وزراء المغول على فراشه سواه[3]...

وفي الدرر الكامنة هو وزير التتر خدم القآن أبا سعيد وتمكن منه وكان في أول أمره سمساراً وكان محباً لأهل السنة مصافياً للناصر وقد أهدى إليه رقعة بليغة ذهبية وكان مغرى بالعمارة. حتى أنه عمر بستاناً في داخله أربع ضياع بغير اقمين (تنور الحمام) بل ركب قدرها على أربع منافخ للحدادين فكلما أوقدوا نارهم حميت القدر فسخن الماء وأنشأ جامعاً كبيراً بتبريز ومات بأرجان في جمادى الآخرة سنة ٧٢٤هـ وهو في نحو الستين[4].

وجاء في عقد الجمان: «... خدم الوزير رشيد الدين وباع له واشترى وتقرب إليه وبخدمته تقرب إلى الأمير جوبان وحاشيته وكان يسافر ويتاجر لأجل الوزير، ثم جعله الوزير كاتباً في الضياع، ثم تنقل إلى حفظ الأموال وجمعها من البلاد، وكان كريماً سمح النفس مليح العبادة فأوصافه الحميدة أوصلته إلى أن صار نائب الوزير وقوي أمره مع جوبان وصحبه إلى عمل على الوزير رشيد الدين حتى قتل وتولى مكانه

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٩٦.

(٢) ج ٦ ص ٦٣ الشذرات.

(٣) تاريخ كزيده ص ٦٠٦.

(٤) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٤.

إلى أن اتفق ما ذكر من ملاقاة جوبان مع أمراء المغل وساعده بالأموال والتحف والرجال وقام معه قياماً أوجب حفظ صحبته إلى أن انتصر جوبان وقوي أمره، وكان هذا الوزير نسج المودة بينه وبين كريم الدين حتى أنهما اتفقا على الصلح بين الملكين وإخماد الفتن، ونقل أهل البلاد عن كرم هذا الوزير وعن فتوته وإحسانه للغرباء ولمن يرد عليه ومن يقصده. . . وقد وصف صاحب النزهة الجامع الذي انشأه وبناه ببناء لا يقدر أحد أن يبني مثله ونقل وصفه على لسان من سافر مع ايتمش المحمدي المذكور[١].

وفيات

١ ـ نجم الدين بن عكبر:

إبراهيم بن محمد بن عبد الخالق بن محمد بن أبي نصر بن عبد الباقي البغدادي. أبو إسحاق بن أبي عبدالله الملقب نجم الدين المعروف بابن عكبر. سمع الكثير من عمه الجلال عبد الجبار بن عبد الخالق وسمع من عبدالله بن أبي القاسم بن ورخز، ومن محمد بن يعقوب بن أبي الدنية، ومن أبي الفضل محمد بن محمد بن الدباب. وأجاز له يوسف بن محمد بن علي بن سرور الوكيل، وعبد الصمد بن أبي الجيش[٢] وغيرهما. وتوفي في ذي الحجة سنة ٧٢٤هـ. أجازني من

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢.

(٢) هو عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش البغدادي الحنبلي المحدث الإمام بمسجد قمرية. حدث وسمع منه جماعة، وقرأ السبعة على الفخر الموصلي وكثيرين، والفقه وله شعر، وانتهت إليه مشيخة بغداد في الاقراء. ولد سنة ٥٩٣هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ وله ابن اسمه علي كان شيخاً صالحاً. ولي مشيخة المستنصرية بعد موت الشيخ تقي الدين محمود الدقوقي وأم بالمسجد الذي انشأه الإمام الناصر بالجانب الغربي المعروف بقمرية. ولد في ٦ ربيع الآخر سنة ٦٥٦هـ ببغداد عقيب الواقعة «المنتخب».

مدينة السلام (مؤلف الكتاب). قاله في منتخب المختار.

٢ ـ زين الدين أبو الحسن علي الحنبلي:

هو علي بن عبدالله بن عمر بن أبي القاسم البغدادي، أبو الحسن ابن أبي القاسم الحنبلي المقري الملقب زين الدين أخو رشيد الدين محمد. قال الشيخ الإمام سراج الدين أبو حفص عمر بن علي القزويني: وكان مسند بغداد في وقته. مات في ٢٨ ربيع الأول سنة ٧٢٤هـ.

حوادث سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥م)

الغرق في بغداد:

«وقع الغرق ببغداد ودام أربعة أيام وزاد الشط عظيماً وغرق دائر البلد ومنع الناس من الخروج من المدينة وانحصروا ولم يبق حاكم ولا قاض ولا كبير ولا صغير إلا نقل التراب وساعد في عمل السكور لمنع الماء عن البلد وبقيت بغداد كلها جزيرة في وسط ماء ودخل الماء إلى الخندق وغرق كل شيء حول البلد وخربت أماكن كثيرة وجميع الترب والبساتين والدكاكين والمصلى ووقعت (مدرسة الجعفرية) و(مدرسة عبيدالله) وغرقت خزانة الكتب التي بها وكانت تساوي أكثر من عشرة آلاف دينار وصار الرجل إذا وقف على سور البلد لا يرى مد البصر الأسماء وماء وغرق خلق واشتد الخطب وامتنع النوم من الضجات وخوف الغرق ودار الناس في الأسواق مكشفة رؤوسهم وعمائمهم في رقابهم والربعة[1] الشريفة على رؤوسهم وهم يتلون ويستغيثون ويودع بعضهم بعضاً خائفين وجلين أن يخرق الماء من الخندق مقدار خرم ابرة فيهلكون وغلت الأسعار لذلك أياماً ومن العجب ان مقبرة الإمام أحمد

---

(١) الربعة الشريفة القرآن الكريم مفرق إلى اجزائه.

تهدمت قبورها ولم يتغير قبر الإمام أحمد وسلم من الغرق واشتهر ذلك واستفاض. ثم ورد كتاب أن الماء حمل خشباً عظيماً وزنت منه خشبة فكانت ستمائة رطل بالبغدادي وجاء على الخشب حيات كبار خلقهن غريب منها ما قتل ومنها ما صعد في النخل والشجر. ومن الحيات كثير ميت. ولما نضب الماء نبت بالأرض صورة بطيخ شكله على قدر الخيار وفي طعمه فجوجة وأشياء أخر من النبات غريبة الشكل وما يحصي ما خرب من الجانبين إلا اللّٰه تعالى.» اهـ[1].

وفي الشذرات جاء عن هذا الغرق ما نصه: «في جمادى الأولى كان غرق بغداد المهول وبقيت كالسفينة وساوى الماء الأسوار وغرق أمم لا تحصى وعظمت الاستغاثة باللّٰه تعالى ودام خمس ليال وقيل تهدم بالجانب الغربي نحو خمسة آلاف بيت. قال الذهبي ومن الآيات أن مقبرة الإمام أحمد بن حنبل غرقت سوى البيت الذي فيه ضريحه فإن الماء دخل في الدهليز علو ذراع ووقف بإذن اللّٰه تعالى وبقيت البواري عليها غبار حول القبر. صح هذا عندنا[2].

شيخة رباط بغداد:

حجاب بنت عبداللّٰه الشيخة الصالحة كانت شيخة رباط بغداد مشهورة بالصلاح والخير. ماتت في المحرم سنة ٧٢٥هـ[3].

❀ ❀ ❀

---

(١) ابن الوردي ج ٢ ص ٢٧٨.
(٢) ج ٦ ص ٦٦.
(٣) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٦.

حوادث سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٦م)

مهنا وعربه:

أمر سلطان مصر بطرد مهنا وعربه[١]. . .

رسل أبي سعيد إلى الناصر محمد:

في رجب هذه السنة (٧٢٦) حضرت رسل أبي سعيد إلى الناصر محمد وحضر بين هؤلاء يحيى بن ظهر بغا المغلي وكان هذا ينوب أبوه عن أبي سعيد بن خربندا وكانت بينه وبين الناصر محمد قرابة فاستدعاه فحضر مع الرسل فأعطى اباه إمرة أربعين ويحيى إمرة عشرة[٢].

١ ـ وفاة جمال الدين البغدادي:

وفي هذه السنة توفي جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام البغدادي المقري الفقيه الحنبلي الأديب النحوي المتفنن. قرأ بالروايات وسمع الحديث من محمد بن حلاوة، وعلي بن حسين، وعبد الرزاق الفوطي وغيرهم وقرأ بنفسه على ابن الطبال وأخذ عن ابن القواس شارح ألفية ابن معطي الأدب والعربية والمنطق وغير ذلك وتفقه بالشيخ تقي الدين الزريراني وكان معيداً عنده بالمستنصرية قال الطوفي استفدت منه كثيراً وكان نحوي العراق ومقريه عالماً بالأدب له حظ من الفقه والأصول والفرائض والمنطق. وقال ابن رجب نالته في آخر عمره محنة واعتقل بسبب موافقته للشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الزيارة وكتابته عليها مع جماعة من (علماء بغداد): وتخرج به جماعة وتوفي في ١١ شوال ودفن بمقبرة الإمام أحمد[٣]. هذه الفكرة وآراء ابن تيمية

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ٩٨.

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤١٧.

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٦٤ والشذرات ج ٦ ص ٧٤.

اساسها فقه الظاهرية ولم يعدم هذا الفقه من العراق بعد ولا تزال بقية باقية تقول به... فلا يستغرب من شيوع فكرة ابن تيمية في بغداد والقول بها... فهي في الحقيقة مناصرة لصريح الكتاب وواضح نصوصه...

٢ ـ ابن المطهر:

ويعرف عند الشيعة بالعلاّمة وهو الحسن ابن الشيخ يوسف بن علي ابن المطهر الحلي ولد في رمضان سنة ٦٤٨هـ وتوفي في الحلة ليلة السبت ٢١ المحرم سنة ٧٢٦هـ وهو من مشاهير علماء الشيعة والمعول عليهم في الفقه والكلام ومؤلفاته الفقهية لا تزال معتبرة إلى اليوم وغالبها مطبوع وقد مر القول عنه في قبول الجايتو (خدابنده) المذهب الشيعي في أيامه وبتشويق منه عام ٧٠٧هـ وله في الفقه المنتهى والتحرير والتبصرة وغيرها ومن مؤلفاته كتاب الالفين في الامانة، واستقصاء النظر، وإيضاح المقاصد، والباب الحادي عشر، ومن هذه فسخ في دار كتب المشهد الرضوي، والباب الحادي عشر نسخه كثيرة. كما أن مؤلفاته في الاخبار والتفسير والكلام كثيرة وله في المنطق والحكمة والنحو مما لا يسع تعداده وقد انتصب ابن تيمية للرد على كتابه منهاج الكرامة في كتاب منهاج السنة وهو مطبوع وترجمته مبسوطة في روضات الجنات وفي كتب الرجال العديدة. وفي الدرر الكامنة ولا محل للإطالة فللبحث عن نهجه الكلامي والفقهي موطن غير هذا[١]...

٣ ـ ابن الهيتي:

هو ناصر بن أبي الفضل بن إسماعيل المقري الصالحي ابن الهيتي ولد سنة ٦٦ ونشأ جميلاً جداً وكان صوته مطرباً ثم صحب الباجريقي فصار يقع منه كلمات معضلة وسلك سبيل التزهد ودخل بغداد مع ركب

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٧٢.

العراق فيقال إنهم نقموا منه شيئاً فهمّوا به فتوجه إلى ماردين ثم فر منها إلى حلب فجرى على عادته في الشطح فأنكر عليه كمال الدين ابن الزملكاني وهو يومئذ قاضي حلب فقبض عليه وأرسله مقيداً إلى دمشق فقامت عليه البينة بالزندقة فقتل في ربيع الأول سنة ٧٢٦هـ[١]...

حوادث سنة ٧٢٧هـ (١٣٢٧م)

الأمير چوبان وأولاده:

كانت ولا تزال الإدارة والسلطة بيد الأمير چوبان وأولاده. وكان الخواجة دمشق ابن الأمير چوبان ملازماً للسلطان أبي سعيد في السلطانية وفي بغداد شتاء وصيفاً. وأما الأمير چوبان فإن الحالة اقتضت ذهابه إلى خراسان وإن الخواجة دمشق بقي برفقة السلطان وفي أول سنة ٧٢٧هـ جاء ابن بطوطة العراق فوجد السلطان أبا سعيد والخواجة دمشق في بغداد والوزير محمد غياث الدين ابن الخواجة رشيد الدين فشاهد السلطان والأمير الخواجة دمشق والوزير قال:

«كان السلطان ـ ملكاً فاضلاً كريماً ملك وهو صغير السن ببغداد وهو شاب أجمل خلق اللّه صورة لا نبات بعارضيه ولم يحصل له من السلطان إلاّ الاسم والسكة والخطبة ووزيره إذ ذاك الأمير غياث الدين محمد ابن الخواجة رشيد الدين وكان أبوه من مهاجرة اليهود[٢] واستوزره السلطان محمد خدابنده والد أبي سعيد رأيتهما يوماً بحراقة في الدجلة وتسمى عندهم الشبارة وهي شبه سلورة وبين يديه دمشق خواجة

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٧.

(٢) تابع ابن بطوطة في ذلك ما أشيع عنه من قبل اعدائه ومناوئيه... ونظراً للنصوص التاريخية المعروفة أن السلطان اتخذ الأمير غياث الدين محمداً وزيراً بعد الوقيعة بالأمير چوبان...

ابن الأمير جوبان المتغلب على أبي سعيد وعن يمينه وشماله شبارتان فيهما أهل الطرب والغناء ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم أنه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم فأمر لكل واحد منهم بكسوة وغلام يقوده ونفقة تجرى عليه ولما ولي السلطان أبو سعيد وهو صغير كما ذكرنا استولى على أمره أمير الأمراء الجوبان وحجر عليه التصرفات حتى لم يكن بيده من الملك إلا الاسم ويذكر أنه احتاج في بعض الأعياد إلى نفقة ينفقها فلم يكن له سبيل إليها فبعث إلى أحد التجار فأعطاه من المال ما أحب ولم يزل كذلك إلى أن دخلت عليه يوماً زوجة أبيه دنيا خاتون[1] فقالت له لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ما هما عليه فاستفهمها عن مرادها بهذا الكلام فقالت له لقد انتهى أمر دمشق خواجة ابن الجوبان إلى أن يفتك بحرم أبيك وأنه بات البارحة عند طغا خاتون وقد بعث إليّ وقال لي الليلة ابيت عندك وما الرأي إلا أن تجمع الأمراء والعساكر فإذا صعد إلى القلعة مختفياً برسم المبيت أمكنك القبض عليه وأبوه يكفي الله أمره وكان الجوبان إذ ذاك غائباً بخراسان فغلبته الغيرة وبات يدبر أمره فلما علم أن دمشق خواجة بالقلعة أمر الأمراء والعساكر أن يطيفوا بها من كل ناحية فلما كان بالغد وخرج دمشق ومعه جندي يعرف بالحاج المصري فوجد سلسلة معرضة على باب القلعة وعليها قفل فلم يمكنه الخروج راكباً فضرب الحاج المصري السلسلة بسيفه فقطعها وخرجا معاً فأحاطت بهما العساكر ولحق أمير من الأمراء الخاصكية يعرف بمصر خواجة وفتى يعرف بلؤلؤ دمشق خواجة فقتلاه وأتيا الملك أبا سعيد برأسه فرموا به بين يدي فرسه وتلك عادتهم أن يفعلوا برأس كبار أعدائهم وأمر السلطان بنهب داره وقتل من قاتل

---

(١) هذه بنت الملك المنصور نجم الدين غازي الثاني ابن قرا ارسلان وهو عاشر أمراء الايلغازية من بني ارتق وقد مرت الإشارة عن تزوج السلطان خدابنده بها...

من خدامه ومماليكه واتصل الخبر بأبيه الجوبان وهو بخراسان ومعه أولاده أمير حسن وهو الأكبر وطالش وجلو خان[1] وهو أصغرهم وهو ابن أخت السلطان أبي سعيد، أمه ساطي بك بنت السلطان خدابنده ومعه عساكر التتر وحاميتها فاتفقوا على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا إليه فلما التقى الجمعان هرب التتر إلى سلطانهم وأفردوا الجوبان فلما رأى ذلك نكص على عقبيه وفرّ إلى صحراء سجستان وأوغل فيها وأجمع على اللحاق بملك هراة غياث الدين مستجيراً به ومحصناً بمدينته وكانت له عليه أياد سابقة فلم يوافقه ولداه حسن وطالش على ذلك وقالا له إنه لا يفي بالعهد وقد غدر بـ (فيروز شاه) بعد أن لجأ إليه وقتله فأبى الجوبان إلا أن يلحق به ففارقه ولداه وتوجه ومعه ابنه الأصغر جلو خان فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وأدخله المدينة على الأمان ثم غدر به بعد أيام وقتله وقتل ولده وبعث برأسيهما إلى السلطان أبي سعيد وأما حسن[2] وطالش فإنهما قصدا خوارزم وتوجها إلى السلطان محمد الأزبك فأكرم مثواهما وأنزلهما إلى أن صدر منهما ما أوجب قتلهما فقتلهما وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدمرطاش فهرب إلى ديار مصر فأكرمه الملك الناصر وأعطاه الإسكندرية فأبى من قبولها وقال إنما أريد العساكر لأقاتل أبا سعيد وكان متى بعث إليه الملك الناصر بكسوة أعطى هو للذي يوصلها إليه أحسن منها إزراء على الملك الناصر وأظهر أموراً أوجبت قتله فقتله وبعث برأسه إلى أبي سعيد (قد ذكرنا قصته وقصة قراسنقور فيما تقدم) ولما قتل الجوبان جيء به وبولده ميتين فوقف بهما على عرفات وحملا إلى المدينة ليدفنا في التربة التي اتخذها الجوبان

---

(١) في تاريخ الغياثي اسمه جلاو خان.

(٢) وفي الغياثي انه قال لابنيه ومن معهما من الأمراء إنكم عاهدتموني على أن لا تفارقوني حتى حافة القبر فقال ابنه حسن أعلم أن دخولك هراة إلى القبر... «ص ١٦٧ الغياثي».

بالقرب من مسجد رسول اللهﷺ فمنع من ذلك ودفن بالبقيع والجوبان هو الذي جلب الماء إلى مكة شرفها الله تعالى ولما استقل السلطان أبو سعيد بالملك أراد أن يتزوج بنت الجوبان وكانت تسمى بغداد خاتون وهي من أجمل النساء وكانت تحت الشيخ حسن الذي تغلب بعد موت أبي سعيد على الملك وهو ابن عمته فأمره فنزل عنها وتزوجها أبو سعيد وكانت احظى النساء لديه والنساء لدى الأتراك والتتر لهن حظ عظيم وهم إذا كتبوا امراً يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين ولكل خاتون من البلاد والولايات والمجابي العظيمة وإذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة وغلبت هذه الخاتون على أبي سعيد وفضلها على سواها وأقامت على ذلك مدة أيامه ثم إنه تزوج امرأة تسمى بدلشاد[1] فأحبها حباً شديداً وهجر بغداد خاتون فغارت لذلك وسمته في منديل مسحته به بعد الجماع فمات وانقرض عقبه وغلبت امراؤه على الجهات ولما عرف الأمراء أن بغداد خاتون هي التي سمته أجمعوا على قتلها وبدر لذلك الفتى الرومي خواجة لؤلؤ وهو من كبار الأمراء وقدمائهم فأتاها وهي في الحمام فضربها بدبوسه وقتلها وطرحت هنالك أياماً مستورة العورة بقطعة تليس واستقل الشيخ حسن بملك عراق العرب، وتزوج دلشاد امرأة السلطان أبي سعيد كمثل ما كان أبو سعيد فعله من تزوج امرأته[2].

ويلاحظ هنا أن ابن بطوطة كان أول مجيئه إلى العراق أيام السلطان أبي سعيد أوائل عام ٧٢٧هـ كما تقدم ثم إنه عاود العراق بعد انقراض دولة المغول فحكى ما شاهده أولاً وآخراً فجمع كافة ما علمه ورآه في المشاهدات العديدة.

---

(١) هذه بنت دمشق خواجة ابن الأمير جوبان وبعد انقراض حكومتهم تزوجها الشيخ حسن الجلايري على ما سيأتي...

(٢) ص ١٣٨ رحلة ابن بطوطة ج ١.

وفي كلشن خلفا أن السلطان لما وصل حد البلوغ علق بزوجة الشيخ حسن الايلخاني وهي بغداد خاتون بنت الأمير چوبان وله من الشعر فيها :

بيا بمصر دلم تا دمشق جابيني
كه ارزوى دلم درهواي بغداداست[1]

فكان مغرماً قد تيّمَهُ الحب وأخذ بلبه العشق وكبله. ولما شعر الأمير چوبان بالأمر حسب أن ذلك كان عشقاً مجازياً، أو أن ذلك لم يتمكن فيه وعلى هذا سير بغداد خاتون وزوجها الشيخ حسن الايلخاني إلى قره باغ قطعاً لدابر التقولات... أما السلطان فلم يطق صبراً فحرك ركابه نحو من يهوى رضي الچوبان أم لم يرض وحينئذ وافى إلى بغداد خاتون بشوق لا مزيد عليه...

وعلى كل كان في اضطراب ووله... ويصغي لكل تدبير في سبيل نيل أمنيته... وأن من وزرائه الملك نصرة الدين عادل النسوي (البسري) الملقب (صاين وزير) قد بلغ السلطان عن الأمير چوبان أموراً نسب فيها اقبح الأحوال إليه فوجد من السلطان اذناً صاغية... فاطلع على ذلك الخواجة دمشق ابن الأمير چوبان بواسطة بعض الأمراء فأعلم والده بما جرى خفياً واهتم للانتقام من هذا الوزير بعزله وانتزاع الوزارة منه، وأن ينال العقوبة بقتله...

أما السلطان فإنه سار من بغداد إلى السلطانية ولتهمة نسبت إلى الخواجة دمشق ابن الأمير چوبان وسعي من بعض ارباب الاغراض قد قتله السلطان في ٥ شوال من هذه السنة... ولما وصل خبر ذلك إلى

(١) تعالي إلى مصر قلبي لتبصري مكانة دمشق منه إلا أن هوى بغداد قد أخذ بمجامع لبي فأماله إليه...

الأمير چوبان أمر بقتل الوزير وكذا أعدم ركن الدين لأنه كفر نعمته ثم سار بجيش لجب يبلغ نحو السبعين ألفاً فأغار على فيلق السلطان وفي الأثناء وفي القرب من هناك جاء الچوبان إلى الشيخ علاء الدولة وأبدى له ما وقع وطلب أن يقتص من قاتلي ابنه فتوسط الشيخ الموما إليه وطلب من السلطان أن يعدل في القضية ونصحه في ذلك ووعظه وحذره نتائج إهمال ذلك فلم ينل غرضاً منه وأبى عليه ويئس الأمير چوبان فالتهب غيظاً وجزع للمصاب دون أن يجد له ناصراً سوى قوة ساعده وما لديه من أعوان. . . فتأهب للانتقام والمباشرة في الحرب إلا أن أكثر الأمراء مالوا لجانب السلطان وتابعوه كما مر وحينئذ ندم الأمير چوبان ورجع مرة أخرى إلى خراسان مختفياً، هارباً فذهب إلى انحاء هراة والتجأ إلى الملك غياث الدين لحقوقه السابقة بينه وبينه ونظراً للحكم القطعي الصادر من السلطان لم يتمكن من ايوائه فقتله وعلى وصية منه جيء بنعشه إلى المدينة المنورة. . .

ثم إن السلطان أرسل القاضي مبارك شاه إلى الأمير حسن الايلخاني أن يطلق زوجته بغداد خاتون فاضطر إلى مفارقتها خوفاً على حياته فطلقها ثلاثاً ولما انقضت عدتها عقد عليها السلطان وتزوجها[١]. . .

وفي أبي الفداء عن هذه الوقعة ما نصه:

«وكان أبو سعيد ملك التتر صبياً عند موت أبيه خربندا فقام بتدبير المملكة چوبان ولم يكن لأبي سعيد معه من الأمر شيء ولما كبر أبو سعيد ووجد أن چوبان قد استبد به وليس له معه حكم اضمر له السوء وكان چوبان قد سلم الأردو لابنه الخواجة دمشق فحكم على أبي سعيد فاتفق في هذه السنة (سنة ٧٢٧هـ) أن چوبان سار بالعساكر إلى خراسان

(١) كلشن خلفا ورقة ٤٨.

واستمر ابنه الخواجة دمشق حاكماً في الأردو وكان الأردو إذ ذاك بظاهر السلطانية، وكان الخواجة دمشق يذهب سراً بالليل إلى بعض خواتين خربنده فلما خرج شهر رمضان من هذه السنة ودخل شوال توجه الخواجة دمشق في الليل ودخل القلعة ونام عند تلك الخاتون وكان هناك امرأة أخرى عيناً لأبي سعيد عليها فأرسلت تلك المرأة وخبرت أبا سعيد بالخبر واسم المرأة التي هي عين (حجل) ويقلعة السلطانية بابان فأرسل أبو سعيد عسكراً ووقفوا على الباب وأحس الخواجة دمشق بذلك فحمل وخرج من الباب الواحد فضربوه وأمسكوه وقصدوا إحضاره إلى أبي سعيد فأرسل أبو سعيد وقال لهم اقطعوا رأسه وأحضروه فقطعوا رأس الخواجة دمشق وأحضروه بين يدي أبي سعيد وبقي المغل (المغول) يرفسون رأسه وجمع أبو سعيد كل من قدر عليه وخاف من چوبان وأرسل إلى العسكر الذي مع چوبان وخبرهم بأنه قد عادى چوبان ولما بلغ چوبان ذلك سار من خراسان بمن معه من العسكر طالباً أبا سعيد وسار أبو سعيد إلى جهته حتى تقارب الجمعان عند مكان يسمى صاري[1] قامش أي القصب الأصفر وذلك على مراحل يسيرة من الري. ولما تقارب الجمعان فارقت العساكر عن آخرها چوبان ورحلوا عنه إلى طاعة أبي سعيد وذلك في ذي الحجة من هذه السنة فلم يبق مع چوبان غير عدة يسيرة فابتدر چوبان الهرب وقصد نواحي هراة واختفى خبره ثم ظهر في السنة الأخرى ثم عدم قيل إنه قتل بهراة قتله صاحبها وقيل غير ذلك وتتبع أبو سعيد كل من كان من أولاده والزامه فأعدمهم واستقر قدم أبي سعيد في المملكة وكان أبو سعيد يهوى بنت چوبان واسمها بغداد وكانت مزوجة للأمير حسن بن آقبغا وهو من أكبر امراء المغلة (المغول) فطلقها أبو سعيد منه وتزوجها وبقيت عنده في منزلة عظيمة جداً» اهـ[2].

---

(١) ورد بلفظ قماش وهو غلط.

(٢) ج ٤ ص ٩٩ أبو الفداء.

وجاء في الدرر الكامنة:

«چوبان النوين الكبير نائب المملكة القآنية تمكن من المملكة وأباد عدداً كثيراً من المغول وكان ابنه دمشق خواجة قائد عشرة آلاف فلما تنكر له أبو سعيد قتل ابنه دمشق وهرب ابنه تمرتاش إلى القاهرة وسار چوبان إلى هراة فأطلعه واليها إلى القلعة ثم غدر به وقتله وكان صحيح الإسلام كثير النصح للمسلمين أجرى الماء إلى مكة حتى لم يكن الماء يباع بها وأنشأ مدرسة بالمدينة مجاورة للحرم الشريف وكان اعظم الأسباب في تقرير الصلح بين أبي سعيد والناصر. ولما نزل خربندا على الرطبة ونصب المجانيق رمى تمس قراسنقر حجراً يضيع (كذا) القلعة فأحضر چوبان المنجنيق وهدده بعد أن سبه لئن عدت سمرتك على سهم المنجنيق وكان ينزع النصل من النشاب ويكتب عليه إياكم أن ترعبوا فهؤلاء ما عندهم ما يأكلونه واجتمع بالوزير وقال له ماذا يقول الناس إذا غلب خربندا على الرطبة وسفك دم أهلها وهدمها في هذا الشهر العظيم وكان شهر رمضان. أما كان عنده نائب مسلم ولا وزير مسلم فدخلا إلى خربندا وحسنا له الرحيل عنها وأن يطلب اكابرها ويخلع عليهم ويعطيهم الأمان ففعل فكان حقن دماء المسلمين على يدي الچوبان وكانت ابنة چوبان زوج أبي سعيد فنقلت والدها لما قتل إلى المدينة الشريفة ليدفن في تربته التي بناها بمدرسته فوصلوا به لكن لم يمكنوا من الدفن بمنع السلطنة فدفنوه بالبقيع وكان قتله سنة ٨٢٨هـ وهو ابن ستين سنة. وكان بطلاً شجاعاً عالي الهمة، مهيباً، شديد الوطأة، كبير الشأن، كثير الأموال. . .» اهـ «وكان قد منع من دفنه بمدرسته طفيل بن منصور بن جماز أمير المدينة المنورة فدفن بالبقيع ومات طفيل هذا في رمضان سنة ٧٥٢»[1]

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٢٣ وج ١ ص ٥٤٢.

وعلى كل نكب الأمير چوبان وأولاده واستقل السلطان أبو سعيد بالحكم وكان وزيره غياث الدين محمد ابن الخواجة رشيد الدين ومهما يكن السبب ومهما يكن نوع التقولات فقد بلغت ادارتهم الغاية ولم يتحمل القوم سلطتهم وثاروا عليهم مرة قبل هذا فلم ينجحوا... وفي هذه المرة غروا السلطان فكانوا معه عليهم... وبالنتيجة قتل آخرهم التمرطاش...

والچوبان هذا من قبيلة (سلدوز)[1] وقد مر ذكرها بين قبائل المغول والتتر وذكر له الغياثي أعمال خير وبرّ أهمها أنه أجرى بمكة المكرمة ماء القناة التي كانت مندرسة من زمن الخلفاء وأنقذ الناس من الضيق وقلة الماء إلى سعته فقد نقل أن قربة الماء الملح بيعت بمكة زمان الحج بعشرين درهماً طاهرية وكان الحصول عليها عسراً فصارت بعد إخراج القناة تباع بربع درهم مع السعة فيها وكان يفضل من الماء شيء كثير يزرع به الخضر في مدينة مكة وينتفع به الناس أيام الحج وغيرها[2]...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الوزارة في هذا العهد:

إن الوزارة بعد قتلة دمشق خواجة عهدت إلى غياث الدين محمد ابن الخواجة رشيد الدين وأشرك معه الخواجة علاء الدين محمد بن الصاحب عماد الدين إلا أنه بعد ستة أشهر أو ثمانية استقل غياث الدين وحده بالوزارة... ودام فيها إلى آخر أيام السلطان أبي سعيد...

ولي الوزارة سنة ٧٢٧هـ وبين له السلطان أنه من حين فارق والده لم يجد من يصلح للإدارة ويقوم بأعباء الأمور كما هو المطلوب وهذا

(١) وينطق بها سلدوس راجع شجرة الترك.

(٢) تاريخ الغياثي ص ١٦٨ وفيه موافقة لابن بطوطة.

الوزير الجديد أبدى من المقدرة والحنكة في أيام هذا السلطان ما أوجب رضاه وقام بما قام به والده وزيادة أيام السلطان غازان والسلطان محمد خدابنده[1]...

ترتيب السلطان:

قد مر الكلام عن ترتيب سلطنة المغول وجلوس ملوكها وقد حدثنا هذه المرة ابن بطوطة عن ترتيب ملوكهم وعادتهم في حلهم ورحيلهم، بين منهم من شاهده بأم عينه وهو السلطان أبو سعيد ليقاس عليه سائرهم قال:

«وعادتهم أنهم يرحلون عند طلوع الفجر وينزلون عند الضحى وترتيبهم أنه يأتي كل أمير من الأمراء بعسكره وطبوله وأعلامه فيقف في موضع لا يتعداه قد عين له إما في الميمنة أو الميسرة فإذا توافوا جميعاً وتكاملت صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وبوقاته وأنفاره وأتى كل أمير منهم فسلم على الملك وعاد إلى موقفه ثم يتقدم أمام الملك الحجاب والنقباء ثم يليهم أهل الطرب وهم نحو مائة رجل عليهم الثياب الحسنة وتحتهم مراكب السلطان وأمام أهل الطرب عشرة من الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات وهي تسمى عندنا بالغيطات فيضربون تلك الأطبال والصرنايات ثم أمسكوا وغنى عشرة من أهل الطرب نوبتهم فإذا قضوها ضربت تلك الأطبال والصرنايات ثم أمسكوا وغنى عشرة آخرون نوبتهم إلى أن تتم عشر نوبات فعند ذلك يكون النزول ويكون عن يمين السلطان وشماله حين سيره كبار الأمراء وهم نحو خمسين ومن ورائه أصحاب الأعلام والأطبال والأنفار والبوقات ثم مماليك السلطان ثم الأمراء على مراتبهم

---

(١) تاريخ كزيده ٦١٠.

وكل أمير له أعلام وطبول وبوقات ويتولى ترتيب ذلك كله أمير جندار[1] وله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف عن فوجه وجماعته أن يؤخذ تماقه فيملأ رملاً ويعلق في عنقه ويمشي على قدميه حتى يبلغ المنزل فيؤتى به إلى الأمير فيبطح على الأرض ويضرب خمساً وعشرين مقرعة على ظهره سواء كان رفيعاً أو وضيعاً لا يحاشون من ذلك أحداً وإذا نزلوا ينزل السلطان ومماليكه في محلة على حدة وتنزل كل خاتون من خواتينه في محلة على حدة ولكل واحدة منهن الإمام والمؤذنون والقراء والسوق وينزل الوزراء والكتاب وأهل الاشغال على حدة وينزل كل أمير على حدة ويأتون جميعاً إلى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة والمشاعل بين أيديهم فإذا كان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي الملكة ثم أطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم أطبال الأمراء دفعة واحدة ثم يركب أمير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم أثقال السلطان وزاملته وأثقال الخواتين ثم أمير ثان في عسكر له يمنع الناس من الدخول فيما بين الأثقال والخواتين ثم سائر الناس[2].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

---

(١) جمعه جنادرة وفسرهم ابن بطوطة في صحيفة ١٣٤ بأنهم الشرط إلى الحاكم وأما في غيره فالجاندار أو الجندر أصله جنكدار فخفف فهو حرس ذات الملك فارسي.

(٢) تحفة النظار ج ١ ص ١٤٠ وتحفة النظار هذه هي رحلة ابن بطوطة وقد اعتنى الغربيون بطبعها وكذا الترك ولهذه مختصرات عربية تداولتها الأيدي وترجمت إلى اللغات الاجنبية، وفي استانبول عدة نسخ منها مفصلة وطبعت باتقان في الممالك الأوروبية. أما الترك فقد طبعوا لها ترجمة في الاستانة في ٢٨ شوال سنة ١٢٩٠ إلا أنها ناقصة ولا تحتوي على ما في الأصل تماماً، وفي سنة ١٣٣٥هـ طبعت ترجمتها التركية باتقان ترجمها محمد شريف الداماد في ثلاث مجلدات أحدها يحتوي فهارسها وعليها تعاليق مفيدة ومقابلة بنسخ عديدة. . .

وفيات:

١ ـ شمس الدين أبو عبدالله محمد الوراق الموصلي: (ابن خروف) هو شمس الدين أبو عبدالله بن علي بن القاسم بن أبي العز بن الوراق الموصلي المقري الفقيه الحنبلي المحدث النحوي ويعرف بابن خروف ولد في حدود الأربعين وستمائة بالموصل وقرأ بها القراءات على عبدالله بن إبراهيم الجزري الزاهد وقصد الإمام أبا عبدالله شعلة ليقرأ عليه فوجده مريضاً مرض الموت ثم رحل ابن خروف إلى بغداد بعد الستين وقرأ بها القراءات بكتب كثيرة في السبع والعشر على الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش ولازمه مدة طويلة وقرأ القراءات أيضاً على أبي الحسن ابن الوجوهي وسمع الحديث منهما ومن أبي وضاح وذكر الذهبي أنه عني بالحديث وقرأ في التفسير على الكواشي المفسر بالموصل وقرأ بها أيضاً على الغزنوي معالم التنزيل للبغوي وتصدى للإقراء والاشتغال ببلده مدة وقرأ عليه جماعة وقدم الشام سنة سبع عشرة فسمع منه الذهبي والبرزالي وذكره في معجمه وأثنى عليه وسمع منه أيضاً أبو حيادة وعبد الكريم الحلبي وذكره في معجمه ورجع إلى بلده الموصل فتوفي به في ثامن جمادى الأولى ودفن بمقبرة المعافى بن عمران رضي الله عنه، وفي الدرر الكامنة تفصيل ترجمته[١].

٢ ـ أحمد ابن الزكي بن عبدالله الموصلي: الجزري الجندي شهاب الدين نائب البيسري كان من اجناد الحلقة سمع من تاج الدين محمد بن محمد بن سعد الله ابن الوزان وحدث بمشيخته أخذ عنه الذهبي والبرزالي وابن رافع. مات بالمزة في المحرم سنة ٧٢٧هـ أو في جمادى الأولى[٢].

---

(١) ج ٤ ص ٧٧.

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٣٣.

٣ ـ النظام: هو الحسن بن علي بن مسعود بن حسين التكريتي المنعوت بالنظام قال ابن رافع في ذيل تاريخ بغداد كان اسمه حسيناً ثم اشتهر بحسن وكان أهله ببخارا فلما كثرت المصادرات بالموصل تحول بحلب وكان يقيم بمقصورة الحلبيين مدة وحفظ التنبيه ومات في رمضان سنة ٧٢٧هـ[١].

٤ ـ محيى الدين ابن الصباغ: هو صالح بن عبد اللّٰه بن جعفر بن علي بن صالح الأسدي الحنفي الكوفي. كان فريداً في علوم التفسير والفقه والفرائض والأدب نادرة العراق في ذلك مع الزهد والفضل والورع. وطلب لرياسة الحنفية بالمستنصرية فامتنع، مات في ٢٧ صفر سنة ٧٢٧هـ وله ٨٨ سنة. قال صاحب الدرر الكامنة: حدثنا صاحبنا القاضي تاج الدين النعماني قاضي بغداد بعد العشرين وثمانمائة بدمشق عن عمه حسام الدين عن محيي الدين أبي الفضل صالح ابن الشيخ تقي الدين عبد اللّٰه ابن الصباغ الكوفي الراشدي وهذا هو الحق في اسمه وصفته[٢]...

وبعد أن صحح صاحب الدرر هذا التصحيح عاد فذكره باسم عبداللّٰه بن جعفر بن صالح الأسدي محيي الدين وذكر وفاته في تلك السنة ونقد نقله هذا وقال وقد تقدم فما أدري ما هذا[٣]...

وفيها أنه أخذ عنه المطري وابن الفصيح فخر الدين وأجاز لتقي الدين بن رافع، كما أنه أجاز له الصاغاني والموفق الكواشي[٤]...

ملحوظة: سيأتي الكلام على النعماني وعلى الجامع المنسوب إليه في موطنه من (تاريخ الجلايرية).

❁ ❁ ❁

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢٨٢.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠١.

(٣) ج ٢ ص ٢٥٣.

(٤) كذا.

حوادث سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م)

أمير الموصل ـ أمير بغداد:

في هذه السنة كان أمير الموصل السيد علاء الدين علي بن شمس الدين محمدالملقب بحيدر، كان كريماً، فاضلاً، وله صدقات ومكارم وانعامات، وله حرمة عند السلطان أبي سعيد فوض إليه الموصل والأنحاء المجاورة لها... وقد أثنى عليه ابن بطوطة في رحلته... أما أمير بغداد في هذه الأيام فكان يدعى الخواجة معروف[1]...

وهنا يلاحظ أن النصوص التاريخية جاءتنا مبتورة، ومفرقة وقد ذكرنا مراراً أنها أساساً وأصلاً لا تخص العراق وما جاء إنما ورد عرضاً فلم نجد بياناً شافياً عن حوادث بغداد وما والاها بصورة تفصيلية...

رسل السلطان أبي سعيد:

في هذه السنة وصلت مصر رسل السلطان أبي سعيد مبشرة بهروب الأمير جوبان ونصرة السلطان أبي سعيد عليه واستقراره في الملك وأنه مقيم على الصلح والمحبة وقصدوا من صاحب مصر استمرار الصلح فأكرم السلطان رسل أبي سعيد وأنعم عليهم بما يليق وذلك في ٢٨ المحرم سنة ٧٢٨هـ وكان الرسل ثلاثة نفر كبيرهم شيخ كأنه كردي الأصل يسمى أرش بغا، والثاني اباجي، والثالث برجا قرابة الأمير بدر الدين جنكي. وكان يوماً مشهوداً وأنعم السلطان على كل من في صحبتهم من أتباعهم وكانوا نحو مائة وسافر الرسل المذكورون يوم الأربعاء مستهل صفر وعادوا إلى أبي سعيد...

---

(١) تحفة النظار ج ١ ص ١٤٢ وص ١٤٠.

قتلة تمرتاش ابن الامير چوبان:

كان تمرتاش صاحب بلاد الروم في حياة أبيه واستولى على جميع بلادها من قونية إلى قيسارية وغيرهما من البلاد المذكورة فلما انقهر أبوه وهرب ضاقت بتمرتاش الأرض ففارق بلاده وسار إلى الشام ثم منها إلى مصر قاصداً السلطان وكانت نفس المذكور كبيرة جداً بسبب كبر أصله في المغل (المغول) وكبر منصبه ولم يكن له عقل يرشده... وصل المذكور إلى السلطان بالديار المصرية في العشر الأول من ربيع الأول فأنعم عليه السلطان الانعامات الجليلة وعرض عليه أمرة كبيرة وإقطاعاً جليلاً فأبى أن يقبل ذلك وأن يسلك ما ينبغي واتفق أن الصلح قد انتظم بين السلطان وبين أبي سعيد. وكان أبو سعيد يكاتب ويطلب تمرتاش المذكور وانضم إلى ذلك ما بلغ السلطان عنه أنه أخذ أموال أهل بلاد الروم وظلمهم الظلم الفاحش فأمسكه السلطان واعتقله في أواخر شعبان من هذه السنة. ثم حضر اباجي رسول ابي سعيد فبالغ في طلب تمرتاش المذكور فاقتضت المصلحة إعدامه فأعدم تمرتاش المذكور في ٤ شوال من هذه السنة بحضرة اباجي رسول أبي سعيد[١]. وفي ابن بطوطة ما يوضح الأسباب أكثر... وقد مر الكلام على ذلك...

وقد ذكر صاحب الدرر الكامنة عنه أنه كان شجاعاً فاتكاً إلا أنه خف عقله فزعم أنه المهدي فرده والده عن هذا المعتقد ثم ولاه أبو سعيد الحكم في بلاد الروم وكان جواداً مفرطاً ثم وقع له بعد قتل أخيه دمشق خواجة خوف من أبي سعيد ففر إلى الناصر محمد فتلقاه بالإكرام وصيره أميراً، وكانت المهادنة بين الناصر وأبي سعيد فكتب أبو سعيد يطلب منه إرسال تمرتاش فامتنع من إرساله ثم أمر بقتله وإرسال رأسه وتأسف الناس عليه وأرسل الناصر يقول قد أرسلت لك رأس غريمك

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١٠٢.

فأرسل إليّ رأس غريمي يعني قراسنقر فلم يصل الكتاب إلا بعد موت قراسنقر فكتب أبو سعيد إلى الناصر أنه مات حتف أنفه ولو كنت أنا قتلته لأرسلت لك برأسه. وكان قتل تمرتاش في شهر رمضان سنة ٧٢٨هـ[١].

وفيات:

١ ـ مدرس المستنصرية العاقولي (جامعه):

وهو الشيخ جمال الدين عبدالله بن محمد بن علي ابن العاقولي الواسطي الشافعي مدرس المستنصرية قال ابن قاضي شهبة في طبقاته مولده في رجب سنة ٦٣٨ وسمع الحديث من جماعة واشتغل وبرع وقال ابن كثير درس بالمستنصرية مدة طويلة نحو ٤٠ سنة وباشر نظر الأوقاف وعين لقضاء القضاة في وقت وأفتى من سنة سبع وخمسين وإلى أن مات وذلك إحدى وسبعون سنة وهذا شيء غريب جداً وكان قوي النفس له وجاهة في الدولة كم كشفت به كربة عن الناس بسعيه وقصده وقال السبكي: ولي قضاء القضاة بالعراق، وقال الكتبي انتهت إليه رئاسة الشافعية ببغداد ولم يكن يومئذ من يماثله ولا يضاهيه في علومه وعلو مرتبته وعين لقضاء القضاة فلم يقبل توفي في شوال ببغداد وله تسعون سنة وثلاثة أشهر ودفن بداره وكان وقفها على شيخ وعشرة صبيان يقرأون القرآن ووقف عليها أملاكه كلها[٢].

وداره الآن جامع ولا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى اليوم (جامع العاقولية).

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٥١٨.

(٢) «الشذرات ج ٦» و «الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٩٩» و «تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٣٨١» و «طبقات السبكي».

٢ ـ ابن الدواليبي: هو عفيف الدين أبو عبدالله محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن البغدادي ابن الخراط الحنبلي مرت ترجمته منقولة عن عقد الجمان عند ذكر وفيات سنة ٧١٨هـ إلا أن المؤرخين الآخرين عينوا تاريخ وفاته في هذه السنة ويعرف بابن الدواليبي وترجمته مبسوطة في الدرر الكامنة وفي تذكرة الحفاظ وقد نعتوه بمسند العراق شيخ المستنصرية، ولد في ربيع الأول سنة ٦٣٨هـ سمع من عجيبة وابن أبي الخير وابن قميرة وطائفة[1]...

ابن الخراط الدواليبي:

إن ترجمته ذكرت مكررة في هذا الكتاب والصحيح أنه من وفيات هذه السنة قال في منتخب المختار:

«ومحمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن بن عبد الغفار البغدادي، أبو عبدالله بن أبي محمد الحنبلي الواعظ، عفيف الدين المعروف بابن الدواليبي ويابن الخراط. أجاز له جماعة.. كان شيخاً صالحاً، معمراً، مسنداً... وله شعر حسن. ذهبت اثباته واجازاته في واقعة بغداد... تولى مشيخة دار الحديث المستنصرية. ولد سنة ٦٣٨هـ ببغداد وتوفي سنة ٧٢٨هـ.» اهـ. باختصار.

وفي الدرر الكامنة:

«كان حسن المحاضرة، طيب الاخلاق، أخذ عنه جمع منهم ابن الفوطي، والبرزالي، وعمر القزويني وآخرون... وانتهى إليه علو الاسناد ببغداد. وله نظم وكان ينظم (كان وكان) وغير ذلك...» اهـ.

٣ ـ قراسنقر: مر الكلام على وفاته وعمر جوامع ومساجد وكان ذا

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٨ وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٧٩.

فهم ودهاء وهرب إلى التتر فأقام عندهم محترماً وأقطعوه مراغة وجاوز التسعين[1]...

٤ ـ أحمد بن محمد بن إسماعيل الدبلي (التعجيزي): ويعرف بالتعجيزي لحفظه كتاب التعجيز وكان ينظم الشعر بغير إعراب ولا تصور معنى. وذكر له صاحب الدرر الكامنة بعض النماذج. توفي في شعبان سنة ٧٢٨هـ[2].

حوادث سنة ٧٢٩هـ (١٣٢٨م)

رسول أبي سعيد:

في هذه السنة توجه إلى الرطبة رسول أبي سعيد وهو رسول كبير يسمى تمر بغا وحضر إلى السلطان وكان حضوره بسبب أن أبا سعيد سأل الاتصال بالسلطان وأن يشرفه السلطان بأن يزوجه ببعض بناته ووصل مع الرسول المذكور ذهب كبير لعمل مأكول وغيره يوم العقد فأجابه السلطان بجواب حسن وأن اللاتي عنده صغار ومتى كبرن يحصل المقصود وعاد تمر بغا الرسول بذلك[3].

نائب الملك أبي سعيد:

في يوم الاثنين ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٢٩هـ استقر الشيخ حسن ابن عمة أبي سعيد أخت غازان وخربندا في منصب نائب الملك عوضاً عن الأمير چوبان وهو منصب أمير الأمراء. والشيخ حسن هذا هو زوج بغداد خاتون ابنة چوبان الذي رسم له بطلاقها[4]...

---

(١) ابن الوردي ج ٢ ص ٣٨٩.

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٥٧.

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ١٠٣.

(٤) عقد الجمان ج ٢٣.

وفيات:

١ ـ الزريراتي البغدادي: وهو الإمام تقي الدين أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن أبي البركات بن أحمد الزريراني[1] ثم البغدادي الحنبلي فقيه العراق ومفتي الآفاق ولد في جمادى الآخرة سنة ٦٦٨هـ وسمع الحديث من إسماعيل ابن الطبال وخلائق وتفقه ببغداد على جماعة منهم الشيخ مفيد الدين الحربي وغيره ثم ارتحل إلى دمشق فقرأ بها المذهب على الشيخ زين الدين بن المنجا والشيخ مجد الدين الحراني ثم عاد إلى بلده وبرع في الفقه وأصوله ومعرفة المذهب والخلاف والفرائض ومتعلقاتها وكان عارفاً بأصول الدين وبالحديث وبأسماء الرجال والتواريخ وباللغة والعربية وغير ذلك وانتهت إليه معرفة الفقه بالعراق. قال ابن رجب: انتهت إليه رياسة العلم ببغداد من غير مدافع وأقر له الموافق والمخالف وكان الفقهاء من سائر الطوائف يجتمعون به ويستفيدون منه في مذاهبهم ويتأدبون معه ويرجعون إلى قوله ويردهم عن فتاويهم ويذعنون له ويرجعون إلى ما يقوله حتى ابن مطهر شيخ الشيعة[2] كان الشيخ يبين له خطأه في نقله لمذهب الشيعة فيذعن له ويوم وفاته قال الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن عسكر شيخ المالكية: لم يبق ببغداد من يراجع في علوم الدين مثله، وقرأ عليه جماعة من الفقهاء وتخرج به ائمة وأجاز الجماعة وولي القضاء. توفي ببغداد ليلة الجمعة ثاني عشري جمادى الأولى ودفن بمقابر الإمام أحمد قريباً من القاضي أبي يعلى[3].

---

(١) ورد في الشذرات الدريراني وقد تكرر بلفظ الزريراني وفي الدرر الكامنة جاء بلفظ الزريراتي وقد انتاب هذا اللفظ غلط نساخ فورد زديراتي، وزريرداني.

(٢) مرت ترجمته في حوادث سنة ٧٢٦هـ.

(٣) الشذرات ج ٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٨٩.

حوادث سنة ٧٣٠هـ (١٣٢٩م)

وفيات:

١ ـ وفاة أبي رزين ثابت بن أحمد بن ثابت الموصلي: السلامي. سمع من يوسف ابن المجاور وحدث وكان رجلاً عاقلاً حج مرات. مات بعد سنة ٧٣٠هـ[١].

٢ ـ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن نصر الموصلي: الإمام نجم الدين ابن الشحام الشافعي ولد سنة ٦٥٣ وتفقه ببلاده ثم قدم دمشق سنة ٧٢٤ وولي مشيخة خانقاه القصرين ودرس بالجاروخية والظاهرية البرانية وكان يعرف الفقه على مذهب الشافعي والطب. مات في ربيع الآخر سنة ٧٣٠هـ[٢].

٣ ـ محمد بن أسعد التستري: عرف بالعلم والفهم ثم ضعف بقلة الدين والرفض وترك الصلاة.. وكان فقيهاً فائقاً في الأصلين والمنطق والحكمة وله شرح ابن الحاجب والبيضاوي والطوالع والمطالع والغاية القصوى قدم الديار المصرية سنة ٧٢٧ فأقام بها قليلاً ثم رجع فكان يصيف بهمذان ويشتي ببغداد مات سنة ٧٣٠هـ ونيف.

٤ ـ المعافى الموصلي: هو جمال الدين المعافى بن إسماعيل بن الحسين بن الحسن بن أبي السنان الموصلي. وكان فاضلاً، عارفاً بمذهب الشافعي وهو من طبقة الرافعي، وأجاز للتقي... وله من المصنفات:

١ ـ الكامل في الفقه. جمع فيه بين الطريقين، ومشى فيه على ترتيب التتمة.

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٢٩.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٥.

٢ ـ كتاب انس المنقطعين.

٣ ـ «البيان في التفسير».

مات بالموصل سنة ٧٣٠هـ وقد قارب الثمانين[١]. وجاء في كشف الظنون في مادة الكامل في الفروع ما يخالف هذا.

٥ ـ مؤرخ مغولي:

في هذه السنة توفي فخر الدين أبو سليمان داود البناكتي. وبناكت مدينة من بلاد ما وراء النهر تقع في الجانب الايمن من نهر سيحون بجوار جدول ايلاق المسمى اليوم انكرن (اهنكران). وهذه البلدة خربها جنگيز وأعاد بناءها تيمور باسم (شاهرخية)، واشتهر بالانتساب إليها هذا المؤرخ وكان شاعراً مفلقاً أيام السلطان غازان ولقبه بـ(ملك الشعراء). وفي أيام الجايتو لم ينل مكانة ولكنه استعاد منزلته في أيام أبي سعيد وقدم له تاريخه (روضة اولي الألباب) المذكور في حوادث سنة ٧١٧هـ في المستدركات. وتاريخه لا يزال موجوداً. وكان عالماً، فاضلاً، أورد له دولتشاه السمرقندي مقطوعة من شعره وأثنى عليه. وترجمه مؤرخون كثيرون[٢]...

حوادث سنة ٧٣١هـ (١٣٣٠م)

وفاة علي بن إسحاق بن لؤلؤ:

علي بن إسحاق بن لؤلؤ الموصلي: هو علاء الدين ابن المجاهد بدر الدين صاحب الموصل ولد سنة ٦٥٧ بالجزيرة وقدم القاهرة فسمع

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٧٩ في ترجمة رقم ١٢٨٠.

(٢) تذكرة الشعراء ص ١٤٩ـ ١٥٠ وتاريخ مفصل ايران ص ٥٢٠ وإسلامده تاريخ ومؤرخلر ص ٣١٤.

بها وقرر في الاجناد في القاهرة. مات في ربيع الآخر سنة ٧٣١هـ[١].

حوادث سنة ٧٣٢هـ (١٣٣١م)

وفيات:

١ ـ الدجيلي: سراج الدين أبو عبدالله الحسين بن يوسف بن محمد بن أبي السري الدجيلي ثم البغدادي الفقيه الحنبلي المقرىء الفرضي النحوي الأديب ولد سنة ٦٦٤هـ وسمع الحديث ببغداد من إسماعيل بن الطبال ومفيد الدين الحربي الضرير وابن الدواليبي وغيرهم وبدمشق من المزي والحافظ وغيره وله اجازة من الكمال البزاز وجماعة من القدماء وعني بالعربية واللغة وعلوم الأدب وتفقه على الزريراني وكان في مبدأ أمره يسلك طريق الزهد والتقشف البليغ والعبادة الكثيرة ثم فتحت عليه الدنيا وكان له مع ذلك أوراد ونوافل وصنف كتاب الوجيز في الفقه وعرضه على شيخه الزريراني وصنف كتاب نزهة الناظر وكتاب تنبيه الغافلين وغير ذلك. توفي ليلة السبت سادس ربيع الأول ودفن بالشهيد قرية من أعمال دجيل[٢].

٢ ـ أبو الفداء: السلطان الملك المؤيد إسماعيل ابن الملك الأفضل علي صاحب حماة مؤلف التاريخ المعروف بتاريخ أبي الفداء وله تصانيف أخرى مثل نظم الحاوي وتقويم البلدان... وقد مر وصف تاريخه وهو عمدة في أخباره إلا أن الأعلام لم تضبط وقد لعبت بها أيدي النساخ اعتمد على تاريخ المنشىء النسوي المعروف بالمنكبرتي في تاريخ المغول وعلاقاتهم بخوارزم شاه وقد طبع هذا المأخذ فكان خير مكمل لتاريخ أبي الفداء... وترجمته في كتاب

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٣.

(٢) الشذرات ج ٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٨.

أبي الفداء ص ١٠٨ وفي ابن الوردي وغيرهما...

٣ ـ مدرس المستنصرية: العلاّمة شهاب الدين أبو أحمد عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكي البغدادي مدرس المستنصرية وله مصنفات في الفقه وكان حسن الأخلاق ولد سنة ٦٤٤هـ بباب الازج وبلغ ٨٨ سنة[١]. قال في الدرر وتعانى التصوف... وصنف عمدة السالك والناسك وغير ذلك مات في شوال سنة ٧٣٢هـ وهو والد الفقيه شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن الذي درس بعده[٢] وفي منتخب المختار ايضاح اكثر. قال: «عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي المالكي أبو محمد وأحمد الملقب شهاب الدين مدرس المستنصرية. سمع من عماد الدين بن ذي الفقار محمد بن أشرف العلوي... سمع منه شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد الكازروني. وكان صاحب أخلاق حسنة وتواضع على طريق الصوفية يوافقهم في السماع، محبوباً إلى الطوائف من لطفه، وترك الناموس في المركوب والملبوس وسافر كثيراً ودخل اليمن. وله مصنفات في المذهب وغيره، منها جامع الخيرات والأذكار والدعوات، والمعتمد في الفقه، وشرحه، وعمدة الناسك وإرشاد السالك، والعدل في شرح العمدة، والإشارة، والنور المقتبس.. مولده في المحرم سنة ٦٤٤هـ بمحلة البصلية بباب الازج. وتوفي يوم الخميس ١١ من شوال سنة ٧٣٢هـ.» اهـ.

٤ ـ تقي الدين إبراهيم الجعبري: هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم ابن خليل بن أبي العباس الجعبري الخليلي. وكان يقال له شيخ الخليل، ولقبه ببغداد تقي الدين وبغيرها برهان الدين ويقال له أيضاً ابن السراج واشتهر بالجعبري واستمر على ذلك. سمع في صباه سنة نيف وأربعين

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١١٠ والشذرات ج ٦.

(٢) ج ٢ ص ٣٤٤.

من كمال الدين محمد بن سالم المنبجي ابن البواري قاضي جعبر... ورحل إلى بغداد بعد الستين فسمع بها من الكمال ابن وضاح والعماد بن أشرف العلوي وعبد الرحمن ابن الزجاج وغيرهم. تلا بالسبع على الوجوهي علي بن عثمان بن عبد القادر صاحب الفخر الموصلي وسكن دمشق مدة ثم ولي مشيخة الخليل إلى أن مات بها وصنف نزهة البررة في القراءات العشرة وشرح الشاطبية وشرح الرائية والتعجيز من نظمه في النثر وله عروض ومناسك إلى غير ذلك من التصانيف المختصرة التي تقارب المائة. مات في رمضان سنة ٧٣٢ وقد جاوز الثمانين[١].

٥ ـ سوتاي التتري: هو النوين الحاكم على ديار بكر ولد في حدود سنة ٦٤٠ أو قبلها وحضر واقعة بغداد وكان أمير آخور عند ابغا ملك التتار معظماً عند جميع ملوكهم ثم تولى أمرة ديار بكر بعد وفاة النوين ابك (ايبك) واستمر بها إلى أن مات قرب الموصل سنة ٧٣٢ ويقال إنه بلغ المائة ورأى أربعة بطون من أولاده وأولادهم حتى انافوا على الأربعين وكان قد أضر قبل موته بسنوات. قال ابن حبيب في ترجمته: كان محبباً إلى الرعية له حزم وسياسة وعمر طويلاً[٢].

وخلفه ابنه طغاي فحاربه علي باشا خال أبي سعيد فلم يزل يقاومه حتى قتل علي ثم قتله إبراهيم شاه أخو علي سنة ٧٤٣ وكان ردءاً للمسلمين في مدافعة التتر[٣].

حوادث سنة ٧٣٣هـ (١٣٣٢م)

وفيات:

١ ـ الشيخ علي الواسطي: هو الإمام القدوة الولي الشيخ علي بن

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٥١.
(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٧٩.
(٣) كذا ج ٢ ص ٧٢١.

الحسن الواسطي الشافعي كان من أعبد البشر ومات ببدر محرماً قاله في العبر. وترجمه في الدرر الكامنة قال: وكان متعبداً متجمعاً، له كرامات وأحوال وكان كبير الشأن منقطع القرين منجمعاً عن الناس وله كشف وحال وله محبون يتغالون في تعظيمه وكان على طريقة السلف في العقيدة[١] . . .

٢ ـ الدقوقي شيخ المستنصرية: هو تقي الدين أبو الثناء بن علي ابن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقي ثم البغدادي الحنبلي المحدث الحافظ ولد سنة ٦٦٣هـ وسمع الكثير بإفادة والده من عبد الصمد بن أبي الجيش وعلي بن وضاح وابن الساعي وعبدالله بن بلدجي وعبد الجبار بن عكبر وغيرهم وأجاز له جماعة كثيرة من أهل العراق والشام ثم طلب بنفسه وقرأ ما لا يوصف كثرة وكان يجتمع عنده في قراءة الحديث آلاف وانتهى إليه علم الحديث والوعظ ببغداد ولم يكن بها في وقته أحسن قراءة للحديث منه ولا معرفة بلغاته وضبطه ولي مشيخة المستنصرية وله اليد الطولى في النظم والنثر وإنشاء الخطب وكان لطيفاً حلو النادرة مليح الفكاهة ذا حرمة وجلالة وهيبة ومنزلة عند الأكابر وجمع عدة أربعينات في معان مختلفة وله كتاب مطالع الأنوار في الأخبار والآثار الخالية عن السند والتكرار، وكتاب الكواكب الدرية في المناقب العلوية وتخرج به جماعة في علم الحديث وانتفعوا به وسمع منه خلق وحدث عنه طائفة وتوفي يوم الاثنين بعد العصر في العشرين من المحرم ببغداد رحمه الله تعالى وما خلف درهماً[٢].

٣ ـ أثير الدين محمود بن يحيى بن عمر بن أبي الحسن التميمي

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧.
(٢) تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ١١١ والشذرات ج ٦ (وابن الوردي ص ٣٠١ ج ٢) و(الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٠).

الموصلي: ثم الدمشقي (ابن المرحل) ولد سنة ٦٦ وسمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وحدث. سمع منه العز ابن جماعة والبدر النابلسي. مات في ١٤ شوال سنة ٧٣٣هـ[1].

حوادث سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٣م)

وقائع بغداد:

ومما جرى ببغداد في هذه السنة أن الزمت، النصارى واليهود بالغيار، ثم نقضت كنائسهم ودياراتهم، وأسلم منهم ومن أعيانهم خلق كثير... منهم سديد الدولة وكان ركناً لليهود، عمر في زمن يهوديته مدفناً له خسر عليه مالاً طائلاً فخرب مع الكنائس وجعل بعض الكنائس معبداً للمسلمين وشرع في عمارة جامع بدرب دينار وكان بيعة كبيرة جداً...

وأطلق ببغداد مكس الغزل، وضمان الخمر، والفاحشة وأعطيت المواريث لذوي الأرحام دون بيت المال، وخفف كثير من المكوس[2]...

وفيات:

١ ـ وفاة سيف الدين الجيلي: في هذه السنة توفي الشيخ سيف الدين يحيى بن أحمد بن أبي نصر محمد بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي بحماه. وكان شهماً سخياً. رحمه الله (أبو الفداء).

٢ ـ أبو الهدى محمد بن مقلد بن النصير التكريتي القرافي: ويعرف بابن الصائغ. سمع من العز الحراني وحدث وكان مقيماً في

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٤١.
(٢) تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ١١٧.

القرافة. مات في ذي الحجة سنة ٧٣٤[1].

٣ ـ سراج الدين ابن الكويك: هو عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبي الفتح التكريتي التاجر الاسكندراني الربعي. ولد سنة ٦٥٩ (٦٦٠) وتفقه للشافعي ومهر ورحل إلى الشام فسمع بها وكان من الرؤساء الكبار وبنى مدرسة بالثغر قال صاحب الدرر هو جد شيخنا أبي الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف وأنجب هو أبا جعفر وأبا اليمن مات سنة ٧٣٤هـ[2].

حوادث سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٤م)

وفيات:

١ ـ مدرس البشيرية ابن عكبر البغدادي: هو نصير الدين أحمد بن عبد السلام بن تميم بن أبي نصر بن عبد الباقي بن عكبر البغدادي المعمر الحنبلي سمع الكثير من عبد الصمد بن أبي الجيش وابن وضاح وهذه الطبقة وحدث وسمع منه خلق وتفقه وأعاد بالمدرسة البشيرية للحنابلة وأضر في آخر عمره وانقطع في بيته وكان يذكر أنه من أولاد عكبر الذي تاب هو وأصحابه من قطع الطريق لرؤيته عصفوراً ينقل رطباً من نخلة إلى أخرى حائل فصعد فنظر حية عمياء والعصفور يأتيها برزقها فتاب هو وأصحابه ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة: توفي صاحب الترجمة في جمادى الأولى ببغداد عن خمس وتسعين سنة[3].

٢ ـ مهنا بن عيسى أمير العرب: هو حسام الدين مهنا. وقد مر الكلام عرضاً عن تاريخ وفاته: وقد قال عنه صاحب الدرر الكامنة بما نصه:

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٦٢.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٠٥.

(٣) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٧١ وجاء فيه أنه العمر أو العامري لا المعمر.

«مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة التدمري أمير آل فضل من بني طيىء. ولد بعد سنة ٦٥٠ وكانت أولية هذا البيت من أيام اتابك زنكي. وكان مري بن ربيعة أخو فضل أمير عرب الشام أيام طغتكين وكان مهنا يلقب حسام الدين وكان ابن عمه أبو بكر بن علي بن حديثة أميراً على العرب فاتفق أن الظاهر بيبرس قبل السلطنة رمته الليالي في بيوتهم فطلب من ابن علي فرساً فلم يعطه فرآه عيسى بن مهنا فتوسم فيه فضمه إليه وأعطاه فرساً وبالغ في إكرامه. فلما تسلطن انتزع الامرة من أبي بكر وأعطاها لعيسى ثم تأمر ولده مهنا هذا في أيام المنصور قلاوون وكان معظماً خليقاً بالأمرة... (ثم ذكر علاقته مع آل مري وكان رئيسهم أحمد بن حجى أمير آل مري وأوضاعه مع حكومة سورية ومصر... وصار لم يطمئن هو وقومه فقال): وتجهزوا إلى خربندا وكتب مهنا (هذا) إلى خربندا فقابلهم بالإكرام، وخلع على سليمان بن مهنا وجهز لمهنا معهم أموالاً جمة وخلعاً واعطاه البلاد الفراتية وبلغ الناصر فغضب وأعطى الامرة لأخيه فضل فتوجه مهنا إلى خربندا فأكرمه وقرر معه أمر الركب العراقي فأعطاه مهنا عصاه خفارة لهم وجهد الناصر أن يحضر إليه مهنا فصار يسوق به من وقت إلى وقت آخر وفي طول المدة يرسل إخوته وأولاده والناصر ينعم عليهم بالأموال والاقطاعات... إلى أن كان في سنة ٧٣٣ فتوجه مهنا من قبل نفسه إلى الناصر فأكرمه إكراماً زائداً ورده على أمرته إلى أن مات في ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ. قال الذهبي:

كان مهنا وقوراً متواضعاً لا يحفل بملبس، ديناً، حليماً ذا مروءة وسؤدد. وله من الأولاد موسى تأمر بعده وسليمان وأحمد وفياض وجبار وقارا وسعنة (كذا) وغيرهم.» اهـ[1].

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٧٠.

٣ ـ البرزالي البغدادي: (مدرس المستنصرية): هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمود بن قاسم ابن البرزالي البغدادي الفقيه الحنبلي الأصولي الأديب النحوي قرأ الفقه على الشيخ تقي الدين الزريراني وكان إماماً متقناً بارعاً في الفقه والأصلين والعربية والأدب والتفسير وغير ذلك وله نظم حسن وخط مليح درس بالمستنصرية بعد شيخه الزريراني وكان من فضلاء أهل بغداد وكذلك كان والده أبو الفضل إماماً مفتياً صالحاً توفي أبو عبدالله ببغداد في هذه السنة.

٤ ـ همام (هلال) بن صالح: بن همام بن صالح البغدادي ثم الصالحي أبو الحارث المؤدب سمع من الفخر مشيخته تخريج ابن الظاهري وحدث. سمع منه الذهبي مات في ١٩ ربيع الآخر سنة ٧٣٥هـ[١].

وقائع سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م)

وفاة السلطان أبي سعيد

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفاة السلطان:

في هذه السنة بتاريخ ١٣[٢] ربيع الآخر توفي السلطان أبو سعيد فخلفه السلطان ارياخان... مات بلا عقب...

ترجمته:

وصفه مؤرخون كثيرون وأطنبوا وقد مر من أعمال في العراق وغيره ما يبين عن حكمة وقدرة... وقال عنه في تاريخ أبي الفداء:

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٠٥.

(٢) تقويم التواريخ لكاتب جلبي.

«مات القآن أبو سعيد بن خربنده... صاحب الشرق ودفن بالمدينة السلطانية وله بضع وثلاثون سنة وكانت دولته عشرين سنة وكان فيه دين وعقل وعدل وكتب خطاً منسوباً وأجاد ضرب العود...» اهـ[1]. ومثله في تاريخ ابن الوردي. وجاء في الشذرات أن فيه رأفة وديانة وقلة شر، وأنه هادن سلطان الإسلام (ملك مصر). وألقى مقاليد الأمور إلى وزيره ابن الرشيد، وقدم بغداد مرات، وأحبه الرعية. توفي بالازد (صحيحها بالأردو كما يأتي) ونقل إلى السلطانية فدفن بتربته وله بضع وثلاثون سنة[2]...

وجاء في الدرر الكامنة عنه ما نصه:

«أبو سعيد بن خربندا بن ارغون بن ابغا بن هلاوون (هذا يوافق كتابة اسمه في التواريخ الصينية والمغلية كما قال كرنكو عند تعليقه على هذا اللفظ في الدرر) المغلي صاحب العراق والجزيرة وخراسان والروم. قال الصفدي: الناس يقولون أبو سعيد بلفظ الكنية لكن الذي ظهر لي أنه علم ليس في أوله ألف فإني رأيته كذلك في المكاتبات التي ترد منه إلى الناصر هكذا (بو سعيد). وكان أبو سعيد مسلماً حسن الإسلام جيد الخط جواداً عارفاً بالموسيقى مبغضاً في الخمر اراق منها خزانة كبيرة وكان يرغب في الدخول في الإسلام وهو آخر بيت هلاوون انقضوا بهلاكه. وأقام في الملك عشرين سنة. وكان قبل موته بسنة قد أرسل الركب العراقي إلى مكة فسلم الركب فلما كان في السنة المقبلة جهزهم أيضاً فنهبهم العرب فسأل عن السبب في ذلك فقيل له إن هؤلاء أقوام يقيمون في البراري ليس لهم رزق إلا ما يتخطفونه فقال نحن نجعل لهم من بيت المال مقداراً يكفيهم ويكفون عن الحاج ورتب ذلك وأمر به

---

(١) ج ٤ ص ١٢٢.

(٢) الشذرات ج ٦ ص ١١٣.

فمات في تلك السنة وكانت وفاته بالأردو في ربيع الآخر سنة ٧٣٧ وتأسف الناصر عليه لما بلغه موته» اهـ وذكره لتاريخ الوفاة غير صحيح فإن المؤلف نفسه ذكر وفاة بغداد خاتون بعد السلطان سنة ٧٣٦ كما سيجيء النقل عنه قريباً. وزاد في حرف السين:

«كان يكتب خطاً منسوباً، ويجيد ضرب العود وأبطل مكوساً كثيرة وقد اختتن وهدم الكنائس ببغداد[١]. وأكرم من يسلم من أهل الذمة وهادى الناصر وهادنه وعمرت البلاد وقتل الذي أقيم بعده، بعد شهور وقتل وزيره محمد بن الرشيد وكان الذي يحمله على عمل الخير. وكان موته بأذربيجان في شهر ربيع الآخر سنة ٧٣٦هـ ونقل إلى تربته بالسلطانية ودفن بها.» اهـ[٢].

وفي عقد الجمان ما نصه: فيها ـ سنة ٧٣٦ ـ السلطان أبو سعيد ملك البلاد الشرقية مات في الباب الجديد وكان متوجهاً لملتقى ازبك خان لأنه وقع بينهما بسبب الشيخ حسن بن چوبان لأنه كان قد هرب ولحق بأزبك خان وذلك حين وقع بين چوبان وبين أبي سعيد كما ذكرنا ثم نقل أبو سعيد إلى تربته التي انشأ بالقرب من المدينة السلطانية، وحين توفي كان عمره ٣٠ سنة، وكان شاباً، حسن الصورة عديم النظير مقرباً لذوي العلم والدين، وكان يكتب خطاً منسوباً، ويعرف علم الموسيقى جيداً، أحكم أمر دولته وأبطل كثيراً من المكوس، وعدم عدة من الكنائس وكان يلعب بالعود غاية ما يكون، وتولى عوضه بالبلاد الشرقية أرباكاوون وهو دهون ذرية جنگيزخان فلم تطل أيامه...» اهـ.

وتلخص حياته في السلطنة أنه كان في بادىء الأمر مغلوباً على يده بسبب تسلط الأمير چوبان عليه وعلى الأمراء الخارجين عليه وقضائه

---

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١١٧.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٣٧.

على المناوئين وقسم المملكة بين أولاده وجعل الأمير چوبان وزيره الملازم له ابنه الخواجة دمشق... فكان لهذا وقع كبير في نفسه إذ شعر بالوطأة الشديدة فلم يطق الصبر عليها، ولا بالى بالمخاطر... ومهما كان السبب الظاهري فالغرض القضاء على سيطرة چوبان وأولاده فكان ما كان مما مر بيانه واستورز الخواجة محمد غياث الدين ابن الوزير الخواجة رشيد الدين فكان لإدارته خير وقع في النفوس فانتظم أمر المملكة واتسعت الأحوال ولم يبق لأحد ما تدخل في الحكم من الرعايا والعسكر والبلاد سوى حكم السلطان والوزير... فأمن الرعايا أيام وزارته أمناً لم يروا مثله ابداً، ولا شاهدوا نظيره من كثرة الخيرات، ورخص الاسعار، وانتظام أمور المملكة في جميع أيام المغول... والأوضاع الخارجية مع المصريين خاصة على أحسن ما يرام وقد أوسعنا القول عنها فيما مضى[1]...

وكان السلطان من نوادر الشعراء. توفي بمرض الصرع، وعلى ما قص آخرون أنه سمته زوجته بغداد خاتون بمنديل مسموم تمسح به بعد الجماع لأنه تزوج عليها دلشاد خاتون... وقد ذكره ابن خلدون وابن الوردي وصاحب تاريخ كريده وصاحب كلشن خلفاء وغير هؤلاء من معاصرين وغير معاصرين... وأخص بالذكر صاحب ذيل جامع التواريخ فإنه أتم به باقي سلاطين المغول وأوسع القول عن السلطان أبي سعيد ووالده واعتمد في الغالب على أبي القاسم عبدالله القاشاني وكان كتبه بأسلوب سهل الأخذ، وفيه تفصيل إلا أن حظ العراق منه قليل... والغريب أني لم أجد له للأصل ترجمة تركية بخلاف التواريخ الأخرى فقد رأيت غالبها مترجماً.

وقد مر في حوادث ٧٢٧ من التفصيلات عن قضية تزوج السلطان

---

(١) كلشن خلفا.

ببغداد خاتون وأنها سمته فقتلت وهنا نقول جاء في الدرر الكامنة أن بغداد خاتون بنت النوين چوبان زوج أبي سعيد كانت أولاً زوج الشيخ حسن وكان أبو سعيد يعشقها وكان أبوها يفهم ذلك فلا يمكنها من دخول الأردو فلما هرب چوبان وقتل أخوها وهرب الآخر إلى مصر اغتصبها أبو سعيد من زوجها وصارت عنده في أعلى مكانة ويقال إنه لم يكن في تلك البلاد أحسن منها وصار لها في جميع الممالك الكلمة النافذة وكانت تركب في مركب حفل من الخواتين وتشد في وسطها السيف فلم تزل على علو منزلتها إلى أن مات أبو سعيد فقتلت بعده وذلك سنة ٧٣٦هـ[١].

ملحوظة:

سيأتي الكلام عن الوزير في عهد اربا خان الذي ولي السلطنة بعد السلطان أبي سعيد وفي ذلك إيضاح لأيام وزارته جميعها...

وفيات:

١ ـ توفي المسند الرحلة أبو الحسن علي بن محمد بن ممدود بن جامع البندنيجي البغدادي الصوفي سمع صحيح مسلم من الباذيني البغدادي وجامع الترمذي من العفيف بن الهيتي وأجاز له جماعات وتفرد وأكثروا عنه وتوفي بالسميساطية في المحرم عن ٩٢ سنة[٢].

٢ ـ قطب الدين الأخوين واسمه محمد بن عمر التبريزي الشافعي قاضي بغداد سمع شرح السنة من قاضي تبريز محيي الدين وكان ذا فنون ومروءة وذكاء وكان يرتشي وعاش ٦٨ سنة قاله في العبر. وفي الدرر الكامنة تفصيل عنه[٣].

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٨٠.
(٢) الشذرات ج ٦.
(٣) ج ٤ ص ١١٠.

٣ ـ معتقل بن فضل بن عيسى أمير العرب: ساق في الدرر الكامنة نسبه معتقل بن فضل بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة[١] أمير العرب من آل فضل ولي الامرة شريكاً لابن عمه زامل وكان محبوباً إلى الناس حسن السيرة. مات بأرض يرقع من بلاد الشام سنة ٧٣٦هـ وقد قارب السبعين[٢].

٤ ـ أحمد بن محمد بن أحمد السمناني: ويلقب بعلاء الدين (علاء الدولة) وركن الدين ولد في ذي الحجة سنة ٥٩ وتفقه وطلب الحديث وسمع من الرشيد بن أبي القاسم وغيره وشارك في الفضائل وبرع في العلم واتصل بارغون بن ابغا... صحب ببغداد الشيخ عبد الرحمن وخرج عن ماله وحج مراراً وله مدارج المعارج... كان يحط على ابن العربي ويكفره[٣] وكان مليح الشكل، حسن الخلق غزير الفتوة كثير البر... أخذ عنه صدر الدين بن حمويه وسراج الدين القزويني وإمام الدين علي بن مبارك البكري وذكر أن مؤلفاته تزيد على ثلثمائة وكان أولاً قد داخل التتار ثم رجع وسكن تبريز وبغداد: مات في رجب ليلة الجمعة سنة ٧٣٦هـ[٤].

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

السلطان اربا خان

من ١٣ ربيع الآخر سنة ٧٣٦ إلى غرة شوال سنة ٧٣٦هـ

سلطنته:

ولي السلطنة بعد وفاة السلطان أبي سعيد وهو اربا خان ابن آريق

---

(١) مر النقل عنه.

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٢.

(٣) غالب كتب ابن تيمية ورسالة ناصحة الموحدين وفاضحة الملحدين وكتب كثيرة تحمل عليه حملات قوية وتندد به من جراء مطالب معروفة.

(٤) الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٥١.

بوقا من أولاد تولي خان ومن حين جلوسه ثارت الفتن وتوالت على المملكة الإحن والقلاقل... وذلك أنه لما تحقق ازبك خان موت السلطان أبي سعيد من غير وارث قام للمطالبة بالمملكة وقصد أن يحوزها فسار إليها بجيش لا يحصى...

وكذا والي بغداد علي باشا[1] أمير الأويرات[2] حينما سمع بموت السلطان أبي سعيد نهض للمطالبة وسار يدعو له... وكان بين هذا الوالي وبين الوزير غياث الدين محمد كره شديد وبغضاء فإنه بعد قتل چوبان كان يتوقع أن يكون حاكماً في ايران فمشى بعد وقعة الچوبان إلى السلطان أبي سعيد فرأى الوزير ما يظهر من الأويرات من الاطماع والآمال، وأنهم شديدو المراس على من يريد إصلاحهم... فسعى لإبعادهم عن حضرة السلطان ودفعهم عما كانوا عليه من المنزلة فصدر أمر السلطان أبي سعيد إلى علي باشا مع جماعة الأمراء أن يتوجهوا إلى خراسان ليصدوا غائلة عسكر كان قد خرج عليهم هناك... فذهبوا إلى السلطانية ثم ندموا على خروجهم من (الاردو)، ورأوا ان الوزير أبعدهم فشق عليهم ذلك وبقوا في السلطانية وهموا بالرجوع.. فلم يجبهم إلى

---

(١) جاء في كلشن خلفا علي باشا، أو علي شاه كما أن في غيره جاء علي بادشاه، كذا في تاريخ كزيده عند ذكر وفاة السلطان أبي سعيد وفي الدرر الكامنة علي باشا، وفي الشذرات علي باش.

(٢) الأويرات قبيلة من قبائل المغول وجاءت في كلشن بلفظ اورياد والصحيح الأول. وكانت هذه القبيلة تسكن في شرقي المغول عند فروع آنقارا موران «نهر انقارا» يقيمون في فروعه ولكل فرع منها اسم وهذه القبيلة كان رئيسها قوتوقا بكى عارض جنگيز في بادىء الأمر ثم اطاعه وتزوج كل من الآخر بنتاً. وفي أيام منكوقاآن قد عين من امرائهم ارغون آغا من قبيلة اويرات والياً على خراسان وهذا دامت ولايته عشر سنوات فلما مات انعم القاآن على هلاكو بايران وأعطاه خمس جيشه ليقوم بمهمة الفتح... وهذه القبيلة ظهرت للوجود في عهد ارپا خان وكان اميرها علي باشا والي بغداد فقام بدوره فانقرضت على يده حكومة المغول فكانت يدها آلة فتح في أول الأمر وآلة تخريب في الآخر... «شجرة الترك ولغة جغتاي».

ذلك وأكد عليهم في السير إلى خراسان فعظم عليهم أن يرجعوا عن قصدهم وعزموا أن يدخلوا الأردو ويوقعوا بالوزير... فلما وصلوا إلى قرب الأردو باوجان انفذت والدة السلطان إلى علي باشا تخبره أنه إن رجع قتل لا محالة... فخاف جماعة الوزير وأكثر الخواجكية فهربوا بما عز عليهم من الأموال عن مخيم الوزير إلى الجهات الأخرى...

أما علي باشا فإنه لما سمع كلام أخته رجع إلى مصيفه خائباً وتفرقت العساكر عنه وإثر هذه الحادثة بقي في نفسه الألم والغيظ حتى توفي السلطان أبو سعيد ثم علم بنصب اربا خان سلطاناً وتيقن أن الجماعة الذين كانوا معه كانوا متفقين معه على الوزير ووجدهم مائلين عن اولئك فأظهر حنقه لما فعله الوزير وخالفه في الرأي وكاتب الجماعة المذكورين وأبدى لهم ما كان منه من عدم الرضا...

ثم إن علي جعفر الذي كان أمير الجيش وهو ابن وفادار بن ايريختن لم يكن متوسماً في الوزير خيراً وإنما اتفق مع بغداد خاتون (عمة دلشاد خاتون) فهرب علي جعفر مع دلشاد خاتون حين أمر السلطان ارپاخان بقتل بغداد خاتون التي دعت إلى فتن كبيرة وإلى ارتباك الأحوال واضطرابها[١]... والتجأ إلى علي باشا والي بغداد ففرح علي باشا بهما فرحاً عظيماً وأشاعوا أن دلشاد خاتون زوجة السلطان أبي سعيد وبنت دمشق خواجة حامل من السلطان أبي سعيد وأخذها علي باشا ونزل بها على العراق وأظهر أن الحكومة للولد الذي هو حمل دلشاد خاتون من أبي سعيد سواء كان ذكراً أو أنثى...

واستولى على العراق وحكم على الخواجة عز الدين معروف[٢] وشيخ زاده ابن السهروردي الذي كان هو ختن الوزير (زوج اخته).

---

(١) كلشن خلفا.

(٢) مر أنه كان والي بغداد كما نقل عن ابن بطوطة.

وكان الوزير ختنه (زوج أخته) وضيق على جميع أكابر بغداد وطلب منهم مالاً كثيراً بحيث إن الرجل منهم إذا ظن فيه أنه يملك ألف دينار طلب منه ألف دينار. ثم بعد مصادرة هؤلاء الأكابر والأعيان وأخذ أموال جميع البلاد انضم إلى هؤلاء لفيف من المفسدين والمعتدين وكل المتمردين وانقطعت بذلك الدروب وخيفت السبل وسدت الطرقات وصار كل واحد يتوقع المهالك ويترقب المصائب...

وفي هذه الآونة صال السلطان ازبك على المملكة بجيشه طامعاً في السيطرة كما أن علي باشا قصد العاصمة لعين الغرض وبأمل الاستيلاء. فرأى الوزير أن دفع السلطان ازبك اولى بالاهتمام فلا جرم أن اريا خان توجه بعساكره الجمة وتقدم نحو جيش ازبك فأنفذ هذا شيخ زاده بن پروانه إلى الوزير للمفاوضة معه في الأمر. وقال له:

ـ إننا من نسل جنگيزخان ونحن من عصبة أبي سعيد وقد توفي وليس له وارث غيرنا فميراثه يعود لنا فكيف تمنعوننا إرثه وتسلمون مملكته إلى غيرنا وتجلسونه على سرير الملك ظلماً وأنتم تعلمون؟!

فقال الوزير:

ـ أما قولكم عن ازبك فأظهر من الشمس. وأما صلاح نفسه وسلامة نيته فأبين ما يكون واتصال نسبه بجنگيزخان معلوم لا شك فيه ولا شبهة ولكن جنگيزخان في حال حياته قسم مملكته على أولاده فصارت تلك الممالك بأسرها إلى السلطان ازبك وأصوله فانحصرت فيهم وهي لا تزال بأيديكم لا ينازعكم فيها أحد إلا ظلماً وعدواناً. وأما هذه المملكة فإنها لأولاد تولي خان وصلت الآن من السلطان بعهد منه ووصية فلا يجوز للسلطان ازبك أن ينازعهم فيها وعلى كلٍّ الخصم حاضر مطاع في ملكه مقبول القول في عسكره، له شوكة وقوة فلا يمكنني أن أواجهه بذلك وإنما اتكلم بما جرى فضولاً...

فلما سمع شيخ زاده البروانه هذا الكلام ورأى لهم الاستعداد والأهبة رجع خائفاً وعرض على السلطان ازبك مقالة الوزير وحينئذ تحقق له ما حكاه شيخ زاده بن بروانه ولاحت له الآراء الصائبة فعلم أن لا مصلحة له في التعرض بهذه الممالك فقفل راجعاً . . .

وكان أرسل السلطان اربا خان حملة من عساكره عليهم فلم يجدوا لهم أثراً ورجع السلطان والوزير والأمراء والعساكر بنشوة حسن السمعة والسلامة. . . تحقق ذلك كله لعلي باشا وعلمت دلشاد خاتون أن طائفة الأويرات صاحبة اطماع وشرور وأنها إذا ظفرت بالملك أخربت العالم فكرهت أن تجعل نفسها سبباً لهلاك الناس فأبدت أنها لم تكن حاملاً من السلطان أبي سعيد وتنحت عن الدخول في هذا الأمر وركوب معمعته . . .

فلما رأى علي باشا أن هذه الخاتون قد تنصلت منه وخافت العاقبة دعا إليه شخصاً نساجاً من المغول المقيمين شتاءً حول دقوقا وأعلن أنه من نسل بايدو خان وسماه (موسى خان) وتابعه هو ومن معه من الأمراء وأجلسه على تخت السلطنة وحينئذ سمع الوزير بفعله فأنكره وأنفذ إليه رسائل يعظه بها ويحذره ويرغبه في الدخول في طاعة السلطان ووعده بمواعيد حسنة فما بالى وأصر على النزاع ثم توجه نحو اردو السلطان ارپاخان والوزير بعساكره وجهوا للقائه فتقاربوا في حدود حقو قريباً من بلدة مراغة.

فلما شاهد موسى خان تلك العساكر العظيمة والرايات السلطانية خاف خوفاً شديداً. أما علي باشا فقد كاتبه جماعة من الأمراء الذين مع السلطان مثل أمير زاده محمود والأمير اكرنج وسلطان شاه وهؤلاء فكروا أن أربا خان رجل حاد وفيه صلابة وأن الوزير لا يدع لأحد منهم مجالاً يرفع فيه رأساً وأنهم إذا عدلوا إلى علي باشا يكونون حكاماً والأمر لهم

ولا يمكن أن يخالفهم أحد فتباعد علي باشا وموسى خان من محاذاة عسكر اربا خان فظنوا أنهم قد هربوا... ولما تحقق الوزير ومن معه قصدهم ارادوا أن يتداركوا الأمر فعسر عليهم ورأوا أن أكثر عساكرهم قد التحق بعسكر علي باشا وموسى خان فانكسر باقي العسكر وقبض القوم على اربا خان وعلى الوزير فقتلا وصفا الملك للسلطان موسى خان وآلت الوزارة لعلي باشا وكان مدة حكم اربا خان ستة أشهر[1].

وجاء في الشذرات:

«وفيها ـ سنة ٧٣٦ ـ توفي القآن اربا خان الذي تسلطن بعد أبي سعيد ضربت عنقه صبراً يوم الفطر وكانت دولته نصف سنة خرج عليه علي باشا (كذا) والقآن موسى فالتقوا فأسر المذكور ووزيره الذي سلطنه محمد بن الرشيد الهمذاني وقتلا صبراً وكان المصاف في وسط رمضان[2]...

وجاء في الدرر الكامنة عنه ما نصه:

«اربكوون (اربكووت) أو (اربا خان) المغلي من ذرية جنگيزخان. كان أبوه قتل فنشأ هذا جندياً في غمار الناس. فلما مات أبو سعيد نهض الوزير محمد بن رشيد الدولة. فقال هذا الرجل من عظماء القآن فبايعه العسكر وولي السلطنة بعد القآن أبي سعيد فظلم وعسف وقتل الخاتون بغداد بنت چوبان زوج أبي سعيد وكان علي باشاه بالجزيرة فلم يدخل في الطاعة وأخذ بغداد وأحضر موسى بن علي بن بايدو بن ابغا ابن هلاكو وسلطنه وعمل بين الفريقين مصاف فاستظهر ابن علي بابه (علي بابه أو باشاه) وقتل الوزير صبراً في ٨ رمضان وقتل اربكون في

---

(١) الغياثي وكلشن خلفا.

(٢) الشذرات ج ٦.

شوال من سنة ٧٣٦ وكانت مدة سلطنته خمسة أشهر أو ستة واستقر موسى الذي سلطنوه نحو ثلاثة أشهر.» اهـ[١].

وأكثر المؤرخين سماه أرپا خان على خلاف ما جاء في الدرر الكامنة... وفي تاريخ مفصل ايران كسائر الكتب الايرانية الأخرى أن اسمه (ارپا گاون) وأنه حدث المصاف في ساحل نهر چغاتو في ١٧ رمضان سنة ٧٣٦هـ فانهزم جيش السلطان فقتل هو ووزيره بالوجه المشروح[٢]...

وليس لهذا السلطان من الحكم ما يستدعي الإطالة بترجمة حاله وحكمه فمن حين صار ملكاً إلى أن قتل هو في نزاع داخلي وخارجي وقد تغلب على المملكة كثيرون وتقسمت الأهواء فيها شيعاً على ما سنتعرض له... سوى أننا نقول قد انقرضت به في الحقيقة حكومة المغول وتقلص ظلها من بغداد خاصة وبعد أمد قليل امحت من سائر الأطراف بهلاك موسى خان...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترجمة غياث الدين محمد الوزير:

مر أنه قتل صبراً مع السلطان ارپا خان في ٨ رمضان أو يوم الفطر سنة ٧٣٦هـ[٣] وهذا الوزير من خير وزراء المغول قام مقام أبيه[٤] وقد وفى الوزارة حقها... وذلك أنه لما توفي تاج الدين علي شاه حتف أنفه

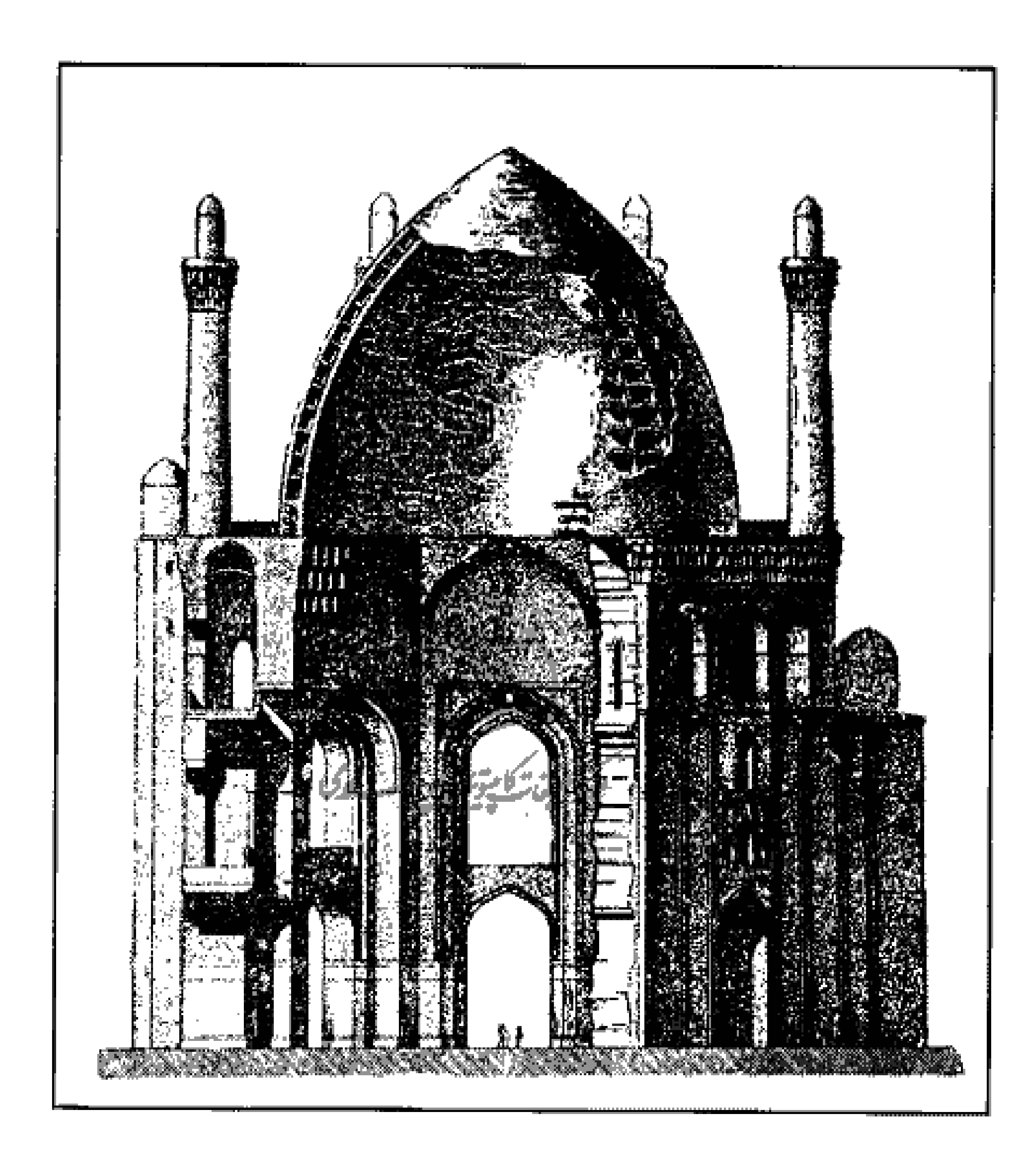
---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٤٨ وج ٤ ص ١٣٥.

(٢) تاريخ مفصل ايران ص ٣٤٩.

(٣) في الدرر الكامنة عن ترجمته «ج ٤ ص ١٣٥».

(٤) كانت الوزارة مضطربة من أيام سعد الدين والخواجة رشيد الدين وكذا أيام من وليهم وقد استراحت الحكومة في عهد المترجم مد. ثم عادت الاختلالات وتولد بين الأمراء اختلاف كبير كان أساس هذا التناطح... فلا يستطيع واحد منهم ان يرضي الكل والنزعات متباينة والأحزاب السياسية في تذبذب...



مقطع من مرقد الجايتو

ولم يمت في عهد المغول وزير كذلك وكان قد توفي في اوجان في اواخر جمادى الآخرة عام ٧٢٤هـ اضطربت أمور الوزارة وتشوشت الإدارة... فجعلت لنصرة الملك الملقب بصائن وزير وهذا ساءت إدارته في نظر الجوبان... وهكذا استفاد من هذه الفرصة الأمير چوبان سنة ٧٢٥ فغير قلب السلطان عليه لما شعر منه ما لا يرضاه ومن ثم عين ابنه دمشق خواجة وزيراً في كافة الأمور ودام فيها إلى أن قتل ليلة ٥ شوال سنة ٧٢٧ ثم قتل ابنه الآخر تمر تاش بمصر وقتل الأمير حسن في مملكة أوزبك والشيخ محمود في كرجستان بيد الجيش...

ومن ثم وبعد قتلة دمشق خواجة[١] أحيلت الوزارة للخواجة غياث الدين محمد وأشرك معه الخواجة علاء الدين ابن الخواجة عماد الدين ولقب هذا بـ(وزير نيكو) إلا أنه لم تطل أيامه فجعل في ايران بلقب (مستوفي الممالك) فصارت الوزارة خالصة للوزير غياث الدين محمد...

وهذا دامت وزارته من تاريخ القضاء على دمشق خواجة كل أيام السلطان أبي سعيد الباقية وإلى آخر أيام اربا خان.

وكانت إدارته من أحسن الإدارات وخير عهد للمغول فكانت خالصة بيد السلطان وفي ادارة وزيره وجرت الأمور على أتم نظام... نعم انتظم الملك واتسعت الأحوال في زمن هذا الوزير ولم يبق لأحد دخل من الأمراء أو الخواتين... ولا تحكم على الرعايا أو الجيش وبسطت يد الوزير في الإدارة وضبط الممالك ونفذ حكمه في جميع المملكة... فقضى الوزير نحو تسع سنوات وهو يحسن إلى جميع الناس وخاصة العلماء والأكابر الفضلاء ويكرم الصلحاء والمنقطعين

---

(١) لم تتفق كلمة المؤرخين على تاريخ الوفاة وسبب ذلك أن خبر قتله جاء متأخراً وقد نقلنا فيما مر بعض النصوص.

والعباد المتزهدين... ولم ير ممن تقدمه ما كان يقوم به، وأظهر حمايته للدين أكثر من غيره، وأمن الرعايا تأميناً لم يروا مثله أبداً... ومكن العدل بين الكافة فرخصت في عهده الأسعار، وزاد الرخاء...

وأراد الوزير أن لا يقع تذبذب واضطراب في المملكة حينما أحس بما نال السلطان من الضعف والمرض ما أنهك قواه... فلاحظ أنه من الضروري انتخاب ولي عهد إذ لم يكن للسلطان ولد ولا أخ... فوقع الاختيار على اربا خان من احفاد تولي خان بن جنگيزخان...

فولي السلطنة بعد أبي سعيد وجرى عليه وعلى الوزير ما جرى[1].

وفي هذه المدة حتى وفاة السلطان أبي سعيد كان الوالي ببغداد علي باشا الأويرات.

ملحوظة:

إن القاشاني في تاريخ الجايتو يتحامل على الخواجة رشيد الدين والد هذا الوزير وعلى العكس من ذلك صاحب تاريخ كريده فإنه ينتصر للوزير غياث الدين وأبيه ويتحامل على الآخرين ولكلٍّ وجهة، والظاهر أن القاشاني كتب ما كتب إرضاء للسياسة وتبريراً للقضاء على الخواجة رشيد الدين... وفي هذا العصر بلغت الحزبية غايتها...

وفاة:

علي بن محمد بن ممدود بن جامع بن عيسى البندنيجي: هو أبو الحسن ابن المحدث محب الدين ولد سنة ٤٣ وسمع على العز أحمد بن يوسف الاكاف وعلى أحمد بن عمر الباذبيني، وأجاز له النشتري ومحمد

---

(١) كلشن خلفا والغياثي وتاريخ كزيده وترجمته المفصلة في تاريخ حبيب السير ج ٣ ص ١٢٧: ١٢٨.

ابن علي السباك وابن الحصري وعلي ابن عبد اللطيف الالخمي وآخرون من الموصل وبغداد. وكان له أثبات عدمت في كائنة بغداد وكان على ذهنه أشياء كثيرة من أخبارالوقعة ببغداد وغيرها وأقام مدة بواباً بدار الوكالة ببغداد وسمع على علي بن محمد بن محمد بن وضاح في مدح العلماء وذم الاباحية... وسئل كيف نجوت من التتار فقال كنت صغيراً فتركت. قدم دمشق فحدث بالكثير. مات في المحرم سنة ٧٣٦ (٧٣٧)[١].

سلطنة موسى خان في غرة شوال سنة ٧٣٦هـ

سلطنته (علي باشا ـ قتله):

لما قتل اربا خان والوزير غياث الدين محمد صفا الأمر لعلي باشا وهو خال السلطان أبي سعيد فأجلس موسى خان على التخت وهو موسى خان بن علي بن بايدو ابن طاراغاي بن هلاكو خان فاستشعر من لم يكن محباً لعلي باشا من أمراء الاويرات الظلم والتعدي فنفروا من الحكومة وهم الأمير طغاي وهو من مشاهير أمراء المغول والحاج طوغا بك لما كان بينهم وبينه من البغضاء وتوجهوا نحو الأمير الشيخ حسن الكبير الايلخاني وهو أمير الروم آنئذ وعلى هذا ولما سمع ذلك غضب من وقوع هذه الحوادث فاتفق الشيخ حسن مع الأمير طغاي لدفع شر هذا الوزير علي باشا وقطع ضره فأنفذ الأمير الشيخ حسن رسولاً إلى صورغان شير بن الأمير چوبان وكان في كرجستان وطلبه وأمره أن يستصحب معه عساكره فأتى إليه بعسكر عظيم...

فلما تقارب الجيشان في تبريز كر موسى خان وعلي باشا على

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٢١.

مقدمة عساكر الشيخ حسن فانكسرت هذه المقدمة فظن موسى خان وعلي باشا أن هذا العسكر الذي انكسر هو الذي جمعه الشيخ حسن فبات موسى خان وأمراؤه آمنين وتركوا الاحتياط وجعل بعضهم يهنيء البعض الآخر بالنصر والفتح وحينئذ ظهرت رايات الشيخ حسن الكبير فضربوا عساكر السلطان موسى خان وعلي باشا الاويرات وتقابل العسكران فلم يبد أحد في هذه المعركة من الشجاعة ما أبدى علي باشا فقد ثبت ثباتاً ليس له نظير.

وآخر الأمر خرج علي باشا ثم توحل فرسه فسقط به وحينئذ مر به من عرفه وأحضره إلى أمير الأمراء الشيخ حسن فأراد استبقاءه فلم يوافقه جماعة الأمراء فقتله وولى الشيخ حسن (مظفر الدين محمداً). وأما موسى خان فإنه هرب بين قبيلة الأويرات... ثم قتل[1].

حوادث سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٧م)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وفيات:

١ ـ وفاة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ثم الدمشقي أبي عوانة وأبي محمد وأبي يوسف ولد سنة ٥٧ وسمع من الجمال عبدالله بن يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن حيون الجزائري ومن أحمد ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن النشبي وغيرهم وحدث. مات في ٨ جمادى الأولى سنة ٧٣٧هـ[2].

٢ ـ وفاة عبد الرحمن السهروردي: هو عبد الرحمن بن عبد المحمود بن عبد الرحمن بن أبي جعفر محمد ابن الشيخ شهاب الدين

(١) الغياثي وشجرة الترك.
(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٣٣.

عمر بن محمد السهروردي نزيل بغداد يلقب جمال الدين. كان ناظر اوقاف العراق وتزوج بنت رشيد الدولة الوزير فعظم شأنه وكان شاباً محتشماً، تياهاً، قليل التقوى، متظاهراً بالمعاصي والجبروت والعتو، كان يهتك الحرمات ثار عليه ابن البلدي وأعوانه فقتلوه في ذي الحجة سنة ٧٣٧هـ[١].

السلطان مظفر الدين محمد المتوفى سنة ٧٣٨هـ

سلطنة مظفر الدين محمد والمتغلبة:

وهو ابن پول قوتلوق (يال قوتلوق) بن تيمور بن آيناجي بن منگو تيمور ابن هلاكو خان وكان صغيراً فتولى تدبير الأمور كلها الشيخ حسن الكبير الجلايري وذلك أن الشيخ حسن حينما سمع بسلطنة موسى خان جاء بجيش عظيم من انحاء الكرج والروم وسار على ايران وبقرب تبريز تقارع مع السلطان موسى خان فانتصر الشيخ حسن عليه... وفي هذه المعركة قتل علي باشا أمير الاويرات. وأن موسى خان هرب بين قبيلة الاويرات...

وبعد قتلة علي باشا الاويرات صار موسى خان إلى بغداد وحكم مع هذه الطائفة العراق ولكن دولة الشيخ حسن نالت اقبالاً وسعداً وتمكن الشيخ حسن من الانتقام وعقد نكاحه على دلشاد خاتون زوجة السلطان أبي سعيد الذي كان أكرهه أن يطلق زوجته بغداد خاتون...

ولما جاءت النوبة في السلطنة إلى محمد خان فر من موسى خان امراؤه المغول والتحقوا بالسلطان محمد... وهذا الخبر نزل كالصاعقة على الشيخ حسن بن تيمور طاش ابن الأمير چوبان فجاء بمن معه وساق

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٤٤.

جيوش الروم لتدارك الأمر على عجل... فلما ورد خاف السلطان محمد منه.

وفي هذا الأوان نهض الشيخ علي ابن الأمير علي القوشجي وجمع كافة المغول في خراسان فضمهم إليه ومشى على بسطام وأعلن الخانية باسم طغاي تيمور (طغا تيمور) فجعله ملكاً ومن هناك سار على محمد خان الذي أقامه الشيخ حسن الجلايري وفي طريقه في آذربيجان صادق قبيلة الاويرات ومعهم موسى خان فانضم إلى طغاي تيمور والشيخ علي فسمع الشيخ حسن الجلايري بالخبر فوافى لمقارعه طغاي تيمور فاشتبك القتال بينهما في موقع يقال له (كرم بود) فانتصر الشيخ حسن عليهم وقتل في المعمعة موسى خان ومن ثم فر طوغاي تيمور والشيخ علي ابن الأمير علي وذهبوا إلى خراسان...

ولما علم الشيخ حسن الصغير وهو ابن تيمورطاش ابن الأمير چوبان السلدوزي وكان والياً من قبل السلطان أبي سعيد في بعض بلاد الروم... سار إلى الشيخ حسن الجلايري بجيشه العظيم فكانت المعركة بينهما في نخچوان وفي هذه المرة انتصر الچوباني على الجلايري وقتل السلطان محمد في الحرب ففر الشيخ حسن الجلايري إلى السلطانية... وذلك سنة ٧٣٨هـ.

وجاء في الدرر الكامنة أنه محمد بن عنبرجي البان المغلي بن نوبن. أقيم في المملكة بعد قتل أبي سعيد. وكان أبو سعيد لما مات زعمت سرية له أنها حبلى فوضعت وكان محمداً هذا. فلما هزم الشيخ حسن جموع موسى بن علي سنة ٣٨ وقتل موسى عمد الشيخ حسن إلى هذا الصبي فأقامه في السلطنة وله عشر سنين وناب له واضطربت المملكة في زمانه فأقبل من الروم ولدا تمرتاش ومعهما محقّة أوهما أن أباهما فيها وأنه لم يقتل وأن الناصر لما أمر بقتله عمد بكتمر وبكلش

إلى تركي يشبهه فقطعا رأسه فأحضراه للناصر واختفى تمرتاش ثم بعثاه سراً في البحر إلى بلاد الروم فلما وقع ذلك هرب الشيخ حسن الكبير إلى خراسان وهاج الناس واشتد البلاء وكثر الظلم والنهب وانقطعت السبل ثم هلك محمد هذا وماجت البلاد وذلك في آخر سنة ٧٣٨هـ وأرسلوا إلى طغاي تمر ملك خراسان وهو ابن عم اربكون (اربا خان) المقتول فتوقف ووثب جماعة على الذي زعم أنه تمرتاش فطردوه فقدم العراق في زي الصوفية ثم خمل ذكره وقتل واستولت صاتي بك بنت خربندا أخت أبي سعيد على الممالك وتسلطنت وخطب لها سنة ٧٣٩هـ.

وذلك أن الشيخ حسن الجوباني بعد أن أجلسها على سرير الملك سار الچوباني على الجلايري ثم استقر الصلح بينهما وصار الجلايري تابعاً للچوباني.

وبعد سنة عزل الشيخ حسن الصغير صاتي بك وأجلس مكانها سليمان خان ابن محمد بن سنگه بن يشموت بن هلاكو وزوج منه صاتي بك...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثم إنه بعد أمد ثار الشيخ حسن الكبير على الشيخ حسن الچوباني وجاء بغداد فأعلن السلطنة إلى جهان تيمور بن الافرنك بن كيخاتو بن أقانا خان سنة ٧٤٣هـ وجمع جيشاً فتحارب مع السلدوزي (الچوباني) فانتصر عليه الچوباني فهرب الشيخ حسن الكبير وعاد إلى بغداد فعزل الخان المذكور وأعلن سلطنته...

وأما الشيخ حسن الصغير فإنه قتلته زوجته فخلفه أخوه الصغير الملك الأشرف وأقيم انوشروان من ذرية هلاكو[1] خاناً وبعد مدة عزل

(١) وفي كتاب مسكوكات إسلامية تقويمي أن انوشروان خان من ذرية ملوك ايران القدماء الكيانية: ص ٩٦، ومنهم من عده من القبجاق ودام حكمه من «٧٤٤: ٧٥٦».

هذا وأعلن نفسه خاناً وهذا أساء السيرة ثم إنه جهز عليه جاني بك خان جيشاً عظيماً فتقاتلوا في خوي فتغلب على الملك الأشرف وقتله وذلك سنة ٧٥٩هـ.

والحاصل قد كثر التغلب وتمزقت المملكة بين أمراء المغول فلم تعد لها حياة... وممن هرب من بغداد بسبب الفتن القائمة:

١ ـ حسام الدين حسن بن محمد بن محمد بن علي البغدادي الغوري الأصل الحنفي. ولد ببغداد وتولى الحسبة بها ثم القضاء. قدم القاهرة صحبة وزير بغداد نجم الدين محمود بن علي بن سروين في صفر سنة ٧٣٨هـ لما وقعت الفتنة ببغداد فاستقر في قضاء الحنفية هناك في ١٨ جمادى الآخرة من السنة قال في الدرر الكامنة سار سيرة غير مرضية... إلى أن أخرج من الديار المصرية فسكن دمشق مدة ثم توجه إلى بغداد وولي التدريس في مشهد أبي حنيفة.

٢ ـ الوزير نجم الدين محمود بن علي المذكور من وزراء بغداد... ولا نعلم عنه شيئاً يذكر.

٣ ـ خليفة بن علي شاه ناصر الدين كان أبوه وزير بلاد التتار وقدم هو الشام فأعطى طبلخاناة وكان شكلاً حسناً وكان وصوله صحبة نجم الدين محمود وزير بغداد توفي في دمشق في جمادى الأولى سنة ٧٣٧هـ[١].

المتغلبة على حكومة المغول:

قد مر القول عن بعض الثائرين ومدعي السلطنة في انحاء المملكة المغولية وبينهم من ضربت السكة باسمه وقرئت الخطبة له على رؤوس

(١) شجرة الترك والغياثي والدرر ج ٢ ص ٤٣ و٤٥ وكلشن خلفا.

المنابر ولم يكن لواحد منهم مكنة وثبوت في السلطنة ولا يد في الإدارة وإنما كانت لمن دعاهم ونهض باسمهم. . .

وهؤلاء. . .

١ ـ اربا خان (١٣ ربيع الأول: ٤ شوال ٧٣٦هـ) مر الكلام عليه ويلقب معز الدين وهذا لم تعرف له نقود مضروبة في العراق وإنما له بعض النقود مضروبة في الممالك الأخرى. . . في حين أن النقود الكثيرة أيام السلطان أبي سعيد ضربت في بغداد والموصل وواسط والحلة واربل[1].

٢ ـ موسى خان. (شوال: ذي الحجة سنة ٧٣٦هـ). وهذا أيضاً لم يعثر له على نقود مضروبة في بغداد. . . وهو ابن علي بن بايدو.

٣ ـ السلطان محمد (ذي الحجة سنة ٧٣٦: ذي الحجة سنة ٧٣٨هـ). وهذا وإن كانت له بعض النقود إلا أنه لا يعرف ما ضرب في بغداد أو الأنحاء العراقية. . .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٤ ـ طغا تيمور (طوغاي تيمور) (٧٣٧: ٧٥٣) وله نقود مضروبة في الحلة وفي بغداد وفي أماكن أخرى. . .

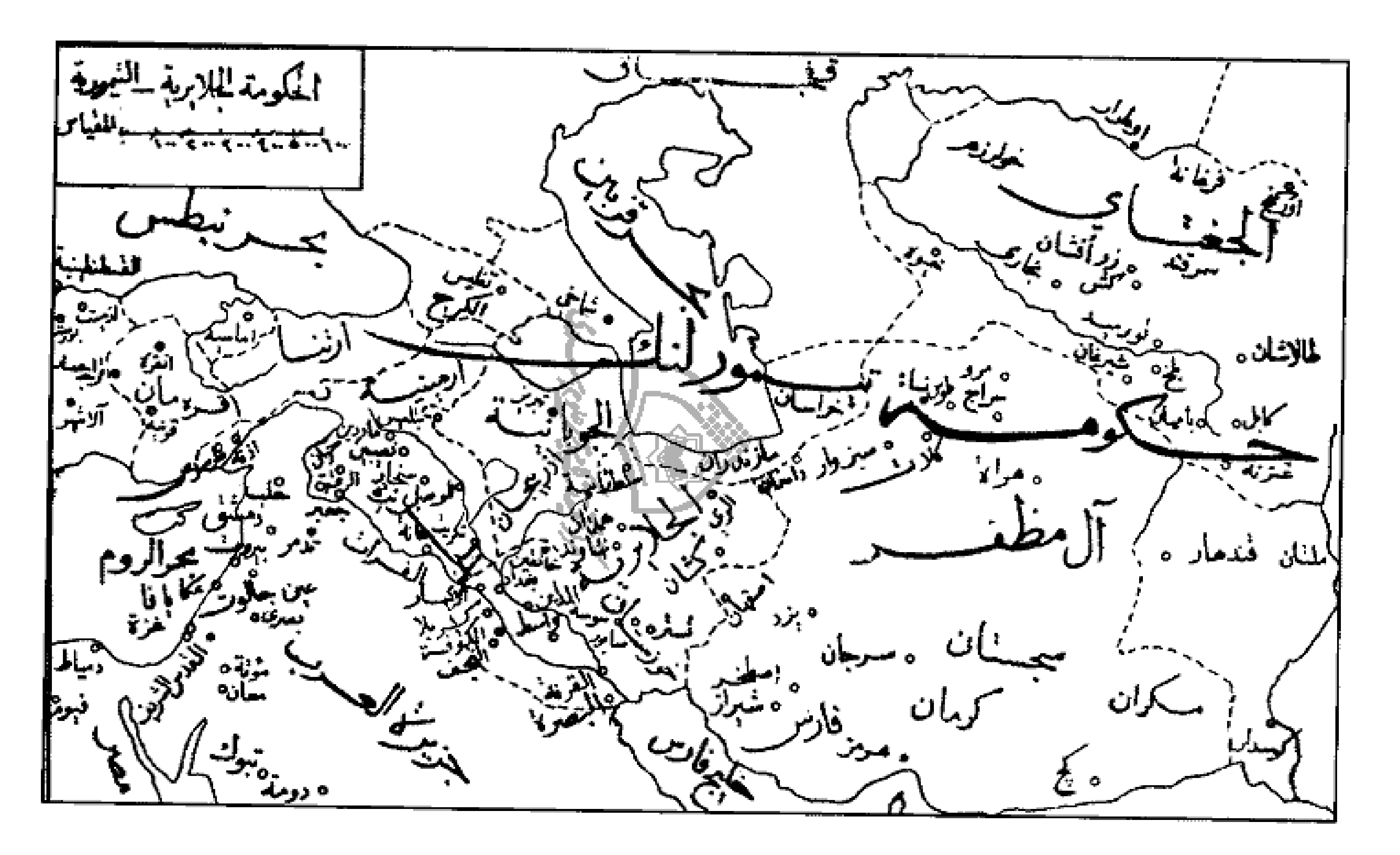
٥ ـ صاتي بيك خاتون (ساتي بك) (٧٣٩: ٧٤١). وهذه بنت السلطان محمد خدابنده. ولها نقود مضروبة خارج العراق. . .

٦ ـ سليمان خان (٧٤١: ٧٤٥). وهذا كسره ارتنا صاحب الروم عام ٧٤٤هـ[2]. وله نقود مضروبة خارج العراق.

---

(١) مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي.

(٢) إن ارتنا هذا صاحب الروم واستمر في ملكه وأعلن استقلاله سنة ٧٣٨ ثم صار يوالي الناصر محمد بن قلاوون وكتب له السلطان تقليداً. وكان حسن الإسلام مات سنة ٧٥٣هـ واستقر مكانه ولده محمد باك «الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٤٩».



الحكومة الجلائرية ـ التيمورية

٧ ـ جهان تيمور (عز الدين جهان تيمور) (ذي الحجة ٧٣٩: ذي الحجة ٧٤١) لم يعثر له على نقود مضروبة في العراق.

وكل هؤلاء كانوا ألعوبة في أيدي أمراء المغول ومتغلبة سائر الأمراء أو الدعاة لأولئك السلاطين وهم:

١ ـ أبو إسحاق بن محمد شاه ينجو قال ابن بطوطة عنه:

«فلما مات أبو سعيد وانقرض عقبه وتغلب كل أمير على ما بيده خافهم (خاف الأهلين في شيراز) الأمير حسين[١] وخرج عنهم وتغلب السلطان أبو إسحاق المذكور عليها وعلى اصفهان وبلاد فارس... واشتدت شوكته وطمحت همته إلى تملك ما يليه من البلاد فبدأ بالأقرب منها وهي مدينة يزد... فحاصرها وتغلب عليها... وقد اطنب ابن بطوطة في الكلام عليه راجع بقية البحث هناك[٢] وكان داعياً لنفسه...

٢ ـ الأمير مظفر شاه:

وهو ابن الأمير محمد شاه ابن المظفر تغلب هو وأبوه على يزد وكرمان وورقو وكانت يزد بيده فانتزعها منه أبو إسحاق المار الذكر[٣]. وآل مظفر تكونت منهم حكومة صارت تعد في عداد من حكم ايران[٤].

٣ ـ الشيخ حسن الكبير وهو المعروف بالجلايري وقد استقل بحكومته في العراق وقد قام باسم أحد سلاطين المغول وهو جهان تيمور المذكور آنفاً.

٤ ـ إبراهيم شاه ابن الأمير سنيته (الموصل وما والاها): تغلب

---

(١) هو ابن الأمير چوبان أمير أمراء المغول وكان والياً على شيراز.

(٢) ص ١٢٣ ـ ١٢٥ ج ١ وص ١٣٩.

(٣) ص ١٢٥ ج١ ابن بطوطة.

(٤) تاريخ كزيده والغياثي وغيرهما وكذا ص ١٣٩ من الرحلة.

على الموصل وديار بكر[١].

٥ ـ ارتنا: تغلب على بلاد التركمان المعروفة أيضاً ببلاد الروم.

٦ ـ حسن خواجة (الشيخ حسن الصغير): وهو ابن تيمورطاش بن الأمير چوبان السلدوزي وهذا تغلب على تبريز والسلطانية وهمذان وقم وقاشان والري وورامين وفرغان والكرج[٢].

وجرت له حروب مع الشيخ حسن الجلايري فكان المنتصر... وزاد نفوذ هذا بكثرة وعظمت مملكته وكاد يخلف التتر في حكومتهم... وكانت زوجته عزة الملك قد عشقت يعقوب شاه، وهذا فعل بعض ما يستوجب حبسه فحبسه حسن خواجة فظنت امرأته أنه اطلع على الأمر. وفي ليلة جاءها وهو في حالة السكر فاتخذت هذه الفرصة فمردت خصيتيه فلم تدعه حتى قتلته فخلفه أخوه الصغير الملك الأشرف. وهذا نصب انوشروان من نسل هلاكو (على قول) فجعله ملكاً ويعرف بأنوشروان العادل ولهذا نقود مضروبة باسمه... ثم بعد مدة يسيرة عزله الملك الأشرف وأعلن نفسه خاناً وصارت تقرأ الخطبة وتضرب النقود باسمه...

وكان هذا سيىء السيرة، قاتله ملك القفجاق جاني بيك خان فقتله سنة ٧٥٩هـ.

٧ ـ طغا تيمور: وجاء في ابن بطوطة بلفظ طغيتمور. تغلب على بعض بلاد خراسان.

٨ ـ الأمير حسين ابن الأمير غياث الدين: تغلب على هراة ومعظم بلاد خراسان.

---

(١) ص ١٣٨ رحلة ابن بطوطة ج ١.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٩ وشجرة الترك ص ١٧٣ وغيرهما.

٩ ـ ملك دينار: تغلب على بلاد مكران وبلاد كيج.

١٠ ـ الملك قطب الدين: وهو ابن تمهتن طمهتن تغلب على هرمز وكيش والقطيف والبحرين وقلهات.

١١ ـ السلطان افراسياب اتابك: تغلب على ايذج وغيرها من بلاد اللور... كان تابعاً لحكومة المغول ويؤدي لها الخراج السنوي[١]...

ومن مراجعة هذه القائمة يظهر التغلب وتمزيق اشلاء المملكة واضطرابها والناس آنئذ بسبب هذا الخلاف والنزاع في ارتباك من أمرهم لا يدرون مصيرهم ولا ما سيحدق بهم... وقد شاهد هذه الحالة ابن بطوطة وقصها كما رآها... ولم يستقم للناس أمر حتى سنة ٧٤٤هـ وقد ابتلي الأهلون في كافة انحاء المملكة بأنواع الظلم والجور وعدم الأمن.

وعلى كل حال لما دخلت سنة ٧٣٨هـ انتهى حكم المغول من بغداد بدخول الشيخ حسن الجلايري فيها بعد انكساره في معركة جرت بينه وبين الچوباني قتل فيها جهان تيمور... وفي سنة ٧٤٤هـ زالت حكومة المغول من ايران وأذربيجان فانقرضت تماماً وتكونت حكومات صغرى على أطلالها ولا يهمنا تفصيل القول عن هؤلاء المتغلبة فإنهم خارجون عن نطاق البحث عن العراق وحكوماته وسيأتي الكلام عن (حكومة الجلايرية في العراق)[٢].

عشائر العراق ـ في عهد المغول ـ

غالب عشائر العراق سكناهم قديمة فيه... ومن ذلك الحين إلى اليوم اختلفت أوضاعهم وتبدلت سلطاتهم بين قوة وضعف وقد ورد لهم

---

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٩.

(٢) الغياثي وشجرة الترك وكلشن خلفا وغيرها.

بعض الحوادث في هذا الدور وغاية ما يقال عنهم أن قوة حكومة المغول في اوائل صولتها لم تعد لهم ذكراً ولا ابقت لهم همة... وإنما سكنوا وسكتوا ينتظرون الفرص وما تأتي به الأيام... فعادوا بعد مدة وحصلوا في اواخر هذه الدولة على مكانتهم...

ونزوحهم إلى المدن وتوطنهم فيها قليل وفردي... وهؤلاء تميل نفسيتهم إلى البداوة وهوائها الطلق وحريتها الواسعة فلا تحكم عليهم كما على أهل المدن ولا تضيق بهم أرض...

وفي أدوار الظلم أمثال هذه يندر جداً أن يستوطن البدوي المدن...

والمعروف ممن ظهر له اسم من هذه القبائل:

١ ـ قبيلة طيىء. وكانت صاحبة السيادة العشائرية ولها كل السلطة بين الحجاز والعراق وسورية وقد مر من حوادث أمرائهم وعلاقتهم بالسياسة وأوضاع الاختلافات الدولية جعلت لهم مركزاً ممتازاً بحيث صارت تخطب ودهم كل من حكومة سورية والعراق فترغب في إمالتهم نحوها ترويجاً لمآربها وأغراضها... وأمراؤهم مهنا وأولاده وأخوه...

٢ ـ قبيلة خفاجة. وهذه القبيلة لها الصولة في أنحاء الكوفة والمواطن الجنوبية منها وقد نعتها ابن بطوطة بأن السلطة في تلك الأنحاء كانت بيدها... وقد جاء ذكرها عند الكلام على ابن الدواتدار الصغير أيضاً.

٣ ـ قبيلة بني أسد وهي في أنحاء الحلة وفي جنوبي واسط وقد استعان بها ابن بطوطة في زيارته مرقد الشيخ أحمد الرفاعي. وكانت من القبائل القوية ولها المكانة المعروفة... ويطول بنا البحث عنها في هذا الموطن...

٤ ـ المعادي: سمى ابن بطوطة القبائل الصغرى في أنحاء الكوفة والأطراف المجاورة لها ممن في طريق واسط والكوفة بـ(المعادي) ويطلق عليهم عندنا (المعدان) و(المعدنة). وأما جمع ابن بطوطة فمفرده معيدي وفي المثل تسمع بالمعيدي خير من ان نراه... وهذه القبائل الصغرى لم تشتهر باسم عام يجمعها وهم الآن عشائر كثيرة غالبها من ذلك التاريخ وقبله مقيم في العراق في مواطنه...

٥ ـ قبائل عقيل: وهؤلاء في انحاء البصرة وقد مر القول عنهم...

٦ ـ البيات: من قبائل التركمان القديمة السكنى في العراق وكان زعماؤها أصحاب مكانة لدى الحكومة وقد أفردنا لهم بحثاً في (تاريخ عشائر العراق)...

٧ ـ عبادة: وهذه القبيلة قديمة السكنى في العراق. وهي وإن لم يرد لها ذكر في حوادث هذا العهد إلا أنها معروفة قبله...

وهي من أكثر القبائل انتشاراً، ولهذا السبب يقولون إن ضاع أصلك فقل (عبادي). ومن هذه القبيلة (بنو عز)[1] وجماعتهم قليلة ولا محل للإطناب في البحث عن هذه القبيلة.

٨ ـ ربيعة. وهذه لم تظهر قوتها إلا في العهود التالية وإن كانت قديمة التوطن.

٩ ـ كعب. وهي منتشرة ومجموعة في مواطن عديدة من العراق.

١٠ ـ قبائل المنتفق بكافة فروعها كانت تقيم من أمد بعيد في

---

(١) مختصر ابن الساعي ص ١٤١ طبع بولاق سنة ١٣٠٩ لخص من التاريخ الكبير لابن الساعي، ولم يعرف مختصره، وكان لخصه على ما جاء في آخره سنة ٦٦٦هـ وهذا غير صحيح فقد أشار إلى أن حكومة المغول كانت بيد سليمان شاه وأولاد الجوبان مما يدل على أنه كتب بعد هذا التاريخ، أو زيد عليه...

العراق... ولا مجال للكلام عن باقي العشائر الآن ممن لم يرد لهم ذكر في هذا التاريخ لعدم وجود وقائع لهم ذات مساس بسياسة الحكومة أو بسبب أن الوقائع لم تتعرض إلا للقبائل المناوئة للحكومة فتظهر حوادثها وإن كان يرجع توطنهم إلى ما قبل هذا العهد.

وعلى كلٍّ إن الضعف في حكومة المغول كان قد دب في العهد الأخير وظهرت آثاره... ذاك ما دعا أن تنهض القبائل بقوتها وأن تبرز بسلطانها... وتوضحت قدرة العشائر أكثر في الحكم العثماني لما وصلنا من الوثائق عنهم بسبب أن هناك وثائق عراقية تتعرض لأمثال هذه. وأما الحوادث المذكورة من قبل المؤرخين الآخرين فإن نظرتها عامة ومن ناحية علاقتها بالحكومة لا غير...

الحكومات المجاورة

لم يكن للعراق كيان خارجي، أو سياسة خاصة في هذا العهد... وإنما كان تابعاً لسياسة حكومة المغول فالعلاقة بين المغول وبين مجاوريهم بعيدة عنا وأهمها كانت مع (القفچاق) وحكومتها مغولية ومع سورية وهذه كانت تابعة لمصر وأمراؤها منقادون لها... وكانت العلاقة في باديء أمرها حربية ثم دخلتها في أواخر أيامها المفاوضات السياسية والمعاهدات الصلحية... ويعد منها قتلة (تيمورطاش) ابن الأمير چوبان وقتلة قراسنقر... وانتهت بمسالمات لمدة... ولا محل للخوض في بيان واسع عن الحكومة المصرية في ذلك الزمن بأكثر مما مر بيانه... وإنما أقول إن سلاطينهم المعاصرين.

١ ـ الملك المظفر قطز (٦٥٧: ٦٥٨هـ).

٢ ـ الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨: ٦٧٦هـ).

٣ ـ الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة ابن الملك الظاهر بيبرس (٦٧٦: ٦٧٨هـ).

٤ ـ الملك العادل بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس (٦٧٨ : ٦٧٨هـ).

٥ ـ الملك المنصور قلاوون الصالحي ٦٧٨ : ٦٨٩هـ).

٦ ـ الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور (٦٨٩ : ٦٩٣هـ).

٧ ـ الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون (٦٩٣ : ٧٤١هـ).

ويعبر عنهم المؤرخون في سورية ومصر مثل أبي الفداء وابن الوردي وابن كثير والعيني (بسلاطين الإسلام) كما ينعتون أمراء المغول (بسلاطين التتر). وفي سورية إمارات تابعة للحكومة المصرية...

هذا وقد تولدت بعض علاقات وروابط مع شريف مكة وحاولت أن تتدخل الحكومة المغولية في أمورها كما تدخلت الحكومة المصرية إلا أن أجلها قريب ولم يطل أمرها كثيراً وقد مر بعض الحوادث عن ذلك... وقد حكم أحدهم الحلة[1] وانحاءها ولعل تأسس امارة المنتفق مؤخراً ناشىء من جراء هذا الحادث ببقاء بعض رجالاتهم بين عشائر المنتفق فتمكنوا من الإدارة وأخذوا السلطة العشائرية بأيديهم... وأما الغربيون فقد كانت علاقاتهم قوية في بادىء أمرها وفقدت أو كادت تفقد. حينما أعلن ملوك المغول إسلامهم ومن ثم قويت العلاقات وتوالت الرسل وعقدت المعاهدات أو استقرت المطالب بين الطرفين...

---

(١) ابن بطوطة ج ١.

الحضارة والثقافة

لا يسع الآن التبسط، والبحث عن موضوع (التاريخ العلمي والأدبي) وقد أفردناه على حدة. وهنا أقول إن القطر العراقي بعد أن فقد استقلاله، وزال عنه الطابع الإسلامي ولو صورة، وبعد أن صار نهباً بيد الفاتحين لم يبق بيده ما يعول عليه، أو يركن إلى قوته سوى الأوقاف الإسلامية. وهذه كانت في عهدها العباسي مكينة، وتسابق الأهلون ورجال الدولة إلى أعمال البر لتقوية الثقافة، وتنمية الصلاح بمقاييس واسعة جداً...

ولما لم يتعرض الفاتح للمؤسسات الدينية أيام احتلاله كان من نتائج ذلك الاحتفاظ بالمعارف والعلوم ومن أوضح ظواهرها المدارس الكبرى مثل المستنصرية والنظامية والبشيرية... والرباطات ومشيخاتها... فصارت خير واسطة للم الشعث واستبقاء الحضارة... مما دعا أن ينبغ كثيرون ذاعت شهرتهم وطبقت الآفاق...

ترجمنا مختصراً بعض المشاهير إلا أن الموضوع ليس محل بيان مناهجهم العلمية، وما أحدثوه من آثار... وبين هؤلاء المتكلمون، والحقوقيون أي الفقهاء الذين لا تزال كتبهم المعول عليها، والأطباء، واللغويون والمؤرخون، والخطاطون، والموسيقيون، والشعراء والأدباء والمجّان... وهكذا يقال عن الزهاد والصوفية والمتصوفة وقد اشتهر منهم كثيرون...

والمدارس كانت ادارتها مودعة إلى رجالات العراق وغالب أيامها إلى قاضي القضاة أو إلى صدر الوقوف ينظر فيها وفي المعاهد الخيرية والدينية... ولم يستول على أوقافها غيرهم فيتولى ادارتها وتعهد إليه صدارة الوقوف إلا مدة يسيرة.. وفي هذا أيضاً لم يهمل شأنها ولا أودعت إلى من هو غريب عن الإسلامية أو اجنبي عنها... فكانت

خدماتها كبرى، وفوائدها عظمى سواء في الحضارة أو في الثقافة العامة أو الخاصة والسياسة لم تعارضها... ولم يؤثر في سيرها ضياع الكتب وبعض المكتبات، أو الذهاب بها إلى مراغة وانتزاعها من العراق فلا تزال بقية باقية تغذي العقول، وتحبب العلوم وتمكنها في البلد دون حاجة إلى مناصرة من حكومة والحكومة آنئذ أجنبية فلم تؤثر على عقائدها ولا ثقافتها، ولا تغير مركز الحكومة من بغداد إلى ايران... كل ذلك لم يضرها الضرر الكبير ولا قلل من روحيتها...

ثم إن التجاء الهاربين من علماء العراق أيام الواقعة وبعدها قد ولد انتباهاً في الأقطار الإسلامية الكبرى مثل سورية ومصر... هاجروا هرباً من المغول فأوجدوا نهضة علمية، واشتهر فيها جماعة من علماء العراق فأثروا في الثقافة ونالوا منزلة لا يستهان بها... ولم يفقد العراق مزاياه بذهابهم وإنما تمكن في مدة يسيرة من استعادة مجده العلمي والثقافي...

والعراق لم يقف عند مؤسساته القديمة أو بقاياها وإنما أسس معاهد جديدة مثل المدرسة العصمتية إلا أنها قليلة ولا تقاس بما بقي إلى ما بعد الاحتلال من المؤسسات العباسية، وبقاؤها كان نعمة فهي خير معهد تربية علمية وأدبية وفنية... والحكومة آنئذ لم تتعرض للمؤسسات أمثال هذه... ولكنها بعد أن أسلمت ناصرتها وأيدت مركزها...

ـ نعم كان أكبر عمل هدام لهذه المؤسسات وللتقليل من شأنها أن الفاتحين بسبب أنهم لم يكونوا مسلمين راعوا ما يوافق رغبتهم من العلوم والثقافات كالعلوم الفلكية والرياضية والطب... ومن الفنون الموسيقى وأمثال ذلك كالرسم أو ما يتعلق بالمعاملات اليومية فكان هو المعتبر عندهم. أما سائر العلوم فإنها قامت بمؤسساتها... وهناك عامل

نطاق حكومة المغول في عهد جنكيز

روسية
حكومة القفجاق
سيبريا
حكومة جنكيز
مغولستان
تركستان
الصين
تبت
الهند
خليج بنغالة
بحر عمان
الحكومة العباسية أيام المغول
ايران
جزيرة العرب

نطاق حكومة المغول في عهد جنكيز خان

آخر لا يقل عن سابقه وهو تمركز الإدارة في ايران وانقياد العراق لها...

وهذا العهد على ما فيه من زوابع وغوائل كان خير العهود التي وليته واشتهر فيه من النوابغ في العلوم والفنون والصناعات المختلفة بحيث صار أساساً وقدوة... وقد أشرنا إلى أمثلة كثيرة على ذلك سواء في العلوم، أو في آثار الريازة في بناء السلطانية واستخدام عراقيين كثيرين للهندسة والعمارة... وهكذا يقال عن الخطوط فقد ظهرت في خط ياقوت وأضرابه ممن مرت تراجمهم وصارت أساساً يتحداه سائر أهل الاقطار الأخرى، وعن الصناعات مما ظهر في الهدايا والتقادم المرسلة إلى ملوك مصر...

والحاصل لا يسع المقام التبسط في أمثال هذه فنكتفي بالإشارة ونجتزىء بما مر من المباحث..

الخاتمة

إن الحالات الاجتماعية لا تتغير بسهولة ولا التشكيلات الإدارية تتبدل بسرعة فإن بقاءها أو هدمها لا يتوقف على عمل الشخص... فالأمة لا ترضى بعمل الفرد ولا توافقه عليه بوجه إذا كان في نظرها قبيحاً ولا تكون مكرهة على البقاء والاحتفاظ... سواء كان ذلك الفرد خليفة أو وزيراً وعلى كلٍّ حدث استيلاء المغول واكتسح العراق مهما كان السبب وأيّاً كان... فالعراق كان من الضعف وسوء الإدارة بمكانة... ومما قيل في الحكومة العباسية أيام ضعفها:

ما لي رأيت بني العباس قد فتحوا
من الكنى ومن الأسماء أبوابا
ولقبوا رجلاً لو عاش أولهم
ما كان يجعله للحش بوابا

قل الدراهم في كفي خليفتنا
هذا فأنفق في الأقوام ألقابا

وبعد الاستيلاء على العراق سنة ٦٥٦هـ عاد قطراً تابعاً رأساً إلى حكومة المغول ودام حكمهم إلى عام ٧٣٨هـ وكان العراق في بادىء أمره يعين ولاته من العراقيين ودام هذا الحال مدة ومن ثم راجت الفتن والتقولات من بعضهم على بعض حتى صارت الحكومة لا تأمن من أحد كما أنها نكلت بالكثيرين منهم الواحد أثر الآخر بما وقع بينهم من فتن ونسبة خيانة ونهب أموال... ولم يترك هؤلاء وشأنهم وإنما كان يعين مع الوالي نائب من المغول وفي الغالب يشرك مع الوزير غيره... وكان يعاقب المرتكب لخيانة ما بالإعدام...

ثم صارت الحكومة تنصب وزيراً رأساً من أمرائها الذين دخلوا في حكم المغول من الايرانيين وزاد نفوذهم في الحكم بشدة... وقد مضى الكلام عن جماعة منهم إلا أنه يلاحظ أن الولاة لا يذكر لهم شأن إلا في حوادث خاصة ومعينة ومن المحتمل أن هناك ولاة آخرين لم نطلع عليهم ممن قضوا حكمهم بهدوء وسكينة...

وهؤلاء في الحقيقة رؤساء الديوان والقائمون بالإدارة الداخلية ـ كما كان الشأن أيام الدولة العباسية في عهدها الأول ـ وبيدهم الحل والعقد وهم المرجع وفي الأكثر لم يغير شيء من مألوف الأهلين ومن أصول الإدارة وأول وزراء بغداد ابن العلقمي وآخرهم علي شاه الاويراتي... وكان القضاة يعينون من بغداد من أشهر المدرسين ومن تظهر له مكانة علمية ويعتبر قاضي بغداد قاضي القضاة وهذا انتزعت منه ادارة الوقوف وصار يعين لها من يسمى (صدر الوقوف) للنظر في الأوقاف الخيرية ولم يتعرض المغول للمناصب الدينية إلا لهذا المنصب فجعل للخواجة نصير الدين الطوسي ثم لابنه وبعدها انتزع وأعيد إلى قاضي القضاة... وأبقى القوم لقاضي القضاة نائباً وهو يقوم بحسم

الخصومات. هذا عدا قاضي الكرخ...

وعلى كل بقيت التشكيلات الإدارية على حالها بصورة مصغرة والألوية كذلك وتسمى الكور ولكل منها صدر[1] وقد تسمى صدارة لا كورة وقد يكون للصدر نائب وزعيم وهكذا... فأبقيت الأوضاع كما كانت سوى أن الإدارة صارت محدودة، وأن للحكومة عائدات تستوفيها ولكنها فيها من القسوة والظلم في أكثر الأحيان ما لا يوصف... والألوية المعروفة آنئذ:

١ ـ بغداد وفيها الوزير.

٢ ـ طريق خراسان (لواء ديالى).

٣ ـ الحلة والكوفة.

٤ ـ قوسان ومنه النعمانية (لواء واحد في غالب الأحيان).

٥ ـ واسط والبصرة (قد تنفصل أو تتصل).

٦ ـ دجيل وما والاه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٧ ـ الأنبار.

٨ ـ الموصل.

٩ ـ إربل.

١٠ ـ دقوقا.

١١ ـ تستر او خوزستان (في بعض الأحيان قد تابعت بغداد).

وهذه الألوية لم تكن كلها مرتبطة ببغداد وإدارتها... فالموصل

---

(١) الصدر في اصطلاحنا اليوم يدعى «متصرف اللواء»، وقد اختلفت الاصطلاحات كثيراً عن ذي قبل...

كانت تدار رأساً، وكذا إربل... وأما لورستان فإنها إمارة تابعة وإدارتها الداخلية مستقلة...

وفي الأيام الأخيرة نال بغداد ظلم وقسوة من جراء اختلاف أمراء المغول على السلطة والإدارة فكانت المصيبة عظمى، والكارثة كبرى... والعراق وإن كان في اوائل أيامها لا يزال محافظاً على وضعه. وحسن ادارته. وراحته بعد السقوط خصوصاً بعد أن أسلم القوم... إلا أن النكبة الأخيرة أمضت فيه وقست عليه أعني انهماك السلاطين في الأهواء النفسية وتسلط الأمراء ونفوذهم وهي مقدمة الارزاء وأول النكبات... ومن ثم تدرجت المملكة العراقية في التدهور ومضت في سبيل الانحطاط إلى ما شاء الله...

وأما المغول فإنهم لما كانت حكومتهم على نشاطها وقدرتها وبيدها اليساق لم يسمع لها خلاف أو مناوأة من الأمراء ولا هناك من شق عصى الطاعة إلا قليلاً ولكن الأمر تزايد وصار الزعماء كل واحد يرى في نفسه الكفاءة للقيام بالإدارة... ومن ثم لعبوا بمقدرات الملوك وبالشعب وزاد الخلاف إلى أن كانت نتيجته القضاء على هذه الإدارة وتمزيق شملها ولو كان الأمر مقصوراً على انقراض المغول لقلنا نعم ما وقع ولكن ذلك أدى إلى ما امض بالأهلين وأنهك قواهم وسلب ثروتهم ولم يعد لهم أمل في أن يتمكنوا من استعادة قوتهم ومجدهم...

هذا ولم يدخل خلاف في أمة ولم تتشعب اهواؤها إلا قضي عليها وماتت... مما هو مشاهد، محسوس في كافة الحالات الاجتماعية للأمم، والإدارية فرع منها ولكل أمة أجل...

والعراق نظراً لهذه الأوضاع وإنحلال الإدارة لم يبق فيه رأس مرعي الجانب، مسموع الكلمة، محترم القول... والسلطة السياسية القابضة عليه كانت يدها من حديد وهي بين مغولية وايرانية... واساساً

الآمال القومية والأماني الاستقلالية ماتت روحها بسبب الأجنبي ويده الفعالة في تفريق صفوف الأمة وتوليد الخلاف بينهم وتقويته... وظواهر ذلك وأمثلته كثيرة مضى القول على بعضها... ونقف عند هذا من تاريخ حكومة المغول في العراق والله ولي الأمر.

تم المجلد الأول في حكومة المغول

من موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين

❀ ❀ ❀



الفهارس العامة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ ـ فهرس الشعوب والقبائل والبيوت والنحل

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء



٣ ـ فهرس الأمكنة والبقاع

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

٤ ـ فهرس الكتب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

٥ ـ فهرس بعض الألفاظ الدخيلة والغريبة

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء



٦ ـ فهرس الصور

٧ ـ فهرس المواضيع